بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العـالي
جامعة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : محمد جنيد عبدالمجيد عبدالله كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيـــدة ....

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير .... في تخصص : العقيـــدة ....

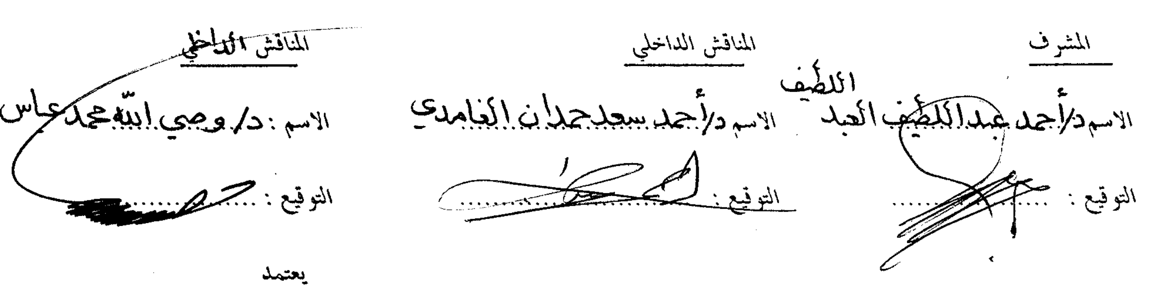
عنوان الأطروحة : ((جماعة التبليغ في الهند، دراسة وتقويم ....))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٦/ ٢ /١٤٢١هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة



المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم د/ أحمد عبداللطيف العبد اللطيف	الاسم د/ أحمد سعد حمدان الغامدي	الاسم : د/ وصي الله محمد عباس
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد

رئيس قسم

الاسم : د/ عبدالله محمد القرني

التوقيع : ....

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



جماعة التبليغ

في الهند

دراسة وتقويم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

الطالب : محمد جنيد عبد المجيد

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور / أحمد بن عبد اللطيف آل عبد اللطيف

العام الدراسي

١٤١٩ - ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

* ملخص الرسالة *

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأفضل الصلاة وأتم التسليمات، على أشرف المخلوقات نبينا محمد وعلى آله وصحبه وذرياته الطيبات الطاهرات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، وبعد :

فإن هذه الرسالة بعنوان "جماعة التبليغ في الهند دراسة وتقويم" تشمل على مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة ، وكل فصل يحتوي على مباحث .

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والعقبات الواردة فيه وعلى منهج البحث .

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه بإيجاز عن تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري والأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية فيها بمطلع القرن الرابع عشر الهجري وتشكيل الحركات الإسلامية فيه .

وأما الفصل الأول فقد اشتمل على نشأة جماعة التبليغ وتطورها وموجز عن تاريخها كما تحدثت فيه عن أبرز شخصياتها مولدا ونشأة واعتقادا وأفكارا إلخ . وفي الفصل الثاني بينت عقائد الجماعة وأفكارها وأثبت أن مؤسس الجماعة وأمراءها وأبرز الشخصيات فيها كانت معتقداتهم في الأسماء والصفات أشعرية وماتريدية، كما يوجد عندهم انحرافات عقدية في توحيد الربوبية والألوهية، إضافة إلى أنواع من البدع والخرافات، وتكلمت بإيجاز عن كتاب « تبليغي نصاب » (المقرر التبليغي لدى الجماعة) مع ذكر بعض الأمثلة من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة الواردة فيه ، وهم لا يسمحون في الخروج للقراءة في كتاب غيره إلا رياض الصالحين للعرب خاصة ، وأما الفصل الثالث فقد تناولت فيه موقف الجماعة من التصوف وأثبت أنهم متصوفة، منخرطين في الطرق الصوفية الرائجة في الهند، ويوجد لديهم مظاهر التصوف بشتى أنواعه ، وتحدثت في الفصل الرابع عن أهدافها كما بينها أصحابها وكما يراها خصومها، ثم أهدافها في الميزان الواقعي والتطبيقي ، أما الفصل الخامس فقد بينت فيه منهج الدعوة لدى الجماعة بأن محور دعوتهم الأسس الستة الملهمة حسب زعمهم ولا يخرجون عنها قدر أنملة، كما لا يستخدمون الأساليب المعاصرة، بل تنحصر قنواتهم في أسلوب واحد وهو الخروج بمعنى تفريغ الأوقات ، وفي الفصل السادس فقد تحدثت عن آثار الجماعة في الطبقات المختلفة، وبينت أن دعوتهم انتشرت على نمطهم الخاص في معظم بلدان العالم ، وأما الفصل السابع فقمت فيه بالمقارنة بين جماعة التبليغ والجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند من حيث المناهج والمبادي وفي الوسائل والأساليب ، وأما الخاتمة فقد لخصت فيها أهم النتائج والتوصيات .

وخلاصة القول أن جماعة التبليغ إحدى الجماعات النشطة في الهند، ولها انتشار كبير وأثر ملموس ومشاهد في مختلف طبقات المجتمع ، ولكن للأسف الشديد تسربت إليهم انحرافات عقدية وسلوكية بسبب الزيغ في منهج الجماعة ومشايخها في العقيدة ، نسأل الله السلامة والعافية .

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
محمد جنيد عبد المجيد	د. أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف	د. عبد الله عمر الدميجي

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١) .

* ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢) .

* ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٣) .

---

(١) – آل عمران ١١٠ .

(٢) – يوسف ١٠٨ .

(٣) – النحل ١٢٥ .

* شكر وتقدير *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فأتقدم بالشكر لله تعالى أولا وآخرا ، الذي أعانني بتوفيقه وسهل لي بمنه وكرمه كتابة هذا البحث حتى فرغت منه .

ثم أداء للواجب وامتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ » [1] أتقدم بخالص الشكر والدعاء لوالدي الكريمين اللذين ربياني بتمام الرعاية والحنان ، وأسأل الله لهما دوام الصحة والعافية وأن يرحمهما كما ربياني صغيرا .

ثم أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الكبير العالم النحرير فضيلة الدكتور أحمدبن عبد اللطيف آل عبد اللطيف المشرف على هذا البحث لتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة وعنايته الخاصة التي تمكنت بها من إكمال هذا البحث .

فلم يقتصر لقائي معه على ساعات الإشراف المخصصة من قبل الجامعة ، بل فتح بابه وصدره لي في أية ساعة احتجت إليه في ليل أو نهار ، فجزاه الله عني خير ما جازى أستاذا عن تلميذه ووالدا عن ولده .

كما لا يفوتني أن أشكر القائمين على إدارة هذه الجامعة الحبيبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تلك الجامعة الغراء التي فتحت أبوابها لطلاب العلم الذين يفدون

---

(١) – رواه الترمذي في السنن ٤ / ٢٩٨ ، ح : (١٩٥٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي ٢ / ١٨٥ .

إليها من كل فج عميق ، وأخص بالشكر للمسئولين في كلية الدعوة وأصول الدين وقسم العقيدة حيث أتاحوا لي ولزملائي الوافدين من أبناء المسلمين فرصة الدراسة والبحث العلمي في أحضان هذا الصرح العلمي في رحاب مكة المكرمة مهبط الوحي ومنبع الرسالة .

كما أقدم وافر الشكر والامتنان لجميع مشايخي الكرام ولكل من له أي مساهمة أو مساعدة أو توجيه في إخراج هذا البحث في صورته الحالية .

وكذلك أرى من واجبي أن أشكر زميلي الكريم محمد نعيم علم خان والأخوين العزيزين عبد القيوم وعمر فاروق ، الطلاب في الجامعة ، الذين بذلوا لي من وقتهم القدر الكبير في التصحيح ومقابلة المطبوع .

والله المسئول أن يجزي الجميع بخير ما يجازي به عباده الصالحين .

* المقدمة *

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ودعا إلى الله بإذنه حتى أتاه اليقين ، أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

قال تعالى في كتابه الحكيم : ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... ﴾[١] فقام صلوات الله وسلامه عليه بإبلاغ هذه الدعوة خير قيام في الثقلين حتى أثنى عليه جل ذكره فقال : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، ثم كانت هذه الدعوة بعده موضع عناية الدعاة المخلصين من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الدعاة والمبلغين ، وانتهجوا في دعوتهم منهج الأنبياء والمبعوثين ، واقتدوا قدوة الأنام وسيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ، ومازالت ولا تزال هذه السلسلة الذهبية على مر العصور ومدى الدهور مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ ... » الحديث [٣] .

فسعدت بها الأمة الإسلامية في قرون عديدة ، وحيث إن الدعوة الإسلامية في أقطار العالم المعمورة اليوم تقوم بها المؤسسات الدينية والحركات العديدة والجماعات الإسلامية ، ومن بينها بل من أنشطها جماعة التبليغ التي تواصل ليلها بنهارها في شئون الدعوة والتبليغ ، ورجالها القائمون عليها والمشتغلون بها قد اهتموا اهتماما بالغا وقطعوا شوطا بعيدا في تحقيق أهداف هذه الحركة ، فهي حركة عظيمة قوية منتشرة في العالم كله .

---

(١) – المائدة ٦٧ .

(٢) – الشعراء ٣ .

(٣) – أخرجه البخاري في الصحيح ٨ / ٥٠١ ، ح : (٧٣١١) ومسلم في الصحيح٣ / ١٥٢٣ ح : (١٩٢٠) .

وحيث إن مؤسسها عالم هندي أسسها في الهند ، فالهند مهدها ومنبعها ، وبها مقرها الرئيسي ، والقيادة العليا المركزية للسير والعمل والتطبيق والحفاظ على التراث لذا اخترت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير بعنوان : « جماعة التبليغ في الهند دراسة وتقويم » .

والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب منها :

١ - **أن لهذا الموضوع أهمية كبيرة** ، إذ أن الكلام قد كثر في الآونة الأخيرة عن جماعة التبليغ ومدى صلتها بالسنة المطهرة ، وذلك لما تكاثر نشاط التبليغيين وتفاقم وتزايد ازدحامهم واجتماعهم وتفاخم ، وكثرت أشياعهم ، فلفت ذلك أنظار الكثيرين وكثرت التساؤلات عنهم ، فكثير من إخواننا الطلبة ومشايخنا الأفاضل ورجال آخرون قد سألوني عن جماعة التبليغ وعقيدتها وأهدافها وعن القائمين عليها وعن كل ما يتعلق بها .

٢ - **أن خلافا قد وقع بين كثيرين عن هذه الجماعة** ، فمنهم من يزعم أنها جماعة سنية تتحرى السنة في كل شأن ، ومنهم من يرى أنها طائفة مبتدعة من الصوفية قد ابتدعت أورادا ومنهاجا ، وأنه لا صلة لهذه المبتدعات بالسنة ، ومنهم من يرى أنها جماعة تابعة للإنجليز .

٣ - أن الكتابات السابقة وما تناولته من الدراسة حول هذا الموضوع - مع تقديري لهذه الدراسات وأصحابها - لا زالت في حاجة إلى دراسة مستفيضة وتقويم سليم في ضوء الكتاب والسنة .

٤ - **أنني كنت مولعا منذ صغري بالدعوة الإسلامية والدعاة والمبلغين** ، فلتحقيق هذه الرغبة ولمزيد من اكتساب الخبرة في مجال الدعوة - والتي أنوي التفرغ لها مستقبلاً إن شاء الله - رأيت أن أكتب في هذا الموضوع .

٥ - أن هذه الجماعة منتشرة في جميع أنحاء العالم ولها جهود واضحة في تبليغ الدين وتوصيله بالمفهوم الخاص ومع كثرة التساؤلات عنها وعن مدى التزامها أوبعدها عنه وجدت أنني بحاجة إلى الإجابة على التساؤلات التالية :

* **كيف نشأت الجماعة ؟**

* **وهل لها صلة بالاستعمار ؟**

* وما هي أهدافها المعلنة ؟ وما هي أهدافها الحقيقية ؟

* وما هو منهجها ؟

* وما مسلكها في تحقيق هذه الأهداف ؟

لذلك كله عزمت على اختيار هذا الموضوع ، وإني لأدعو الله التوفيق والسداد في هذا العمل المتواضع .

* المشاكل والعقبات التي واجهتني في هذا الصدد*

هي كثيرة ، وأهمها :

١ – قلة المراجع .

٢ – أن المراجع – مع قلتها – أغلبها باللغة الأردية تحتاج إلى الترجمة والتعريب ، وقد أخذ ذلك مني الوقت والجهد الكبير .

٣ – أن بعض المعلومات عن الجماعة توجد في الكتيبات وفي الجرائد والمجلات ولا يخفى مقدار الجهد في الوصول إليها والتحقق منها .

٤ – أن الدراسة تطلبت مني المشاركة الفعلية معهم لتكون دراستي دراسة ميدانية أيضا فقمت بالسفر إلى كل من الهند والباكستان لزيارة مراكزهم ، وللاطلاع على منهجهم وأنشطتهم بمخالطتهم والخروج معهم ، وبحضور اجتماعاتهم ومواعظهم ومحاضراتهم .

٥ – عدم تجاوب جماعة التبليغ للحوار أو للمناقشة العلمية حول الأسئلة التي طرحتها عليهم حينما أردت استقاء المعلومات مباشرة منهم .

* منهجي في البحث*

١ – التزمت في دراستي المنهج العلمي الدقيق ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية في هذا الموضوع ، وباستقاء المعلومات مباشرة في الدراسات الميدانية عن طريق الخروج والتساؤلات ، وإن كنت وجدت في ذلك الصعوبات ، ونادرا ما أستعين بمؤلفات

غيرهم الذين كتبوا عنهم حيث لا أجد لديهم ما أطلبه من معلومات مع أنني قرأت كثيراً من الكتب التي كتبت ضدهم ، وذلك للمقارنة بينها وبين المصادر الأصلية ، وحينما ذكرت القصص والحكايات التي ذكرها مؤلف كتاب « تبليغي نصاب » أي المقرر التبليغي حاولت أن أرجع إلى المصادر التي نقل عنها المؤلف وقد أشرت إليها في الهامش .

٢ – أعقب بعد ذلك على منهج الجماعة في ضوء الكتاب والسنة مع ذكر أقوال علماء السلف إذا احتاج التعقيب إلى ذلك .

٣ – خرّجت الآيات والأحاديث والآثار الواردة في البحث ما أمكن .

٤ – ترجمت أعلام الهند عامة ، والمتعلقين بالجماعة خاصة .

٥ – لم ألتزم بالحرفية في ترجمة النصوص المنقولة من اللغات الأخرى ، بل التزمت بترجمة المفهوم بدقة وأمانة علمية .

٦ – ترجمت عنوان المصادر والمراجع غير العربية عند ذكرها في قائمة المصادر والمراجع .

٧ – الأرقام التي وردت عند ذكر المصادر والمراجع في الحواشي يشير الأول منها إلى رقم المجلد ، والثاني إلى الصفحة ، والثالث إلى الحديث وأحيانا كتبت حرف الحاء رمزا للحديث .

هذا وقد جاء البحث مشتملا على مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة :

أما المقدمة : فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع في واقعنا المعاصر ، والأسباب الداعية لاختياره ، وذكر العقبات التي اعترضت في البحث ومنهجي فيه ، والخطة التي سرت عليها .

وأما التمهيد : فقد تحدثت فيه بإيجاز عن تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري ، والأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية فيها بمطلع القرن الرابع عشر الهجري ، وتشكيل الحركات الإسلامية فيه

ومن ضمنها جماعة أهل الحديث ، وجماعة التبليغ ، والجماعة الإسلامية .

وأما الفصل الأول: فقد اشتمل على نشأة جماعة التبليغ وتطورها وموجز عن تاريخها ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن الأسباب التي دعت إلى إنشائها .

المبحث الثاني : تحدثت فيه عن نشأتها وتطورها .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن أبرز شخصياتها بداية من مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس – رحمه الله ، ونهاية إلى المشرف الأعلى على الجماعة الشيخ محمد زكريا – رحمه الله – وتكلمت فيه عن مولدهم ونشأتهم ومعتقداتهم وأفكارهم وجهودهم الدعوية والعلمية إلى آخرها ...

وأما الفصل الثاني : فقد جعلته في بيان عقائد الجماعة وأفكارها ، وقبل أن أتكلم عنها تكلمت بإيجاز عن كتاب « تبليغي نصاب » مع ذكر بعض الأمثلة من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة . ثم قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقفها من توحيد الربوبية .

المبحث الثاني: موقفها من توحيد الألوهية .

المبحث الثالث : موقفها من توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الرابع : موقفها من البدع والخرافات .

وأما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه موقفها من التصوف ، وقسمته إلى سبعة مباحث :

المبحث الأول : علاقتهم بالتصوف .

المبحث الثاني: أورادهم وأذكارهم .

المبحث الثالث : موقفهم من عقيدة وحدة الوجود والقائلين بها .

المبحث الرابع : موقفهم من الخضر .

المبحث الخامس : مفهوم التوكل عندهم .

المبحث السادس : الكشف وكرامات الأولياء .

المبحث السابع : الدعاوي والمبالغات .

وأما الفصل الرابع : فقد تحدثت فيه عن أهدافها وغاياتها ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أهدافها كما بينها أصحابها .

المبحث الثاني: أهدافها كما يراها خصومها .

المبحث الثالث : أهدافها في الميزان الواقعي والتطبيقي .

وأما الفصل الخامس : فقد تناولت فيه منهج الدعوة لدى الجماعة ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: أسس الدعوة لدى الجماعة .

المبحث الثاني : أساليب الدعوة عندها .

المبحث الثالث : مفهوم الجهاد في سبيل الله عندها .

وأما الفصل السادس : فقد تحدثت فيه عن آثارها في الطبقات المختلفة ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: أثرها في تقريب غير المسلمين إلى الإسلام .

المبحث الثاني: أثرها في عامة المسلمين .

المبحث الثالث : أثرها في أهل العلم وطبقة المثقفين .

وأما الفصل السابع : فقمت فيه بالمقارنة بين جماعة التبليغ والجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند ، وقسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : المقارنة في المناهج والمبادئ .

المبحث الثاني : المقارنة في الوسائل والأساليب .

وأما الخاتمة : فقد لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ، وذكرت بعض التوصيات التي أراها من واجب النصح والإرشاد .

وبعد ذلك ألحقت بالبحث فهارس تفصيلية تشتمل :

ا - **فهرس الآيات القرآنية** .

ب - **فهرس الأحاديث والآثار** .

ج - **فهرس المصادر والمراجع** .

د - **فهرس الموضوعات** .

وبها أنهيت البحث الذي أتقدم به إلى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة .

وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفّيت الموضوع ، وإن لم يبلغ حد الكمال .

وقد كان لإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن عبد اللطيف آل عبد اللطيف وتشجيعه المستمر أثر طيب في إخراج البحث بصورته الحالية ، فالفضل لله ثم

لفضيلته إذ منحني من وقته وراحته الكثير في الجامعة والمسجد والمكتب والمنزل ، وفي كل وقت احتجت إليه رغم أشغاله الكثيرة ، فقد كانت إرشادات فضيلته وتوجيهاته خير زاد في بحثي هذا .

وأستأذن جماعة التبليغ في هذا الحوار الهادي الذي أساسه الحب في الله ، فإن هدفنا جميعاً الوصول إلى الحق ، فإنّ الجماعة مهما كانت عزيزة علينا وحبيبة إلى قلوبنا فإن الحق آثر علينا حتى من نفوسنا ...

هذا وأسأل الله العلي القدير رب العرش العظيم أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ، فهو ولي ذلك والقادر عليه وبيده التوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد جنيد عبد المجيد

مكة المكرمة : ٢٩ / ١ / ١٤٢٠ هـ

١٥ / ٥ / ١٩٩٩م

* التمهيد *

* عرض موجز لتاريخ الدعوة الإسلامية في الهند من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري .

* الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في الهند في مطلع القرن الرابع عشر الهجري .

* تشكيل الحركات الإسلامية في هذا القرن .



* دخول الإسلام في شبه القارة الهندية *

الهند بلد تقطن به أجناس متعددة وثقافات مختلفة، وفيه مختلف ما عرفه الإنسان من فنون وآداب، وما اعتنقه من مختلف العقائد والأديان منذ أن انحرف عن التوحيد حتى هداه الله إليه .

وأول من وطئت قدماه هذه الأرض من الأمة الإسلامية بادئ ذي بدء كانوا هم التجار العرب [١]، لأن العلاقات التجارية كانت قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وغيرها، فلما سمع هؤلاء بإسلام شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذت هذه الجاليات تلعب دورا كمراكز تبليغ الدعوة الإسلامية بطريقة غير مباشرة، فوصل الإسلام بذلك سواحل مالابار[٢] وسواحل إقليم السند[٣] مبكرا[٤] .

ثم أخذت العرب تشد الكرة على بلاد الهند الساحلية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فزحفوا أول مرة إلى تانة (بومبائي) ثم نزلوا بعدها بهروج من بلاد

---

(١) – مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ص أ .

(٢) – مالابار : جزء من الساحل الجنوبي الغربي في الهند . المنجد في الأعلام ٦٢٩ .

(٣) – السند : مقاطعة في جنوب باكستان عاصمتها حيدر آباد . المنجد في الأعلام ص ٣٦٧ وانظر : معجم البلدان ٣ / ٢٦٧ .

(٤) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ج ٣٢٣/١ .

كجرات عام ١٥ هـ [١] وبدأ فتح السند في عهد عثمان بن عفان وتم في عهد الوليد بن عبد الملك علي يد محمد بن القاسم الثقفي سنة ٩٣ هـ[٢].

وجملة القول إن الإسلام بدأ يطرق أبواب الهند منذ فجره سواء أكان ذلك بواسطة التجار، أم بالحملات العسكرية الصغيرة التي كانت برعاية الخلفاء وتوجيهاتهم .

ثم أخذت هذه الحملات شكلا جديا في عهد بني أمية ؛ ففي خلافة معاوية رضي الله عنه عام ثلاثة وأربعين من الهجرة حمل المسلمون على الهند مرة أخرى، فغزوا القيقان[٣] وسنجة ، واللاهور ، وأصابوا مغنما، وأهدوا للخليفة خيلا قيقانية، غير أن السنود قضوا على تلك الفئة المجاهدة قضاءا مبرما[٤] .

ثم استمرت الحرب سجالا بين المسلمين والهنود، دون أن يتمكن المسلمون من تخطي تلك الحدود حتى تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق .

وفي أواخر التسعينات من القرن الأول الهجري تعدى بعض أهل السند على بعض العزل من المسلمين مما أثار غيظ الحجاج ؛ فقد وجه الحجاج أولا بعض قواده إلى هذه البلادلتخلية العزل ؛ يذكر البلاذري أنه كان في سيلان[٥] أو جزيرة الياقوت – كما

---

(١) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٣ ، فتوح البلدان ٤٢٠ ، حاضر العالم الإسلامي ٣٢٢/١ ، العرب والهند في عهد الرسالة ١٣٢ .

(٢) – حاضر العالم الإسلامي ٣٢٣/١ .

(٣) – القيقان : من بلاد السند مما يلي خراسان . معجم البلدان ٤ / ٤٢٣ .

(٤) – الكامل في التاريخ ٣ / ٢١٨، ٢٢١، فتوح البلدان ٤٢١، أثر الفكر الغربي ٣ ، كفاح المسلمين في تحرير الهند ٢٠ .

(٥) – جزيرة تقع جنوب شرقي الهند ، تعرف منذ ١٩٧٢ م باسم جمهورية سري لنكا ، عاصمتها كولمبو . انظر : معجم البلدان ٣ / ٢٩٨ ، المنجد في الأعلام ٣٧٧ .

يسميها البعض –نسوة من العرب المسلمين مات عنهن آباؤهن ، فأراد ملك الجزيرة أن يجامل الحجاج ويرسل له هؤلاء النسوة ، فأركبهن سفينة إلى البلاد العربية، فعرض للسفينة قوم من ميد الديبل في بوارج ، فأخذوا السفينة بما فيها، فنادت امرأة منهن – وكانت من بني يربوع-يا « حجاج »، وبلغ الحجاج ذلك ، فقال : « يا لبيك »، فأرسل إلى داهر، يسأله تخلية النسوة، فقال : إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم ، فحمل ذلك الحجاج على غزو السند مملكة « داهر »[1] .

ولكنه فشل في مهمته فرأى أن يوجه حملة أخرى جعل على رأسها ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن قاسم الثقفي، وكان عمره إذ ذاك لم يصل إلى العشرين؛ ولكنه عرف بالصلابة والشجاعة، وقد جهزه الحجاج بجيش قوي بستة آلاف مقاتل بكل ما يحتاجون إليه حتى الإبر والخيوط والمال لفتح المنطقة، وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج نقع في الخل الأحمر الحاذق، ثم جفف في الظل وقال لهم: إذا صرتم إلى السند فإن الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن في الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا[2] .

فبدأ محمد منذ عام تسع وثمانين من الهجرة يفتح السند مدينة تلو أخرى حتى وصل إلى الملتان، وأتم فتحها عام ثلاث وتسعين من الهجرة [3] .

ولم تجر أية محاولة بعد فتح محمد بن القاسم الثقفي لتوسيع هذه الرقعة، ولا تحدثنا مصادر التاريخ عن إضافة العباسيين جديدا من خضراء الهند إلى الدولة الإسلامية رغم جهادهم في بعض الفترات .

---

(١) – تاريخ الإسلام في الهند ٧٣، فتوح البلدان ٤٢٣ .

(٢) – تاريخ الإسلام في الهند ٧٤، عبد المنعم النمر .

اصطبغ بالإدام : ائتدم . انظر : المعجم الوسيط ١ / ٥٠٦ ، الصحاح ٤ / ١٣٢٢ .

(٣) – الكامل ١١١/٤، أثر الفكر الغربي ٤، قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي ١٣٦ – ١٣٨، لمحيى الدين حسن القضماني .

وهكذا انحسرت الحملات الإسلامية على أرض الهند مدة، حتى جاء محمود بن سبكتكين (٣٨٧ – ٤٢١ هـ)(٩٩٦ – ١٠٣٠م) الذي نذر نفسه للجهاد في سبيل الله، فقاد سبعة عشرة حملة إلى الهند، فقضى فيها على الفرق الضالة والمضللة من رافضة وقرامطة وغيرهم من عباد الأصنام .

ووجه أولى حملاته إليها من « غزنة » [١] سنة ٣٩٢ هـ – ١٠٠١م وتابع حملاته وانتصاراته بعد ذلك، حتى ضم إلى حكمه جزءا كبيرا من أرض الهند ...

فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية، أصحابها من المجاهدين المسلمين ولكن ليسوا من العرب [٢] .

ثم جاء ت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية واستطاع محمد الغوري الاستيلاء على السند ، ودهلي، والبنغال [٣]، وبهار[٤]، بين سنة ٥٨٨ – ٥٩٧ هـ ، واتخذ دهلي قاعدة لحكومته في الهند ، واغتال الباطنية السلطان محمد الغوري سنة ٦٠٢ هـ فنصب غلامه قطب الدين أيبك نفسه سلطانا على الهند[٥] .

---

(١) – غزنة : مدينة في شرق أفغانستان ، وهي الحد بين خراسان والهند . معجم البلدان ٤ / ٢٠١ ، المنجد في الأعلام ٥٠٦ .

(٢) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٢٥ .

(٣) – البنغال : منطقة في آسيا الجنوبية بين الهملايا وخليج البنغال تنقسم إلى قسمين : البنغال الغربية ، وتتبع الهند ، وعاصمتها كلكوتا ، والبنغال الشرقية ، وتتبع بنغلاديش ، وعاصمتها داكا .

المنجد في الأعلام ١٤٤ .

(٤) – بهار : مقاطعة في شرق الهند عاصمتها بتنة .

(٥) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٢٦ .

ومنذ ذلك الوقت تتابع على حكم الهند دول إسلامية من الخلجية والتغلقية واللودهية إلى آخرها، واحدة بعد أخرى، واتخذت دهلي عاصمة لها، حتى جاء ت الدولة التيمورية أو الدولة المغولية سنة ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٥م على يد بابر المغولي، فكان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامي للهند ، وبلغت من القوة والاتساع حداً لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند[١] .

شهدت البلاد في عهدها حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية ، بل إن حكم هؤلاء المسلمين الأمجاد قد وصل من القوة والمجد إلى الحد الذي ظل فيه سفير جيمس الأول ملك انجلترا أكثر من سنتين في الهند يحاول مقابلة الملك « جهانكير » فلم يظفر بما يريد ، فتضرع أن يأخذ كتابا منه يحمله إلى ملك انجلترا ، فرد عليه الوزير الأول قائلاً : « إنّ مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة ، يسكنها صيادون بائسون » [٢] .

ومعظم آثار المسلمين الموجودة في الهند هي من ذكريات هذا العهد مثل « المسجد

---

(١) – كفاح المسلمين في تحرير الهند ١٩ – ٢٠ .

الجامع » (١)، « والقلعة الحمراء » (٢) بدهلي ، و« تاج محل » (٣) في آكره .

---

(١) – المسجد الجامع أو « جامع مسجد » بدهلي كما يسمونه في الهند ، يعتبر أفخم مسجد بناه سلطان في الهند كلها ، يقوم على مرتفع من الأرض عما حوله ، وأكبر مساحته غير مسقوف ، يقوم وسطها حوض كبير للوضوء ... وعلى جدرانه وأعمدته الضخمة يتجلى الفن الرفيع والمجهود الجبار الذي بذل في تحليته . أمر شاهجهان ببنائه سنة ١٠٦٠ هـ – ١٦٥٠ م وعند البدء في تأسيسه أعلن الملك في الناس أن الذي يتقدم لوضع الحجر الأساسي له هو الذي لم تفته التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة ولا صلاة التهجد ، فسكت الناس جميعا ، ثم تقدم الملك وقال : الحمد لله ، فإني لم يفتني من ذلك شيء طول العمر ، ولكني آسف لإذاعة سري المكتوم ، وقد تم بناؤه في ستة أعوام ، وتنافس أمراء الأقاليم في إرسال الأحجار والمرمر لبنائه . تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٥٠ .

(٢) – القلعة الحمراء : هي ذلك البناء الضخم الفخم الذي بناه الملك شاهجهان لسكناه ، وبنى سوره من الحجارة الحمراء ، والذي اشتمل على أمكنة متعددة لقيام الملك ونسائه وحاشيته وجنوده ومجلسه الخاص والعام ، وعلى مسجد يعتبر تحفة في عالم البناء ويسمى « موتى مسجد » – أي مسجد اللؤلؤة من الرخام الخالص ، وإن كان صغيرا ، والقلعة تقع على شاطئ نهر جمنا في دلهي مثل القلعة الحمراء التي بناها الأمبراطور أكبر في آكره . تاريخ الإسلام في الهند ٢٤٨ – ٢٤٩ .

(٣) – تاج محل : هو الأثر الفني الرائع الذي خلفه شاهجهان ت ١٠٧٦ هـ ، ليكون أعجوبة الدنيا من بعده . هو ذلك البناء الذي أعده لتدفن فيه زوجته المحبوبة « أرجمند بانو » أقامه خارج مدينة آكره في الناحية الشرقية منها على شاطئ نهر جمنا .

وقد أنفق على بنائه ٣٢٠ مليون روبية ، واستغرق البناء اثنتين وعشرين سنة ، وكان يعمل فيه عشرون ألف عامل ، وهو يعتبر أهم وأروع ما تركه ملك في الهند من آثار .

يقول الدكتور محمد مرزوق : « وهذا الأثر يُعد أجمل العمائر الإسلامية على الإطلاق في القرن الحادي عشر الهجري ... فهو بحق أجمل عمائر الهند ، ومن أروع الآثار الإسلامية في الشرق والغرب وهو يعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع . انظر : تاريخ الإسلام في الهند ٢٥٢ – ٢٦٠ .

والجدير بالذكر والتنبيه على أن ما قام به من هذا البناء الجميل والرائع بصرف النظر عن كونه جميلا إلا أنه فيه مخالفة شرعية واضحة ، فالبناء على القبور منهي شرعيا ، وإضافة إلى ذلك هذا صورة من الإسراف وتبذيل الثروات وتضييع الأموال فيما لا طائلة تحته .

يقول عن هذه الآثار الأستاذ عبد المنعم النمر : « وإن القلم مهما كتب وأجاد وأنفق من الزمان والقرطاس في تصوير هذه الآثار وعظمتها ، فإنه لا يمكنه أبدا أن ينقل الإحساس الصادق الذي يغمر الإنسان حين يرى هذه الآثار ، ويمشي بينها ويجيل طرفه بين آياتها ، بل ينعقد لسانه ، ويخجل بيانه عن أن يتطاول فيحاول أن يحدث الناس عنها حديث حسه ونفسه [١].

ولقد كانت الزراعة والصناعة مزدهرة في عهد « شاهجهان » أيما ازدهار حتى كانت الهند تصدر من منسوجاتها الجيدة إلى أوربا كميات وافرة [٢].

وقد بلغ الحكم الإسلامي للهند أوجه بعد ذلك في حكم الملك « أورنكزيب » الذي وحد الهند كلها تقريباً تحت حكمه ، مما لم يسبق له مثيل من قبل ، وحكم البلاد حكماً إسلامياً حازماً لم تحكم به من قبل ولا من بعد [٣].

* التدهور الديني في شبه القارة الهندية *

لو تأملنا في تاريخ ملوك الهند المسلمين لوجدنا أن معظمهم لم يعتنوا بدعوة الإسلام اعتناء هم بتوطيد دعائم ممالكهم، ومن ثم نرى أن الذين أسلموا من المشركين وعبدة الأوثان على يد الصوفية والوعاظ بقيت عقائدهم وأعمالهم ممتزجة بمعتقدات البراهمة وشعائرهم، ومازالت الحال كذلك حتى تبوأ عرش المملكة أكبر بن همايون بن بابر سنة ٩٦٤ هـ بعد وفاة أبيه، فتنكرت وجوه الأعيان والأمراء للدين الحنيف، وطمى سيل الإلحاد وطغى، ونجم قرن الفتنة وطال، فكانت فتنة عمياء وداهية دهواء ، ذهبت بكثير من العلماء والمشايخ في سيلها الجراف، وذلك أن الملوك الذين مضوا قبل « أكبر » ما كانوا ينصبون العداء للدين الحنيف إن لم يكونوا من أنصاره لكن عصر هذا الملك أكبر قد تفرد باضطهاد الإسلام والتضييق على

---

(١) – تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٤٧ .

(٢) – تاريخ الإسلام في الهند ص ٢٦١ .

(٣) – كفاح المسلمين ص ٢٠ .

المسلمين، واختلاق بدع ومنكرات شنيعة وانتحالها على الدين المبين ، وكان زواجه بالأميرات الوثنيات من أكبر الدواعي التي أفسدت عليه عقله .

ومما شجعه على ذلك ، تشاجر علماء السوء فيما بينهم وتهافتهم على حطام الدنيا الدنيئة وجمودهم على ما وجدوا عليه شيوخهم وآباء هم أمثال : عبد النبي الكنكوهي(١) ت ٩٩٣ هـ ، ومخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بوري (٢)ت ٩٩٠ هـ ،

---

(١) – هو عبد النبي بن أحمد بن عبد القدوس الحنفي الكنكوهي ، أحد العلماء المشهورين في عهد الملك أكبر ولاه الملك منصب صدر الصدور ولما تولاه نفخ في أوداجه شيطان الغرور ، فجعل يتشمخ بأنفه ويتطاول على المساكين الذين كانت وظائفهم منوطة بالمصلحة الدينية ، ففشت الرشوة وجعل المشايخ والعلماء يترددون على باب صدر الصدور ، ويتوددون إلى نائبيه بأنواع من التزلف والرشوة واستبد « صدر الصدور » بقسط عظيم من الإقطاعات وملك من الأراضي ما لم يملكه أحد قبله واستقل بهذا المنصب زماناً ، ثم حصل الخلاف بينه وبين « أكبر » فغضب عليه غضباً شديدا حتى أمر لإخراجه إلى أرض الحرمين ، فسافر وأقام بها زمانا ، ثم رجع إلى الهند ، فقبض عليه وزير الملك « راجة تودرمل » بأمره ونقمه أشد نقمة حتى مات ٩٩١ هـ ٩٩٣ هـ .

انظر : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٦٣ – ٦٤ ، ونزهة الخواطر ٤ / ٢١٩ – ٢٢٢ .

(٢) – هو عبد الله بن شمس الدين الأنصاري السلطانفوري ، كان من كبار مشايخ العصر ، لقبه الملك أكبر بمخدوم الملك ، بلغ الغاية في حب المال واكتناز الذهب وادخاره وتجاوز الحد في تحريف الدين وتلفيق الأباطيل ، فإنه أفتى بسقوط فريضة الحج ، وكان يهب أمواله لزوجه قبل تمام الحول فراراً من أداء الزكاة ، ولما دس الملا المبارك الناكوري في قلب « أكبر » أمر بإخراجه إلى الحرمين ، ثم عاد إلى الهند ، ولما وصل إلى كجرات توفي بها مسموما سموه بأمر « أكبر » عام ٩٩٠ هـ ، ومما عثروا عليه بعد موته من ذخائر كنوزه قبور مزورة اصطنعها لأمواله وأودعها صناديق مملوءة بالذهب الخالص لئلا تصل إليه أيدى الناس ولا يجترئ أحد على نبشها ، ظناً بأنها قبور للأموات من أهل بيته وأسرته .

انظر : نزهة الخواطر ٤ / ٢٠٦ – ٢٠٨ ، تاريخ الدعوة الإسلامية ٦٤ – ٦٥ .

والملا مبارك الناكوري [١] ت ١٠٠٢ هـ، وابناه أبو الفضل [٢] ت ١٠١١ هـ وفيضي [٣] ت ١٠٠٤ هـ ، ومن نحا نحوهم من أقرانهم وأحزابهم [٤] .

هم الذين كانوا البلاء الأكبر على الدين المبين، وهم الذين يعود عليهم جل التبعة في ما جرى عليه أكبر من السياسة اللادينية ، ومن أهم منكراته الشنيعة :

١- ألغى الجزية عن المشركين سنة ١٥٦٤م ، وأذن لهم في بناء معابد جديدة إذا شاء وا، وكان ذلك محظورا في زمن من تقدمه من الملوك المسلمين .

٢- أباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دينهم .

٣- منع ذبح البقرة لتعظيم الوثنية إياها، وحظر على الناس أكل لحوم الثيران

---

(١) – هو مبارك بن خضر الناكوري ، أحد العلماء المشهورين بأرض الهند ، وكان ذا ألوان مختلفة لحق بالمهدوية مدة طويلة ، فلما شاعت الطريقة النقشبندية في أوائل عهد أكبر صار يقتفي آثار تلك الطائفة ، وهلم جرا، وتوفي عام ١٠٠١ هـ بلاهور ودفن فيها .

انظر : نزهة الخواطر : ٥ / ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢) – هو أبو الفضل بن المبارك الناكوري ، كان أعلم وزراء الدولة التيمورية وأكبرهم في الحدس والفراسة ، دعاه الملك أكبر فأهدى إليه كتابه فاستحسن الملك وقربه إلى نفسه فتدرج حتى نال الوزارة الجليلة ، ورُمي بالإلحاد والزندقة ، ودس في قلب السلطان أشياء منكرة ورغبه عن الملة السمحة البيضاء ، ومن مصنفاته المشهورة : آئين أكبري ، أكبر نامة . قتل عام ١٠١١ هـ بإشارة جهانكير بن أكبر . انظر : نزهة الخواطر ٥ / ٢٤ – ٢٦ .

(٣) – هو أبو الفيض بن المبارك الناكوري ، لم يكن له نظير في الشعر والعروض والقافية واللغة ... من أشهر مصنفاته : سواطع الإلهام في تفسير القرآن بدون النقط . رُمي بالإلحاد والزندقة توفي عام ١٠٠٤ هـ . انظر : نزهة الخواطر ٥ / ٢٦ – ٣١ .

(٤) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٥٩ – ٦٨ ملخصا .

والشياه والمعز والخيول والجمال سنة ٩٩٩ هـ ، وأيضا أصدر أمرا ملكيا أن يمتنع الناس عن صيد السمك حينما زار كشمير سنة ١٠٠٠ هـ .

٤- منع المسلمين من تزويج بنات العم والعمة والخال والخالة، ومنعهم من الختان .

٥- حلل الخمر وأباح بيعها جهاراً .

٦- أباح للبغايا والعواهر أن يتعاطين « أشغالهن » تحت رقابة الحكومة .

٧- أباح الربا والمقامرة، وعقد مجلسا خاصا للمقامرين في القصر الملكي .

٨- أسقط الاغتسال عن الجنابة وشجع السفور والخلاعة .

٩- أفتى بجواز نكاح المتعة .

١٠- أصدر أمرا ملكيا بمنع تعليم اللغة العربية، وبتطهير الفارسية من الكلمات العربية .

١١- وأوجب السجود لنفسه بدل السلام، فكان العلماء والمشايخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم يخرون للملك سجدا كلما دخلوا عليه الباب .

١٢- أوجب على خاصته ورجال حاشيته أن يرتدوا الملابس الحريرية أثناء الصلوات .

١٣- ألغى بعض أركان الإسلام فحظر على الناس أن يصوموا شهر رمضان، ومنعهم من أداء فريضة الحج، ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية (ديوان خانه) .

١٤- منع التسمي بأسماء النبي والصحابة ، وغيّر الموجود منها بأسماء أخرى غيرها .

١٥- تحولت المساجد إلى مرابط الخيول واستولت الهنادك على كثير منها .

١٦- رغّب الملك رجال مملكته بل أمرهم أحيانا بحلق اللحية وكان يستهزء باللحية .

١٧- أباح للناس أن يأكلوا لحوم النمر والخنازير والضواري .

هذا بَرْض من عدِ وغيض من فيض، ولكن الجريمة الكبرى التي اقترفها هذا الملك هو ادعاؤه للألوهيته وقضاؤه على الإسلام وتأسيسه لدين جديد سماه الدين الإلهي، وأجبر الناس على أن يكون سلامهم بينهم « الله أكبر » يعني نفسه، وأوجب السجود لنفسه بدل السلام، وألغى التاريخ الهجري، وأحل محله تاريخ جلوسه على العرش، وسماه التاريخ الإلهي(١) .

وفي هذا الوضع ابتلي المسلمون بشدائد ومحن ، فزادت بلة الطين ، وجهل الناس دينهم ، وتسربت البدع والخرافات والتصوف البدعي إلى صفوف المسلمين . _

* مواجهة الفتن *

إن لله في دينه شئونا، ومن شئونه أنه يخلق لكل عصر رجلا من رجال الإسلام ولكل غرض سهما من السهام، فمن الله على أهل الهند بالإمام أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي (٢) (ت ١٠٣٤ هـ) الملقب بمجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية .

---

(١) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٧١ – ٩٠، مختصرا، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٠/١ – ٣٣١ .

(٢) – أحمد السرهندي : هو أبو البركات بدر الدين أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، ولد عام ٩٧١ هـ ، في أسرة عريقة في العلم والدين ، ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حفظ القرآن وأخذ العلم عن أبيه ، وأسند الحديث عن الشيخ محمد يعقوب الكشميري تلميذ ابن حجر المكي ثم تصدر للتدريس والتأليف والدعوة والإرشاد ، وله رسائل ومكاتيب في ثلاثة مجلدات وغير ذلك من المؤلفات ، وله نظريات في التصوف لا يقرها الدين الإسلامي توفي بسرهند عام ١٠٣٤ هـ ودفن بها .

انظر : نزهة الخواطر ٥ / ٤١ – ٥٣ ، رود كوثر ٢٢٢ – ٣٤٣ .

ورأى الشيخ أحمد اتجاه الدولة ومعاداتها للدين ومحاولة القضاء على الإسلام في هذه البلاد؛ فاهتزت مشاعره، وتكدر صفو حياته، وطار نومه [١]، فقد قام بواجب أفضل الجهاد ووقف أمام طواغيت عصره موقف الجبال الراسيات، فأحيا السنة وأمات البدعة ورفع لواء الإسلام وأعلا كلمته، وحذر الأمة من الارتداد، وأبلى في ذلك بلاء حسنا مع تعرضه من حبس وسجن في عهد السلطان جهان كير بن أكبر الذي أصرّ في أول الأمر على البقاء على دين أبيه إلا أن الله هداه إلى الحق فتأثر بموقف المجدد الحاسم ، وألغى معظم القوانين المعارضة للتعاليم الإسلامية ، ونجا المسلمون من هذه المأساة، وكان من أعمال المجدد التجديدية : إحياء ما اندرس أو ألغي من شعائر الدين وآثاره ، ورفع اللثام عن زيغ المتصوفة، ودعا الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والاجتناب عن البدع والخرافات التي شوّهت جمال الدين .

وبهذه الجهود المركزة للدعوة الإسلامية بدأ عصر التجديد والإصلاح ، وكان لهذه الجهود الإصلاحية أثر طيب في رجوع الناس إلى دراسة الكتاب السنة ، وعلى رأسهم المحدث عبد الحق الدهلوي[٢] (ت ١٠٥٢ هـ) وأسرته[٣].

ومن هنا تغيّر اتجاه الدولة وأصبحت تتقدم كل يوم من حسن إلى أحسن، فخلف

---

(١) – الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ١٢-١٣ مختصرا .

(٢) – هو العلامة الفقيه عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي المحدث المشهور ، أول من نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفا وتدريسا ، ولد سنة ٩٥٨ هـ بمدينة دهلي ، وأخذ عن علمائها ثم سافر إلى مكة المكرمة ، وبعد ما تلقى الحديث عن علمائها رجع إلى دهلي ، وقضى حياته في نشر الحديث بالتدريس والتأليف ، فتخرج عليه خلق كثير ، وله مؤلفات كثيرة ، توفي عام ١٠٥٢ هـ في دهلي ودفن بها . نزهة الخواطر ٥ / ٢٠١ – ٢١٠ ، رود كوثر ٣٤٣ – ٣٨٩ .

(٣) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٩٩، جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ٥٦ .

جهان كير ابنه شاهجهان ، وكان له في الشيخ المجدد أحمد رأي جميل ومعه صلات طيبة، وهو الذي قد بايع الإمام السرهندي على اجتناب المعاصي واطّراح المآثم[١] .

وبلغت النهضة الدينية الجديدة في عهد خلفه محمد محيي الدين أورنكزيب عالمكير الذي تولى الأمر بعد أبيه شاهجهان سنة ١٠٦٨ هـ إلى ١١١٨ هـ ، فانتصر به الدين ، وعزّ المسلمون ، وهان الكفر وزالت المنكرات .

يقول عنه مسعود عالم الندوي : « والحق أن عالمكير أول ملك من ملوك المسلمين في الهند – إذا استثنينا بعض ملوك آل تغلق – استمسك بعروة الدين الوثقى، وعاش عيشة الزهاد والفقراء، يقوم الليل ويصوم النهار، وهو الذي أعلا للدين المبين في عصره نضرته وشبابه، وألغى القوانين المناقضة للشرع، وأكرم العلم والعلماء، وقضى على البدع والمنكرات ، وكان إلى ذلك من كبار ملوك الهند قديما وحديثا »[٢] .

وشهدت الدولة الإسلامية المغولية التفكك والانحلال بعد وفاة اورنكزيب عام ١١١٨ هـ ١٧٠٧م حتى أصبحت على وشك الانقراض، وتوالى على عرش الدولة ملوك ضعاف لا يملكون من أمرهم شيئا، ينصبون ويعزلون كالأطمار البالية ، واضطرب حبل الدولة وكثرت الفتن والمصائب ، وهكذا لم تعد الدولة مركز الحياة ولم يبق لها السلطان والقدرة على توجيه البلاد[٣] ، يصور هذا العهد مسعود عالم فيقول : « فنجمت قرون الفتن من جديد، ونفقت سوق البدع والخرافات في المسلمين حسب ما جرت به عادتهم

(١) – الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ١٩، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١١٩، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣١/١ .

(٢) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٢١ .

(٣) – الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ٢٢ .

منذ قرون، وكذلك تطاولت الشيعة بأعناقها مستظلة برايات أمراء الولايات، متدرجة في أعطافهم وأكنافهم ...

أما العلماء والمشايخ فلا تسأل عما صاروا إليه من الوهن في عقائدهم والانحطاط في أخلاقهم والتهاون في سائر أعمالهم، فهؤلاء المتسمون بالدروشة والصوفية قد بسطوا زرابيهم في زواياهم وانعزلوا عن الناس يكيدون للإسلام ويخربون بيوت اللّه بأيديهم وأيدي أتباعهم من الجاهلين ...

أما المدارس فما زالت ترتج بأصوات أتباع أرسطو وفلاسفة اليونان .. فبقيت تلك المدارس المسماة بالإسلامية ، متسكعة في ظلمات اليونان ، صارفة وجهها عن ينبوع الدين الثرثار، فلا تكاد تسمع فيها للكتاب أو السنة ذكرا أو همسا ...(١)

* حركة الانطلاق الفكري *

ومع أنّ الحالة الدينية في الهند قد تدهورت تدهورا ملحوظا وقد رأينا بعض مظاهره إلا أنّ اللّه قيض صحوة دينية ونهضة مباركة على يد كثير من المصلحين ، ومن أكثرهم أثرا الشاه ولي اللّه الدهلوي ت ١١٧٦ هـ ، أحد حكماء الإسلام ونوابغه وكبار المفكرين الإسلاميين ، نشأ في زمن عمت فيه الفوضى وفشا الجهل وانتشرت الرذيلة والفحشاء بين الملوك والسوقة ، فتألم مما رأى من مظاهر المجون والدعة في قصور الملك ومن مظاهر البدع والعادات ، وانحلال الخدم والحرم ، وكان ينظر بعينه الثاقبة أن الأسرة المغولية قد أوشكت على الانهيار والانقراض ، ونظرا إلى ذلك كله قام بتأليف كتب يضرب فيها ربقة التقليد الأعمى عرض الحائط ، وينظر إلى التاريخ والمجتمع البشري

---

(١) - تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٣٠ - ١٣١، بالتصرف .

نظرة الحكيم المستبصر، ويتكلم ويخوض في دقائقهما مستقيا من معين الكتاب العزيز والسنة النبوية ، ومن مؤلفاته حجة الله البالغة – ولغتها النقية الصافية لم يمر بنا شيء مثلها منذ الألف سنة من تاريخ المسلمين في الهند[١] .

كتب عنه مسعود عالم ، فيقول : « إنّ الإمام ولي الله الدهلوي من الرجال العباقرة الأفذاذ الذين يسعون ليلا ونهارا لإحداث انقلاب فكري وتغيير في عقول الناشئة والشبيبة وصقل أذهان الشيوخ ليرقى بهم جميعا إلى المستوى الفكري المنشود الذي يمكنهم من النظر إلى الأشياء نظرة الناقد المنصف النزيه غير متأثر بما تملي عليه بيئته وتدعو إليه من سفاسف القول ومنكرات الأفعال .

ويمكننا أن نقسم أعماله الجليلة إلى قسمين : قسم يتعلق بتنقيح النظريات والأفكار والآراء وانتقاد التاريخ والممالك المسلمة المنبثة في مختلف بقاع الأرض من لدن عصر التابعين إلى العصر الذي عاش فيه الإمام .

وقسم آخر يتعلق بمذهبه المعتدل في الفقه وإطلاق سراح العقول من ربقة التقليد الأعمى والإمعان في النظم الإسلامية ومناهجها واستخلاص رأيه الناضج الحكيم الجامع من ثناياها وتفاريقها »[٢] .

كان الشاه ولي الله يهدف ويحاول أن يرجع الناس إلى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، وسلف هذه الأمة من الاستدلال بالكتاب والسنة والاستقاء من

---

(١) – انظر : حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد ١٨٩ ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٣٨ .

(٢) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٣٩ – ١٤٢ بالتصرف .

ينابيعها الصافية العذبة وله كلام نفيس في هذا الباب في غير موضع من كتبه ، ونكتفي هنا على سبيل المثال بذكر بعض منه ، فهو يقول : « وأشهد لله بالله أنّه كفر بالله أن يعتقد في رجل من الأمة ممن يخطئ ويصيب أن الله كتب عليّ اتباعه حتما ، وأنّ الواجب عليّ هو الذي يوجبه هذا الرجل ، وإنّ الشريعة الحقة قد ثبتت قبل هذا الرجل بزمان[1] » وها هو يقول مخاطبا لكل طائفة من طوائف المسلمين في عصره فيقول : « يا أيها الناس ما لكم تحزبتم أحزابا، واتبع كل ذي رأي رأيه، وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة بالناس ولطفا بهم وهدى لهم، فانتصب كل منهم إماما ودعا الناس إليه وزعم نفسه هاديا مهديا، وهو ضال مضل ونحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا ...

وأقول لطلبة العلم : أيها السفهاء المسمون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني وظننتم أن هذا هو العلم ؛ إنما العلم آية محكمة من كتاب الله أن تتعلموها بتفسير غريبها وسبب نزولها ... أو سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

فاتبعوا هديه واعملوا بسننه على أنه هدى وسنة ... خضتم كل الخوض في استحسانات الفقهاء من قبلكم وتفريعاتهم، أما تعرفون أن الحكم ما حكمه الله ورسوله ورب إنسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيكم فلا يعمل به ويقول: إنما عملي على مذهب فلان لا على الحديث ... اعلموا أنه ليس هذا من الدين في شيء، إن آمنتم بنبيكم فاتبعوه، خالف مذهبا أو وافقه .

---

(١) – التفهيمات الإلهية ١ / ٢٠٩ .

وأقول للمتقشفين من الوعاظ والعباد والجالسين في الخانقاهات : يا أيها المتنسكون، ركبتم كل صعب وذلول وأخذتم بكل رطب ويابس، ودعوتم الناس إلى الموضوعات والأباطيل، وعسرتم على الخلق ؛ وإنما بعثتم ميسرين لا معسرين ... ؟

وأقول للأمراء : يا أيها الأمراء، أما تخافون الله؟ اشتغلتم باللذات الفانية الدائرة وتركتم الرعية تأكل بعضها بعضا ، أما شربت الخمر جهرة وأنتم لا تنكرون؟ أما بنيت منازل ودور للزنا وشرب الخمر والقمار وأنتم لا تغيرون؟ أما هي البلاد الكبيرة، لم يضرب فيها حد منذ ستمائة أو أكثر، ومن وجدتموه ضعيفا أكلتموه، ومن وجدتموه قويا تركتموه، خاضت أفكاركم في لذائذ الطعام ونواعم النساء ومحاسن الثياب والدور ...

وأقول للعسكرية : أيتها العسكرية ! أخرجكم الله للجهاد ولتظهروا كلمة الحق وتكبتوا الشرك وأهله فتركتم ما أخرجكم لأجله واتخذتم رباط الخيل، وحمل السلاح كسبا تستكثرون به أموالكم من غير نية الجهاد وقصده ...

يا معشر بني آدم ! اتخذتم رسوما فاسدة تغير الدين ، اجتمعتم يوم عاشوراء في الأباطيل ، فقوم اتخذوه مأتما، أما تعلمون أن الأيام أيام الله والحوادث من مشيئة الله وإن كان حسين رضي الله عنه قتل في هذا اليوم ، فأي يوم لم يمت فيه محبوب من المحبوبين ، وقد اتخذوه لعبا بحرابهم وسلاحهم ، وقوم اتخذوه منسكا ، أف لصنيعكم ...[١] » .

---

(١) – التفهيمات الإلهية ٢١٤/١ – ٢١٨ مختصرا .

كما يقول في موضع آخر : « كل من ذهب إلى بلدة أجمير[١] أو إلى قبر سالار مسعود[٢] أو ماضاهاهما لأجل حاجة يطلبها؛ فإنه آثم اثما أكبر من القتل والزنا، أليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات أو مثل من كان يدعو اللات والعزى[٣] ؟ » .

وعلى غرار ذلك ندد بالمتصوفة والفقهاء الجامدين في غير موضع من مؤلفاته، وكذلك له آراء نقية وأفكار ناضجة في نظام الأخلاق والقضاء وغيرهما ، وخلاصة القول أنّ هذا الرجل العبقري كان يرمي إلى ثورة تكون أساسا لإحياء الكتاب والسنة حتى تشرق أرض الهند بنورهما ، ولكن قوى الشر كانت تقصد الفوضى والانتشار ، وحينما ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية اغتاظ أهل الفساد ، ورد على عباد القبور فاستعدوا للجدال .

ولتذليل هذه العقبات قد استعان الشاه ولي اللّه بالمدرسة الرحيمية في دهلي ، التي كانت مدرسة فكرية ولم تكن تقليدية ، وقد أضاء ها الشيخ طاهر المدني بنور الحديث فكانت تناضل ضد البدع وتقضي على الجمود الفقهي بالاجتهاد ، وتحيي مذهب

---

(١) – مدينة أجمير: مدينة معروفة في الهند من الناحية الغربية الجنوبية من دهلي، وفيها قبر الخواجة معين الدين الچشتى (ت ٦٣٣ هـ /١٢٣٦م) أعظم رجال الصوفية في الهند يحجون إلى قبره طول السنة . تاريخ الدعوة ١٥١ .

(٢) – هو مسعود غازي الشهير بـ « غازي ميان » يعتبر من الأولياء القدامى في الهند ، كان مقاتلا من جيش السلطان محمود غزنوي ، واستشهد عام ٤٢٤ هـ ، ودفن في مدينة « بهرائج » بالهند ، وقبره يعبد إلى الآن . انظر : اردو دائرة معارف اسلامية ١٤ – ٢ / ٤٢٩ .

(٣) – التفهيمات الإلهية ٢/٤٥ .

الفقهاء المحدثين ، وقد تخرج فيها العلماء الفحول [١] .

والذي أحب أن أشير إليه في هذا المقام ما نبه عليه مسعود عالم الندوي حيث قال: « إنّ الإمام ولي الله على ما به من علم غزير ونظرات في أسرار الشريعة ثاقبة واطلاع واسع على تاريخ الإسلام وأسباب تقهقر المسلمين وبصر نافذ بأدواء الأمة ودوائها ما سلم من تأثير البيئة التي نشأ فيها .

فلم يتخلص من مصطلحات التصوف وعلوم اليونان وإشاراتهم ورموزهم البتة، فهو يقول تارة في كتبه أنه « وصى هذا الزمان وأنه يلقى إليه الكلام من جهة الملأ الأعلى، وطورا يتكلم في السلوك وطرق التصوف المتشبعة ...» .

ولذلك قال من قال من أولي العلم : « نحن نعرف (ولي الله) المحدث الفقيه صاحب (حجة الله البالغة) و(إزالة الخفاء) ، أما (ولي الله) المتصوف والفلسفي فلا صلة لنا به [٢] » .

ويحسن لنا أن نذكر هنا بعض العلماء الذين عاصروا الإمام الدهلوي وساهموا في حركة إحياء السنة النبوية وكان لجهودهم أثر طيب في بث الروح الديني ونشر العقيدة السلفية ، منهم :

* العلامة المحدث محمد فاخر زائر بن محمد يحيى السلفي الإله بادي (١١٢٠ – ١١٦٤ هـ) سافر إلى الحرمين وسمع الحديث من الشيخ محمد حياة السندي ، وحصل على الإجازة ، وكان لا يتقيد بمذهب ولا يقلد في شيء من أمور دينية بل كان يعمل

---

(١) – حركة الانطلاق الفكري ١٩١ – ١٩٢ ملخصا .

(٢) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٥٨ – ١٦٠ بالتصرف .

بنصوص الكتاب والسنة يجتهد برأيه وهو أهل لذلك ، قضى حياته في إحياء السنة النبوية ودعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وكتب لهذا الغرض مؤلفات قيمة أكثرها حول اتباع الكتاب والسنة ، مثل : « ديوان فارسي » وهو يحتوي على تفضيل السنة على البدعة والنهي عن الاشتغال بالمعقولات وله درة التحقيق ونور السنة ورسالة النجاة في العقيدة السلفية ، وله منظومة في مدح أهل الحديث .

ولا شك أن وجوده كان من المغتنمات في ذلك العصر، ونفع الله بجهوده خلقا كثيرا وتخرج عليه علماء كبار ، وتوفي عام ١١٦٤ هـ بمدينة برهانفور ودفن فيها [١] .

* والشيخ المحدث مرزا شمس الدين حبيب الله مظهر جانجانان الشهيد العلوي الدهلوي ، يقول عنه صاحب النزهة : « وكان من أعاجيب الزمان في ذكاء الحس والفطنة والقوة الغريبة في إبقاء الذكر والاستغناء عن الناس والزهد والورع واتباع السنة السنية واقتفاء آثار السلف ، وكان لا يتقيد برسوم المشايخ » وكان الشيخ مولعا بالسنة واقتفاء آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، واصل ليله بنهاره لنشر العقيدة الصحيحة وإحياء السنة النبوية وكان يقول : « العجب كل العجب أن الحديث الصحيح غير المنسوخ لا يعمل به مع أنه يُرْوى عن النبي المعصوم عن الخطأ صلى الله عليه وسلم ببضع وسائط من الرواة الثقات ، ويعمل بالروايات الفقهية التي نقلها القضاة والمفتون بوسائط عديدة عن الإمام غير المعصوم مع أن ضبطهم وعدلهم غير معلوم » . توفي شهيدا سنة ١١٩٥ هـ

---

(١) – نزهة الخواطر ٦ / ٣٤٠ – ٣٤١ ، تحريك اهلحديث تاريخ كى آئينى مين ١٧٥ – ١٧٧ جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ٧٨ – ٧٩ .

ودفن في دهلي [١] .

وكان لجهود هذين الإمامين أثر بعيد في إحياء السنة ونشر العقيدة الصحيحة وبث الوعي الإسلامي في المجتمع، وفي الحقيقة كانا من أهم أعضاء حركة الشاه ولي الله الدهلوي التي كانت تهدف الرجوع إلى دين السلف الصالح .

قام الشاه ولي الله وأصحابه بمهمة هذا التجديد الإسلامي خير قيام، وتخرج عليه علماء ودعاة قاموا بنشر دعوته، والأخص بالذكر منهم أبناؤه الأربعة كلهم علم في رأسه نار، وهم الذين رفعوا لواء السنة والتوحيد بعده، يقول العلامة النواب صديق حسن خان القنوجي فيهم : « وكان له أولاد صالحون: الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الغني والد الشيخ محمد إسماعيل الشهيد الدهلوي ، وكلهم كانوا علماء نجباء حكماء فقهاء كأسلافهم وأعمامهم ، كيف وهم من بيت العلم الشريف والنسب الفاروقي المنيف .... وكان بيته في الهند بيت علم الدين وهم كانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية ، أصحاب الأعمال الصالحات وأرباب الفضائل الباقيات لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند »[٢]، ولا سيما نجله الأكبر وخليفته في أعماله الشاه عبد العزيز ت ١٢٣٩ هـ ، فدرس وألف وخرج وخلف التلاميذ الكبار والعلماء الفحول الذين نشروا علم الحديث وشمروا عن ساق الجد في نصر الدين ومحاربة البدع والدعوة إلى الكتاب والسنة وتزكية النفوس، حتى

---

(١) – نزهة الخواطر ٦/٥٠ – ٥٤، أبجد العلوم ٣ / ٩٠٠ ، تذكرة علماء هند (فارسي) ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(٢) – أبجد العلوم ٣ / ٩١٤ ، تراجم علماء حديث هند ١ / ١٢ .

نفقت سوق الحديث .

وتولى الشيخ محمد إسحاق الدهلوي ت ١٢٦٢ هـ مسند الشاه عبد العزيز بعده وقد انتهت إليه رئاسة الحديث في عصره، وتخرج عليه علماء كبار منهم تلميذه وخليفته السيد نذير حسين المحدث الدهلوي ت ١٣٢٠ هـ والمحدث الشاه عبد الغني المجددي ت ١٢٩٥ هـ [١] .

* حركة الشهيدين *

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري قام السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦ هـ) والشاه إسماعيل الشهيد بن عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي (١٢٤٦ هـ) بدعوة الناس إلى الدين الخالص والتوحيد واتباع السنة والجهاد في سبيل الله وبمحاربة الشرك والجاهلية والبدع محاربة سافرة شديدة .

وقاموا بجولات واسعة في الهند تاب خلالها ألوف من المسلمين ... وأسلم عدد كبير من الكفار ... وكان من تأثير مواعظهم ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن وقفت تجارة الخمر في كَلَكتَّة (وهي كبرى مدن الهند ومركز الانجليز في ذلك الوقت) [٢] .

وألف القائد الفكري والعلمي صاحب السيف والقلم الإمام إسماعيل الدهلوي كتابه العظيم « تقوية الإيمان والتوحيد ورد الإشراك » وجمع فيه الآيات والأحاديث الواردة

---

(١) – انظر جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ٨٤ ، والدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها لأبي الحسن علي الندوي ٢٥ .

(٢) – الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ٢٥ – ٢٦ .

في مباحث التوحيد والشرك ، وهذا الكتاب يشبه كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب ت ١٢٠٦ هـ ، وألقى دروسا ومحاضرات يدعو الناس فيها إلى الدين الخالص الثابت من الكتاب والسنة وترك البدع والخرافات وحرّض الناس على الجهاد .

يقول مسعود عالم الندوي : « وهذه الدعوة التي قام بها الإمامان الشهيدان السيد أحمد بن عرفان وإسماعيل بن عبد الغني ولي الله ، كانت أول دعوة في الهند في ما نعرف، قامت بإحياء الشريعة وإقامة الدين من جديد، وأهابت بالأمة إلى الاستقاء من معين الكتاب والسنة واللجوء إلى كنف الشريعة في جميع شؤون الحياة وشعبها ...

فقاما بالدعوة خير قيام ونشرا السنة المحضة وعمما تعاليم الدين الصحيحة وساحا في الأقطار وجابا الأراضي النائية لتبليغ الدعوة وأداء الأمانة، فانتفع بهما وبأتباعهما البررة مئات الألوف من الناس، وأسلم على أيديهم خلق كثير لا يأتي عليهم الإحصاء، وجملة القول أنه حصلت في الهند نهضة دينية جديدة لم يكن لها سابق عهد بمثلها ... تدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة والجهاد في سبيل الله إلى أن التفت حول الشهيدين جماعة وافرة من المجاهدين ... فأعلنوا الجهاد على السيّخ[(١)] الطغاة الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادا، ويتعاطون المنكرات من قتل النساء والعجزة وهتك الأعراض وسفك دماء الأبرياء من أبناء الإسلام وإهانة المساجد وتعطيل شعائر الإسلام

---

(١) – طائفة من أهل الهند نشأت منذ خمسة قرون في عام ١٥٠٧م على يد رجل من الهنادك اسمه كرو نانك ت ١٥٢٩م ، وقد حاول تقويم الهندوسية تقويما شاملا لكي يستطيع الفكر الهندوسي المتعصب لمجابهة الفكر الإسلامي المتسامح . ينظر للتفصيل : طائفة السيخ في الميزان ١٦ وما بعدها

إلى غيرها مما جعلهم أعدى عدو للإسلام وأشدهم بغضاً وأكثرهم خبثا وعداء للمسلمين في هذه البلاد » [١] .

فبايع المجاهدون على يد الإمام السيد أحمد بن عرفان على السمع والطاعة واتخذوه أمير المؤمنين في جمادى الآخرة ١٢٤٢ هـ ، فحاربوا السيخ – الذين كانوا قد احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب – وهزموهم غير مرة ، وكانوا يريدون أن يتوغلوا في الهند ويجلوا الإنجليز ويؤسسوا دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان .

فأسسوا دولة في الأرض التي فتحوها وتقع فيها مدينة بشاور، وطبقوا نظام الإسلام المالي والإداري تطبيقا دقيقا، وظهر منهم من تنفيذ أحكام الشرع على أنفسهم وعلى غيرهم ومن الجمع بين العبادة والجهاد؛ فكانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار .

وقد رأى الإنجليز وحليفهم السيخ أنه لا يمكن تفريق جمع المسلمين إلا عن طريق التفريق المذهبي فأرسلوا مأجورين من المسلمين لكي ينشر في القبائل الأفغانية أن محمد بن إسماعيل الذي تؤيدونه عقيدته عقيدة الوهابية ، فخذلوه بل قام بعضهم بقتل قواد المسلمين ، وكان من سوء حظ الإسلام في هذه البلاد أن المنتسبين له في الحدود الشمالية الغربية من عشائر الأفغان ما عرفوا قدر هؤلاء المجاهدين المهاجرين النازحين عن أوطانهم النازلين بينهم ليبلغوهم كلمة ربهم ويعلموهم دينهم وينشئوهم على إقامة شعائر الإسلام ، وما وفوا بذمتهم فضلا عن مساعدتهم ، بل لم تشأ أهواء رؤساء القبائل الأفغانية ومصالحهم المادية أن تبقى هذه الحكومة التي تحكم بما أنزل الله وتفرض عليهم أحكام الإسلام المالية والقضائية؛ فثاروا على عمالها وقتلوهم ركعا وسجدا، وهاجر بقية المجاهدين مع إمامهم إلى وادي بالاكوت [٢] ، وهنا حصلت آخر معركة بينهم وبين جيش

---

(١) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٦٤ – ١٦٦ مختصرا .

(٢) – بالاكوت : هي قصبة من مديرية هزاره بباكستان . اردو دائرة معارف اسلامية ٣ / ٩٨٩ .

عظيم من السّيخ ، الذي اهتدى إليهم بدلالة بعض المأجورين من المسلمين ودَهْمهم؛ فخسر المسلمون في المعركة واستشهد الإمامان وصفوة من خيار علماء المسلمين ورجالهم سنة ١٢٤٦ هـ، وبذلك توارى في تربة بالاكوت الأمل في إحياء الإسلام وتنفيذ الشريعة وإقامة الدين من جديد في هذه البلاد، واعتصمت البقية الباقية بالجبال وكانوا قائمين على الحق ومرابطين على الثغر مشمرين عن ساق الجد إلى آخر ساعة ، جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء [١].

* احتلال الإنجليز الهند وسياستهم تجاه المسلمين *

نحب – ونحن نتحدث عن تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند – أن نشير إلى وقوع الهند تحت الاستعمار الإنجليزي ، وكان لهذا الاستعمار أثر في جميع جوانب الحياة : السياسية والاجتماعية والدينية إلى آخرها ، فقد وصل الإنجليز إلى الهند كتجار إذ منحت اليزابيث الأولى [٢] شركة الهند الشرقية امتيازا عام ١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠م للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجاورة، وكسب التجار الإنجليز امتيازات أخرى أخذت تزداد على مرّ الزمن، وما زالوا يدعمونها بالخبث والدهاء ويثبتونها بالغدر والخيانة حتى وضعت بريطانيا أيديها على شبه القارة بأكملها .

وحينما شهدت الدولة الإسلامية المغولية التفكك والانحلال بعد وفاة الملك أورنكزيب عام ١١١٨ هـ/ ١٧٠٧م فتعرضت دهلي للغزو الإيراني على يد نادرشاه كما تعرضت مرة أخرى لغزو أحمد شاه أبدالي أيضا عام ١١٧٠هـ/١٧٥٧م برجاله الأفغان .

---

(١) – انظر : الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ٢٦ – ٢٧ ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) – إليزابيث الأولى (١٥٣٣ – ١٦٠٣م) ملكة إنكلترا هي ابنة هنري ٨ من زوجته آن بولين ، نظمت الكنيسة الانغليكانية وقرّبت إليها رجال الأدب والفن . المنجد في الأعلام ٦٢ .

واستفاد الإنجليز من هذا الصراع فاستطاع كلايف مدير الشركة الإنجليزية أن يهزم المسلمين في معركة بلاسي أول المعارك الحاسمة بين المسلمين والإنجليز ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م وانتصر الإنجليز بخيانة جعفر خان حاكم البنغال والعملاء من الهندوس[١] .

وبعد فترة وجيزة من المعركة تولت شركة الهند الإشراف على الإدارة المالية للبنغال (الديواني) فضمن البريطانيون السيطرة الفعلية على أغنى أقاليم الهند قاطبة، وأصبحت الشركة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الأمبراطوريات وأوسعها في التاريخ ، ثم تتابعت المعارك بين المسلمين والإنجليز، وتصدى أمير ميسور حيدر علي[٢] للإنجليز في الجنوب ١١٧٧ - ١١٩٧هـ الموافق ١٧٦٣- ١٧٨٢م وهزمهم هزائم متعددة وكذلك ابنه تيبو سلطان [٣] (أسد ميسور) من بعده وتمكن لورد ويلزلي أن يحطم قوى أسد ميسور عام ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م بخيانة مير جعفر، وفضل تيبو سلطان الموت في المعركة على الأسر في يد الإنجليز والحياة في ظلهم وتحت رحمتهم، وقال كلمته الخالدة المأثورة في التاريخ : « يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى »[٤]، واستمر البريطانيون في أساليبهم في تفريق الكلمة وتشتيت الشمل

---

(١) - حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٣ - ٣٣٤ بالتصرف .

(٢) - حيدر علي : كان قائدا عسكريا وأسس مملكته في ميسور جنوب الهند عام ١٧٦٠م ، كان من أعظم ملوك الهند إدارة وشجاعة ، تغلب على الجيوش البريطانية أكثر من مرة ، توفي عام ١١٩٧ هـ . نزهة الخواطر ٦ / ٧٥ - ٧٧ .

(٣) - تيبو سلطان : ملك ميسور في الهند ، خلف والده ١٧٨٢ م وهو بطل عظيم تغلب أكثر من مرة على الجيش البريطاني وحلفائه نظام ومرهته ، واستشهد عام ١٧٩٩ م . المنجد في الأعلام ١٩٨ ، واردو دائرة معارف اسلامية ٦ / ٩٧٨ - ٩٩٦ .

(٤) - المسلمون في الهند ٨٢ .

وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس واستثمار كل خلاف لابتلاع مناطق جديدة فأصبحوا بذلك عام ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٦م السادة الفعليين لكل أنحاء الهند تقريبا [١] .

هذا ومنذ أن وطئت أقدام المستعمرين الإنجليز أرض الهند وهم يتبعون سياسة واحدة لا يحيدون عنها، تتمثل في كسر شوكة الإسلام والمسلمين في البلاد باعتبارهم العدو الوحيد المناهض لأساليبهم الاستعمارية، فقد أعلن الحاكم البريطاني اللورد النبرو : « إن العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود، وإن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد » [٢] .

* الثورة الكبرى *

قد سبق لنا أن الهند بليت بالاستعمار كغيرها من الدول التي وقعت تحت السيطرة الاستعمارية الأوربية، وعندما أعلن لورد كينغ أن سلطان دهلي بهادر شاه (وهو البقية الرمزية لسلطان الإسلام في الهند) هو آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان من الأسرة المغولية، وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية وسكن القصر السلطاني، فنزل هذا الإنذار نزول الصاعقة على المواطنين؛ لأنهم كانوا يعتبرون السلطان رغم ضعفه رمز وحدة الهند ورمز السلطة الإسلامية، فثار المسلمون ثورة عظيمة للتخلص من الإنجليز سنة ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧م، وتحولت الثورة إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والعلماء

---

(١) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٥ – ٣٣٦ بالتصرف .

(٢) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٧ .

المسلمون ، واشترك فيها الشيوخ والرجال والنساء، ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا عن طريق الخيانة والرشوة، وحاكم الإنجليز السلطان بهادر شاه محاكمة عجيبة ونفوه إلى بورما [١] حيث توفي في رانجون عام ١٢٧٩ هـ/ ١٨٦١م وأعلنت بريطانيا تولي التاج البريطاني لحكومة الهند في نوفمبر ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨م[٢] يقول مسعود عالم الندوي عن هذه الثورة : « إنَّها كانت ثورة هائلة جبارة كادت تذهب بالسلطة البريطانيا في سيلها الجارف، إلا أن القدر ما ساعد أهل الهند وتمكن الجيش الإنجليزي ومن لم يفارقهم من الجيش الأهلي من كبح جماح الثورة والقضاء على الثوار، وفي غضونها أسروا الملك المسلم (المحبوس) في الحصن الأحمر ونفوه إلى بلاد برما حيث استأثرت به رحمة الله وأمحى اسم المملكة المسلمة من خريطة الهند[٣] » .

---

(١) – بورما : جمهورية في جنوب شرق آسيا تقع على خليج البنغال بين تايلاند والصين وآسام عاصمتها رانغون وديانتها الرسمية بوذية . المنجد في الأعلام ١٥٠ .

(٢) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٦ – ٣٣٧ بالتصرف .

انظر : المسلمون في الهند ٨٣ – ٨٥ .

(٣) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٨٠ .

الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية
في الهند
في مطلع القرن الرابع عشر الهجري

* الوضع السياسي *

وبعد فشل الثورة قام الإنجليز باضطهاد المسلمين وإنزال الأذى بهم مع التقرب إلى الهنادكة كما عمل الإنجليز منذ احتلالهم للبلاد على أن تكون جزءا من مملكة بريطانيا العظمى فوضع الحكم في يد البرلمان الإنجليزي الذي يشرف على حكومة الهند ويديرها بواسطة وزير مسئول، ووضع الدفاع تحت امرة قائد يعين من قبل إنجلترا، وكذلك أصبحت الشئون الاقتصادية بأيدي الإنجليز فاستغلوا خيرات البلاد واستنزفوا ثرواتها واستذلوا أهلها .

واستمر الإنجليز في عدوانهم على المسلمين، واستولوا على أراضيهم، وهدموا المنازل والمساجد، وحولوا بعضها إلى ثكنات لجيوشهم ، وشردوا الكثير منهم ؛ ففقد المسلمون أملاكهم الواسعة ولم يبق لهم سوى ٥٪ من أراضيهم الممتلكة، وسدّت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين، وصودرت أملاكهم .

وفي نفس الوقت قام الإنجليز بتطوير المناطق التي تسكنها الأغلبية الهندوكية، فأنشأوا فيها المدارس والمصانع، وسلموا الوظائف حتى الصغيرة منها للهنادكة، وحابوهم ضد المسلمين، وأطلقوا الهنادكة والسّيخ يهزؤون بالمسلمين ويدينهم مما أدى لقيام الهنادكة باضطهاد المسلمين وقتل عدد منهم والعمل على إذابة كيانهم الإسلامي[(١)]

يصور مسعود عالم الندوي هذه المأساة فيقول: «وأما أنواع المظالم وصنوف الشدائد والأهوال التي صبها الجيش الإنجليزي على الأهالي وما سامهم من سوء العذاب

---

(١) – انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٧، أبو الأعلى المودودي ٣ – ٤ .

والذل المهين فهي من أفظع أنواع الهمجية والقسوة التي يندَى لها جبين الإنسانية، ويحمر لها وجه المروءة والشرف خجلا وحياء، وناهيك بها من قتل وتشريد ونفي وتعذيب وإجلاء وسفك لدماء الأبرياء العُزّل الوادعين ومصادرة للأموال والأراضي وانتهاك الحرمات والاعتداء على ربّات الخدور مما سود وجه التاريخ البريطاني في هذه البلاد، ولما كان أبناء الإسلام هم الذين تولوا أمر البلاد من قبلهم – ولو بالاسم منذ مائة سنة – وأنهم هم الذين حملوا بيدهم لواء الثورة، وكانوا في طليعة المقاتلين وعلى رأس كواكب الثوار أصابتهم بهذا الانقلاب صدمة عظيمة أنستهم كل مصيبة أصيبوا بها من قبل في هذه البلاد ...

فإن الإنجليز جعلوا نصب أعينهم أن يستأصلوا شأفة المسلمين ويبيدوهم عن آخرهم ويقضوا عليهم قضاء لا تقوم لهم قائمة من بعده أبدا ... فإنهم لم يغفلوا عما عزموا عليه، ولا طرفة عين، وإنهم لم يجدوا فرصة للتنكيل بالمسلمين إلا انتهزوها، وهيهات أن يلتئم هذا الجرح على مدى الأيام والليالي(١) » .

ويعترف أحد الكتاب الإنجليز فيقول: «إنّ ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثالا في أي عصر(٢) » .

ويقول لورد النبرو في كتابه عام ١٨٤٣م : « إنه لا يمكن الإغضاء عن حقيقة جلية وهي أن الأمة المسلمة معادية لنا بطبيعتها؛ فالبرنامج الحقيقي عندنا أن نبتغي مرضاة الهنادك(٣) » .

---

(١) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ١٨٠ – ١٨١ .

(٢) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٧ .

(٣) – كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٢٥ ، تاريخ الإسلام في الهند ص ٤٠٦ .

وجملة القول : إن هذه المظالم والمحن التي صبّها الإنجليز على المسلمين لا تساعد الألفاظ في التعبير عنها ؛ فإنهم بعد ما تمكنوا في الهند حاولوا بل بذلوا كل جهودهم لاستئصال شوكة المسلمين والقضاء عليهم .

* الوضع الاجتماعي *

أما الوضع الاجتماعي فقد كان أسوأ من الوضع السياسي؛ لأنّ عهدا ضعفت فيه السلطة الحاكمة أو اضطربت فيه سياستها لهو عهد حريّ بانتشار الأهواء والشهوات والبدع والخرافات وظهور ألوان من الاعتداءات وصنوف من الجهالات [١] .

فالأخلاق التي بها قوام الأمة وملاك أمرها، ولها دور كبير في بناء الأمة وصلاحها لم تكن على شيء من المتانة والقوة ، بل كانت مضطربة وسيئة جدا، فضعفت القيم الخُلُقية وتسربت العادات السيئة والأخلاق الرذيلة في المجتمع التي استوردها الإنجليز من الغرب ؛ صوّر ذلك السيد صديق حسن القنوجي رحمه الله حيث يقول: «وظهرت الفتن وعمّت المحن ، وذهبت الفتوة والمنن ، وأطلق أفراخ الفلسفة وأوساخ الدهرية ألسنتهم طعنا في الدين وهضما للمسلمين ، وفشى الكذب ، وأشرب في قلوب الخلق حب العجل ، ترى الناس زيّهم زيّ الأحبِّاء ، وهم ببواطنهم أعدى الأعداء، ميلهم في تكثير المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن ، والمنتزهات وتحسينها فوق ميلهم إلى تحصيل العلم وكسب الفضائل والكمالات إلى أن رفضوا ما كان عليه سلفهم وأئمة خلفهم من العض بالنواجذ على الدين والاعتصام بمشاعر الإسلام وشعائر الإيمان »[٢] .

---

(١) – منهج الشيخ المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للأخ الزميل عبد الله رفدان الشهراني رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ص ٤١ .

(٢) – التاج المكلل ص ٥٤٨ – ٥٤٩ .

روّج الإنجليز الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية للقضاء على أخلاقيات الإسلام ومثله، ونشروا الخلاعة والمجون والإباحية، ووسّعوا الخرق بين المسلمين والهندوس وغيرهم من طوائف الهند بتشجيع الأحزاب القومية والعلمانية[١] .

فالتعصب والعنصرية التي واجهها المسلمون من قبل الإنجليز قابلوها من الهنادكة والسيخ أيضا ولاقوا على أيديهم القتل والتعذيب والاضطهاد، وانتشرت في البلاد الفتن الطائفية والاضطرابات، كما تعرضت المساجد والمعابد والكتب الدينية لعمليات الاعتداء والحرق .

وبالإضافة إلى ذلك شاعت أمراض اجتماعية كثيرة فقد كان شرب الخمر علنا جهارا، وكانت الأعياد والأعراس عبارة عن إراقة الخمر والرقص والغناء، وكبار رجال الدولة كانوا يحضرون مكاتبهم وهم سكارى، حتى أنّ جرار الخمر كانت توضع على قبور الصلحاء ويدمنون في المساجد، والبغاء والزنا كان جهارا لكسب المعاش[٢] .

وظهرت النزعة العنصرية حيث أن الإنجليز كانوا يعتقدون أنهم الجنس الذي كتب الله لهم الحكم والسلطان، وأما غيرهم من الأجناس فهم في نظرهم العبيد الأذلاء، ومن أمثلة ذلك: إذا ارتكب أحد الإنجليز جريمة قتل رجل هندي فإنه يمكث في السجن مدة ثم يخرج دون أن يقتص منه، أما إذا حدث العكس فإن القصاص ينفذ على الهندي[٣] .

---

(١) – حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ٣٣٨ .

(٢) – السيد صديق حسن القنوجي ٢٢ ، وانظر: الحجاب للمودودي ١٢٨ .

(٣) – أبو الأعلى المودودي ومناهجه في الإصلاح والدعوة ٧١ – ٧٢ بالتصرف .

أضف إلى ذلك أمراضا اجتماعية أخرى انتشرت في عامة سكان البلاد على حد سواء ، كالكذب والخيانة والغش والربا والقمار واستغلال الآخرين .

أما الأغنياء فانتشر بينهم الجشع والطمع وحب الثروة، وهم غالبا أرباب الصناعة والتجارة، وأما عامة الشعب من العمال والفقراء والأجراء فشاع بينهم الكسل والتكاسل وعدم الأمانة وعدم الشعور بأداء الواجب نحو عملهم .

وأما الموظفون فسادت بينهم الرشوة والغش والخيانة واستغلال الوظائف والمراكز في تحقيق المصالح والأغراض الشخصية، وأما الطبقة المثقفة من الأطباء والمحامين ورجال الصحافة والكتاب وبعض الزعماء القوميين فقاموا بنشر الأفكار الرذيلة والأخلاق الدنيئة بهدف الكسب المادي والربح غير المشروع(١) .

يقول المودودي : « ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إن هذا الجذام الأخلاقي ما سلم منه أكثر من ٥٪ من بين عامة سكان وطننا وإلا فإن هذه العدوى قد سرت في ٩٥ ٪ منهم بصورة بشعة جدا، ولا فرق في هذا الشأن بين هندوكي ومسلم، وسيخي ومسيحي ومنبوذ ، فكلهم مبتلون به على حد سواء، وكلهم قد انحطت حالتهم الأخلاقية إلى درجة مخيفة، وما منهم طائفة أحسن حالا في هذا الشأن من طائفة أخرى(٢) » .

أما مسألة الحجاب والسفور فحدّث ولا حرج ؛ لأن محاكاة الغرب في الملابس والمظاهر وخروج المرأة إلى المجالس والملاهي أصبح أمرا مألوفا ومحبوبا، والإعراض عنه منكرا ومبغوضا، فأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا .

---

(١) – انظر: الصلاح والفساد للمودودي ٢٥ – ٢٦ .

(٢) – الصلاح والفساد ٢٦ .

قدّم المودودي صورة لهذا المجتمع حيث يقول : « فالذين قد عزموا على اتباع هذا الطريق في حياتهم بقلب مطمئن مقنع، قد اكتمل الانقلاب - أو كاد - في حياتهم الخلقية والاجتماعية، فعادت نساؤهم يخرجن من بيوتهن في ملابس شفافة عارية يخيّل إلى الناظر كأن كل واحدة منهن ممثلة من ممثلات (هوليوود[١]) وأصبح يُرى فيهن كل الجسارة والصفاقة، بل يتبين للمرء من ملابسهن الفاضحة وألوانهن البراقة، وعنايتهن بالتزينّ وحركاتهن من التثني والتغنج ، أنّه لا مطمح أمام أعينهن إلا أن يكن مغنطيسا جنسيا يجذبن الرجال إليهن جذبا، وقد قلّ الحياء فيهنّ إلى حدّ أن عُدن لا يستحيين من الغسل مع الرجال شبه عاريات ، بل مِن عَرض أنفسهن في تلك الحالة لتؤخذ صورهن وتُنْشر في المجلات ، والحياء لم يَعُد له وجه عندهن حقا .

إذ أن أجزاء الجسد الإنساني بمنزلة سواء في التصورات الخلقية الجديدة ، فإذا جاز للمرأة أن تُبرز من جسمها الكفّ وأخمص القدم ، فأيّ ضيرِ عليها في الكشف عن مَغبن فخذها وحِلْمة ثديها، ومتعة الحياة ولذّتها التي يعتبر عن جملة مظاهرها باسم الفن (ART) هي عند هؤلاء القوم أجل وأسمى من كل قيد خلقي ، بل هي في نفسها مقياس للأخلاق ، ومن ثم ترى الآباء منهم والإخوان يكاد أحدهم يخرج من إهابه فخرا وسرورا إذا شهد ابنته أو أخته الآنسة تُعجب مئات الحضور والسامعين المتشوقين ببراعة غنائها ورقصها وتمثيلها الغرامي وتنال رضاهم وتحسينهم ... فالفتاة التي تؤهّل نفسها للظفر بهذا المقصود - النجاح المادي - ولنيل الحِظوة لدى المجتمع، إن فقدت عفتها في هذا السبيل فكأنها لم تفقد شيئا، بل حازت كل شيء[٢] » .

---

(١) - هوليوود (HOLLY WOOD) : ضاحية مدينة لوس انجلس في الولايات المتحدة الأمريكية (كاليفورنيا) مركز مهم للإنتاج السينمائي . المنجد في الأعلام ٧٣٤ .

(٢) - الحجاب ١٢٩ - ١٣٠ .

* الوضع الديني *

في ظل هذه الأوضاع السياسية المأسوية وفي مثل هذا الضعف الخلقي المتغلغل في عروق الأمة كان الوضع الديني في غاية السوء ، وفي هذه الحقبة القاسية نشأت أمة متسمة بالإسلام مثقفة بثقافة ممتزجة من ثقافات الهند والإنجليز، وتسربت الأفكار المسيحية مع اللغات الأوربية ، والمسلمون يقتبسون من حيث لا يشعرون من المدنية النصرانية بحجة الاطلاع على علوم الأعداء وكان على رأسهم سرسيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) : مؤسس جامعة على جرة ومن حذا حذوه من زملائه ومعاصريه ، وقد استولت على قلوبهم هيبة استيلاء يكاد يذهب بعقولهم ولبابهم[١] .

وانتهزت إرساليات التنصير الفرصة لتضليل المسلمين، قال : مني كلس في عام ١٨٥٧م مستبشرا بسيادة الإنجليز على الهند : « لقد أرانا الله ذلك اليوم الذي أصبحت فيه الهند تحت سيادة الانجليز، ليرفرف علم المسيح من أقصى الهند إلى أقصاها، ويجب على كل شخص منا أن يبذل كل جهد لنشر المسيحية في الهند وصرف الهنود بأكملهم إلى المسيحية بدون تساهل وتأخير[٢] » .

فأكثر الإنجليز من الحملات التبشيرية لمحاربة الإسلام، وقد أخذت هذه تقذف الإسلام بسهام الانتقادات والاعتراضات لتحدّ من انتشار الإسلام بين الهندوس، وأخذت الحكومة الإنجليزية على عاتقها مهمة تنصير المسلمين ففتحت المعاهد والمدارس التنصيرية للمسلمين وقررت منهجا تعليميا ينفر المسلمين عن الإسلام، فالذين ارتادوها ابتعدوا عن دينهم القويم[٣] .

ووكلت الدولة دعاة المسيحية لتوزيع الأطعمة بين المحتاجين، فاستغل هؤلاء هذه

---

(١) – الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ٣٧٥ .

(٢) – انظر: علماء حق اور ان كى مجاهدانه كارنامى ١ / ٢٦ .

(٣) – حاضر العالم الإسلامي ٣٣٨ ، السيد صديق حسن ٢٠ – ٢١ ، مقالات سر سيد أحمد خان ٥ / ١٤٠ .

الفرصة واشترطوا عليهم أن يرتدوا عن ديانتهم السابقة وينفروا منها عوضا للقمة العيش .

ونذكر هنا على سبيل المثال أن الهند أصيبت بجفاف معدم في سنة ١٨٧٧م و١٨٨٧م تخلى كثير من الناس عن أولادهم إثر الجفافين، والدولة كانت توزع الأطعمة، ولكن الموزعين اشترطوا قبول النصرانية على من يأخذها فتنصر كثير من الناس خشية الفاقة والموت(١) .

وإضافة إلى ذلك شجعت الحكومة الحركات المناهضة للإسلام مثل فتنة إنكار حجية(٢) السنة وفتنة آرية سماج(٣) الهندوسية وفتنة البريلوية (٤)وخاصة الحركة

---

(١) – الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية للدكتور عبد الوهاب خليل الرحمن : ٣٧٦ .

(٢) – مؤسس الفتنة في الهند هو السيد أحمد خان (١٨١٧ – ١٨٩٧م) وچراغ علي (١٨٤٤ – ١٩١٤م) ثم سار على منوالهما عبد الله چكرالوي (ت ١٩١٤م) وأسلم جيراجفوري (١٨٨٠ – ١٩٥٥م) . انظر : السيد صديق حسن ٢٠ ، نقلا عن سنت كى آئينى حيثيت ١٦ .

(٣) – آرية سماج : فرقة من الفرق الهندوسية المتطرفة ، أسسها « مول شنكر سوامي ديانند سرسوتي ت ١٨٨٣م » في عام ١٨٧٥ م لإحياء الوثنية القديمة وللدعوة إليها ، ومن تعليمات هذه الفرقة أن الهند للهندوس فقط ، ولذا أهل الأديان والمذاهب الأخرى الذين يتوطنون في الهند أمامهم طريقان : إما أن يقبلوا الهندوسية أو يهاجروا من الهند إلى بلد آخر .

انظر : تاريخ أدبيات مسلمان باكستان وهند ٩ / ٣٢ – ٣٣ .

(٤) – البريلوية : فرقة صوفية مبتدعة نشأت في شبه القارة الهندية إبان الاستعمار البريطاني على يد أحمد رضا خان بن تقي علي خان البريلوية ت ١٣٤٠ هـ ، وهم يغلون في الأنبياء والأولياء ، ويحاربون دعاة التوحيد الخالص ، ويعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم حاضرو ناظر لأعمال الخلق في كل زمان ومكان ، وهم ينكرون بشريته صلى الله عليه وسلم ، ويحثون أتباعهم على استغاثة بالأنبياء والأولياء ، ويشيدون القبورويعمرونها وينيرونها بالشموع والقناديل . للتفصيل ينظر الموسوعة الميسرة ١ / ٣٠٢ – ٣٠٧ ، البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهى ظهير .

القاديانية التي تمثلت في شخصية مرزا غلام أحمد القادياني الذي عمل على محاربة مبدأ ختم النبوة، وحارب الجهاد وألغى وجوبه، وعمل على الأمر بطاعة الإنجليز والولاء لهم [١].

وعلى الجملة فقد استخدم الإنجليز جميع الوسائل الممكنة من المدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام ، والإذاعة والإعلام ، وتوزيع الكتب والمجلات ، والإعانات المادية والوظائف والمناصب الحكومية ... لتحقيق أهدافهم الخطيرة والرذيلة من إثارة الشكوك والفتن بين المسلمين وتقريبهم إلى المسيحية المحرّفة .

هذا في جانب وفي جانب آخر كان المسلمون بعيدين عن الكتاب والسنة بل كانوا منغمسين في بحر التقليد الجامد والبدع والخرافات وشطحات الصوفية، ولم يتذوقوا عذوبة الدين وحقيقته من منابعه الأصلية لتأثرهم بثقافات الهند والفرس والترك التي ازدهرت في ولاية المغول .

كما يقول القنوجي : « وعمدة بضاعتهم اليوم هي الفقه الحنفي على طريق التقليد دون التحقيق إلا ما شاء الله تعالى في أفراد منهم ، ولأجل هذا يتوارثه أولهم عن آخرهم ويتناقله كابرهم عن كابرهم حتى كثرت فيهم الفتاوى والروايات، وعمّت البلوى بتعامل هذه التقليدات ، وتركت النصوص المحكمات وهجرت سنن سيد البريات ، ورفض عرض الفقه على الحديث ، وتطبيق المجتهدات بالسنن ، ودرج على ذلك زمان كثير[٢]» .

فقد كان المجتمع الديني الهندي صورة طبق الأصل لما صوّره لوثروب ستودارد

---

(١) – انظر : الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ٣٧٧ .

(٢) – الحطة في ذكر الصحاح الستة ١٤٥ .

الأمريكي (LOTHROP STODDARD) فهو يقول : « أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت سُتُر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ... وعلى الجملة فقد تبدل المسلمون غير مسلمين، وهبطوا مهبطا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدّون عبدة الأوثان »[١] .

في ظل هذه الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري عدة أحزاب وجماعات سياسية مثل حزب المؤتمر[٢] الوطني الهندي ١٣٠٣ هـ /

---

(١) – حاضر العالم الإسلامي للوثروب ستودارد ١/٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٢) – حزب المؤتمر الوطني الهندي : تم تشكيل هذا الحزب سنة ١٨٨٥ م في بومباي بالهند ، وكان رئيس الجلسة الأولى السيد رحمة الله ، وكان أعضاء حزب المؤتمر في هذه الجلسة ثمانية وسبعين من الهندوس والمسلمين ، ومن أهدافه تحسين حال الهند من النواحي السياسية والاقتصادية وترسيخ حب الوطن في قلوب أبنائه ، وقام المؤتمر بالسعي لتحقيق بعض المصالح لأبناء الوطن . انظر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ٥١ – ٥٤ ، تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ٩ / ٩ .

١٨٨٥م وحزب الرابطة [١]الإسلامية ١٩٠٦م وحركة [٢] الخلافة ١٩١٩م وحركة [٣] ترك

---

(١) – حزب الرابطة الإسلامية : اجتمع قواد المسلمين في « داكا » عاصمة بنغلاديش حاليا سنة ١٩٠٦ م تحت رئاسة النواب فخار الملك ، وتم في هذا الاجتماع تشكيل « حزب الرابطة الإسلامية » وكان من أهدافها : الدفاع عن حقوق المسلمين ومصالحهم ، وعرض حاجاتهم ومطالبهم على الحكومة الإنجليزية ، والعمل على استخلاصها ، وتقريب وجهة النظر بينهم وبين المستعمر وإزالة الجفوة التي كانت قائمة من قبل .

انظر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ٧٥ ، أبو الأعلى المودودي ومناهجه ٥ ، تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ٩ / ١٨ .

(٢) – حركة الخلافة : لما رأى المسلمون الهنود المكر الإنجليزي نحو دولة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، ووقعت الأراضي الإسلامية التابعة لدولة الخلافة تحت السيطرة الاستعمارية ، قام عدد من المسلمين في الهند بتأسيس « حركة الخلافة » عام ١٩١٩ م وأهم أهداف هذه الحركة المحاولة لإعادة الخلافة العثمانية الإسلامية ، وذهب وفد بقيادة محمد علي جوهر إلى أوربا ليخبر حكومتي البريطانية والفرنسا عن أحاسيس المسلمين في الهند تجاه الخلافة العثمانية . انظر : تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ١٠ / ٧ ، أبو الأعلى المودودي ومناهجه في الإصلاح ٦ .

(٣) – حركة ترك الموالات : ظهرت هذه الحركة مع حركة الخلافة ، وذلك نتيجة عدوان الإنجليز وقتل الأبرياء في أمرتسر سنة ١٩١٩ م ، كانت روح هذه الحركة وسمتها البارزة هي استعمال الأساليب السلمية في تحدي الحكومة ومخالفة قوانينها ، وعدم التعاون معها ، ومن أهما :

مقاطعة المحاكم والمدارس والكليات الحكومية ، ومقاطعة الأشياء المستوردة في الهند من الغرب ، وعدم تسديد الضرائب الحكومية ، مقاطعة الانتخابات السياسية والاجتماعات الحكومية ، وأن لا يتوظف أحد لدى الإنجليز أو في الدوائر الحكومية ، كما أعاد أصحاب هذه الحركة الألقاب التي منحت من قبل الإنجليز . انظر : تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند ١٠ / ٧ ، كفاح المسلمين في تحرير الهند ٨٥ .

الموالات ١٩١٩م ومجلس الأحرار [1] ١٩٢٩م .

وأنشئت المدارس والمعاهد الدينية بين الأوساط الإسلامية الهندية للحفاظ على التراث الإسلامي من الثقافة الوافدة ولتحصين المسلمين من غزوات عدوهم الفكرية، ومن أهمها : مدرسة رياض العلوم بدهلي سنة ١٣٠٢ هـ ، ومدرسة أحمدية آرة بهار ١٨٩٠م ودار العلوم لندوة العلماء سنة ١٣٠٦ هـ /١٨٩٨م ، والجامعة الإسلامية فيض عام مئو اعظم گرة ١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢م ، وجامعة سراج العلوم بوندهار ١٩٠٧م ، وجامعة العثمانية بحيدر آباد سنة ١٩١٩م ، والجامعة الملية الإسلامية سنة ١٩٢٠م ومدرسة دار الحديث الرحمانية دهلي سنة ١٣٣٩ هـ/ ١٩٢١م .

وبرزت حركات وجماعات إسلامية إصلاحية لمقاومة الفتن ومواجهة المحن والتصدي لأهل البدع والأهواء ، وللحركة العلمانية الإباحية الاستعمارية ، ومن أهم هذه الحركات والجماعات الإسلامية : جماعة أهل الحديث ، وجماعة التبليغ ، والجماعة الإسلامية .

أما الآن فنلقي ضوءا يسيرا ونعطي فكرة مبسَّطة عن جماعتين : جماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية ، أما جماعة التبليغ التي نحن بصددها فنتكلم عنها تفصيلا في الفصول القادمة – إن شاء الله .

---

(١) – مجلس الأحرار : تم تشكيل هذا المجلس في عام ١٩٢٩ م على بعض أيدي المسلمين في الهند ، وأهداف هذا المجلس قريبة من أهداف حزب المؤتمر الهندي إلا أن حزب المؤتمر الهندي يشمل على ممثلي المسلمين والهندوس ، أما مجلس الأحرار فالمسلمون هم الذين كانوا ممثلين فيه مثل الشيخ داود الغزنوي والشيخ حبيب الرحمن والشيخ عطاء الله شاه البخاري والشيخ مظهر علي والسيد أفضل حق . انظر : تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان وهند ١٠ / ٩ .

* جماعة أهل الحديث *

تاريخهم في شبه القارة الهندية

جماعة أهل الحديث أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء فهم السلف الصالح وتقديمهما على كل قول وهدي، ومحاربة البدع والشركيات والخرافات بأنواعها .

يرجع تاريخهم في شبه القارة الهندية إلى العهد الإسلامي الأول حيث استضاءت بعض مناطق الهند مثل السند وغيرها بنور الإسلام كما أسلفت، كان علماؤها على صراط مستقيم على مذهب أهل الحديث بعيدين عن التفرقة الدينية والتعصب المذهبي والجمود الفقهي .

وقد وصل بعض أصحاب المذاهب في أواخر القرن الرابع الهجري إلى هذه المنطقة إلا أن بدعة التقليد والتعصب والجمود لم تكن موجودة هناك، وقد زارها الرحالة العربي أبو القاسم المقدسي عام ٣٧٥ هـ فيصفها قائلا : « إن مذاهب أكثرهم أصحاب الحديث ... ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله وليس به مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة ، إنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة قد أراحهم الله من الغلو والعصبية والهرج والفتنة [١] » .

وفي أواخر القرن الرابع بدأ الضعف يدب في نشاط أهل الحديث، وقد بلغ منتهاه في القرن التاسع الهجري نظرا لانتشار الخلافات السياسية والعصبيات المذهبية وظهور الفتنة الباطنية .. والعصبيات المذهبية كان لها دور كبير في الجد من نشاط أهل الحديث ومع هذا

---

(١) – أحسن التقاسيم ٤٨١ .

كله وجد في شبه القارة الهندية عدد من علماء أهل الحديث من تلاميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام السخاوي وغيرهم حيث ظلوا محافظين على منهج أهل الحديث كالشيخ يعقوب بن عبد الرحمن الهاشمي ت ٨٤٣ هـ والخواجة عماد الدين محمود بن محمد الكيلاني ت ٨٨٦ هـ والشيخ وجيه الدين محمد المالكي ت ٩٢٩ هـ والشيخ جمال الدين محمد بن عمر الحضرمي ت ٩٣٠ هـ والشيخ المحدث رفيع الدين الشيرازي الأكبر آبادي ت ٩٥٤ هـ[(١)] .

* حركتهم في القرن الماضي *

بدأ دور جديد لأهل الحديث في عصر الشيخ أحمد السرهندي ت ١٠٣٤ هـ ، والمحدث عبد الحق الدهلوي ت ١٠٥٢ هـ ، وقويت حركتهم في عهد أنجال الشاه ولي الله المحدث الدهلوي ت ١١٧٦ هـ وبخاصة ابنه الكبير الشاه عبد العزيز الدهلوي[(٢)] ت ١٢٣٩ هـ .

وزادت قوتها وانتشارها في عهد حفيده الشاه إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ت ١٢٤٦ هـ وبعد استشهاد الإمامين الشاه إسماعيل الدهلوي والسيد أحمد بن عرفان كما أسلفت تحمل أهل الحديث مسؤولية الدعوة والجهاد لكل أمانة وإخلاص .

مع أن حركة أهل الحديث قد مرت في تلك الأيام بمرحلة خطيرة جدا وواجهت المصائب والآلام ، فنفى أهلها إلى البحر المالح، وعذبوا في غياهب السجون بأنواع من

---

(١) – انظر : جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ٤٠ – ٤١ .

(٢) – هو أول من أصدر الفتوى سنة ١٨٠٣ هـ ، ونادى فيها بوجوب الجهاد ضد الإنجليز ، وسار العلماء على نمطها في فتاويهم إلا البعض الذين اصطنعهم الإنجليز .

انظر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ٣٠ . تحريك أهلحديث تاريخ كى آئينى مين ٢٥٢ .

التعذيب التي لا يمكن أن يتصورها الناس اليوم ولكن هؤلاء كانوا في إخلاصهم لفكرتهم ، لا يبالون بما يلاقون من عذاب وتنكيل ، وليسميهم المؤرخون الذين كتبوا عن الهند من الإنجليز ومن تابعهم ، بالوهابيين لتشابههم مع حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في الدعوة لتطهير المجتمع الإسلامي من البدع والخرافات ، وقد ازدادت هذه التسمية لصوقابهم ؛ لأنه كان للإنجليز غرض خاص من ورائها ، إذا استعملوها تهمة يشوهون بها هؤلاء المجاهدين المخلصين ، ويضعفونهم أمام أغلبية المسلمين الذين حقدوا على حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من أجل هدمها للقباب في الحجاز ، وظلت هذه التهمة سيفاً حاداً يشهره الإنجليز في كل مناسبة لتنفير عوام المسلمين من العلماء الربانيين حتى لا تزال آثارها باقية للآن [١] .

وكانت جهود أهل الحديث في هذه الفترة مرتكزة على ثلاثة ميادين رئيسية :

١- ميدان الجهاد والدعوة .

واصل المجاهدون جهادهم بالسنان واللسان بعد الشهيدين بقيادة الشيخ ولايت علي الصادق فوري ١٢٦٩ هـ، والشيخ عنايت علي الصادقفوري ١٢٧٤ هـ ثم الشيخ عبد الله ت ١٩٠٢م ، وعبد الكريم العظيم آبادي ت ١٩١٥ م ، وأسرة صادقفور [٢] الذين تحملوا مسئولية الجهاد ورفعوا رايته ، وأبلوا فيه بلاء حسنا ، اعترف به الشيخ أبو الحسن الندوي

---

(١) - الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ٣٧٨، كفاح المسلمين في تحرير الهند ٣١ - ٣٢ بالتصرف,وانظر للتفصيل : هندوستان مين وهابى تحريك للدكتور قيام الدين أحمد ، وكالا پانى لمحمد جعفر تهانيسرى .

(٢) - الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ٥١١، الدعوة الإسلامية في الهند ٢٨ ، موج كوثر ٤٥ - ٥٧ .

قائلا : « لوضعنا تضحيات مسلمي الهند وكفاحهم النضالي عبر التاريخ بزسره في كفة وتضحيات أسرة صادقفور وكفاحهم في كفة أخرى لرجحت كفة صادقفور [(١)] .

وإليكم صورة من صور هم النضالية ورواية من روايات البطولة الإسلامية ذكرها الشيخ أبو الحسن الندوي إذ يقول : « في اليوم الثاني من مايو سنة ١٨٦٤ م جلس « إيدروس » القاضي الإنجليزي على كرسي في محكمة « أنبالة » وجلس معه أربعة من وجهاء البلد ليروا رأيهم في القضية ، ووقف أمام هؤلاء أحد عشر رجلا [(٢)] ، تنطق وجوههم وملامحهم بشرفهم وبراءتهم ، ولكنهم اعتُبروا من كبار الجُناة والمجرمين ؛ لأنهم – كما يقال – دبروا مؤامرة ضد الحكومة الإنجليزية في الهند ، وكانوا يساعدون أنصار السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والمجاهد الجليل الشيخ إسماعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال والرجال ، يرسلونها سرا من داخل البلاد بحكمة عجيبة [(٣)] ، وقد وضعوا لمراسلاتهم لغة رمزية ، وكانوا يجمعون إعانات من رعايا الإنجليز أنفسهم ويرسلونها إلى مركز الثوار ، عثرت على ذلك الحكومة بوشاية جندي مسلم في جنود إنجليز ، وقبضت عليهم من مدن « بتنه » و

---

(١) – تزكية وإحسان يا تصوف وسلوك ١٢٣ .

(٢) – وهم : مولانا جعفر تهانيسري ، محمد شفيع تهيكدار ، منشي عبد الكريم ، مولانا يحيى علي عظيم آبادي مولانا عبد الرحيم عظيم آبادي ، ميان عبد الغفار عظيم آبادي ، قاضي ميان جان ساكن « بتنه » ، عبد الغفور بن شاه علي ، حسين بن محمد بخش عظيم آبادي ، حسين ابن ميكو ، الهي بخش بن كريم بخش ، وهؤلاء كلهم كانوا من أهل الحديث . انظر : تحريك أهلحديث تاريخ كى آئينى مين ٢٦٧ – ٢٦٨ نقلا عن كتاب « سركزشت مجاهدين » ، وعلما أن عظيم آباد اسم آخرلـ« صادقفور » .

(٣) – كان للمجاهدين مصطلح خاص ، فكانوا يسمون الجندي باسم الخادم أو التاجر أو المسافر كما يسمون الدينار باسم النعل الذهبي الكبير أو الطائر الكبير ، ويعبرن عدد المبالغ بعدد الحبوب البيضاء للسبحة .

انظر : هندوستان مين وهابى تحريك ٣٧٧ .

« تهانيسر » و « لاهور » وحاكمتهم ، وكان هذا هو يوم صدور الحكم عليهم .

غصّت الحكومة بالزائرين ، فقد كانت القضية حديث المجالس ، وحان صدور الحكم فشخصت الأبصار ، وأصغت الآذان ، واضطربت القلوب ، وخفتت الأصوات ، وإذا بالقاضي يتكلم في صوت الغضبان ، يخاطب شابا جميلا قويا يظهر أنه ربيب نعمة وسليل شرف ، ويقول له : « إنك يا جعفر رجل عالم عاقل متعلم ، ولك معرفة حسنة بقانون الدولة ، وأنت عمدة بلدك ومن سراته ، ولكنك بذلت عقلك وعلمك في المؤامرة والثورة على الحكومة ، وكنت واسطة في انتقال المال والرجال من الهند إلى مركز الثوار ، ولم تزد إلا أن جحدت وعاندت ، ولم تثبت أنك كنت مخلصا وناصحا للدولة ، **وها أنا ذا أحكم عليك بالإعدام ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار ، ولا يُسلم جسدك بعد الشنق إلى ورثتك ، بل يدفن في مقبرة الأشقياء بكل مهانة ، وسأكون سعيدا مسرورا حين أراك معلقا مشنوقا** » .

استمع الشاب في سكينة ووقار ، ولم يتغير ولم يضطرب ، ولما انتهى القاضي من كلامه قال محمد جعفر تهانيسري : « **إنّ النفوس والأرواح بيد الله تعالى ، يحيي ويميت ، وإنك أيها القاضي لا تملك حياة ولا مماتا ولا تدري من السابق منا إلى منهل الموت .**

فو الله ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تغدو المنية أول

ثار الرجل غضبا وجن جنونه ، ولكنه قد أطلق آخر سهم من سهامه لا يملك غيره ، استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم ، فتهلل وجهه فرحا ، كأنما تمثلت له الجنة

وتمثلت له الحور والقصور ، وتمثل ببيت الشاعر :

هذا الذي كانت الأيام تنتظر   فليوف لله أقوام بما نذروا

أخذ الناس العجب مما رأوا ، ودنا إلى محمد جعفر الضابط الإنجليزي « بارسن » وقال له : « **لم أر كاليوم ، قد حكم عليك بالإعدام وأنت مسرور مستبشر ؟!!** » .

قال محمد جعفر : « وما لي لا أفرح ولا أستبشر ، وقد رزقني الله الشهادة في سبيله ، وأنت يا مسكين لا تدري حلاوتها » .

وحكم القاضي على رجلين آخرين بالإعدام ، أحدهما شيخ تلوح عليه سيماء الصالحين وآية العابدين ، قد تلقى النبأ في سرور وشكر ، وهو مولانا يحيى علي [١] الصادقفوري أمير هذه الجماعة ، والآخر شاب يظهر أنه من الأغنياء والتجار الكبار ، وأن أصله من « بنجاب » وهو الحاج محمد شفيع [٢] ، وحكم على الثمانية بالنفي المؤبد .

ووصلوا إلى السجن ونُزعت ثيابهم وألبسوا ثياب المجرمين ، وسجن كل واحد من الثلاثة في حجرة ضيقة مظلمة لا يدخل فيها الهواء ولا ينفذ فيها النور ، وباتوا فيها في حرٍ شديد بشرّ ليلة بات بها القوم، وجاءت بكرة برقيةٌ تسمح لهم بالمبيت في الميدان ، وفي النهار أعيدوا إلى حجراتهم الضيقة ، وعُيّن جندي يحرس هؤلاء ، وكان هؤلاء الجنود أكثرهم من الكفار، فكان مولانا يحيى علي يغتنم الفرصة ويتأسى بأسوة يوسف الصديق

(١) – المجاهدون كانوا يسمونه في مصطلحهم بـ « محيي الدين » هندوستان مين وهابى تحريك ٣٧٧ .

(٢) – سماه المجاهدون بـ « شفاعت علي » . المرجع السابق .

عليه السلام ، ويخاطب الحارس ويقول : ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾[١]

، فيظل الرجل باكياً ، فإن نقل من مكانه حزن حزناً شديداً ،

وهكذا غرس الشيخ في قلوب كثير من أصحاب السجن عقيدة التوحيد ، ويذر فيها بذور الإيمان ، وكم من رجال أسلموا ، وكم من ناس تابوا ، وكان الشيخ لا يضيّع فرصة فإذا صادف أحداً أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر.

وبدأ زبانية السجن يصنعون لهؤلاء حبلاً وعوداً للشنق على مرأى منهم ومسمع ، وهؤلاء يرون كل ذلك مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أما مولانا يحيى علي فهو من أشد الناس فرحاً كأنه من شوق الجنة في جنة ، ومن انتظار النعيم في النعيم ، ينشد الأبيات في حنين وجد ، ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضي الله عنه عند شنقه:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشـأ ... يبارك على أوصال شلو ممـــزع

وكذلك رفقته ، وجوه ضاحكة مستبشرة ، ونفوس هادئة مطمئنة ، وقلوب راضية مسرورة ، وخشوع في الصلاة ، وعبادة في نشاط ، وذكر وتسبيح وتلاوة آيات ، وحنين ووجد وإنشاد أبيات .

مات القاضي الإنجليزي - الذي حكم على هؤلاء الثلاثة بالإعدام - فجأة على إثر الحكم ، وجُنَّ الضابط الإنجليزي (بارسن) الذي ألقى القبض على محمد جعفر وضربه يوماً من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الثامنة مساءاً ومات في جنونه شر ميتة فكان

---

(١) - يوسف ٣٩ .

كما أنذر محمد جعفر ، ورب أغبر أشعث لو أقسم على الله لأبره .

وكان يدخل إلى السجن كثير من الإنجليز والإفرنجيات يتفرجون على هؤلاء السجناء ، ويشمتون بمصير الأعداء ، وكانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم ، ويسألونهم **لماذا لاتحزنون يا هؤلاء وأنتم على عتبة الموت وعلى موعد من الشنق ؟!** فيجيبونهم **هذا لأجل الشهادة التي ليس فوقها نعمة وسعادة**

ويرجعون ألى الحكام الإنكليز ويحدثونهم بما رأوا وبما سمعوا ، فيزدادون غيظاً على غيظ ، ولكن ماذا يصنعون ؟ إنهم إذا أطلقواهم فقد أطلقوا أعداء قد ثاروا على الدولة ، وأنهم سيرجعون إلى ذلك ، وإذا شنقوهم وقتلوهم فقد بلغوهم أملهم واجتهدوا في سرورهم قد عز على الإنجليز كل ذلك ولم تطب أنفسهم به ، فكرّوا في القضية وفكروا وفكروا ، ووجدوا طريقا وسطا بين القتل والإطلاق ، والإنجليز أمة قانونية ذكية .

في يوم من الأيام جاء حاكم المدينة الإنجليزي إلى السجن وتلا على الثلاثة المحكوم عليهم بالإعدام حكم محكمة الاستئناف : « **إنكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة في سبيل الله ولا نريد أن نبلغكم أملكم . وندخل عليكم السرور ، ولذلك نفسخ حكم الإعدام ونحكم عليكم بالنفي المؤبد إلى جزائر سيلان** » .

وهنا قُصّت لحاهم وشعر رؤوسهم ، وكان مولانا يحيى علي يرفع الشعر ويخاطب لحيته المقصوصة ويقول : « وفي سبيل الله ما لقيتِ » .

وشنق إنجليزي بحبل وعود أعدّا لأولئك المسلمين فانعكست الآية .

وأمر المسجونون بالاشتغال بأعمال شاقة ، وأمر مولانا يحيى علي بنزع الدلاء من بئر

، وكانت كبيرة وثقيلة لا ينزعها الشبان الأقوياء إلا بشق الأنفس ، والأستاذ شيخ ضعيف ، وكان اليوم صائفاً شديد الحر ، فنزف الدم في بوله ولكنه استمرّ في شغله صابراً محتسباً لا يشكو ولا يئن ، ثم نِقل إلى عمل سهل فكان يقوم به بأمانة ونصيحة ، ويوصي المسجونين الآخرين بذلك أيضاً ويقول لهم: إذا كنتم تمتعون هنا بطعام ولباس فما بالكم لا تؤدّون وظيفتكم بأمانة ونصيحة .

ولم يزل الشيخ في السجن آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، داعياً إلى الله واعظاً مرشداً حتى تاب كثير من المجرمين وأنابوا إلى اللّه .

وما زال الشيخ ورفقته ينتقلون من سجن إلى سجن ، ومن مجلس إلى مجلس حتى وصلوا في الثامن من ديسمبر سنة ١٨٦٥ م إلى (بورت بلير) من جزائر اندمان ، ومات الشيخ هناك بعد عامين قضاهما في عبادة ودين ودعوة الخلق إلى اللّه ، وكان ذلك لعشرين من فبراير سنة ١٨٦٨ م .

أما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه وإطلاقه في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٨٨٣ بعد ما لبث في السجن ثمانية عشر عاماً [(١)] .

ومن العلماء الذين استمروا في بذل الجهود لإقامة النظام الإسلامي: الشيخ عبد العزيز الرحيم آبادي ت ١٣٣٨ هـ ، والشيخ عبد اللّه الغازيپوري ت ١٣٣٧ هـ والشيخ عبد القادر القصوري ، والشيخ فضل الهى الوزير آبادي ت ١٩٥١م ، رحمهم الله تعالى .

وكانت جهودهم سرية ضد السيخ والهندوس والاستعمار الإنجليزي وبخاصة في

---

(١) – مجلة « المسلمون » العدد الرابع جمادى الآخرة ١٣٧١ هـ ص ٨١ – ٨٥ ملخصاً .

الحدود الشمالية للهند إلى أن رحل الاستعمار من الهند عام ١٩٤٧م[١] .

٢- ميدان التأليف والتصنيف .

لأهل الحديث في الهند دور بارز في إحياء التراث العلمي ونشر الثقافة الإسلامية من خلال الاهتمام بمجال التأليف والتصنيف في القرآن وعلومه، والحديث وشروحه وعلوم الحديث ، مع الدفاع عن العقيدة والرد على المبتدعة والفرق الباطلة، فكان منهم العلماء والمحدثون ، ومن أبرزهم في هذا المجال: العلامة السيد النواب صديق حسن خان القنوجي البهوپالي ١٣٠٧ هـ حاكم بهوپال، فلم يترك بابا من أبواب العلم وإلا خاض فيه حتى برع في جميع العلوم ، واشتغل بالتصنيف والتأليف ، ونشر كتب الحديث ودواوين السنة ، فألف ما يبلغ قريبا من ثلاثمائة كتاب مع اشتغاله بمهمات الدولة [٢] ، كما شكل مجلسا علميا مكونا من العلماء السلفيين ليقوم بمهمات التأليف والترجمة وإفادة المسلمين بالتدريس، وأنشأ لذلك عدة مطابع على حسابه الخاص لطبع ونشر وتوزيع كتب السلف الصالح، وخاصة ما يتعلق منها بأصول الاعتقاد والتفسير والحديث [٣] .

وصفه معاصره السيد نعمان بن محمود الآلوسي ت ١٣١٧ هـ قائلا : « شيخنا الإمام الكبير السيد العلامة الأمير البدر المنير البحر الحبر في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها : أبو الطيب

---

(١) – الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ٥١١، حركة الانطلاق الفكري ١٨٢ .

(٢) – انظر : الموسوعة الميسرة ١٧٤، للتفصيل ينظر: السيد صديق حسن القنوجي ٨٦ – ٩٨.

(٣) – المصدر نفسه ١٧٤، وللتفصيل ينظر: السيد صديق حسن القنوجي ٥٧ – ٧٠ .

انظر: جهود مخلصة ٩٨، وما بعدها .

صديق حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي حماه الله تعالى وعافاه، وعن الشرور وقاه، وهو الذي نطقت ألسن الخلائق بثنائه، وأذعنت الأعداء لفضله وفرط ذكائه ودهائه[١] » .

ويلقبه معاصره السيد عبد الحي الحسني: بعلامة الزمان، وترجمان الحديث والقرآن محيي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية : السيد الشريف صديق حسن ... صاحب المصنفات الشهيرة والمؤلفات الكثيرة ...[٢]

ومن أراد التفصيل في هذا المجال وأراد أن يطلع على جهود علماء أهل الحديث في التأليف والتصنيف فليراجع إلى كتاب «جماعت أهلحديث كى تصنيفى خدمات » لمحمد مستقيم السلفى الذي طبعته الجامعة السلفية بالهند ، وكتاب « هندوستان مين أهلحديث كى علمى خدمات » (الجهود العلمية لأهل الحديث في الهند) لأبي يحيى إمام خان نوشهروي .

٣- ميدان التدريس .

برز اهتمام أهل الحديث بالدعوة والتدريس وإنشاء المدارس والجامعات، ومن أبرزهم: العلامة السيد نذير حسين المحدث الدهلوي ت سنة ١٣٢٠ هـ، والذي انتهت إليه رئاسة الحديث في بلاد الهند، واستمر في تدريس العلوم الشرعية والحديث في دهلي قرابة ستين عاما بالإضافة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة حتى قيل إنه اعتنق في عصره نحو مليونين من المسلمين العقيدة الصحيحة تائبين عن العقائد الشركية والبدعية .

---

(١) – جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ٤٨ .

(٢) – نزهة الخواطر ١٨٧/٨ .

وتخرج على يده عدد من أعلام السنة والدعوة في العصر الحديث أمثال: الإمام المحدث عبد الله الغزنوي ت ١٢٩٨ هـ، والعلامة شمس الحق العظيم آبادي ت ١٣٢٩ هـ صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود، والعلامة عبد الرحمن المباركفوري ت ١٣٥٣هـ مؤلف تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، والعلامة محمد بشير السهسواني ت ١٣٢٦ هـ صاحب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، والشيخ عبد الله بن إدريس التوسي المغربي ، والشيخ محمد بن ناصر المبارك النجدي، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق النجدي ت ١٣٤٩ هـ والذي نشر سند شيخه في بلاد الحجاز ونجد وغيرهم ولا زالت مدرسته معمورة إلى اليوم بدهلي[١] .

وصفه المحدث حسين بن محسن الأنصاري (ت ١٣٢٧ هـ) قائلا: «إنّه فرد زمانه، ومسند وقته وأوانه ، ومن أجل علماء العصر بل لا ثاني له في إقليم الهند في علمه ، وحلمه، وتقواه ، وأنه من الهادين والمرشدين إلى العلم بالكتاب والسنة والمعلمين لهما، بل أجل علماء هذا العصر المحققين في أرض الهند أكثرهم من تلامذته، وعقيدته موافقة لعقيدة السلف الموافقة للكتاب والسنة « وفي رؤية الشمس ما يغنيك عن زُحلِ[٢] » .

* تشكيل جمعية أهل الحديث الهندية*

نظرا إلى ظروف الهند الخاصة من سياسة الإنجليز المعادية للمسلمين ووقوف الطوائف المختلفة ضد الإسلام وابتعاد أبناء المسلمين من تعاليم الدين الصحيحة قرر علماء

(١) – الموسوعة الميسرة ١٧٥، ومن استزاد فلينظر: جهود مخلصة ١٠٣ وما بعدها .

وانظر : الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ٢٩ .

(٢) – نزهة الخواطر ٤٩٩/٨ .

أهل الحديث برئاسة شيخ الإسلام أبي الوفاء ثناء الله الأمر تسري (ت ١٣٦٧ هـ) في عام ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦م تشكيل جمعية لهم تقوم على نشر الدعوة الإسلامية السلفية بين أبناء البلاد على صورة منسقة ومقاومة الحركات الهدامة ومواجهة تحديات العصر تحت اسم « مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند» وعرف فيما بعد بـ «جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند» وعين شيخ الإسلام أبو الوفاء ثناء الله الأمر تسري – صاحب التصانيف الكثيرة وقامع الفتنة القاديانية والهندوسية والنصرانية ومنكري السنة وغيرها من فرق ضالة – أمينا عاما للجمعية ، وانتخب المحدث العلامة عبد الله الغازيفورى ت ١٣٣٧ هـ رئيسا لها، وانضم إليها فطاحل العلماء السلفيين ، وغطّت جهودهم الهند وقراها [1] .

وفي عام ١٩٤٧م انقسمت شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان، فضعفت حركتهم وفقدوا أكبر مؤسسة تعليمية لهم «دار الحديث الرحمانية» بدهلي، فسارعوا إلى تشكيل الجمعية من جديد في كلتي الدولتين فاستعادتا قوتهما، وأسسوا الجامعات والمعاهد والمدارس الجديدة لتلبية حاجات العصر وتدريس علوم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح .

ومن أبرز هذه الجامعات في الهند : الجامعة السلفية ببنارس كأكبر جامعة إسلامية سلفية في الهند، تأسست عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م، ولعلي لا أخرج من الموضوع حينما أنقل ما شهد به الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ت سنة ١٤١٨ هـ مقدرا لجهود علماء أهل الحديث والجامعة السلفية بالهند فهو يقول: « ولا شك أن الجهابذة الذين عاشوا لهذه

---

(١) – لمحة عن جمعية أهل الحديث المركزية بالهند ٢ ، الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ٥١١ – ٥١٢، الموسوعة الميسرة ١/١٧٥ .

السنة باعتراف كل صديق وعدو، هم علماء أهل الحديث من القرن الثالث حتى عصرنا هذا، لم تقتصر خدمة علماء الهند على التأليف والنشر فحسب بل كذلك قاموا بالحفاظ على سلسلة الأسانيد إلى كتب الحديث ...

وأضف إلى هذه الجهود الجبارة في خدمة السنة أن علماء أهل الحديث السلفيين في الهند لم يقتصروا كذلك على ما ذكرنا بل أضافوا إليه خدمة العقيدة السلفية التي انتشرت في الهند في القرن الرابع عشر الهجري رغم أن علماء الهند هم أول من طبع كتب العقيدة السلفية سواء كانت أصولا ككتاب « خلق أفعال العباد » للبخاري أو غير ذلك ، أو كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكتب مشايخ الدعوة كشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه وتلاميذه .

وللأسرة الغزنوية السلفية فضل التقدم والسبق إلى نشر هذه الكتب السلفية التي أشرنا إليها، فجزاهم الله خير الجزاء على هذه الخدمة السامية للعقيدة والسنة النبوية في وقت انعدم فيه أهلهما القائمون بهما في البلدان الإسلامية ...»(١) .

واستطرد قائلا : « حتى فتحت الجامعتان السلفيتان في الهند وباكستان، فقامتا بنشاط كبير وملموس في تدريس العقيدة السلفية في كتبها الأصلية بعدما مضت فترة طويلة وهم غارقون في لجة دراسة كتب الأشعرية الكلابية والحنفية الماتريدية كالعقائد النسفية التي نسفت العقيدة السلفية .

وعلى كل حال فالجامعة السلفية ببنارس بالهند والجامعة السلفية بفيصل آباد

---

(١) – جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ١٠ – ١٢ .

(٢) – المصدر السابق ١٢ – ١٣ .

بباكستان انتجت في العقيدة السلفية في الآونة الأخيرة انتاجا يستحق الإكبار حيث أخرجتا نخبة من الطلبة الذين يحملون هذه العقيدة بإخلاص وكفاءة، وفي مقدمتهم تلاميذنا في الجامعة الإسلامية من أبناء الجامعة السلفية الهندية الوافدين إلى المملكة العربية السعودية .

ونرجو من الجامعة السلفية بفيصل آباد ومثيلاتها أن تحذو حذو الجامعة السلفية ببنارس في تشجيع العقيدة السلفية وإخراجها إلى العالم الإسلامي[٢] » .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا : « ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر، والشام، والعراق، والحجاز منذ القرن العاشر للهجرةحتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر » [١] .

هذا وبالإضافة إلى ذلك أصدرت الجمعية بفروعها المتعددة العديد من الصحف والمجلات باللغات العربية والأردية والهندية والبنغالية وغيرها مثل : صوت الأمة بالعربية وجريدة ترجمان ، ومحدث بالأردية ، وإصلاح سماج بالهندية ، وأهل الحديث بالبنغالية من كلكتة .

وبعد التشكيل الجديد في عام ١٩٥٢م [٢] عيّن الشيخ عبد الوهاب الآروي ت سنة ١٩٨١ هـ أول رئيس لجمعية أهل الحديث بالهند، ويرأسها حاليا فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري صاحب الرحيق المختوم، وأمينها العام الشيخ عبد الوهاب الخلجي

---

(١) – مقدمة مفتاح كنوز السنة ، ق .

(٢) – لمحة عن جمعية أهل الحديث المركزية بالهند ٣ .

خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وتتمركز جماعة أهل الحديث في كل من بلاد الهند وباكستان وبنغلاديش ونيبال وكشمير وسيرلانكا وجزر فيجى، ولهم مركز في بريطانيا، وجمعياتهم في هذه الدول كلها معروفة باسم جمعية أهل الحديث .

توجد في كل دولة من الدول المذكورة قيادة مستقلة ومركز للجمعية تتبعه فروع موزعة حسب الولايات والمديريات(٣) .

* الأفكار والأهداف *

عقيدة أهل الحديث هي عقيدة السلف الصالح ، وتقوم الأصول العلمية والقواعد المنهجية للجماعة على الأمور التالية :

١- **التوحيد** : فهم يبدأون عملهم بنشر التوحيد الخالص مع أنواعه الثلاثةو خاصة توحيد الألوهية الذي يخطئ فيه كثير من الناس مع إيمانهم بتوحيد الربوبية .

٢- **الاتباع** : يركزون على اتباع ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم على ضوء فهم السلف الصالح، ولذلك لا يرون التقليد الجامد الذي يدعو إلى الالتزام بمذهب فقهي معين بدون سؤال عن الدليل .

٣- **التزكية الشرعية** : يتخذون الوسائل المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة، وينكرون على تزكية النفس البدعية سواء كانت صوفية أو غيرها .

٤ - **التحذير من البدع** : لأنهم يرون أن أمر الابتداع في الحقيقة استدراك على

---

(٣) - الموسوعة الميسرة ١٨٣ .

الله .

٥ – **التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة** : فهم يتحرون الصحة في الحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وخاصة فيما يتعلق بالعقائد والأحكام .

٦ – **الجهاد في سبيل الله** : إنهم يرون أنه ماض إلى يوم القيامة لإعلاء كلمة الله .

٧ – **تطبيق النظام الشرعي** : فهم يسعون لتأصيله وإقراره في جميع مجالات الحياة بالطرق الشرعية .

٨ – **النصر والتمكين** : يرون أنه يتحقق بتحقيق التوحيد الخالص وبالعمل الموافق لسنة النبي صلي الله عليه وسلم .

٩ – **محاربة الفرق الضالة المنحرفة** :فهم يقاومون الفرق الضالة مثل الشيعة والقاديانية والبريلوية والبابية [(١)] والبهائية وغيرها، ويتصدون لحملات الأفكار الهدامة

---

(١) – البابية والبهائية : حركة نبعت تحت رعاية الاستعمار الروسي والإنجليزي واليهودية العالمية سنة ١٢٦٠ هـ وهي من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء ، وادعاؤهم بأن روح الله حلت في الباب أو البهاء وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين ، وإعلامهم أن كتابهم البيان قد نسخ القرآن للتفصيل ينظر : الموسوعة الميسرة ١ / ٤١٢ – ٤١٨ ، البهائية الفكر والعقيدة لصالح عبد الله كامل، حوار مع البهائيين للدكتور محمد عبده يماني ، البهائيون مضللون لهاشم عقيل عزوز . .

المعاصرة المعادية للإسلام مثل العلمانية [٢]والرأسمالية [٣]والشيوعية [٤] والاشتراكية وغيرها باتخاذ كل الوسائل المشروعة .

وإضافة إلى ذلك هم مولعون بكتب السلف الصالح عامة وبكتب ومؤلفات إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ت سنة ٢٤١ هـ وشيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، والإمام

---

(٢) – العلمانية : ترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين ، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم ، وقد ظهرت في أوربا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر ، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية . انظر : الموسوعة الميسرة ٢ / ٦٨٩ ، العلماينة لمحمد شاكر الشريف .

(٣) – الرأسمالية : نظام اقتصادي مادي جشع ، يغفل القيم الروحية في التعامل مع المال مما يزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا ، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية ، وتنمية الملكية الفردية والمحافظ عليها ، متوسعا في مفهوم الحرية ، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائيا عن الحياة ، ظهرت الرأسمالية منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي ولكن بشكل متدرج .

انظر : الموسوعة الميسرة ٢ / ٩٢٠ – ٩٢٨ .

(٤) – الشيوعية : مذهب إلحادي يعتبر أن المادة هي أساس كل شيء ، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي ، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز ، وتجسدت في الثورة البلشيفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧ م بتخطيط من اليهود ، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار ، وقد تضرر المسلمون منها كثيرا ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي الذي تفكك إلى دول مستقلة تخلت كلها عن الماركسية ، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق . انظر : الموسوعة الميسرة ٢ / ٩٢٩ – ٩٣٤ .

ابن القيم الجوزية ت ٧٥١ هـ ، والإمام محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٠٦ هـ رحمهم الله خاصة ، كما ينشرون كتب أعلام الدعوة السلفية المعاصرين كسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية الحالي، والمحدث العلامة ناصر الدين الألباني حفظهم الله(١) .

وقد يؤخذ على أصحاب هذه الجماعة – مع ما من الله به عليهم من العلم والبصيرة وسلامة المنهج والمعتقد – بأن الضعف والوهن قد تسرب إليهم في الآونة الأخيرة في مجال الدعوة ، فهم لا يقومون بالاتصال بالشعب والعوام للوعي والإرشاد كما يجب عليهم ، ولا يبذلون من الجهود المادية والمعنوية لنشر دعوة الحق التي يحملونها حسب حاجة المجتمع ، كما لا يلتفتون إلى إعداد المؤلفات والكتيبات التي تتناسب مع الزمان والمكان ، أسأل الله أن يبارك في جهودهم ليسدوا هذه الثغرات بأيديهم إلى مافيه صلاح الأمة الإسلامية .

---

(١) – انظر: الموسوعة الميسرة ١٨١ – ١٨٣ .

* الجماعة الإسلامية *

إن الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية هي جماعة إسلامية تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، والوقوف بحزم أمام جميع أشكال العلمانية، وتبذل جهودها في تحقيق الإسلام نظاما شاملا للبشرية كافة وللمسلمين خاصة ، وترى ضرورة استخلاص المسلمين من الحكم بغير ما أنزل الله خروجا من النظرية القومية الضيقة ونأيا عن تحكم الحضارة الغربية، ووأدا لكل الأفكار التي تعارض الفكر الإسلامي، وتحقيقا لسيادة الأفكار التي تقضي على الجمود الديني[(١)] .

* من ظهور الدعوة إلى تشكيل الجماعة *

ظهرت هذه الدعوة في السنين الأولى من العَقْد السادس من السنة الهجرية – أي في بدء العقد الرابع من السنة الميلادية – ظهرت باديءَ ذي بدء بإصدار مجلة « ترجمان القرآن » الشهرية عام ١٩٣٣م التي كانت تصدر من حيدر آباد الدكن، وعُنِي بإصدارها وتحريرها الأستاذ أبو الأعلى المودودي – رحمه الله .

أصدر المجلة لتحقيق هذه الغاية السامية وإبراز فكرة الإسلام إلى ميدان العمل وعرضها على أنظار الناس واضحة محققة، ولتنزيه العقول والأفكار من أدواء التقليد والجمود والخمول ، وتنقيتها من شوائب التّفرنُج والزندقة والإلحاد[(٢)] .

وقرر الأستاذ أن يبدأ عمله في هذا المجال بالنقد للنظريات اللادينية والفلسفات

---

(١) – الموسوعة الميسرة ٢١٦/١ بالتصرف .

(٢) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٢٨٠ – ٢٨١ .

المادية التي جاء ت بها الحضارة الحديثة تحت رعاية الاستعمار الأوربي الغاشم لإنقاذ المسلمين من عبوديتها الفكرية، ويعرض مبادئ الإسلام الأساسية لكل دائرة من دوائر الحياة المختلفة، ولإعادة ثقتهم في الإسلام لقيادة البشرية في هذا العصر، وذلك بالأسلوب العصري الجذاب مؤيدا بالبراهين العقلية والنقلية[١] .

وهذا ما كان يشير إليه غلاف المجلة بالعبارة التالية :

« إنّ هذه المجلة فريدة في نوعها في أنحاء شبه القارة الهندية، وغايتها الوحيدة إعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، ومهمتها الأصلية هي نقد الأفكار الحديثة، ومبادئ الحضارة والمدنية السائدة بمِحكّ القرآن، ثم عرض المبادئ التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله في كل مجال من مجالات الفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد والمدنية والاجتماعية وتطبيق تلك المبادئ على ظروف العصر الحاضر ...

وخلاصة دعوتها: أيها الناس اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط الله المستقيم، وخذوا كتاب الله بالقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات »[٢] .

في الواقع مجلة « ترجمان القرآن » كانت المشعل الذي أضاء طريق الجماعة الإسلامية، فبها ربى الأستاذ المودودي عقولا، وبها نشر دعوته وأزال كُتَلاً من التصورات الخاطئة، وفتح قلوبا، وغزا أفئدة .

يقول مسعود عالم الندوي: « وجملة القول أن بضع السنين الأولى من مجلة « ترجمان

---

(١) – أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته لأليف الدين الترابي ١٩١ .

(٢) – المصدر نفسه ١٩٢ .

القرآن» كانت أعوام نشر الفكرة، وبثّ مبادئ الدعوة، كأن صاحبها مهد السبيل بذلك، وهيأ الأسباب لما كان يريده من إقامة حركة دينية شاملة، وكأن مساعيه في تلك الأعوام كانت بمثابة نواة للحركة الإسلامية الخالصة التي ظهرت بعد عشر سنين من ظهور مجلة « ترجمان القرآن[١] » .

وخلال تلك المرحلة اهتم الأستاذ المودودي ببيان موقفه من كل من الأحزاب الآتية:

حزب المؤتمر الهندي وسياسته تجاه الإسلام والمسلمين، وحركة القومية الهندية الوطنية، وحزب رابطة المسلمين وسياسته[٢] .

وقد كان الدكتور محمد إقبال (ت ١٩٣٨م) من المعنيين بمجلة «ترجمان القرآن» ؛ يقول الأستاذ خليل الحامدي: « ولقد كان بين الدكتور محمد إقبال والأستاذ المودودي انسجام كبير في الآراء، وكان كل منهما قريبا من قلب الآخر »[٣] .

لذا قدم المودودي في عام ١٩٣٨م إلى لاهور تلبية لدعوة محمد إقبال، وأسس في باتانكوت «دار الإسلام» ليجعلها مستقر الدعوة يربي فيها الرجال، ويؤلف الكتب؛ ولكن محمد إقبال انتقل إلى ربه في الشهر التالي من وصول المودودي، ولما بلغته وفاته كتب كلمة قصيرة قال فيها: « فقدتُ أكبر سند لي في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم[٤] » .

وفي النهاية بعد أن شاهد الأستاذ المودودي لما قام به وأحسّ أنّ الطريق أصبح

---

(١) – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٢٨١ – ٢٨٢ .

(٢) – أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ١٩٤ .

(٣) – الإمام أبو الأعلى المودودي ٢٩ – ٣٠ .

(٤) – دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٢، الموسوعة الميسرة ١/٢١٠ .

ممهدا لتنظيم هذه الحركة الإسلامية، فوجّه الدعوة عن طريق مجلة « ترجمان القرآن » في ربيع الأول ١٣٦٠ هـ/ إبريل ١٩٤١م لعلماء المسلمين وقادتهم الذين يوافقونه على المبدأ ويجدون في نفوسهم استعدادا لحضور المؤتمر الذي عقد فعلا في غرة شعبان ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٩٤١م في لاهور بحضور خمسة وسبعين شخصا يمثلون مختلف بلاد الهند ، وتأسست في هذا المؤتمر الجماعة الإسلامية، وانتخب الأستاذ أبو الأعلى المودودي أميرا لها باتفاق من الحاضرين(١) .

* الجماعة من التأسيس إلى اليوم *

وأوضح الأستاذ المودودي فيما بعد أمنيته لأصدقائه فقال: « إنّ غاية أمانيّ لو كانت لي أماني، هي أن أكون موظفا بسيطا أقوم بخدمة النظام الإسلامي الصحيح تحت سقف الجماعة الإسلامية، وهذا كل ما يمكنني أن أفخر به، فهذا المنصب أجمل في ناظري ألف ألف مرة من منصب رئيس أو رئيس وزراء في أي نظام غير إسلامي(٢) » .

وهكذا بدأ الركب الإسلامي، وخطت الجماعة الإسلامية خطوات نحو الأمام حتى ظهرت باكستان بشطريها دولة مستقلة عن الهند، وتبع ذلك ظهور قيادة جديدة للجماعة في الهند مستقلة بذاتها لتسهيل النواحي الإدارية لا أكثر .

---

(١) – انظر: أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته ٤٤، أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي ١٠٥ – ١٠٦، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ٢٨٦، مولانا مودودي كي ساتهـ ميري رفاقت كى سركذشت اور اب ميرا موقف ٤١ .

(٢) – أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته ٤٥ – ٤٦ .

اعتقل المودودي في حياته عدة مرات بسبب جرأته ووقوفه ضد معارضة تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، وحكم عليه في بعضها بالإعدام ثم خفف الحكم بعد ذلك، وبقي على منصبه ما يقارب إحدى وثلاثين سنة حتى نوفمبر ١٩٧٢م ثم اعتزل عن إمارتها لظروف صحية، واختير ميان طفيل أحمد أميرا للجماعة بعده، وبدأ الأستاذ المودودي يقود الحركة فكريا إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٩٧٩م[١] ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

والشيخ أبو الليث الإصلاحي الندوي أختير أول أمير للجماعة في الهند بعد انقسام الدولة ثم ترك الإمارة، فعمل الشيخ محمد يوسف أميرا للجماعة، وبعد عهده انتخب الشيخ أبو الليث مرة ثانية لهذا المنصب، وأميرها الحالي هو الشيخ سراج الحسن حفظه الله .

* الأفكار والأهداف *

يذكر بعض الباحثين عن الجماعة الإسلامية أنّ من أهدافها :

١- الدعوة للبشرية كافة، والمسلمين خاصة إلى عبادة الله وحده، وأن لا يتخذوا إلها ولا ربا غيره .

٢- الدعوة لكل من أظهر الإسلام أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم لتتخلص من التناقض والنفاق .

٣- الدعوة لجميع أهل الأرض أن يستخلصوا الحكم الحاضر من الطواغيت المستبدة والفجرة الفسَدة، وأن ينتزعوا الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم وينقلوها إلى أيدي المؤمنين المسلمين[٢] .

---

(١) - دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠٧، الموسوعة الميسرة ٢١١ .

(٢) - أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي ١٠٨ - ١٠٩، الموسوعة الميسرة ٢١٣ .

٤ - إحداث الانقلاب في القيادة والإمامة والزعامة ، وهي مسألة المسائل لديهم[١] .

* الأساليب والوسائل *

اتخذت الجماعة لتحقيق غاياتها عدة وسائل منها :

١- الكتب والبحوث : أصدرت الجماعة عديدا من الكتب والبحوث لبيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية منها : نظام الحياة في الإسلام، الخلافة والملك، تدوين الدستور الإسلامي .

٢- الجرائد والمجلات : أصدرت الجماعة عدة جرائد ومجلات لنشر أفكارها مثل « دعوت » و« بتول » و« الحسنات » و« أفكار ملي » .

٣- الدروس والمحاضرات: تنظم الجماعة اللقاءات والندوات أسبوعية وشهرية وسنوية يحضرها عدد كبير تلقى فيها دروس ومحاضرات .

٤- دور المطالعة : اختارت الجماعة لنشر دعوتها إنشاء دور المطالعة في مختلف المدن تضم عددا من الكتب والجرائد والمجلات لقراءة الرواد .

٥- المدارس والمعاهد: أنشأت الجماعة بعض المعاهد والجامعات لتحقيق غايتها المنشودة [٢] مثل جامعة الفلاح بأعظم كره .

---

(١) - انظر : دعوة شيخ الإسلام ١١٧ ، نقلا عن الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ص ١٦ ، ٢١ .

(٢) - انظر: أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي ١١٣ - ١١٤ مختصرا، أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ٢٠٠ - ٢٠٢ .

* الانتشار ومواقع النفوذ *

تتمركز الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية، ومركز الجماعة في الهند عاصمتها دهلي، وفي الباكستان هو مدينة المنصورة بلاهور .

وعلى الرغم من أن لأفراد الجماعة قيادات متعددة في كل من بنغلاديش والهند وسريلانكا وكشمير وغيرها إلا أنها جميعا ذات اتجاه وفكر واحد لا يختلف كثيرا من منطقة إلى أخرى ، وللجماعة وجود ونشاط في الدول الغربية بين أفراد الجالية من شبه القارة الهندية [١] .

* بعض المآخذ على الأستاذ المودودي *

لا يفوتني – ونحن بصدد تعريف الجماعة الإسلامية – أن أشير إلى بعض المؤاخذات التي انتقدت الأستاذ المودودي رحمه الله ؛ لأنّ الجماعة تتبنّى آراء الأستاذ المودودي رحمه الله بدون رد أو مناقشة بالنواجذ وعضت عليها ، ومنها آراء عليها انتقادات معروفة لمخالفتها الشريعة الإسلامية ، وهي الآراء التي تدور حول مسألة القيادة والإمامة والزعامة وإحداث الانقلاب فيها ، فهو يجعل «الغايات» وسائل لتحقيق المآرب السياسية ، ويرى أن الرسل لم يبعثوا إلا لذلك ، ويمكن تحديد محور دعوته في ضوء كتاباته بالنقاط التالية :

١– **مسألة القيادة والإمامة مسألة المسائل:** قال الأستاذ المودودي: « لعله قد تبين لكم من كتاباتنا ورسائلنا أن غايتنا النهائية التي نقصدها من وراء ما نحن بصدده

---

(١) – الموسوعة الميسرة ٢١٦ .

الآن من الكفاح، إنما هي إحداث الانقلاب في القيادة ...[١] » .

وقال: « إنّ مسألة القيادة والزعامة هي مسألة المسائل في الحياة الإنسانية وأصل أصولها »[٢] وهذه مخالفة صريحة لما جاء ت به الرسل من الدعوة إلى التوحيد ، وتصحيح عقائد الناس ، وهذه هي مسألة المسائل – بحق – التي خلق الله من أجلها الخلق ، وأرسل الرسل ... .

ب - **أصل الألوهية السلطة**: لما كانت غاية الدين الحقيقية – عند الأستاذ المودودي– إقامة نظام الإمامة ، قرّر في كتابه المصطلحات الأربعة [٣] في القرآن : أنّ حقيقة الألوهية والربوبية هي السلطة والحاكمية ، كما يقول : « فخلاصة القول : إنّ أصل الألوهية وجوهرها هو السلطة سواء كان يعتقدها الناس من حيث أن حكمها على هذا العالم من وضع الحكم المهيمن على قوانين الطبيعة ، أو من حيث أن الإنسان في حياته الدنيوية مطيع لأمرها وتابع لإرشادها [٤] » .

وقال بعد سرد بعض الآيات بهذا الصدد : « ففي جميع هذه الآيات لا نجد من أولها إلى آخرها إلا فكرة رئيسية محيطة بجميعها ألا وهي أن كلا من الألوهية والسلطة تستلزم الأخرى ، وأنه لا فرق بينهما من حيث المعنى والروح » [٥] .

---

(١) – دعوة شيخ الإسلام ١١٧ ، نقلا عن الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ص ١٦ .

(٢) – دعوة شيخ الإسلام ١١٧ ، نقلا عن الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ص ٢١ .

(٣) – المصطلحات الأربعة : هي الإله والرب والعبادة والدين .

(٤) – المصطلحات الأربعة في القرآن ٢٤ .

(٥) – المرجع السابق .

ولا أراه مصيبا فيما ذهب إليه ، فهو مخالف لما درج عليه علماء السلف من هذه الأمة .

ج - **العبادات وسائل لتحقيق غاية الإمامة:** انطلاقا من هذا الفهم جعل العبادات الإسلامية وسائل لتحقيق تلك الغاية، فقال: « هذه هي الغاية التي من أجلها فرض الإسلام عبادات الصلاة والصيام والزكاة والحج، والتعبير عنها بالعبادة لا يعني أنها هي العبادة ليس غير، بل معنى ذلك أنها تعدّ الإنسان لتلك العبادة فكأنها مقررات تدريبية لازمة لها [(١)] » .

هذه الأمور هي الغاية النهائية لدعوة الأستاذ المودودي، ولا ريب أن هذا خلاف منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى .

ولقد قام عديد من العلماء بالرد على آراء الأستاذ المودودي وتصريحاته في غاية الدين ، منهم : شيخ الحديث العلامة محمد الغوندلوي ١٣١٥ - ١٤٠٥ هـ في كتابه « تنقيد المسائل» على بعض كتابات الأستاذ المودودي فقال: « إنّ الهدف الأول لخلق الإنسان هو العبادة؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات ٥٦] وهذه هي غاية بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية ...[(٢)] » .

وبين أنّ الشيخ المودودي أخطأ في تعيين مفهوم العبادة تبعا للفلاسفة فخلط بين الغاية والوسيلة، فبالتالي تتابعت الأخطاء الأخرى الكثيرة في كتاباته[(٣)] .

والدكتور ربيع هادي المدخلي ؛ فقد ذكر في كتابه « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله

---

(١) - دعوة شيخ الإسلام ١١٩ ، نقلا عن نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية ١ / ١٣ .

(٢) - دعوة شيخ الإسلام ١٣٣ ، نقلا عن تنقيد المسائل للغوندلوي ١٥ .

(٣) - دعوة شيخ الإسلام ١٣٣، نقلا عن تنقيد المسائل للغوندلوي ٣٤ .

فيه الحكمة والعقل » قول المودودي : « ولذلك سعى كل نبي وكل رسول لإحداث الانقلاب السياسي، فمنهم من اقتصرت مساعيه على تمهيد السبيل وإعداد العدد كإبراهيم عليه السلام، ومنهم من أخذ فعلا في الحركة الانقلابية ولكن انتهت رسالته قبل أن تقوم على يده الحكومة الإلهية كعيسى عليه السلام، ومنهم من بلغ بهذه الحركة منازل الفوز والنجاح كموسى عليه السلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم(١) » .

ثم علق عليه الدكتور المدخلي بأربعة تعليقات علمية، وقال في النهاية: « وعلى كل حال هذا يعطي صورة غريبة عجيبة رهيبة عن الأنبياء لم يصورها القرآن ولا السنة، ولا عرفها علماء الإسلام، برّأ الله الأنبياء منها ونزّههم عنها (٢) » .

وعلّق الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه: التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ المودودي على قوله:« هذه هي الغاية التي من أجلها فرض الإسلام عبادات الصلاة والصوم والحج والزكاة ...(٣) » قائلا: « إنّ العبارة المذكورة أعلاه تدل دلالة واضحة على أن العبادات ... في الواقع وسائل إلى غاية أخرى هي: الطاعة وتأسيس الحكومة الإلهية وإعادة التنظيم إلى الحياة على حين ينص القرآن الكريم أن الجهاد والحكومة وسيلة، وإقامة الصلاة هي الغاية، ولندع القرآن يقرر ما هي الغاية، وما هي الوسيلة ؛ اقرأوا معي الآيات التالية من سورة الحج : ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

---

(١) – منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ١٦٠ ، نقلا عن تجديد الدين للمودودي ٣٥ .

(٢) – منهج الأنبياء في الدعوة إلى ١٦٣ .

(٣) – نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية ١٣/١ .

عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج ٤٠ - ٤١] » (١).

ويلاحظ أنّ الأستاذ الندوي كان في بداية أمره من الموافقين للجماعة الإسلامية ثم اعتزل عنها كما اعتزل غيره من العلماء لأسباب هم أعرف بها، ومن أبرزهم: الأستاذ أمين حسن إصلاحي والأستاذ أسرار أحمد والأستاذ وحيد الدين خان والشيخ منظور أحمد النعماني والأستاذ الطبيب عبيد الله الكاشميري .

وكل هؤلاء كتبوا كتابات مستقلة في الرد على الأستاذ المودودي وكثير من آرائه وأفكاره، كما قام بالرد عليها العلامة محمد إسماعيل السلفي والشيخ صوفي نذير أحمد الكاشميري ، والعلامة ثناء الله الأمر تسري ، والشيخ عبد الله الأمر تسري الرويري ، والشيخ عبد الرؤوف الرحماني ، والعلامة محمد داود راز الدهلوي ، والحافظ صلاح الدين يوسف ، وغيرهم(٢) .

ومما يؤاخذ على الأستاذ المودودي أنه كتب في المجال السياسي الشيء الكثير ... وقصر في جانب العقيدة ومحاربة البدع والشرك ومظاهره تقصيرا واضحا مع أنّ بلاده التي نشأ فيها أشد بلدان الله حاجة إلى دعوة الأنبياء ...

وإضافة إلى ذلك هناك مخالفات أخرى منتشرة في كتابات الأستاذ المودودي - رحمه الله - لأنه دخل في بعض المواضع الشائكة التي لم يكن يحسنها، وبعد تنبيه من العلماء عليها لم يرجع عنها .

---

(١) - دعوة شيخ الإسلام ١٢٩ نقلا عن التفسير السياسي للإسلام ١١٠ - ١١١ .

(٢) - انظر: زوابع في وجه السنة قديما وحديثا لصلاح الدين ١٧٢ .

ومن هذه المخالفات :

ا – **تأويل آيات الصفات مثل تأويل اليد بالذات والنفس في تفسير قوله تعالى** :(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)(١) .

ب – **موقفه الضعيف من الحديث ومنهج المحدثين** ، وإيراد الشبه في الإسناد والمتن ، وتقديم الدراية على الرواية ، والحكم على الحديث بالذوق والوجدان ، ورد بعض أحاديث الصحيحين ، مثل حديث : « لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلاَّ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ » (٢)، وحديث سليمان عليه السلام : « لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي(٣) » وحديث الجساسة (٤) .

ج – **موقفه الضعيف من الصحابة**(أمثال عثمان بن عفان ، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم رضي الله عنهم) وذلك في كتابه « خلافت وملوكيت » ما جعله الشيعة شبكة يتصيدون بها سفهاء الأحلام وضعاف العقول من المسلمين لإساءة الظن

---

(١) – يس ٧١ . انظر : تفهيم القرآن للمودودي ٤ / ٢٧٠ .

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه ٤ / ٤٥٨ ، ح : ٣٣٥٨ ، ومسلم في صحيحه ٤/١٨٤٠ ، ح : ٢٣٧١ .

(٣) – أخرجه البخاري في صحيحه ٦ / ٤٩٢ ، ح : ٥٢٤٢، ومسلم في صحيحه ٣ / ١٢٧٥، ح : ١٦٥٤ .

(٤) – أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٢٢٦١ ، ح : ٢٩٤٢، انظر : رسائل ومسائل للمودودي ٢ / ٣٤ – ٣٨ ، تفيهم القرآن ٣ / ١٦٨ ، ولمناقشة هذا الموقف بالتفصيل ينظر كتاب زوابع في وجه السنة بعنوان « لحظات مع السيد أبي الأعلى المودودي في رحاب السنة ٨٥ – ١٧٣ ، وكتاب « حجية حديث » للشيخ محمد إسماعيل السلفي .

بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[١] .

نكتفي بهذا القدر لتعريف الجماعة الإسلامية ، ونسأل الله أن يجازي الأستاذ المودودي خير الجزاء على ما قدم للإسلام والمسلمين ، ويتجاوز عن ما صدر عنه من المخالفات ، ويوفق أعضاء الجماعة ليتداركوها ، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وبهذا انتهينا من التمهيد ونفتح صفحة جديدة لندخل في صلب الموضوع ألا وهو جماعة التبليغ في الهند ، وسنفصل الكلام عنها في الفصول التالية بمشيئة الله تعالى .

---

(١) – انظر : خلافت وملوكيت للمودودي ١٠٦ – ١٠٨ ، ١٢٤ – ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤٨ – ١٥٣ ، ولمناقشة هذا الموقف بالتفصيل ينظر : كتاب « خلافت وملوكيت كى تاريخى وشرعى حيثيت » للحافظ صلاح الدين يوسف .

* الفصل الأول *

نشأة جماعة التبليغ ، تطورها ، وموجز عن تاريخها ،

وفيه ثلاثة مباحث :

* المبحث الأول : الأسباب التي دعت إلى إنشائها .

* المبحث الثاني : نشأتها، وتطورها .

* المبحث الثالث : أبرز شخصياتها .

* المبحث الأول *

الأسباب التي دعت إلى إنشائها

نشأت جماعة التبليغ بدلهي عاصمة الهند في العقد الخامس من القرن الرابع عشر من هجرة سيد البشر على يد الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي رحمه الله ، وقبل أن ينشئ الجماعة مارس الأساليب التقليدية في عملية الإصلاح ، وهي إنشاء المدارس والكتاتيب كما كان أبوه [(١)] وأخوه محمد [(٢)] قائمين بتعليم أطفال المسلمين وتثقيف الطلاب الأميين في مسجد[(٣)] بجنوب دهلي ، وكان أكثر هؤلاء الطلاب من منطقة « ميوات »[(٤)] التي كانت تغلب عليها الأمية والبعد عن الحضارة الإسلامية ، والخضوع للعادات والتقاليد الهندوكية ، وكان هذا المسجد ، وهذه المنطقة التي أقام بها والده وأخوه مدخلا لهذه الولاية ، وبعد وفاتهما انتقل الشيخ محمد إلياس من مدرسة مظاهر العلوم

---

(١) – هو الشيخ محمد إسماعيل بن غلام حسين الكاندهلوي، توفي في ٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ بمدينة دهلي، ودفن بمركز نظام الدين المقر الرئيسي للتبليغيين .

انظر: مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت للندوي ٤٦ – ٤٧ .

(٢) – هو محمد بن محمد إسماعيل الكاندهلوي، توفي في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ هـ .

انظر: المصدر السابق ص ٦٥ .

(٣) – هو المسجد الذي كان شهيرا باسم بنكلا والى مسجد، وهو الآن مقر المركز الرئيسي للتبليغيين بنظام الدين، دهلي .

(٤) – وهي منطقة في مديرية هريانة في جنوب دهلي .

بسهارنفور إلى هذا المسجد على إذن من شيخه خليل أحمد السهارنفوري [١] رئيس المدرسة آنذاك .

واستقر في مقر والده وأخيه بدهلي، وأفزعه بقاء أهل «ميوات» على جهلهم وأميتهم الغاشية والخضوع للتأثيرات الهندوكية ، فلم ير علاجهم إلا في نشر العلوم الدينية والأحكام الشرعية بينهم، فأقبل على إنشاء كتاتيب وبثها في القرى والأرياف، وعين فيها مدرسين وواعظين تربوا على يد الشيخ أشرف علي التهانوي [٢] ، وقد وصلت الكتاتيب في

---

(١) – هو خليل أحمد بن مجيد علي الأنصاري الحنفي السهارنفوري ، درس في دار العلوم بديوبند ومدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ، ثم عمل أستاذا فيهما ، وتولى رئاسة التدريس في مدرسة مظاهر العلوم وتولي نظارتها سنة ١٣٢٥ هـ ، وبايع الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وأجازه الحاج إمداد الله المهاجر المكي بمكة في الطرق الصوفية .

توفي الشيخ خليل أحمد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٦ هـ ودفن بالبقيع ، ومن مؤلفاته : « بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » و« المهند على المفند » . انظر : نزهة الخواطر ٨ / ١٣٣ – ١٣٦ .

وهذا الكتاب « المهند على المفند » يعتبر وثيقة عقائدية متفقة لدى الطائفة الديوبندية وهو محشو بكثير من العقائد والأفكار التي لا تتفق مع عقائد السلف وعليه تصديقات وتوقيعات من كبار العلماء الديوبنديين قديما وحديثا .

وبايع على يد الشيخ خليل أحمد خلق كثير منهم مؤسس جماعة التبليغ الشيخ محمد إلياس والمشرف على الجماعة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

(٢) – تبليغي تحريك كي ابتداء اور اس كى بنيادى اصول لميانجي محمد عيسى فيروز پورى ١٢ .

بضع سنوات إلى مائتين وستين مدرسة لتعليم القرآن الكريم[١] ، وقد نفع ذلك بعض النفع ولكنه لم يأت أكله على المطلوب .

وتوصل الشيخ إلى نتيجة أن سعيه ومجهوداته لم تثمر الثمرة المرجوة لأسباب عدة :

ا – إنّ هذه الكتاتيب والمدارس التي أنشئت لتعليم القرآن الكريم لم تهتم بتثقيف الطلاب وتربيتهم تربية إسلامية .

ب – إن الطلبة الذين يتخرجون في مثل هذه المدارس يضيعون ويغرقون في بحر

= وأشرف علي : هو أشرف علي بن عبد الحق الحنفي الجشتي التهانوي ، تخرج في دار العلوم ديو بند ، ثم سافر إلى الحجاز ، وأخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله المهاجر المكي ، ثم رجع إلى الهند ودرس في مدرسة جامع العلوم بكانفور مع اشتغاله بالأذكار والأشغال الصوفية حتى غلبت عليه الحالة ، وصار مرجعا في التربية والإرشاد .

يقول عنه صاحب نزهة الخواطر : انتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين والإطلاع على غوائل النفوس ومداخل الشيطان ومعالجة الأدواء الباطنية والأسقام النفسية ، وكانت له زاوية لها قيود والتزامات ، توفي في عام ١٣٦٢ هـ ودفن بتهانه بهون .

وله مصنفات كثيرة منها : بهشتي زيور ، وأنوار الوجود وأطوار الشهود ، التكشف عن مهمات التصوف ، حكايات أولياء ، مناجات مقبول ، ولا يفوتني أن أنبه على أنه كان يحمل معتقدات لا يقرها دين الإسلام كما نجد أن بعض كتبه محشو بالقصص والحكايات الخرافية والأبيات الشركية ، وستأتي نماذج منها حينما نتحدث عن عقائد الجماعة . والجدير بالذكر أن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس قد حاول نشر تعليمات التهانوي على طريقته التبليغية .

ينظر لتفصيل ترجمة التهانوي : نزهة الخواطر ٨ / ٥٦ – ٥٩ .

(١) – تاريخ دعوت وتبليغ لمحمد عبيد الله بلياوي ٥٢ .

الظلمات والضلالات من الجهل واللادينية، وإن كان بعضهم قد درس شيئاً من العلوم الشرعية .

ج – إنّ هذه المدارس والكتاتيب لا تقوم إلا لتعليم الأولاد الصغار غير المكلفين ، أما البالغون العاقلون المكلفون بالأحكام الإلهية فليس لهم حظ في التربية والتعليم في مثل هذه المدارس .

د – لا يمكن تعليم القوم أجمعين بالعلوم الدينية الأساسية وتربيتهم تربية إسلامية عن طريق المدارس والكتاتيب مهما كثر عددها[١] .

يتحدث عنه أبو الحسن الندوي فيقول : وفي إحدى الجولات واجه الشيخ محمد إلياس شابا قدمه أهالي ميوات وأثنوا عليه بأنه أول شاب حفظ كتاب الله من مدرسة فلانية بميوات، ولكنه حينما رآه الشيخ حالق اللحية بمظهر غير إسلامي صورة وسيرة، فتأثر وتكدر حتى يئس من هذه الكتاتيب[٢]، ووجد أن بغيته لا تتحقق بهذه الطريقة ، ولكنه مع ذلك كان يزور منطقة ميوات من حين إلى آخر، ويقوم بالتوجيه والتذكير ويفيض عليهم بالفيوض الدينية والروحانية[٣] حتى دخل كثير من الناس في سلسلته وبايعوا على يده .

وفي ربيع الأول سنة ١٣٤٤ هـ حضر شيخه الشيخ خليل أحمد السهارنفوري منطقة ميوات مع جماعة من العلماء والصالحين ملبيا دعوتهم وتحقيقا لرغبتهم ، فجاء جمع حاشد

---

(١) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٨٧ – ٨٨ .

(٢) – تاريخ دعوت وتبليغ ٥١ – ٥٢ ، مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٨٩ .

(٣) – هذا ما سطره الأستاذ أبو الحسن الندوي ، ويؤسفنا أن يصدر على لسانه مثل هذه التعابير التي لا تتفق مع العقيدة الصحيحة .

لزيارته ويايعهم الشيخ السهارنفوري[١] على الطرق الصوفية المعروفة في الهند .

ثم يئس الشيخ محمد إلياس وملّ فأراد أن يفوّض الأمر إلى بعض الإخوة في مسجد نظام الدين وهم يقومون بالإشراف على الكتاتيب بميوات ، أما هو فيهاجر إلى المدينة المنورة ويقيم فيها ، لذا سافر في شوال سنة ١٣٤٤ هـ مع شيخه خليل أحمد السهارنفوري لأداء الحج ، وبعد أدائه حضر المدينة المنورة للقيام فيها، واعتكف في المسجد النبوي[٢] .

يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا فيقول : « وفي هذا السفر أثناء إقامته بالمدينة أُمر من قبر [٣]النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر (بالتبليغ) أمره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِذْهَبْ إِلَى الهِنْدِ ، إِنَّا نَسْتَعْمِلُكَ » .

كان يقول الشيخ محمد إلياس: فمضت أيام في قلق واضطراب بأنني ضعيف لا أعرف إلقاء المحاضرات والخطب ولا أبين الكلام[٤] ، فماذا أعمل ؟

وبعد أيام ذكرت لأحد العارفين وهو الشيخ السيد أحمد رحمه الله الشقيق الأكبر لشيخ الإسلام حسين أحمد المدني رحمه الله، فقال: لا داعي للقلق؛ لأنه ما قيل: إنّك تعمل . بل قيل : إنا نستعملك، فيستعمل المستعمل، فسكن القلب ، وبعد عودته إلى الهند بدأ حركته التبليغية [٥] .

---

(١) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٩٠ بالتصرف .

(٢) – تاريخ دعوت وتبليغ ٥٢ ، مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٩٠ .

(٣) – ومما يؤسفنا أن الشيخ محمد زكريا وجماعته يؤمنون بمثل هذه المعتقدات التي تخالف عقيدة السلف الصالح .

(٤) – لأنّ في لسانه كانت لكنة، سوانح مولانا محمد يوسف لمحمد ثاني حسني ١٤٦ .

(٥) – صقالة القلوب ١٩٣ – ١٩٤، مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٩١ .

هذا الذي ذكره الشيخ محمد زكريا وأشار إليه الشيخ أبو الحسن الندوي ، فهما يقرران سبب نشأة الجماعة أنه أمر نبوي للشيخ محمد إلياس ، لكن هل جاء ه الأمر مناما أم يقظة ؟ لم أقف على إجابة هذا السؤال عندهما ، أما الشيخ عبيد الله البلياوي[١] فقد صرح أنه حصل في المنام [٢] .

وعلى كل حال فبعد أن أمر بالتبليغ على وجه الإجمال وقلق بشأن هذا الأمر جاء ه تفصيل العمل في رؤية منامية كما يذكر مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس أن طريقة التبليغ ألقيت عليه في المنام، فهو يقول : « في هذه الأيام تُلقى عليّ العلوم الصحيحة في المنام، فحاولوا أن يأتيني النوم كثيرا [٣] ، وكاشفت على هذه الطريقة للتبليغ في المنام أيضا، وألقي عليّ تفسير الآية : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

(١) – هو عبيد الله بن عبد القدير البلياوي ، ولد عام ١٣٣٥ هـ في قصبته بليا بالهند ، وارتحل إلى مدرسة مظاهر العلوم ، وتخرج منها عام ١٣٦٠ هـ ، وانتسب إلى جماعة التبليغ في عهد الشيخ محمد إلياس حينما كان طالبا ، وبعد ما تخرج وقف حياته للجماعة وقام بالجولات الدعوية في معظم أقطار العالم ، وكان من أهم أركان الجماعة وأبرز رجالها ، كما كان مستشارا خاصا للشيخ محمد يوسف ومن المرافقين له في الحضر والسفر ، وللشيخ إنعام الحسن في شئون الدعوة والتبليغ ، ومكث في الحجاز سنوات ، توفي عام ١٤٠٩ هـ في نظام الدين بدهلي .

انظر : بحث حميد الله ٤٨ ، حضرت مولانا إنعام الحسن ٤١١ .

(٢) – تاريخ دعوت وتبليغ ٥٢ – ٥٣ .

(٣) – يقول الشيخ محمد منظور النعماني: كان يأتيه النوم قليلا في ذلك الزمن بسبب الحزازة والقشرة فقمت بدهن رأسه بالزيت بمشورة من الأطباء والدكاترة فازداد نومه . ملفوظات مولانا محمد إلياس ٥١ .

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران ١١٠] في المنام إنك أخرجت للناس مثل الأنبياء عليهم السلام (وفي التعبير عن هذا المعنى بـ « أخرجت » إشارة إلى أن العمل لا يكون في مكان واحد بل يحتاج فيه إلى رحلات وجولات إلى بلاد ، وعملك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأشير بقوله ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ أن نفس إيمانك يرقى ويزدهر وإلا فحصول نفس الإيمان معلوم من ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ فلا تقصد هداية الآخرين بل إنو نفع نفسك ، والمراد من قوله : ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الأعاجم سوى العرب ؛ لأنه قيل فيهم : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [(١)] ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [(٢)] والمراد من ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ العرب، والمراد من ﴿ الناس ﴾ غيرهم من الأعاجم ...[(٣)] .

يؤكد ذلك الشيخ عبيد الله البلياوي فيقول : إنّ الله علّم الشيخ محمد إلياس هذه الطريقة التبليغية في المنام، وأمره أن يقوم بالتبليغ على هذه الطريقة فيفوز ويفلح – إن شاء الله – وسيتم إصلاح العالم كله، فرأى في المنام أنه ذهب إلى قرية وطلب منهم الأوقات للخروج في سبيل الله ثم شكل جماعة واختار لهم أميرا منهم كما اختار معلما ومقرءا ثم أخرجهم من المسجد بعد الدعاء إلى قرية، ورأى هذا كله في المنام فبادر إلى دهلي، وأخذ عدة أنفار ثم جاء إلى مدرسته وأخذ عدة أشخاص ثم ذهب بهم إلى ميوات ليُخرج الجماعات التبليغية كما رآها من كل قرية [(٤)] .

---

(١) – الغاشية ٢٢ .

(٢) – الأنعام ١٠٧ .

(٣) – ملفوظات مولانا محمد إلياس ٥١ – ٥٢ .

(٤) – تاريخ دعوت وتبليغ ٥٣ – ٥٤ .

وإذا كنا نفهم من الشيخ محمد إلياس أن تفصيل العمل التبليغي جاء ه مناما نجد الشيخ ميانجي محمد عيسى الفيروزبوري[١] يقرر أن الشيخ محمد إلياس قد استفاد هذه الطريقة التبليغية والخروج فيها من أهل فيروزبور ميوات .

فهو يقول : ذات مرة أبدى أهل فيروزفور رغبتهم للشيخ محمد إلياس أن يقيم لديهم أسبوعا أو عشرة أيام كما كان يقيم أخوه لديهم من قبل لكي يستفيد منه أهالي المنطقة ويستفيضوا حتى يصلح بالهم ولكن الشيخ ردّهم قائلا: أنا أفكر في ميوات كلها فكيف أقيم في قريتكم فقط، وأنتم متعلمون وفي قريتكم يوجد النشاط الديني والمدرسة أيضا، فأنتم تجتهدون بأنفسكم، وأنا أزوركم من حين إلى آخر .

فقالوا : نحن نبذل الجهود ولكنها بدون جدوى ، قال : كيف جهودكم ؟ فقالوا : نحن ندخل الأولاد في المدارس ونحضر الكبار للصلاة بالجولات ، فلما سمع الشيخ اسم الجولة جلس مصغيا إليهم وقال : وما هي الجولة ؟ فقالوا : نحن نخرج جماعات إلى الناس، ونرغبهم لأداء الصلوات، ونأتي بهم إلى المساجد .

فلما سمع الشيخ قال: لأشاهدن جولتكم هذه ، فأيّ يوم تتجولون ؟ لأحضر فيه ... وحضر الشيخ في اليوم المعين ، وأصرّ أن يشاهد الجولة ، فخرجوا بعد المغرب ، وتجولوا وعادوا إلى المسجد بأناس ما كانوا يصلون من قبل ، ورافقهم الشيخ في هذه الجولة ، وفرح وابتهج بها ووعظهم بعد صلاة العشاء ثم قال بعد الوعظ للخواص: لقد أعجبتني جدا جولتكم ، ولكنني سأقوم ببعض الإصلاح فيها، وأرجو منكم أن تتجولوا هكذا في القرى

---

(١) – مؤلف عدة كتب للتعريف عن جماعة التبليغ منها : تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ، تبليغ كا مقامى كام ، مكتوبات اكابر تبليغ .

الأخرى ، والإصلاح الذي أريده منكم أن تختاروا أميرا لكم ، والآخر متكلما، والباقون يشتغلون بالذكر .

وفي البداية كانوا يهتمون بأمر الصلاة فقط ولكن الشيخ وجههم أن يستمعوا من الناس كلمتهم أيضا (١) .

ومما يستغرب وأنا أبحث عن أسباب نشأة الجماعة أن أقف على كلام الشيخ محمد إلياس بن قاري بنده إلهي الميرتي يقرر فيه أن سبب نشأة الجماعة نُفرة العالم من المذهب الحنفي ، فكأنما الشيخ أنشأ الجماعة ترويجا للمذهب فيقول : « إنّ مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس نور اللّه مرقده حينما مدّ بصره إلى أطراف الدنيا فأحسّ أنّ العالم كله متنفر عن المذهب الحنفي والمسلمون أنفسهم يعرضون عن العمل به .

واللاشعورية رائجة في كل مكان ، فثارت غيرته الإسلامية ، وقام بكل قوته ونذر نفسه للّه حتى قامت حركته التي تسمى بجماعة التبليغ ووُجد ببركتها الشعور الديني بين المسلمين وتطورت هذه الحركة حتى انتشرت في قليل من الزمن على الصعيد الدولي وطار صيتها ...»(٢)

ومع هذا الاختلاف والاضطراب في الأسباب التي دعت إلى إنشاء هذه الجماعة_كما يزعم أصحابها - بامكاننا أن نلخصها فيما يلي :

١- شعور الشيخ محمد إلياس بالهم العميق لإصلاح مجتمعه وبني جنسه .

---

(١) - تبليغي تحريك كي ابتداء ... ١٣ - ١٦ ملخصا .

(٢) - كيا تبليغي كام ضروري هي محمد إلياس ميرتي ٤ .

وانظر: تبليغي جماعت كا اسلام ٤٩ .

٢- عدم قناعته بالأساليب التقليدية من المدارس وغيرها .

٣ - امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره من قبره في المدينة المنورة .

٤ - الرؤيا المنامية التي رآها الشيخ محمد إلياس .

٥ - شعوره بالضعف الديني العام .

٦ - شعوره بضعف المذهب الحنفي خاصة .

* المبحث الثاني *

نشأتها وتطورها

نقطة الإنطلاق للحركة التبليغية : قد عرفنا في المبحث الأول أن منطقة ميوات وأهاليها كانت لهم صلة وطيدة مع الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي منذ عهد والده وأخيه حتى تمت بيعتهم على يد الشيخ محمد إلياس وشيخه خليل أحمد السهارنفوري، ولهذا لما أُمر الشيخ محمد إلياس من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وألهمه الله تعالى في المنام حسب زعمه، اختار بعد العودة من بلاد الحرمين لتطبيق ما كلف به نفس المنطقة التي كان يزورها مرارا، وكان أهلها معروفين لديه وهم يحسنون الظن به ويعتقدون فيه خيرا .

وتحقيقا لهذا الغرض عقد الشيخ محمد إلياس اجتماعا في حي « فيروز فورنمك » بقرية « نوح » في ولاية ميوات، ودعا الناس إلى أن يخرجوا جماعات ، ويتجولوا بجولات ، وبين لهم الفضائل والأجر والمثوبة عليها حتى تم التشكيل للجماعة، وكانت مشتملة على ستة أشخاص فسر الشيخ بذلك وفرح وذكر لهم الأصول والضوابط وأن يدعوا الناس في جولاتهم إلى إقامة الصلاة وأن يسمعوا كلمة التوحيد منهم ويصححوها إن أخطأوا فيها، فبدأت الجولة في يوم الجمعة بعد الدعاء من الشيخ، وتجولوا أسبوعا كاملا حتى صلوا الجمعة الثانية في قرية « سوهني » بمديرية گورگانوه، والجمعة الثالثة في « تاؤدو » والجمعة الرابعة في « نگينة » .

وكان الشيخ محمد إلياس يحضر في كل جمعة ويبين لهم الضوابط للأسبوع اللاحق .. وفي الأخير ودعهم الشيخ بدعاء كثير وأخذ الوعد منهم أن يواظبوا في المستقبل على الخروج، وهذه كانت أول جماعة تبليغية على الخطوات التي رسمها الشيخ محمد إلياس في حدود سنة ١٩٢٧م[١] .

---

(١) – تبليغي تحريك كي ابتدا اور اس كي بنيادي اصول ١٦ – ١٩، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٤٤، مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٩٢ .

وعلى هذا النمط كان العمل مستمرا في ولاية ميوات عدة سنوات، تتكون الجماعة وتتجول وتحث الناس على الخروج، وهكذا كانت نقطة الانطلاق للحركة التبليغية ثم استمرت على هذا العمل حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من انتشارها في العالم وكثرة المراكز التي تكاد تغطي العالم أجمع .

وقد حج الشيخ محمد إلياس مرة ثالثة في العام ١٣٥١ هـ وبدأ يحدث عن حركته في حله وترحاله ؛ يقول مرافقه في هذا السفر الشيخ احتشام الحسن في رسالته إلى الشيخ محمد زكريا: « جُلّ أوقاته تمضي في الحرم، وتعقد الاجتماعات التبليغية بالتتابع، وتنتشر سمعتها يوما بعد يوم، والشيخ يتكلم عنها دائما في كل مكان[١] » .

وبعد الرجوع من الحج قام الشيخ بجولتين لولاية ميوات وكانت لهاتين الجولتين أهمية بالغة وتأثير كبير في حياة الجماعة، فكان يرافق فيهما في كل وقت على الأقل مائة نسمة .

وكانت الجولة الأولى لمدة شهر، والثانية أقل من شهر، فوسّع دائرة الجماعة، ونشر الجماعات في ولاية ميوات كلها، وقام باصطلاح جديد باسم «پنج كوسة [٢]» يعني الجولة لمسافة عشرة أميال فكان على كل بيت في كل قرية أن يخرج منه في التبليغ لمسافة عشرة أميال، فتدرب هؤلاء تحت رعاية وإشراف مؤسس الجماعة .

* الجولات في خارج ميوات *

ثم رأى الشيخ أن يرسل الجماعات إلى خارج ميوات حتى يتوسع نطاق الحركة، فبدأ يرسل إلى المراكز الدينية والأماكن النائية، فكانت أول جماعة التي أرسلت إلى خارج ميوات هي جماعة الميواتيين من ميوات ؛ أرسلها الشيخ إلى مسقط رأسه كاندهلة، وجماعة أخرى

---

(١) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٩٣ .

(٢) – پنج : خمس، كوس: مسافة ثلاثة آلاف ياردة = ٣ كيلو مترا .

أرسلها إلى رائيفور التي يوجد فيها خانقاه للشيخ عبد القادر الرائيفوري[١]، وشارك فيها حدود عشرة أنفار .

وهكذا بدأت الجماعات والجولات في ميوات وخارجها حتى أخرج الشيخ في عام ١٩٣٣م أكثر من مائتي شخص من ميوات ، وأتى بهم إلى دهلي لمدة شهرين وجمعهم في المسجد الجامع الشهير بدهلي وشكّل الجماعات واختار لهم المناطق والأماكن للجولات ، ثم قام الشيخ السيد حسين أحمد المدني[٢] ملبيا طلب الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ليوجههم

---

(١) – سوانح مولانا محمد يوسف كاندهلوي ١٤٤، مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٩٧ – ٩٨ .

عبد القادر الرائيفوري : هو ابن الحافظ أحمد بن محمد أكرم ، كان من كبار الصوفية ، وله زاوية في رائيفور بالهند ، بايع على يد الشاه عبد الرحيم الرائيفوري ثم حصل على الإجازة والخلافة عنه للمبايعة ، فكان يبايع على الطرق الأربعة المعروفة في الهند ، وكانت علاقة وطيدة بينه وبين أكابر التبليغ مثل الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد زكريا والشيخ محمد يوسف ، توفي عام ١٣٨٢ هـ في باكستان ودفن في مسقط رأسه دهديان ، سركودها بباكستان . ينظر للتفصيل : سوانح حضرت مولانا عبد القادر الرائيفوري للندوي .

(٢) – هو حسين أحمد بن حبيب الله الحنفي المدني ، الملقب بشيخ الإسلام لدى الجماعة ، تخرج في دار العلوم ديوبند ، وعين رئيسا للمدرسين وشيخا للحديث فيها ، ومكث سنوات طويلة في الحجاز ، وكان شديد الانتصار لابن عربي ، يقول عنه صاحب النزهة : « وكان ينتقد شيخ الإسلام ابن تيمية وينكر عليه فيما تفرد به من المسائل والآراء ، شديد الانتصار للشيخ محيي الدين بن عربي » .

ينظر للترجمة بالتفصيل : نزهة الخواطر ٨ / ١١٧ – ١٢١ .

شارك المدني في اجتماعات جماعة التبليغ مشاركة فعالة ، وحث الناس للخروج فيها ، وكان من الذين اكتسبت الجماعة الثقة والشهرة بمشاركتهم وتأئيدهم . بل كان يعتبر من المشرفين على الجماعة ، توفي عام ١٣٧٧ هـ ، وصلى عليه الشيخ محمد زكريا ، ودفن بديوبند في جوار أستاذه الشيخ محمود الحسن ومؤسس الدار محمد قاسم النانوتوي . وطلاب دار العلوم ديوبند إلى يومنا هذا يتبركون ويستفيضون من قبورهم ويراقبون حولها خاصة في أيام الاختبارات . =

ويذكرلهم الإرشادات والتعليمات ، ويودعهم بدعائه ، فأرسلت الجماعات إلى « كَرْنال » و« پاني پَت » وأطراف سهارنفور وكاندهلة ، ثم أمرهم أن يجتمعوا في المكان المحدد بعد مُضي الوقت لكي يحضر هو ويفهمهم بعض القضايا ثم يودعهم .

أما الجماعات التي جالت في أطراف الكاندهلة ، كلّفهم أن يجتمعوا في كاندهلة بعد الانتهاء من الجولات ، فاجتمعوا ، وحضر الشيخ وسُرّ بذلك جدا، ومدحهم وأثنى على جهودهم وخروجهم .

ثم قال : « أيها الأحبة ! أنتم ستون نفرا أريد منكم ثمانية أشخاص يستعدون للذهاب إلى مكان سأرسلهم إليه لثمانية أو عشرة أيام » ولكن الناس كانوا مشتاقين إلى أهاليهم فلم يجبه أحد ، فمازال يرغبهم مدة يومين أحيانا هو بنفسه وأحيانا الشيخ احتشام

= وللمدني مؤلفات عديدة منها « نقش حياة » و « الشهاب الثاقب » وبين في مؤلفاته موقفه الحاقد ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ودعوته ، مثلا يقول : « إن محمد بن عبد الوهاب النجدي ظهر في بداية القرن الثالث عشر من نجد العرب .

وبما أنه كان يحمل معه أفكارا باطلة وعقائد فاسدة فقتل وقاتل أهل السنة والجماعة ، ومازال يكرههم على معتقداته ويستحل أموالهم ، وعدّ قتلهم موجبا للأجر والرحمة ، وآذى أهل الحجاز وبخاصة سكان الحرمين إيذاءً شديدا ، كما تفوه في شأن السلف الصالح وأتباعهم بكلمات هي في غاية الشناعة والوقاحة حتى اضطر كثير منهم إلى مغادرة مكة والمدينة فرارا من إيذائه ، واستشهد على يده وأيد جيوشه آلاف من الرجال المسلمين .

والحاصل أنه كان رجلا ظالما عاصياً فاسقاً سفاكاً ، ومن أجل ذلك ما زالت للعرب ولا تزال عداوة قلبية معه ومع أتباعه بحيث لا يبغضون اليهود ولا النصارى ولا الهندوس كما يبغضون الوهابيين » . الشهاب الثاقب ٥٤ .

ويقول : « وكان محمد بن عبد الوهاب يعتقد بأن كافة أهل العالم وجميع مسلمي البلاد كافرون ومشركون ، وأن قتلهم وقتالهم ونهب أموالهم جائز بل واجب » . الشهاب الثاقب ٥٥ .

الحسن [١] حتى قدّم ميان جي محمد عيسى نفسه لهذه المهمة ، وهو ابن سبع عشرة سنة ففرح الشيخ وعانقه ودعا له كثيرا ثم توجه إلى الآخرين وأثار الغيرة فيهم حتى استعد سبعة آخرون ، فبعثهم الشيخ إلى « تهانة بهون » لخدمة الشيخ أشرف علي التهانوي ، وبين لهم كيف يدخلون لدى الشيخ التهانوي، وكيف يقضون أيامهم القادمة في الجولة ، وودعهم ودعا لهم .

فخرجت هذه الجماعة حسب تعليماته ، ووصلت إلى الشيخ أشرف علي التهانوي بعد أسبوع وكانوا يلتزمون في سيرهم الأذكار والأوراد والنوافل والذكر الجهري .

---

(١)- هو احتشام الحسن بن رؤوف الحسن الكاندهلوي الديوبندي ، تزوج أخت الشيخ محمد إلياس وخليفته ومستشاره الأول ، ومعتمده الخاص ، قضى مدة طويلة من حياته في رفاقته مع جماعة التبليغ ، وأقام سنوات طويلة في المركز التبليغي الرئيسي بنظام الدين دهلي ، وكتب في البداية كتيبات في التعريف عن الجماعة ، توفي سنة ١٣٩١ هـ ودفن بكاندهلة .

وأحب أن أشير إلى أنه تكدر صفوه وتغير رأيه في آخر حياته عن الجماعة ، فهو يقول في كتابه « بندگی کی صراط مستقیم » بعنوان « تنبيه » : « إن الدعوة المنبثقة من مركز نظام الدين دهلي ليس حسب علمي وفهمي موافقا للكتاب والسنة ، ولا بمنهج مجدد الألف الثاني ولا الشاه ولي الله الدهلوي وعلماء الحق فعلى العلماء والمشايخ الذين يقومون بهذه الدعوة والتبليغ أن يجعلوها أولا قبل كل شيء وفقا للكتاب والسنة ، ووفقا لطريقة السلف الصالح وعلماء الحق ، وهذا بعيد عن فهمي وعقلي جدا أن العمل الذي كان في مكان « البدعة الحسنة » مع التقيد البالغ بالأصول والمبادئ في حياة الشيخ محمد إلياس فكيف يُقال فيه أنه من أهم الأمور الدينية مع المبالغة في عدم التقيد بالأسس والقواعد ، وبعد أن تسربت إلى هذا العمل منكرات ، واختلط الحابل بالنابل فلا يمكن القول فيه أنه بدعة حسنة ، وقصدي بهذا هو أداء المسئولية فحسب » .

انظر : حضرت مولانا إنعام الحسن صاحب كاندهلوي ٤٠٩ ، جماعة التبليغ عقائدها ، تعريفها في شبه القارة الهندية ٤٤٩ ، تبليغي جماعت اپني باني کي ملفوظات کی آئینی مین ٥٤ – ٥٧ .

ومكثوا لدى الشيخ التهانوي أسبوعا كاملا يتجولون في قريته من مسجد إلى آخر يدعون الناس إلى إقامة الصلاة، ويصححون نطق كلمة التوحيد إن أخطأوا فيها، وكانوا يعرضون يوميا أعمالهم على الشيخ التهانوي فهو يسمع ويدعو لهم ...(١)

وبعد انتشار هذه الحركة في الهند وتمركزها فيها تمنى الشيخ محمد إلياس أن تنطلق دعوته في بلاد الحرمين ، فسافر في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٥٦ هـ لأداء حجه الأخير .

والشيخ كان يتحدث من بداية سفره إلى نهايته عن حركته ونشاطه، فما حل في محل أثناء سفره إلا عرض دعوته على أهله حتى نزل «بحرة» في طريقه من جدة إلى مكة المكرمة، فجمع عمداءَها ورؤساءها وعرض عليهم دعوته، وكذلك لقي بعض العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل الشيخ محمد سعيد با سلامة مكي، والشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة والشيخ بن بُليهد ... وتم اللقاء مع جماعة الحجاج من البحرين، وتناقشوا في الموضوع ثم عاهدوا أنهم سيبدأون هذه الحركة بعد رجوعهم إلى بلادهم(٢) .

وفي هذا السفر تمّ اللقاء مع جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله في ١٤ مارس سنة ١٩٣٨م ، وقدموا لجلالته عريضة تبليغية فوعظهم جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله حوالي أربعين دقيقة ركّز فيه على التوحيد والالتزام بالكتاب والسنة واتباع الشريعة المحمدية ، ثم ودعهم(٣) .

وقدموا إلى الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة عريضة مشتملة على أهداف التبليغ، وطلبوا منه الإذن العام لنشر الحركة التبليغية ؛ ولكنه علقه على إذن ومشورة من سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز رحمهم الله .

---

(١) – تبليغي تحريك كي ابتداء اور اس كي بنيادي اصول ٢٤ – ٣٦ مختصرا .

(٢) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٠٦ – ١٠٧ .

(٣) – المصدر السابق ١٠٨ .

وكذلك حاولوا أخذ الإذن من أمير المدينة المنورة؛ ولكنه أحال إلى أمير مكة المكرمة .

وعلى الرغم من هذا حاول الشيخ ورفقاؤه اللقاءات الفردية أثناء قيامهم في أرض الحرمين الشريفين، فكانت تخرج الجماعات في مكة المكرمة صباحا ومساء إلى البادية وغيرها، وعقدت عدة اجتماعات في مكة المكرمة وقباء وأحد، تحدث فيها الشيخ وولده الشيخ محمد يوسف ورفقاؤه (١).

وخلال المدة التي استغرقها الشيخ محمد إلياس ورفقاؤه في هذا السفر كان الشيخ محمد زكريا مشرفا ومسئولا للشئون والأمور التبليغية بالهند، فلا تتم معاملة ولا تنفّذ إلا تحت رعايته (٢).

واستشار الشيخ محمد إلياس رفقاءه في البقاء أو العودة إلى الهند، فأشاروا عليه بالعودة، فعاد إلى الهند ، وبعد العودة من الحرمين الشريفين استمر في بذل الجهود لنشر حركته ، فكثرت الجولات والاجتماعات في ولاية ميوات وخارجها، وخرج أهل ميوات إلى ولاية المتحدة الشمالية بالهند في المدن والقرى والأرياف(٣) .

وطلب الشيخ محمد إلياس من أهل ميوات الذين تربوا تحت رعايته للخروج والجولات أن يقيموا بدهلي حتى يراهم ويشاهدهم أهل دهلي ويتأثروا بهم ، فبدأ أهل ميوات يقيمون بدهلي مدة طويلة ، وواجهتهم في بداية الأمر عدة مشاكل حتى بعض الأحيان لم يسمح لهم بالمبيت في المساجد ؛ ولكن مع مرور الزمن زالت المشاكل، وأخذوا مكانة في قلوب الناس بجدّهم ومصابرتهم(٤) .

---

(١) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٠٩– ١١٠ بالتصرف .

(٢) – المصدر السابق ١٠٦، تاريخ دعوت وتبليغ ٥٦ .

(٣) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١١٣،سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٤٩

(٤) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٢١ – ١٢٢ .

ورشح الشيخ محمد إلياس الحافظ « مقبول حسن » [١]أميرا لجميع الجماعات التبليغية بدهلي لترتيبها وتنظيمها .

وكان للشيخ محمد إلياس اتصال قوي مع تجار دهلي لعلاقتهم القديمة مع والده وأخيه ، فكانوا يزورونه مرارا وتكرارا ويساعدونه ويحترمونه احتراما بالغا، مع حضورهم كل ليلة جمعة لاستماع المواعظ والنصائح كما يحضرون الأربعاء الأخير من كل شهر؛ ليستمعوا ما يلقيها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي [٢] .

وكان الشيخ يحرص على سماع ما قامت به الجماعات من أنشطة وأعمال فيحضرون عنده بعد انتهائهم من جولاتهم ، ويخبرونه عن نشاطهم وأعمالهم ، فيوجههم ويقدم لهم النصح والإرشاد ، والذي أحب أن أشير إليه أنه لم يقتصر على طبقة التجار والميواتيين ، بل امتد إلى الطبقة المثقفة ، فكان يحضر طلاب العلوم العصرية من الجامعة الملية الإسلامية بدهلي وأساتذتها [٣] .

* الجماعات إلى المراكز الدينية والزاوية الصوفية*

ويلاحظ الباحث – وهو يدرس نشأة الجماعة – علاقتها الوطيدة بالصوفية ومشايخ الطرق ، تظهر هذه العلاقة عند ما كان الشيخ محمد إلياس يرسل الميواتيين إلى ديو بند [٤]

(١) – كان مرافقا قديما للشيخ محمد إلياس ومجازا للبيعة . سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٤٩ .

(٢)– مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٣٤، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٤٩.

(٣) – مولانا محمد إلياس ... ص ١٣٥ .

(٤) – ديوبند، حيث توجد فيها دار العلوم .

وسهارنفور[١]، ورائيفور[٢]، وتهانة بهون[٣]، ونصحهم أن لا يذكروا في مجالس المشايخ موضوع التبليغ إلا إذا استفسروهم وكان غرضه أن يستفيد هؤلاء من مشايخ الصوفية ملتزمين بطرقهم وآدابهم .

فهو يكتب إلى الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بسهارنفور ما نصه: « إنّ لي أمنية أعيشها منذ مدة طويلة أن تؤم هذه الجماعات بالضوابط الخاصة زوايا مشايخ الطريقة، وأن يستفيدوا منهم في زواياهم متقيدين بآدابها، وتخرج إلى القرى المجاورة للتبليغ في الأوقات المخصوصة ...»[٤].

وقد أكد الشيخ محمد منظور النعماني[٥] هذا الغرض قائلا : « قد رأيت أنا بنفسي

---

(١) – سهارنفور: حيث توجد فيها مدرسة مظاهر العلوم التي كان يدرس فيها الشيخ محمد زكريا .

(٢) – رائيفور ؛ حيث يوجد فيها خانقاه لعبد القادر الرائيفوري .

(٣) – تهانة بهون ، حيث يوجد فيها خانقاه لأشرف علي التهانوي .

(٤) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٢٤ – ١٢٥، جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ١٧ .

(٥) – هو محمد منظور النعماني الديوبندي بن الصوفي أحمد حسين ، ولد في « سنبهل » بالهند عام ١٣٢٣ هـ وتخرج في دار العلوم ديوبند ، وبايع على يد الشيخ عبد القادر الرائيفوري ، وكان مع الأستاذ المودودي حينما أسس الجماعة الإسلامية ثم انعزل عنها ، وانتسب إلي جماعة التبليغ منذ عهد الشيخ محمد إلياس ، وشارك في جولاتها واجتماعاتها مشاركة فعالة حتى أصبح من خواصها وعلمائها وكان من أصحاب الشيخ محمد زكريا ، وصديقا للأستاذ أبي الحسن الندوي .

له مؤلفات عديدة منها : اسلام كيا هى ؟ تصوف كيا هى ؟ ملفوظات محمد إلياس ، كما أصدر « مجلة الفرقان » وأشرف عليها طيلة حياته ، وكان عضوا لمجلس دار العلوم ديوبند ، توفي عام ١٤١٧ هـ في لكنؤ ودفن بها .ينظر للتفصيل : حضرت مولانا محمد منظور النعماني لابنه عتيق الرحمن السنبهلي .

مولانا محمد إلياس رحمة الله عليه أنه كان يهتم اهتماما كبيرا لكل من يتعلق به أو بحركته أن يتعلقوا بالمدارس وعلمائها علاقة وطيدة، ويثقوا فيهم ثقة روحية ، وهكذا أرى مولانا محمد يوسف أيضا أنه يهتم به اهتماما بالغا ويبذل له كل الجهود، لعلكم لا تعرفون ولكنني أنا أبين لكم أن في كل شهر يحضر في خدمة الشيخ مئات أفراد وجماعات من أماكن شتى ومن طبقات مختلفة ، ومن عادته المستقلة أن يحاول بكل إمكانية لكل ذي أهمية من الأفراد والجماعات الواردة إليه أن يرسله إلى ديوبند وسهارنفور ليزور المشايخ ويشاهد المراكز العلمية هنالك .

وهكذا عن طريق هذه الحركة التبليغية يتعرف مئات من الأشخاص من أماكن مختلفة على مراكزنا العلمية، فهم يعودون إلى بقاعهم مع ثقة روحية واعتقاد قلبي لمشايخنا، وبعظمة مراكزنا .

هذه هي خدمة سديدة مركزة وصامتة التي تقام لتلك المراكز العلمية ومسالكها الحقة ... التي لم نتمكن في الغالب من قيامها بمساعينا في حال من الأحوال ...

وأنا أستطيع أن أسمي مئات من الأفراد والأشخاص بل كثيرا من البقاع والطبقات التي لم تكن لهم أي علاقة ومعرفة مع مدارسنا ومشايخنا ولكن التنقلات والحركات التبليغية هي التي قامت بتوعية دينية بينهم، وبهذه الحركة تعرفوا على مدارسنا وجهود مشايخنا الدينية » [(١)].

كما يدل على ذلك قيام الشيخ محمد إلياس بمبايعة كثير من الميواتيين مبايعة صوفية فكان يأخذ العهد منهم بأن يخرجوا في التبليغ ، ويركز على هذا ويبين لهم الأصول

---

(١) – جماعت تبليغ پر اعتراضات كي جوابات ١٣٤ .

والضوابط، فالذين كانوا حديثي عهد ببيعته كأنهم جنود جديدة لهذه الحركة التبليغية [١] .

وقد تقرر في عام ١٣٥٩ هـ أن يتتابع توافد جماعات الميواتيين إلى سهارنفور، ولا تغادرها الجماعة الأولى إلا حين أن تصل إليها الجماعة الثانية ، وكانت الجماعات تقيم سنة كاملة في مدرسة مظاهر العلوم ، ثم استؤجر لهم بيت خاص في محرم سنة ١٣٦٠ هـ ثم تركوه بعد شهور؛ ولكن هذا التسلسل بقي إلى نهاية سنة ١٣٦٢ هـ طيلة أربع سنوات[٢] .

وفي عام ٥٨ – ١٣٥٩ هـ نشرت في بعض الجرائد والمجلات عن هذه الحركة التبليغية ونشاطها، فاطلع الناس الذين كانوا بعيدين عن ميوات ودهلي على هذه الحركة وحضروا وشاهدوا الجماعات والجولات ، فوصلت الحركة إلى تجار « مراد آباد » [٣] ومدارسها [٤] .

وكان من البرنامج في ذلك الوقت للميوات أن يعقد الاجتماع شهريا في أحد أماكن الميوات ويعقد في مدرسة نوح بميوات الاجتماع السنوي تحضر فيه الجماعات التبليغية من دهلي وتجارها والذين كانوا يقيمون بنظام الدين، ويشاركه بعض المدرسين والعلماء من مدرسة مظاهر العلوم ودار العلوم ديوبند ودار العلوم التابعة لندوة العلماء ومدرسة فتحپوري بدهلي[٥] .

---

(١) – جماعت تبليغ پر اعتراضات كي جوابات ١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٣٢ – ١٣٣ .

(٣) – مدينة في الولايات المتحدة الشمالية بالهند .

(٤) – سوانح مولانا محمد يوسف ١٤٩ – ١٥٠ .

(٥) – مولانا محمد إلياس ١٣٨ .

وفي مثل هذه الاجتماعات لا تلقى المحاضرات والمواعظ إلا كشيء ضمني وهامشي، والهدف الأساسي وصلب الموضوع للاجتماعات هو التحريض على الخروج وتشكيل الجماعات الجديدة وإخراجها في الجولات التبليغية .

وكل الجهود كانت تبذل بهذا الصدد، وكان هذا هو معيار ومقياس لنجاح الاجتماعات وفوزها أنه كم من جماعات شكلت للخارج وللجولة والسياحة للولاية المتحدة الشمالية بالهند، وكم من رجال قدموا من أوقاتهم ... وكم من الأوقات استغرقوها في الجولات ... وكلما تشكلت جماعات أكثر وكثر الخارجون كان يبايع ذلك دليلا على نجاح الاجتماع [(١)].

وأثناء قيام الشيخ محمد إلياس هناك كان يبايع كثير من الميواتيين على يده، وكان مما يتعاهد منهم أن يخرج مع التبليغيين .

* الاجتماع التاريخي بنوح *

انعقد اجتماع عظيم بقرية نوح بميوات في ٨، ٩، ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٦٠ هـ، لم يسبق مثل هذا الاجتماع في ميوات .

حضر فيه حوالي خمسة وعشرين ألف نسمة، صلى بهم الشيخ حسين أحمد المدني صلاة الجمعة تحت مظلة الاجتماع، يبدي المفتي كفاية الله انطباعاته عن هذا الاجتماع، فيقول: « إني أشارك منذ خمس وثلاثين سنة في الاجتماعات المذهبية والسياسية؛ ولكن ما رأيت بمثل هذا الاجتماع المبارك » [(٢)].

---

(١) – المصدر السابق ١٤٠ .

(٢) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٤٢ – ١٤٣، سوانح مولانا محمد يوسف ١٥٠

وفي هذا الاجتماع تعارف الميواتيون وتجار دهلي وطلبة المدارس بعضهم على البعض ومن هنا بدأت الجولات التبليغية في أرجاء الهند من پنجاب ويوپي، فخرجت الجماعات إلى خورجة وعلي گرة وآكره وبلند شهر وميرت وپاني پت وسوني پت وكرنال ورهتك ، إلى آخرها ...[1]

وأرسل الشيخ محمد إلياس جماعة إلى كراتشي في صفر سنة ١٣٦٢ هـ الموافق فبراير سنة ١٩٤٣م وأخرى في إبريل سنة ١٩٤٣م، والشيخ يرى أن هذه المناطق مناطق ساحلية ومن هنا تنطلق وتنتشر الحركة إلى سواحل العرب وغيرها، ومن السواحل تدخل في داخل البلدان والأوطان .

وفي رجب سنة ١٣٦٢ هـ خرجت جماعة كبيرة تتراوح بين ثلاثين إلى أربعين من ميواتيين وتجار دهلي إلى لكنؤ ثم لحقهم الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد زكريا والشيخ محمد منظور النعماني وبعض مدرسي مدرسة مظاهر العلوم، وأقامت الجماعة في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكنو، وتجولت الجماعات في أحياء المدينة، وانعقدت عدة اجتماعات، وتم اللقاء مع مشايخ وعلماء لكنؤ .

وقدم الشيخ محمد إلياس على كل من اتصل به في هذا السفر نبذة عن حركته ونشاطها وأصولها ومقاصدها وضوابطها، فلا يترك مجلسا إلا يتحدث فيه عن الخروج مع الجماعة ، وفي النهاية رغب وحثّ الناس بإلحاح للخروج إلى مدينة « كانفور » وبعد جهد جهيد استعد ثمانية أو عشرة أنفار وخرجوا في الجولة التبليغية إلى « كانفور » [2] .

---

(١) – مولانا محمد إلياس ١٤٤، سوانح مولانا محمد يوسف ١٥٠ – ١٥١ .

(٢) – مولانا محمد إلياس ١٤٥ – ١٤٦، سوانح مولانا محمد يوسف ١٥١ .

وهكذا أسس الشيخ محمد إلياس الجماعة التبليغية، وبذل كل غال ونفيس لهذه الحركة ونشرها وتوسيعها حتى وصلت الحركة في حياته إلى معظم مدن الهند وأريافها، فاهتم الشيخ اهتماما كبيرا حتى في مرض موته لا يشغله إلا الكلام والتحدث في الخروج والجولة والسياحة التبليغية إلى أن انتقل إلى الله تعالى في رجب سنة ١٣٦٣ هـ .

* الحركة في عهد الشيخ محمد يوسف *

وبعد وفاة الشيخ انتقلت الإمارة إلى ولده الشيخ محمد يوسف فقد حل محله ، وظهر اهتمامه بالدعوة والأربعينة [١] من أول يوم ، فعندما أراد الناس أن يرفعوا جنازة والده ، أصرّ الشيخ قائلاً : « إنّ الجنازة لا ترفع إلا بعد أن يسجل الناس أسماء هم للشلات »[٢] .

وأرسلت من المركز الرئيسي التبليغي بنظام الدين دهلي إلى جميع المراكز الفرعية رسالة تفصيلية تشمل على نعي الشيخ محمد إلياس وخلافة ولده الشيخ محمد يوسف والتركيز على الجولة والسياحة التبليغية وتطويرها وتوسيعها على الخطوط التي رسمها مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس رحمه الله[٣] .

وباشر الشيخ محمد يوسف أعمال الحركة التبليغية وسار على نفس المنهج الذي وضعه والده مؤسس الجماعة، فبدأ يشارك في الاجتماعات والجولات، ويتفقد النشاطات في مناطق ميوات وغيرها من مدن الهند، وحاول أن يوسع الحركة التبليغية إلى خارج الهند حتى تتوسع وتنتشر في أرجاء العالم كله .

فقد شارك الشيخ في الاجتماع التبليغي المنعقد في ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٣ هـ بقرية نوح في ميوات بعد شهر من وفاة الشيخ محمد إلياس، وحضر فيه عمداء الحي من ميوات وعدة جماعات تبليغية ، وشرفها الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بحضوره، وخطب فيه

---

(١) – يعبرها التبليغيون بالشلّة : و هي اصطلاح خاص لأهل التبليغ يعني به الخروج في الجماعة لمدة أربعين يوما .

(٢) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١١٧ .

(٣) – سوانح حضرت محمد يوسف ٢٠٨ – ٢١١ ملخصا .

العلماء والمشايخ ودعا الشيخ محمد يوسف بكل عزم وهمة عالية وحماسة وحرارة إلى الخروج في السياحة، والناس أصغوا إليه وأكرموه كما كانوا يكرمون والده من قبل، فسجلوا أوقاتهم وخرجت الجماعات إلى أطراف شتى[١] .

وكان الشيخ محمد يوسف يسافر كثيرا إلى رائيفور لزيارة الشيخ عبد القادر الرائيفوري ، والسهارنفور لزيارة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، كما كان يكلف الشيخ محمد يوسف كل من ينتسب إليه وإلى الجماعة التبليغية أن يحضر في خدمة الشيخ حسين أحمد المدني بديوبند والشيخ عبد القادر الرائيفوري، ويقضي أوقاته لديهم ليستفيد منهم [٢] .

* جولتان خاصتان لميوات *

بعدما توفي الشيخ محمد إلياس ظهر اليأس والحزن على أهالي ميوات، فمن كان له علاقة معه من هؤلاء اعتبر نفسه يتيما بعده، فاقتضت الظروف أن يقوم الشيخ محمد يوسف بجولة خاصة للتوجيه والإرشاد لهؤلاء اليائسين ، كما أشار عليه الشيخ محمد زكريا .

لذا قرر الشيخ محمد يوسف القيام بالجولة في مناطق ميوات مع الذين تربوا من قبل وللتزموا الأصول والضوابط من الميواتيين وغيرهم، واستعدادا لهذه الجولة أرسلت الرسائل إلى جميع المراكز الفرعية في أرجاء الهند ليرافقه التبليغيون القدماء، والذين لهم علاقة وصلة به في الجولة الخاصة التي يقوم بها لمناطق ميوات مع رفقائه الكرام .

وبدأت الجولة في نهاية ذي القعدة سنة ١٣٦٣ هـ، واستغرقت اثني عشر يوما بداية

---

(١) - سوانح مولانا محمد يوسف ٢١٣ - ٢١٤ ملخصا .

(٢) - سوانح مولانا محمد يوسف ٢١٨ .

من « رأى سينا » بمديرية كوركانوه، وقامت الجولة في القرى المعمورة بين أودية الجبال، فأقام في بعض القرى يوما واحدا وفي بعضها الآخر يومين، وأصبح في قرية وأمسى في أخرى، وكان يلقي فيهم المحاضرات بكل قوة وحماس، ويدعوهم إلى «الشلات» ويايعهم على البيعة المعروفة، ورجع عن طريق « مانكي » و«رام كرة» إلى مقره بنظام الدين دهلي[١] .

وبعد أيام قام الشيخ بجولة أخرى لميوات التي بدأت من ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ هـ إلى ٢ محرم سنة ١٣٦٤ هـ ، وتجول فيها بين القرى والبوادي الكبيرة بميوات، وانعقدت اجتماعات مهمة أثناء الجولة ، رافقه فيها أساتذة المدارس العربية ، والجدير بالذكر في هذه الجولة أنه تم فيها عقد نكاح جماعي لحوالي خمسة عشر شابا على يد الشيخ محمد يوسف ولقد أصبحت هذه الظاهرة عادة مألوفة في اجتماعاتهم إلى يومنا هذا .

وكذلك تمت فيها البيعات الجماعية على الطريقة الرائجة لدى مشايخه حيث تبسط فيها عمامة أو قماش وربما تربط الأقمشة بعضها من بعض ويمسك المبايعون طرفيها من كبار السن والشباب والأطفال ، وهكذا كانت تتم البيعة على يد الشيخ محمد يوسف ، ويشاهدها الآلاف ، ويتأثرون بها[٢] وكذلك كانت تتم فيها البيعة الجماعية للنساء أيضا[٣] .

ولم يكتف الشيخ بجولتين فقط للميوات بل كان يزورها من وقت إلى آخر طيلة حياته، وقام باجتماعات عديدة في مختلف بقاعها الصغيرة والكبيرة، وكذلك يلزم الشيخ كل جماعة واردة من مدينة من المدن إلى المركز الرئيسي أن تتجول في ميوات وتقضي أيامها بينهم حتى تعود وعليها أثر بارز وعميق[٤] .

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٢١ – ٢٢٤ ملخصا .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٢٢ – ٢٢٤ مختصرا .

(٣) – سوانح حضرت جى ثالث ١ / ١٠٠ .

(٤) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٢٤ – ٢٢٥ .

* الاجتماع العظيم في مراد آباد بالولايات المتحدة الشمالية بالهند:*

لم يعقد في مراد آباد اجتماع كبير في عهد الشيخ محمد إلياس، بل كانت الجماعات تقوم بالذهاب والإياب، وتعقد الاجتماعات الفورية الموقتة، ولكن بعد وفاة الشيخ وفدت جماعات كثيرة من مراد آباد إلى المركز الرئيسي بنظام الدين في دهلي، وكذلك أرسلت جماعات كثيرة إلى مراد آباد حتى لم تبق محطة من محلاتها إلا شكلت لها جماعة .

ومسّت الحاجة إلى قيام الاجتماع العظيم في مراد آباد لانطلاق الحركة وتوسيعها في ولاية يوبي، فانعقد الاجتماع من ٢٧ - ٢٩ سنة ١٣٦٤ هـ في المسجد الشاهي بمراد آباد .

وحضر فيه مع الشيخ محمد يوسف الشيخ عبد القادر الرائيفوري، والشيخ حسين أحمد المدني، والمفتي كفاية الله [١]، والشيخ محمد زكريا، والشيخ أبو الحسن علي الندوي، إضافة إلى العلماء الآخرين .

وشارك فيه عدد كبير حوالي ألف نسمة من خارج مراد آباد وألف من داخلها ،

---

(١) - هو كفاية الله بن عناية الله الحنفي الشاهجهانپوري ثم الدهلوي . أحد كبار العلماء الحنفية في الهند . درس في مدرسة شاهي بمراد آباد ثم سافر إلى دار العلوم ديوبند ، وقرأ على أساتذتها مثل خليل أحمد السهارنفوري ، ومحمود الحسن الديوبندي ، وتخرج منها . وتوجه إلى دهلي في المدرسة الأمينية ودخل في سلك أساتذتها حتى آلت إليه إدارتها ونظارتها وقد بايع في شبابه على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي .وكان له الفضل الكبير في تأسيس جمعية العلماء ، وقد بقي الرئيس لها مدة عشرين سنة ، وكان له ميل إلى السياسة ولكن بعد استقلال الهند انصرف عن المحافل السياسية واعتزل في البيت عاكفا على العلم والإفتاء والذكر والعبادة حتى وافته المنية في دهلي عام ١٣٧٢ هـ ودفن بها .

انظر : نزهة الخواطر ٨ / ٣٧٤ - ٣٧٧ .

وحضر فيه خمسمائة من الميواتيين ، وألقى المشايخ المحاضرات وقاموا بالتعليم وقراء ة حكايات الصحابة وكتب من فضائل الأعمال .

يعتبر هذا الاجتماع أول اجتماع كبير في الولايات المتحدة الشمالية في الهند ، والذين حضروا فيه تأثروا حتى خرجت بعده جماعات إلى « بجنور » و« چاندپور » وذهبت جماعة كبيرة تشمل على مائتي شخص من أهل مراد آباد إلى مركز نظام الدين بدهلي [١].

وحصلت قوة كبيرة من هذا الاجتماع كما أنّ مئات الأفراد الذين لم تكن لهم أية صلة مع هذه الجماعة تمت لهم علاقة وطيدة بها ، وبدأت تخرج الجماعات إلى پشاور والإقليم الساحلي (صوبة سرحد) ؛ لأن الشيخ حسين أحمد المدني والشيخ عبد القادر الرائيفوري وبالأخص الشيخ محمد زكريا أشرفوا طيل حياتهم على هذا العمل التبليغي ، وبإشرافهم وعنايتهم توجه إليه مريدوهم أيضا واعتنوا به فانتشر العمل [٢].

والشيخ محمد يوسف سافر كثيرا لتوطيد الحركة وتوسيعها وعقد اجتماعات تبليغية في معظم مدن الهند ، مثل رائيفور وكانفور وبهوپال ومدراس وعليكره وميرت وبستي وسيكري ، ولم تقتصر أسفاره واجتماعاته على الهند فحسب بل شملت الباكستان بشطريها – الشرقة والغربية – إذ عقد اجتماعات في لاهور وبشاور وكراتشي وراولپندي وراى واند وداكا وچاتكام [٣].

بل بلغت الحركة التبليغية في عهده إلى الأقطار العربية مثل السودان والعراق والشام

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٢٩ – ٢٣٤ ملخصا .

(٢) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٢٤ .

(٣) – ينظر للتفصيل سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٣١٠ – ٣٥٥ .

والأردن وفلسطين ولبنان واليمن وليبيا وتونس والجزائر ومراكش[1] ، كما وصلت إلى أوربا ، وأمريكا ويابان [2]، وإلى أفغانستان ، وتركية ، واندونيسيا ، وملايا ، وبرما ، وسيلون ، حتى إلى أفريقيا [3].

وقد سبق أن أشرت إلى أن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس حاول نشر هذه الحركة التبليغية في أرض الحجاز ، لأن أرض الحرمين هي ملتقى المسلمين ومركزهم الديني ومنطلق الدعوة وعاصمتهم قاطبة ، وإذا تمركزت الدعوة فيها انتشرت بسهولة في أنحاء العالم .

ولذا حينما أخذ الشيخ محمد يوسف زمام جماعة التبليغ ، حاول أن يجعل الحج وموسمه وسيلة مؤثرة لنشر هذه الحركة ، ولتحقيق هذا الهدف خطط الأمور التالية :

١ – أن تقوم الجماعات بالدعوة التبليغية في الأماكن الحساسة التي يجتمع فيها الحجاج مثل محطات القطار الكبيرة ، وملتقى الطرق وقاعة الركاب .

٢ – أن تقوم الجماعات بالجولات في الموانى البحرية التي يمر منها الحجاج .

٣ – الاهتمام بالتعليم والمذاكرة أثناء السفر في بواخر الحجاج [4].

وأول جماعة قامت لهذا الغرض من مراد آباد ودلهي شارك فيها الحاج فضل عظيم مراد آبادي ، والحافظ مقبول حسن الدهلوي – مجاز الشيخ محمد إلياس – وجماعة أخرى

---

(١) – ينظر للتفصيل سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٤٤٣ وما بعدها .

(٢) – = = سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٥٠٤ وما بعدها .

(٣) – = = سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٤٧٢ وما بعدها .

(٤) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٣٩٠ .

بقيادة الشيخ عبيد الله البلياوي الذي ذهب في عام ١٩٤٦م مع جماعته إلى كراتشي ومن ثم إلى أرض الحجاز ، وجماعة ثالثة بقيادة الشيخ سعيد خان ذهبت في عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م من كراتشي بالباخرة « علوي » .

وإضافة إلى ذلك اختار الشيخ محمد يوسف ميناء بمبائي وكراتشي ، وكلف التبالغة ليقوموا بالأعمال التبليغية بين الحجاج [(١)].

وفعلا استشعرت الجماعة مسؤوليتها ، وأدت واجبها في حلها وترحالها وفي حضرها وسفرها كما يكتب الشيخ أبو الحسن الندوي في إحدى رسائله إلى الشيخ محمد زكريا مبينا نشاطاته في الباخرة حيث يقول : « إنّ باخرتنا في الواقع محطة تبليغية ... يقوم مجلس التعليم صباحا ، وتتم الجولة بعد العصر في جميع طبقات وسرادقات الباخرة ، وتتم قراء ة كتب الفضائل [(٢)] صباحا ، وهكذا لسنا محرومين من أنفاسكم ونفائسكم في هذه البلاد النائية » [(٣)].

وبعد ما وصلت الجماعات إلى أرض الحجاز تمركزت في مراكز الحجاج في كل من مدينة الحجاج وبيوت المطوفين ودرور الحجاج ومخيماتهم [(٤)] ورباطاتهم كما جُعل مركز التعليم في الحرم الشريف خلف المصلى الحنفي ، وأقيمت حلقات التعليم بين الحجاج

---

(١) - سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٣٩٤ .

(٢) - كتب الفضائل هي مجموعة من الكتب التي ألفها الشيخ محمد زكريا كالمنهج التبليغي المقرر على التبليغيين وسيأتي الكلام عنه في موضعه ، إن شاء الله .

(٣) - سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٣٩٧ .

(٤) - وقد شاهدت أنا في السنوات الماضية أنهم يتمركزون في مخيمات الحجاج بمنى ويرفعون الحواجز بين المخيمات ويقومون بتعليم فضائل أعمال للشيخ محمد زكريا .

والمهاجرين ، كما قامت الجماعات بالجولات في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وأحيائها وقراها مثل جرول ووادي فاطمة بمكة المكرمة ، ووادي أحد وقبا والعوالي ووادي العقيق بالمدينة المنورة .

وأقام في ذلك الوقت الشيخ عبيد الله البلياوي [١] ، والشيخ محمد نور ميواتي [٢] ، مدة سنة وقد بذلا طيلة إقامتهما كل نفيس وغال في نشر الحركة التبليغية والتعريف بها بين المواطنين والمقيمين في أرض الحجاز [٣].

والجدير بالذكر أن الشيخ أبا الحسن الندوي اختير مندوبا ليعرف جماعة التبليغ بين العلماء والمشايخ والمثقفين والشخصيات الكبار في أرض الحجاز ، لذا سافر إلى الحجاز في عام ١٩٤٧م وقد مكث خمسة شهور وقام بالتعريف حسب الخطة المرسومة [٤].

وفي عام ١٣٦٩/ ١٩٥٠م تم اختيار أربعة أشخاص لتعميم هذا العمل في الحلقات العلمية بالحجاز وهم : الدكتور عبد الله عباس الندوي ، والشيخ محمد رابع الندوي ، والسيد رضوان علي رام فوري الندوي ، والسيد محمد طاهر منصور فوري المظاهري ، ورافقهم الشيخ أبو الحسن الندوي ، وبذلوا جهودا كبيرة في هذا الصدد ، حتى سافروا إلى الطائف لهذا الغرض وأقاموا بها أسبوعا وقابلوا أميرها ، وقاموا بالجلسات في مدرسة دار التوحيد

---

(١) – عبيد الله البلياوي : سبقت ترجمته في ص ٨٥ .

(٢) – محمد نور ميواتي : انظر ص ١١٦ .

(٣) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٣٩٨ – ٤٠٠ ملخصا .

(٤) – انظر : سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٤٠٨ وما بعدها ، وسوانح حضرت مولانا محمد إنعام الحسن كاندهلوي ١ / ١٠٧ .

ومسجد ابن عباس رضي الله عنهما [١] .

وزار الشيخ أبو الحسن مصر والسودان والشام وعرّف بالجماعة في تلك البلدان في هذا الصفر الذي استغرق ثلاثة عشر شهرا ثم رجع إلى الهند في اكتوبر سنة١٩٥١م [٢] .

والذي أحب أن أشير إليه هنا أن المدرسة الصولتية بمكة المكرمة كان لها ولمسؤولها الشيخ محمد سليم دور بارز وملموس في تقديم المساعدة للجماعة التبليغية ، وقد أشرف عليها بصفة خاصة ، وأوقف مدرسته لإقامة الجماعات وقيام الاجتماعات التبليغية فيها .

فمساعدة الجماعات وقيام الارتباط بينها وبين العلماء والخواص من مكة المكرمة أصبح من مهام المدرسة ، وكما كانت محل الشيخ محمد يوسف إذا حضر إلى مكة .

وجملة القول إن الشيخ محمد يوسف بذل الوسع والطاقة في سبيل هذه الحركة ، فقد أثر في ألوف من الناس ، وأكثر جدا ونشاطا وإنتاجا حتى وافاه الأجل عام ١٣٨٤ هـ ، ولجهوده المثمرة كان أثر ملموس ومشاهد في دائرة واسعة في أرجاء الهند وخارجها [٣].

---

(١) ـ سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٤١٧ ، وسوانح حضرت جى ثالث مولانا محمد إنعام الحسن ١ / ٢١١ .

(٢) – سوانح حضرت جى ثالث ١ / ١١٤ .

(٣) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٤١٨ .

* الحركة في عهد الشيخ محمد إنعام الحسن *

بعد وفاة الشيخ محمد يوسف حصل الخلاف بين صفوف الجماعة في تولية الإمارة ، وكان هناك ثلاثة اتجاهات : أغلبية الجماعة كانوا يريدون أن يتولى الإمارة الشيخ رحمة الله الميرتي ، والميواتيون أرادوا أن يكون الشيخ محمد هارون بن الشيخ محمد يوسف أمير الجماعة ، ولكن الشيخ محمد زكريا حاول أن يتولى الإمارة صهره الشيخ محمد إنعام الحسن .

يقول الكاتب المعاصر الدكتور تابش مهدي : « لما توفي الشيخ محمد يوسف اختار أركان الجماعة الشيخ رحمة الله الميرتي أميرا لها ، وذلك لأغلبية الرأي ، ولكنه كان زياتا ، وعدد كبير من مسلمي الهند متأثرون بنظام الطبقات ، لذا يرون أن القيادة والإمامة لا يستحقها إلا الشيخ أو السيد أو خان أو مغول ، ولهذا لما تولى الشيخ رحمة الله الميرتي منصب الإمارة أثارت الضجة طبقة من التبليغيين ، وصخبوا ورفعوا الأصوات أن منصب « حضرت جى » المبارك أي منصب الإمارة للجماعة لا يتولاه ولا يتبوأه إلا مشايخ الكاندهلة .

ومازالت الخلافات فيما بينهم حتى بُشّر الشيخ محمد زكريا في المنام كما يقول : « رأيت جهازا في المنام يشغّله عزيزي يوسف – سلمه – ولما تعب في شغله بدأ عزيزي إنعام الحسن – سلمه – يشغله فأرى تعبير هذه الرؤيا أن عزيزي إنعام الحسن هو أهل لذلك لا الشيخ رحمة الله .

وبعد هذه البشارة والتعبير عزلوا الشيخ رحمة الله الميرتي عن هذا المنصب ثم عيّن

الشيخ محمد زكريا صهره الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي أميرا للجماعة ، وهكذا آلت الإمارة إلى أسرة كاندهلة » [١] .

وقد قمت بإجراء المقابلة الشفهية في دلهي الجديدة مع كاتب هذه السطور لمعرفة مصدر هذه المعلومات فأفادني أنه استقاها من بعض الثقات من التبليغيين ، ولكنني حينما قابلت الدكتور عبد الله طارق بن الشيخ رحمة الله الميرتي وسألته عن هذه القضية فأخبرني أن الأغلبية في الجماعة آنذاك كانت تريد الشيخ رحمة الله ، ولو سلكوا في تعيين الأمير بالرأي والشورى لتم اختيار الشيخ رحمة الله نظرا إلى فضله وجهوده وخبرته ، ولم يتم اختياره ؛ لأنّ الشيخ محمد زكريا حينما رأى هذا الموقف قام بنفسه لترشيح صهره الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي للإمارة حتى لا تخرج الإمارة عن أسرة كاندهلة .

ويؤكد ذلك ما حكى لي الشيخ محمد نور الميواتي حينما استفسرته عن هذه القضية فبين نفس القصة التي ذكرها الدكتور عبد الله طارق .

وعلى كل حال سواء كان هذا أو ذاك الحاصل أن هناك كانت فئة من الجماعة تريد تولية الإمارة للشيخ رحمة الله الميرتي رحمه الله .

والفئة الأخرى من الميواتيين وغيرهم أرادوا بل حاولوا كل المحاولات أن يتولى الإمارة الشيخ محمد هارون بن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ؛ لأنهم كانوا مبايعين على يد والده وأجداده منذ زمن قديم ، وكانت علاقة روحانية وطيدة بين هذه الأسرة وبين الميواتيين منذ قرن تقريبا ، لذا كانوا متعاطفين مع الشيخ محمد هارون كل العطف ، وحاولوا بكل جد

---

(١) – تبليغي نصاب ايك مطالعة ١٣ – ١٤ .

وإخلاص أن يكون أميرا [١] .

ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي حيث يقول : « حينما توفي الشيخ محمد يوسف فقد قام الشيخ محمد زكريا بتعيين الشيخ إنعام الحسن في مقامه نظرا إلى خطورة وفتنة راهنة على الرغم من أن هناك طائفة كانت تتمنى وتطالب بتعيين الشيخ هارون في مكان والده وجده بعلاقتهم العاطفية معه ... وقد رفع الاحتجاج طائفة منهم على ما قام به الشيخ محمد زكريا من الاختيار والتعيين ، وحاول بعض عمائد دهلي أن يغيروا رأيه لكنه أصرّ على حكمه ورأيه بكل استقلال » [٢] .

وأشار إلى ذلك الشيخ محمد زكريا فيقول : « بعد وفاة العزيز المرحوم يوسف قام زحام العوام وأصدقاء محمد هارون الأغبياء وأهاجوه ضدي وضد الشيخ إنعام الحسن إهاجة شديدة ، وتزاحموا عليّ حتى جاء ني مرتين إمام مسجد فتچوري بدهلي مع وفده وقال لي : « أعد النظر على حكمك ، وأيضا قد أرسل إلى الرسائل كثير من الأصدقاء الميواتيين حتى قام بعضهم بالسفر إليّ لهذا الغرض ، وأجبرني أن أغيّر حكمي عن تولية الشيخ إنعام الحسن » [٣] .

وحينما أصرّ الشيخ محمد زكريا على حكمه في تعيين الشيخ إنعام الحسن لمنصب الإمارة فطال الأمر واشتد الخلاف في صفوف الجماعة حتى القدماء - الذين رافقوا الجماعة منذ عهد الشيخ محمد إلياس - عارضوا هذا الحكم ، واضطر الشيخ محمد زكريا

---

(١) - حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) - حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٤٣ .

(٣) - حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٤٦ .

أن يهددهم بالطرد من الجماعة [١].

وفعلا قد طرد الشيخ محمد زكريا والشيخ إنعام الحسن المعارضين له من الجماعة مثل الشيخ رحمة الله الميرتي وكثير من الميواتيين .

وقد أفادني بهذا الصدد الشيخ محمد نور الميواتي عن نفسه حيث يقول : « إني رافقت الجماعة منذ عهد الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد يوسف رحمهما الله ، ولكن حينما توفي الشيخ محمد يوسف أراد الشيخ محمد زكريا أن يعين لمنصب الإمارة صهره إنعام الحسن فقد عارضه كثير من الميواتيين القدماء وغيرهم ، لذا طرد الشيخ محمد زكريا والشيخ إنعام الحسن المعارضين له وحاولوا أن يبعدوهم ، فأمرني إنعام الحسن أن أذهب إلى أرض الحجاز للتبليغ لأنني كنت أيضا من المعارضين له ، فمكثت في الحجاز أربعة أعوام ، وحينما رجعت قال لي مرة ثانية : إن إيمانك إلى الآن لم يكتمل فاذهب مرة ثانية ، فتكلمت عليه حتى دبر المؤامرة لقتلي فحينما كنت في اجتماع بميوات إذ أحاطني ثمانية أشخاص بمكائده وحاولوا اغتيالي وضربوني بالعصا حتى شجوا رأسي وتضرجت بالدم ، ثم أنقذني الله منهم وتركت الجماعة منذ ذاك الوقت وقد مضى ثلاثون سنة » [٢].

ويتبين لنا من هذا العرض أن الشيخ إنعام الحسن قد تولى الإمارة في مثل هذا الوضع المضطرب بين المعارضين والمؤيدين ، لذا قام الشيخ محمد زكريا - الذي كان يشرف على الجماعة منذ عهد الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد يوسف - بالدفاع عن

---

(١) - سوانح حضرت جی ثالث ٣ / ٤١١ .

(٢) - المقابلة الشفهية قمت بإجرائها مع الشيخ محمد نور الميواتي أستاذ الحديث في مدرسة حسين بخش بدهلي ، وإمام مسجد چكر والي قرب من نظام الدين .

الشيخ إنعام الحسن بكل حماس ، وأولاه عناية خاصة وأفاده بتوجيهات وإرشادات [١] .

وسافر عدة مرات مع الشيخ إنعام الحسن إلى ميوات ومنها سفره في شعبان سنة ١٣٨٦ هـ وشعبان سنة ١٣٨٧ هـ ورجب سنة ١٣٩٤ هـ ، وكان لهذه الأسفار أثر طيب في تقريب القلوب المتنافرة حتى زالت النفرة إلى حد كبير [٢] .

وبعد ما تولى الشيخ إنعام الحسن هذا المنصب أرسل إلى مراكز التبليغ رسائل ينعى فيها الشيخ محمد يوسف ويحثهم على الخروج في التبليغ لإهداء الثواب للفقيد الراحل يقول : « ... لعله قد بلغ إلى سعادتكم أن حضرة الأقدس الحاج مولانا محمد يوسف – نور الله مرقده – انتقل إلى ربه بلاهور في ٢ / ابريل ١٩٦٥م بعد صلاة الجمعة إثر مرض خفيف ، إنا لله وإنا إليه راجعون ... إن الحق تعالى شأنه قد هدانا جميعا بفضله وكرمه إلى عمل عال [٣] فيه علاج كامل لجميع مصائب الدارين للأمة المحمدية المرحومة ، فعليكم أن تبذلوا كل مجهوداتكم منهمكين في توسيع هذا العمل موقنين أنه علاج للمصائب كلها قاطبة ... وأفرغوا أوقاتكم للأماكن النائية وللأوقات الطويلة وأهدوا ثوابها إلى حضرة الشيخ ، وحرّكوا الآخرين لهذا العمل » وفعلا تأثر الناس كثيرا من هذه الرسالة ، وامتثالا لها خرجت مئات جماعات لإهداء الثواب للشيخ محمد يوسف [٤] .

تولى الشيخ إنعام الحسن هذا المنصب إلى آخر حياته محرم ١٤١٦ هـ نحو ثلاثين

---

(١) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٤١١ ، حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٤٨ .

(٢) – حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٤٩ – ٢٥١ ، سوانح حضرت جى ثالث ٢ /٣١ ، ٣٣ . ٣٧ .

(٣) – أراد به الخروج في التبليغ .

(٤) – سوانح حضرت جى ثالث ١ / ٢٨٥ ملخصا .

سنة ، وتوسعت على عهده رقعة النشاطات الدعوية ، وامتدت إلى معظم أقطار العالم ، وقامت لها مراكز في شتى عواصم الدنيا ، وانضم إليها أفراد كثيرون من مختلف الطبقات والاتجاهات [١].

وكان الشيخ منهمكا ليلا ونهارا في أداء مهمته – وقد سافر لتوسيع الحركة التبليغية إلى معظم بلدان العالم فضلا عن سفره في داخل الهند شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، حتى يقول نور الحسن راشد : « إنّ الاجتماعات التي شارك فيها الشيخ إنعام الحسن بنفسه للتوجيه والإرشاد أو لإلقاء المحاضرات يبلغ عددها إلى الآلاف » [٢].

وقد تحدث محمد شاهد السهارنفوري بالتفصيل في المجلد الكامل عن مائتي وعشرين[٣] سفراً في الهند من أسفاره التبليغية ، وسافر الشيخ إلى خارج الهند في أنحاء العالم مائة وسبعا وأربعين مرة في ثلاث وثلاثين دولة [٤] .

---

(١) – مجلة الداعي العدد ٢ – ٣ صفر ، ربيع الأول ١٤١٦ هـ ص ٦٠ .

(٢) ـ حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٥٦ .

(٣) – ينظر للتفصيل : سوانح حضرت جى ثالث ، المجلد الثاني .

(٤) – قائمتها فيما يلي :

م	الاسم	عدد الأسفار	عام
١ –	الأردن	٣	١٣٩٢ هـ ، ١٣٩٨ هـ ، ١٤٠٢ هـ
٢ –	انجلترا	٦	١٣٩٢ هـ، ١٣٩٨ هـ ، ١٤٠٠ هـ ، ١٤٠٢ هـ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٤١٤ هـ
٣ –	أسبانيا	١	١٣٩٢ هـ =

·وهذه الأسفار تدل على مدى اهتمامه في توسيع رقعة الجماعة التبليغة في أنحاء العالم كله .

=٤ – الإمارات	٢	١٣٩٣ هـ ، ١٤٠١ هـ
٥ – أمريكا	٢	١٤٠٠ هـ ، ١٤٠٥ هـ
٦ – برما	١	١٣٩٢ هـ
٧ – بلجيكا	١	١٤٠٢ هـ
٨ – بنجلاديش	٢٤	
٩ – باكستان	٤٧	
١٠ – تائي لیند	٣	١٣٩٢ هـ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٤٠٤ هـ
١١ – تركيا	١	١٣٩٢ هـ
١٢ – تنزانية	١	١٣٩٥ هـ
١٣ – يابان	١	١٤٠٥ هـ
١٤ – رهوديشيا	١	١٣٩٥ هـ
١٥ – ري يونين	١	١٣٩٩ هـ
١٦ – زامبيا	٢	١٣٩٥ هـ ، ١٣٩٩ هـ
١٧ – السعودية	٢٣	
١٨ – سري لنكا	٥	١٣٨٧ هـ ، ١٣٩٣ هـ ، ١٣٩٦ هـ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٤٠٣ هـ .
١٩ – سنغافورة	٣	١٣٩٢ هـ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٤٠٤ هـ
٢٠ – سودان	١	١٣٩٩ هـ

·ولا يفوتني أن أشير إلى أنه أيضا اهتم اهتماما كبيرا لنشر الحركة التبليغية في الحجاز كما اهتم من سبقه في الإمارة .

يقول السيد محمد شاهد السهارنفوري : « قد بدأ العمل التبليغي في الحجاز منذ عهد الشيخ محمد إلياس ... ورسّخه الله فيها على يد الشيخ محمد يوسف ، ونهض به على يد

= ٢١ – شام	١	١٣٩٢ هـ
٢٢ – عراق	١	١٣٩٢ هـ
٢٣ – فرنسا	٤	١٣٩٢ هـ ، ١٣٩٨ هـ ، ١٤٠٢ هـ ، ١٤٠٥ هـ
٢٤ – كويت	١	١٣٩٢ هـ
٢٥ – كينيا	١	١٣٩٥ هـ
٢٦ – كنادا	١	١٤٠٠ هـ
٢٧ – لبنان	١	١٣٩٢ هـ
٢٨ –لينشيا	١	١٣٩٥
٢٩ – مليشيا	٢	١٣٩٢ هـ ، ١٤٠٣ هـ
٣٠ – مراكش	١	١٣٩٢ هـ
٣١ – موزمبيق	١	١٣٩٥ هـ
٣٢ – ملاوي	٢	١٣٩٥ هـ ، ١٣٩٩ هـ
٣٣ – مريشيش	١	١٣٩٩ هـ

ينظر للتفصيل : المجلد الثالث من سوانح حضرت جى ثالث للسيد محمد شاهد السهارنفوري ٣ / ١٣ وما بعدها .

الشيخ محمد إنعام الحسن » [١].

ويتحدث الشيخ أبو الحسن علي الندوي عن توسيع الدعوة التبليغية في عهده فيقول : « إنّ الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي – الذي كان رفيقا للشيخ محمد يوسف وتربى على يد مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس – حينما تولى الإمارة فتوسعت الحركة وتطورت ونجحت نجاحا كبيرا تحت قيادته وإمارته ، وامتدت إلى البلدان النائية وأثرت فيها ، وكان لهذا الانتشار والنجاح سبب كبير لاستقامة الشيخ وحرصه الشديد والمحافظة على الأصول المتوارثة ، لذا حاول كل المحاولة أن لا تخرج الدعوة من الحدود والأصول التي قررها الشيخ محمد إلياس في البداية » [٢].

وقد لاحظنا أنّ الشيخ إنعام الحسن لم يتجاوز قيد شبر الأصول والمناهج التي حددها سابقوه ، ويؤكد على ذلك ما يقول السيد محمد شاهد السهارنفوري : « ومن الأمور التي جلت هذا العمل وروجته ورفعته في عهد الشيخ إنعام الحسن هو أنه التزم بنفس المنهج الذي سار عليه الأميران السابقان ولم يحدث طريقا أو منهجا جديدا كما التزم الشيخ محمد يوسف قبله بنفس الأصول والمناهج التي رسمها والده مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس وكان الشيخ إنعام الحسن طول حياته حساسا ومتحمسا ، وعندما يصله أي اقتراح بالإضافة أو الابتكار سواء كان على المستوى الداخلي أو الخارجي يرفضه فورا ، ويصرّح بدون أدنى تكلف فيقول : « نحن تبع لأسلافنا ولا نتنازل عن طريقتهم شيئا ، وهذه الأمور

---

(١) – سوانح حضرت جى ثالث ١ / ١٠٧ .

(٢) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ١٤٨ .

الحديثة أو الإضافات الجديدة لا نقبلها ولا نعمل بها »[1] .

وهكذا تقدمت الجماعة وازدهرت وتطورت وانتشرت في أرجاء العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وتغلغلت في عدة قارات وأمكنة بعيدة ، وكانت لها جولات في آسيا وأروبا وأمريكا وافريقيا واستراليا حتى انتقل الشيخ إلى رحمة الله في ١٠ محرم الحرام سنة ١٤١٦ هـ .

فالميواتيون أرادوا أن يتولى الإمارة الشيخ سعد بن هارون بن محمد يوسف الكاندهلوي ، والآخرون غيرهم حاولوا أن يكون الشيخ زبير الحسن بن إنعام الحسن أميرا للجماعة .

وبعد جهد جهيد لم يتفقوا على واحد منهما فالتجأ المسئولون إلى تشكيل مجلس استشاري يقوم بإدارة الجماعة ونشاطاتها وحركاتها في داخل الهند وخارجها ، وهذا المجلس مكون من سبعة أو عشرة أشخاص حسب اختلاف الروايات ، ومنهم من قضى نحبه مثل الشيخ إظهار الحسن الكاندهلوي ت ١٤١٧ هـ والشيخ محمد عمر پالنبوري ت ١٤١٨ هـ ، رحمهم الله ، ومنهم من ينتظر مثل الشيخ سعيد خان والشيخ محمد إلياس باره بنكوي والشيخ زبير الحسن والشيخ سعد ، حفظهم الله .

وفي المقر الرئيسي التبليغي في نظام الدين بدهلي يقوم ثلاثة أيام الشيخ زبير الحسن ابن الشيخ إنعام الحسن بتوديع الجماعات التي تخرج في الجولات ويُقدم لها التوجيهات والإرشادات ، ثم يقوم الشيخ سعد حفيد الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ثلاثة أيام

---

(١) ـ سوانح حضرت جى ثالث ١ / ٨ ـ ٩ .

بالتناوب بنفس العمل تجاه الجماعات [١].

وإضافة إلى ذلك هو الذي يؤم المصلين في الصلوات الخمس ويقرأ يوميا من كتاب حياة الصحابة بعد صلاة العشاء كما لاحظته أكثر من مرة .

وفي الواقع قد يدهش الباحث في مثل هذا الموقف أن الجماعة التي من ميزاتها الروحانية والسذاجة وعدم المبالاة في الأمور الدنيوية كيف يتصارع مسؤولوها على الإمارة ؟؟

---

(١) – هذا الذي أفادني الشيخ محمد إلياس باره بنكوي ، والدكتور أسامة جونفوري ، والشيخ محمد نور الميواتي ، بل أضاف قائلا أنّ سبب هذا الصراع للإمارة هو أمر مادي بحت ؛ لأنّ هناك الأموال الهائلة التي تأتي باسم الهدايا من داخل الهند وخارجها للجماعة وأميرها ... فكل واحد منهما يريد أن يرشح نفسه للإمارة ليكون له حظ أوفر منها ، والله أعلم .

* المبحث الثالث *

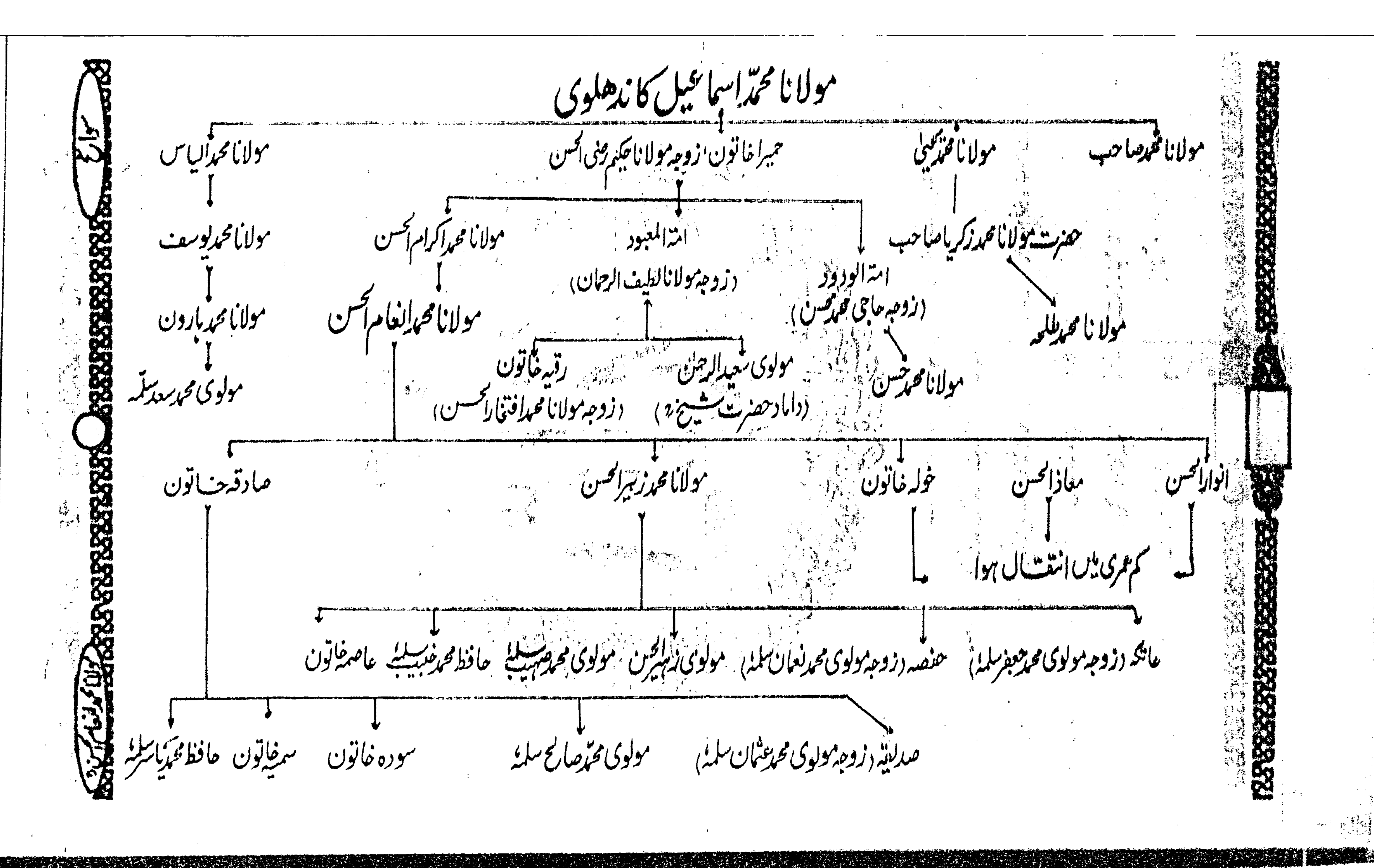
أبرز شخصياتها:

* الشيخ محمد إلياس .

* الشيخ محمد يوسف .

* الشيخ إنعام الحسن .

* الشيخ محمد زكريا .


مولانا محمد اسماعیل کاندھلوی
مولانا محمد صاحب
مولانا محمد یحییٰ
حضرت مولانا محمد زکریا صاحب
مولانا محمد طلحہ
حمیرا خاتون (زوجہ مولانا حکیم رضی الحسن)
امۃ الودود (زوجہ حاجی محمد محسن)
مولانا محمد حسن
امۃ المعبود (زوجہ مولانا لطیف الرحمان)
مولوی سعید الرحمن (داماد حضرت شیخ)
رقیہ خاتون (زوجہ مولانا محمد افتخار الحسن)
مولانا محمد اکرام الحسن
مولانا محمد انعام الحسن
مولانا محمد الیاس
مولانا محمد یوسف
مولانا محمد ہارون
مولوی محمد سعد سلمہ
انوار الحسن
معاذ الحسن
کم عمری میں انتقال ہوا
خولہ خاتون
مولانا محمد زبیر الحسن
صادقہ خاتون
عائشہ (زوجہ مولوی محمد جعفر سلمہ)
حفصہ (زوجہ مولوی محمد نعمان سلمہ)
مولوی زہیر الحسن
مولوی محمد صہیب سلمہ
حافظ محمد خبیب سلمہ
عاصمہ خاتون
صدیقہ (زوجہ مولوی محمد عثمان سلمہ)
مولوی محمد صالح سلمہ
سودہ خاتون
سمیہ خاتون
حافظ محمد یاسر سلمہ

* توطئة *

إذا أراد الإنسان أن يتعرف على أي جماعة أو حركة، ويطلع على أفكارها وأغراضها ومقاصدها فعليه أن يتعرف على أفكار مؤسس تلك الجماعة وقوادها، ويطلع على مراحل حياتهم ؛ لأنّ من الأمور الطبيعية أن تخضع كل جماعة وحركة لأفكار مؤسسها في ميدان العمل، فيكون هذا الشخص محط الأنظار وموقع الإعجاب والقداسة عندهم .

ومن هذا المنطلق سأبين في هذا المبحث جوانب من حياة مؤسس جماعة التبليغ وأمرائها الذين تولوا الإمارة بعده حتى عصرنا هذا .

كما سأدرس شخصية هامة لها أثر كبير في هذه الجماعة ، ويعتبر المشرف العام عليها ، وفي ظني أن دراسة هذه الشخصيات تُجلّي بوضوح أفكار الجماعة ومعتقداتها .

* الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ *

مولده ونشأته : هو الشيخ محمد إلياس الحنفي الديوبندي [١] الچشتي [٢] الكاندهلوي [٣] ثم الدهلوي [٤] بن محمد إسماعيل بن غلام حسين بن الحكيم كريم بخش وينتهي نسب الشيخ محمد إلياس كما ورد في بعض المصادر من جهة أبيه وأمه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو صديقي نسبا [٥].

ولد الشيخ محمد إلياس في كاندهلة سنة ١٣٠٣ هـ الموافق ١٨٨٥م بين أخواله في أسرة دينية متصوفة، وسمي بـ « أختر إلياس » اسما تاريخيا [٦]، لكنه اشتهر بـ « محمد

---

(١) – الديو بندي : نسبة إلى دار العلوم ديو بند من مديرية سهارنفور بالهند، وهي أكبر مدرسة للحنفية في الهند أسست عام ١٢٩٢ هـ على الخطوط التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم حسب زعمهم (مبشرات دار العلوم ص ٤٥) وكما يزعمون أنه يأتي إليها مع خلفائه الأربعة لتدقيق حساباتها كما ذكر الشيخ أشرف علي التهانوي في كتابه حكايات أولياء ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٢) – الچشتي : نسبة إلى الطريقة الصوفية الچشتية المنسوبة للشيخ معين الدين حسن السنجري الچشتي ت ٦٢٧ هـ ، وجُعل قبره وثنا يُعبد في بلدة أجمير – إحدى مدن الهند – وهذه الطريقة منتشرة في بلاد الهند ولها فروع شتى .

(٣) – الكاندهلوي : نسبة إلى موطنه كاندهلة من مديرية مظفر نگر بقرب دهلي من جهة الغرب الشمالي . أوجز المسالك ٦/١ .

(٤) – الدهلوي : نسبة إلى دهلي عاصمة الهند .

(٥) – بحث حميد الله ٢٣ – ٢٤ .

(٦) – مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٤٨، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٢٧، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٢، حيات خليل ٥٩٨/٢ ، تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ٤١٠/٢ .   =

إلياس » .

وترعرع في هذه البيئة ، فكانت جدته من أمه الشهيرة بـ « أمي بي » تقول عنه وهو طفل صغير : « أجد فيه رائحة الصحابة »، وأحيانا تضع يدها على ظهره وتقول : « ما لي أرى صور الصحابة تتحرك وتمشي معك» مع أنها أصبحت عمياء لا تبصر في آخر حياتها، فتعرفه بمجرد رائحته ، وأما الأطفال الآخرون فلا تعرفهم إلا بالمسائلة (١) .

وهكذا كان يقول عنه شيخه محمود الحسن (٢) حينما رآه في الطفولة : « أجد فيه

= جرت العادة في بعض الأسر أنها تأخذ من الحروف الأبجدية حسب أرقامها وأعدادها تاريخ عام الولادة ثم تركب منها اسما يسمى اسما تاريخيا .

(١) – تبليغي تحريك كي ابتداء اور اس كي بنيادي اصول ٢٣، حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٥١ .

(٢) – هو محمود الحسن بن ذي الفقار علي الحنفي الديوبندي ، أحد أعلام الحنفية وأساطين مذهبهم وأئمتهم في الفقه والتصوف ولد عام ١٢٦٨ هـ في بريلي ونشأ بديوبند ، قرأ على مشايخ عصره ثم ولي التدريس في دار العلوم ديوبند ، وأخذ الطريقة عن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وحصلت له الإجازة منه ، وانتهت إليه رئاسة الفتيا والتدريس في آخر أمره ، واشتهر لدى الطائفة بشيخ العرب والعجم وبشيخ الهند ، ووضع خطة لتحرير الهند من حكم الإنجليز فواجه فيه المصائب والمحن ، توفي عام ١٣٣٩ هـ في دهلي، ونقل جسده إلى ديو بند ودفن بها . انظر : نزهة الخواطر ٨ / ٤٦٥ – ٤٦٩ .

والذي أحب أن أنبه عليه أنه كان من غلاة الحنفية المتعصبين للمذهب حتى قام بتحريف النص القرآني في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء ٥٩] حيث قال بصدد إثبات التقليد : « ولهذا قال الله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم » .

رائحة الصحابة » .(١) .

وكان أبوه الشيخ محمد إسماعيل رجلا صوفيا بايع الشيخ محمد يعقوب الدهلوي على الطريقة النقشبندية، وأخذ علومها من مولانا مظفر حسين، ومرة توجه إلى شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي ليتعلم منه طريق السلوك، فقال الشيخ : لا حاجة لك إليها فإنك وصلت إلى مرتبة الإحسان (٢) .

عاش الشيخ محمد إسماعيل في العزلة والغربة ، مع اشتغاله بالذكر والعبادة وتلاوة القرآن وتعليمه وخدمة المسافرين بقرية نظام الدين بدهلي (٣) وكان يبايع الآخرين ، مما أدى

= وواضح أنّ المراد بأولي الأمر في هذه الآية غير الأنبياء الكرام - عليهم السلام - فظهر بكل وضوح بهذه الآية أن الأنبياء وجميع أولي الأمر تجب طاعتهم ... ينظر للتفصيل : الردود لبكر أبي زيد ٢٤١ نقلا عن إيضاح الأدلة للشيخ محمود الحسن ١٠٣ .

كما حصل التحريف في حديث سنن أبي داود الذي رواه بسنده عن الحسن أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جمع الناس على أُبَيّ بن كعب ، فكان يصلي لهم عشرين ليلة ... الحديث .

هكذا نص الحديث في سنن أبي داود بلفظ « ليلة » في جميع نسخها ، ومازالت طبعاتها مع شروحها كذلك ، حتى طبعت في الهند بحاشية الشيخ محمود الحسن فذكروا في الحاشية لفظ « ركعة » ثم لما طبعت السنن بتحشية الشيخ فخر الحسن أثبتوا في متنه لفظة « عشرين ركعة » وأشاروا في حاشيته إلى لفظة « عشرين ليلة » .

وهدف كل هذا إثبات دليل الأحناف من أن عدد صلاة التراويح عشرون ركعة ، والله أعلم .

انظر : الردود ٢٥٨ ، زوابع في وجه السنة ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(١) - تبليغي تحريك كي ابتداء اور اس كي بنيادي اصول ٢٣ .

(٢) - أكابر علماء ديوبند اتباع شريعت كى روشنى مين لمحمد زكريا الكاندهلوى ص ٣٧ .

(٣) - مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ص ٤٤ .

إلى استقامتهم وصلاحهم [١] .

توفي الشيخ بدهلي في ٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٨٩٨م ، ودفن في المقر الرئيسي التبليغي بنظام الدين دهلي .

يقول الشيخ محمد إلياس : « صلى الناس عليه عدة مرات لكثرة الازدحام، وحصل التأخير في دفنه ، وأثناء ذلك رأى شيخ من أصحاب الإدراك أن الشيخ محمد إسماعيل يقول « ودّعوني بالسرعة ؛ فإني خجل جدا ؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته في انتظاري » [٢] .

أما والدة الشيخ محمد إلياس « بي صفية » فقد كانت عابدة زاهدة حافظة للقرآن الكريم، يذكر عن أورادها الأستاذ أبو الحسن الندوي فيقول : إنها كانت تلتزم يوميا مع الأشغال المنزلية بالأوراد التالية :

«الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم» خمسة آلاف مرة .
لفظ الجلالة « الله » خمسة آلاف مرة .
البسملة « بسم الله الرحمن الرحيم » ألفا وتسعمائة مرة .
« يا مغني » ألفاً ومائة مرة .
« لا إله إلا الله » ألفا ومائتي مرة .
« يا حيّ يا قيوم » مائتي مرة .

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ص ٥٨ .

(٢) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٤٧ – ٤٨، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٦٣ .

أقول : هذا من القضايا الغيبية التي لا تقبل إلا من المعصوم ، ولو فتح الباب باب الكشف والإدراك لكثرت الدعاوى ، وهذه الأمور تجد رواجا في البيئات الصوفية .

« حسبي الله ونعم الوكيل » خمسمائة مرة .

« سبحان الله ، الحمد لله ، لا إله إلا الله، الله أكبر » مائتي مرة .

« الاستغفار » خمسمائة مرة .

« أفوض أمري إلى الله » مائة مرة .

« حسبنا الله ونعم الوكيل » مائة مرة .

« رب إني مغلوب فانتصر » مائة مرة .

« رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين » مائة مرة .

« لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » مائة مرة .

ومع هذا كانت تتلو القرآن منزلا منه يوميا [(١)] .

وكانت تتلو القرآن كله وعشرة أجزاء زيادة عليه كل يوم في شهر رمضان المبارك ، وعلى ذلك فكانت تتلو القرآن في كل رمضان أربعين مرة ، وذلك بجانب القيام لشئون البيت ووظائفه [(٢)] .

نشأ الشيخ محمد إلياس في مثل هذا الجو الديني الصوفي، وتلقى فيه تعاليمه الأولى ودرس مبادئ العلوم في قريته ، وحفظ القرآن الكريم عند أبيه [(٣)] .

---

(١) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ص ٥٠، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٢٣ .

لعل الرواي بالغ في الأعداد ، ويلاحظ أيضا أن منها ما هو أوراد مبتدعة مثل ورد لفظ الجلالة مفردا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) – الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي ١٠، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٢٣.

(٣) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٣، حضرت مولانا محمد الياس اور ان كي ديني دعوت ٥١ .

* رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية *

ارتحل الشيخ محمد إلياس مع أخيه الكبير الشيخ محمد يحيى إلى كنكوه في سنة ١٣١٤ هـ وهناك قرأ عليه معظم الكتب الدينية ، وبدأ دراسة الحديث على يده، وكان يواظب أثناء قيامه هناك على حضور مجالس الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[١] ليلا ونهارا، واستفاد منه كثيرا ، كما بايع على يده على الطرق الصوفية الأربعة بالألفاظ التالية : « بايعت على رشيد أحمد في الأسرة الچشتية ، النقشبندية [٢] ، السهروردية [٣]، القادرية[٤] » .

---

(١) – هو رشيد أحمد بن هداية أحمد بن بير بخش الحنفي الكنكوهي ، أحد أعلام الحنفية وأئمتهم في الفقه والتصوف ، ولد عام ١٢٤٤ هـ بكنكوه ونشأ بين خؤولته ، قرأ على كبار مشايخ عصره حتى برع وفاق أقرانه في المعقول والمنقول ، أخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله المهاجر المكي ، ولازمه مدة طويلة ، واستقى منه كثيرا ، والتزم في آخر أمره أن يدرس الصحاح الستة في سنة واحدة ، ويبذل جهده في تشييد المذهب الحنفي ، له مصنفات مختصرة قليلة منها : تصفية القلوب ، إمداد السلوك ، زبدة المناسك ، توفي عام ١٣٢٣ هـ . انظر : نزهة الخواطر ٨ / ١٤٨ – ١٥٢ .

وأحب أن أشير إلى أنه كان يتحدث بكلام يدل على دعوى لا يليق به مثلا يقول : « اسمعوا الحق هو الذي يقوله رشيد أحمد ، وأقسم بالله أني لست بشيء إلا أن الهداية والنجاة موقوفة على اتباعي في هذا الزمن » . تذكرة الرشيد ٢ / ١٧ .

(٢) – نسبة إلى خواجة بهاء الدين بن محمد البخاري ، وهي مليئة بالخرافات ، ولها فروع شتى منتشرة في بلاد الهند وخراسان وغيرها .

(٣) – نسبة إلى أبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي ، وهي أيضا مليئة بالبدع والخرافات . الديوبندية ٢٤ نقلا عن الماتريدية لشمس الدين السلفي ١ / ١٧٥ .

(٤) – نسبة إلى الشيخ عبد القادر بن أبي صالح موسى الجيلاني البغدادي ت ٥٦١ هـ .

وكان لهذه المجالس تأثير بالغ في حياة الشيخ محمد إلياس دينيا وروحيا [١]، ولما توفي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي سنة ١٣٢٣ هـ تأثر قلب الشيخ محمد إلياس بهذه الحادثة المؤلمة تأثيرا كبيرا حتى قال : « ما أصابتني مصيبة إلا اثنتان : إحداهما وفاة الوالد والأخرى وفاة الشيخ » [٢]، كما طرأ عليه حالة عجيبة وزاد عليه السكوت والمراقبة حتى لا يتكلم طول النهار إلا نادرا كلمة أو كلمتين - يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا فيقول : « كانت عادته في ذلك الوقت أن يفرش حصيرا عند قبر الشاه عبد القدوس الكنكوهي [٣]، ويجلس عليه على ركبتيه ساكتا جدا ثم يشتغل بالنوافل من بعد المغرب إلى العشاء » [٤].

---

(١) - اردو دائرة معارف اسلامية ٣٧٤/١٩ ، مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٥٤ ، تذكرة الرشيد ٢ / ٩٧ .

(٢) - حضرت مولانا محمد الياس اور ان كي ديني دعوت ٥٦ - ٥٧ .

(٣) - هو عبد القدوس بن إسماعيل الحنفي الچشتي الكنكوهي ، أحد أعلام الصوفية المشهورين في الهند ، نشأ بردولي ، وقرأ بعض الكتب ثم تركها وجاور قبر الشيخ أحمد بن داود الردولوي ، واستمر على مجاورته زمانا .

يقول عنه صاحب النزهة : « واستفاض من روحانية الشيخ المذكور فيوضا كثيرة ، ثم لبس الخرقة من حفيده الشيخ محمد بن أحمد الردولوي ، وانتقل إلى كنكوه وسكن بها » .

ونلا حظ أن هذا من تعبيرات الصوفية المبتدعة .

ويقول أيضاً : « وكان يستمع الغناء ويفرط فيه ويفشي أسرار التوحيد على عامة الناس ويستغرق في بحار الجذبات والسكر » .

ويقول عنه أبو الحسن الندوي : « انتهت إليه رئاسة الطريقة الچشتية الصابرية وطبق صيته الآفاق ... وقد كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود ، والسكر والاضطراب ، والفناء والاستغراق ، وكان من أصحاب السماع والمواجيد ، ومن الدعاة المتحمسين إليها » . توفي عام ٩٤٤ هـ ببلدة كنكوه .

انظر : نزهة الخواطر ٤ / ١٩٨ - ١٩٩ ، الإمام السرهندي حياته وأعماله للندوي ١١٧ - ١١٨ .

(٤) - مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٥٨ ، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٥ .

ثم رحل إلى ديوبند سنة ١٣٢٦ هـ ، وجلس في حلقة دروس الشيخ محمود الحسن، وسمع منه سنن الترمذي وصحيح البخاري، ثم أتم دراسة الحديث على أخيه الشيخ محمد يحيى في أربعة أشهر(١) .

وحينما حضر عند الشيخ محمود الحسن أبدى رغبته لتجديد البيعة على يده فأشار الشيخ عليه بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري فجدد البيعة على يده وأتم منازل السلوك تحت إشرافه ، حتى أصبح خليفة ونائبا له ، وصار مجازا فيما بعد(٢) .

واتصل في هذه الفترة بالمشايخ الديوبندية الآخرين مثل الشاه عبد الرحيم الرائيفوري(٣)، والشيخ أشرف علي التهانوي، واستفاد منهم علميا وتربويا(٤) .

وكان يلتزم بأذكار الصوفية وأورادهم ، ويبايع من يرغب في البيعة على يديه من ذويه وغيرهم، ويلزمهم أيضا بأذكار الصوفية .

يتحدث عنه ختنه الشيخ محمد زكريا : « أنه كان من دأبه الذكر الجهري الچشتي

---

(١) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كي ديني دعوت ٥٧، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٥ .

(٢) – حيات خليل ٥٩٩ ، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٥ .

(٣) – هو أحد كبار الصوفيا في الهند ، بايع على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وبايع على يده خلق كثير ، منهم خليفته ومجازه الشيخ عبد القادر الرائيفوري ، وكانت له زاوية في رائيفور . توفي عام ١٣٣٧ هـ ، ودفن في رائيفور .

انظر : سوانح حضرت مولانا عبد القادر رائيفوري ٥٨ ، ٧٣ ، ٧٩ .

(٤) – مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ٥٩ .

المسمى بالتسبيح الاثني عشري أحد عشر شهرا في آخر الليل ، وفي رمضان من العصر إلى المغرب لأجل ما كان له أعمال أخر في آخر الليل برمضان ، فيبدأ الذكر في الشهر المبارك بعد العصر، ويختم قبل المغرب بدقيقتين أو ثلاث »[١]، وداوم عليه إلى آخر حياته ، بل كان يؤكد عليه مريديه من التبليغيين ، كما حث عليه في إحدى رسالاته إلى كبار التبليغيين الميواتيين ، أما الذي التزم هذا الذكر أمره أن يقضي أربعين يوما في رائيفور بزاوية عبد القادر الرائيفوري[٢] .

ويقول السيد محمد شاهد السهارنفوري : « إن الشيخ محمد إلياس واظب على الذكر الجهري إلى آخر حياته ، وكان يحث ويؤكد عليه خدمه والمقيمين في المركز التبليغي ، وبالتالي حينما توفي فكان هناك عشرون نفرا في المركز يهتمون بهذا الذكر »[٣] .

أما طريقة هذا الذكر فقد بينها الشيخ محمد زكريا كما يقول : أن يجلس متوركا بعد التهجد أو بعد الفجر طاهرا متوجها إلى القبلة، ويبدأ بالصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم ويتوب ثم يقول: اللّهم طهّر قلبي عن غيرك، ونوّر قلبي بنور معرفتك، ثم يصلي على النبي صلى اللّه عليه وسلم إحدى عشرة مرة، ويقرأ: (قل هو اللّه) ثلاث عشرة مرة، ويهدي ثوابها إلى مشايخ سلسلته، ويتصور لمحات أن الفيضان الإلهي ينزل في قلبي من قلب الشيخ، وقلبي في مقابل الشيخ ومربوط به .

---

(١) – أكابر علماء ديوبند ٥٣ .

(٢) – نسبت واجازت محمد زكريا ص ٤ ، ذكر واعتكاف كى اهميت ١٢ ، ٥٢ ، مكاتيب حضرت مولانا محمد الياس ١٣٧ ..

(٣) – سوانح حضرت جى ثالث ١ / ٦٥ .

ثم يجلس متربعا ويبدأ الذكر بلحن مترنم – يميل رأسه إلى القلب قليلا، ويمدّ كلمة (لا) بالقوة من القلب، و(إله) على كتفه اليمنى، ويُميل رأسه إلى ظهره متصورا أنه رمى كل ما سوى اللّه وراء ظهره ثم يترك نفسه ويضرب ضربة لفظ (إلا اللّه) على قلبه .

ويتصور أنه أدخل النور والعشق الإلهي في القلب، وهكذا يفعل النفي والإثبات مائتي مرة، وفي أثناء هذا يقول في القلب: محمد رسول اللّه، بعد كل إحدى عشرة مرة، ثم يغمض عينيه في لمحة وأخرى، ويتصور أن الفيضان الإلهي ينزل من العرش في صدره ...

ثم يضرب ضربة متعاقبة بـ (إلا اللّه) أربعمائة مرة على قلبه، ثم يتصور لمحة ولمحتين بورود الفيض، ثم يضيف باسم الذات (اللّهُ اللّهْ) بحيث يقرأ الهاء الأولى مضمومة والثانية ساكنة، ويغمض عينه ويميل رأسه إلى كتفه اليمنى، ويضرب كلتي الضربتين للفظ الجلالة (اللّه اللّه) على قلبه، ويقوم بها متتالية ستمائة مرة .

وأثناء هذا يقول أحيانا: (اللّه حاضري، اللّه ناظري، اللّه معي) وبعد ذلك يضرب بضربة لفظ الجلالة (اللّه) بالهاء الساكنة مائة مرة على قلبه .

ويعلّم المرشد هذا الذكر مريده، بحيث يجلس المريد أمام المرشد فيقوم به المرشد أولا ثم الطالب .

وإذا حصل الخلل منه يقوم المرشد بإصلاحه، وبعد زمن إذا رغب المريد في إضافة الذكر، وتوجد عنده القوة الدماغية فيضيف بإجازة الشيخ اسم الجلالة فقط ألف أو ثلاثة آلاف أو ستة آلاف مرة كما قرّره الشيخ (١) .

ويؤكد ذلك المفتي عزيز الرحمن صاحب كتاب « تذكرة محمد يوسف » فيقول :

« إنّ الشيخ محمد إلياس التزم هو بأذكار الصوفية وأمر بها مريديه أيضا» .

فبايع الشيخ إنعام الحسن ، والشيخ محمد يوسف سنة ١٩٣٥م وأرشدهما بعد البيعة

---

(١) – صقالة القلوب ٧٣ – ٧٤ ملخصا .

إلى الأنفاس القدسية [١] ثم وجه الشيخ محمد يوسف إلى اسم الذات (لفظ الجلالة) ثلاثة آلاف مرة ، والشيخ إنعام الحسن اثني عشر ألف مرة ، وإضافة إلى ذلك كان يرغب في قراءة « الحزب الأعظم » وحصن حصين وقصيدة البردة [٢].

ويقول الشيخ محمد ثاني حسني: أراد الناس أن يبايعوا على يد الشيخ محمد الياس في مرض موته، وحينما تمت الإجازة والخلافة للشيخ محمد يوسف فحرّر الشيخ محمد زكريا شهادة الإجازة والخلافة التي أعطاها الشيخ محمد إلياس لولده الشيخ محمد يوسف فكتب فيه : « أنا أجيز هؤلاء للبيعة » فأضاف فيها الشيخ محمد إلياس وأملى: « أنا أجيزها نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم » [٣].

---

(١) – الأنفاس القدسية : هي تتحقق بالتصاق اللسان في سقف الفم ، والذكر بإخراج النفس من الأنف على صورة لفظ « الله » . صقالة القلوب ٨٤ .

(٢) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٧ – ٧٨ ، وملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٦٠ ، وأحب أن أشير إلى خطورة ما في قصيدة البردة من الأبيات البدعية والشركية مثل :

ما سامني الدهرُ ضَيماً واستجرت به ... إلا ونلتُ جواراً منه لم يُضَم

ولا التمستُ غِنى الدارين من يده ... إلا استلمت النّدى من خير مُستلم

(قصيدة البردة ٢٨٥)

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذ به ... سواكَ عند حلولِ الحادث العَمَم

ولن يضيق رسولَ الله جاهُك بي ... إذ الكريمُ تجلّى باسم مُنتقِم

فإنّ من جودك الدنيا وضَرّتَها ... ومِن علومك علمُ اللوح والقلم

(قصيدة البردة ٢٩٣)

(٣) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ١٩٦ ملخصا .

وتم تعيين الشيخ محمد إلياس للتدريس في مدرسة مظاهر العلوم التي كان يدرس فيها أخوه الشيخ محمد يحيى من قبل، وكان ذلك في سنة ١٣٢٨ هـ .

واستمرّ في ذلك إلى أن توفي أخوه الشيخ محمد يحيى عام ١٣٣٤ هـ [١]، ثم توفي أخوه الأكبر من أمه الشيخ محمد عام ١٣٣٦ هـ الذي كان يسكن مكان والده بعد وفاته بمسجد في قرية نظام الدين دهلي .

وكان رجلا تقيا متوكلا وزاهدا في الدنيا، وهو من تلامذة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، كان يدرّس المواد الابتدائية في المدرسة التي أسسها والده بمسجد نظام الدين، وكان معظم الطلاب فيها من ميوات [٢] .

وفي مرض موته حضر الشيخ محمد إلياس إلى دهلي لعيادة أخيه وبقي حتى توفي أخوه ودُفن في جانب أبيه، وبعد ذلك أصرّ المحبّون والمعتقدون لهذه الأسرة، وعرضوا على الشيخ محمد إلياس أن يقيم هناك، ويقوم بأعمال والده وأخيه الفقيد رحمهما اللّه، ووعدوه بإعانة المدرسة ومصاريفها، فأبدى الشيخ رغبته واستأذن من شيخه خليل أحمد السهارنفوري رئيس مدرسة مظاهر العلوم آنذاك ، وأخذ منه الإجازة لمدة سنة، وانتقل إلى مدرسة نظام الدين بدهلي التي عرفت فيما بعد بمدرسة كاشف العلوم .

---

(١) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كي ديني دعوت ٦١ – ٦٤، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ١٣٥ .

(٢) – هي منطقة في جنوب دهلي (عاصمة الهند) بحث حميد اللّه النيبالي ٢٩ .

وعانى الشيخ معاناة رهيبة في ذلك الوقت، وكان يغرق جل وقته في الرياضة الروحية التي اكتسبها وراثة، وقد تجلى هذا أثناء قيامه بنظام الدين، فكان يرغب في الخلوة والعزلة .

يروي عنه رفيقه الحاج عبد الرحمن [(١)] فيقول : « إنه كان يجلس في الخلوة قرب قبر عبد الرحيم خان خانان [(٢)] وقبر السيد نور محمد بدايواني [(٣)] ساعات طويلة ،

---

(١) – ولد في أسرة هندوسية بميوات ، وفي صغره رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يأمره بالإسلام ، فأسلم على يد الشيخ محمد بن محمد إسماعيل وقرأ عليه ، وبايع على يد الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، ورافق الشيخ محمد إلياس في جميع أموره الدينية ، وأسلم على يده جماعة من الناس . توفي عام ١٣٦٤ هـ .

انظر : حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٧٠ ، حضرت مولانا انعام الحسن ٤٠٨ .

(٢) – هو مرزا عبد الرحيم بن بيرم خان اللاهوري ثم الدهلوي ، ولد في لاهور وتربى في مهد السلطنة ، وكان بطلا وشجاعا ، خصه الملك أكبر بأنظار العناية والقبول ، وكان من أهل التفنن في اللغات ، نال منزلة في الإمارة لا يرام فوقها ، لقبه الملك أكبر بخانخانان أي أمير الأمراء ، أما في العقائد والنظريات فكان متصوفا ، توفي في دهلي ١٠٣٦ هـ ودفن قرب قبر نظام الدين وما زال يعبد ويزار . نزهة الخواطر ٥ / ٢١٦ – ٢١٧ ، اردو دائرة معارف اسلامية ١٢ / ٨٨٥ – ٨٨٨ .

(٣) – هو نور محمد الحسيني النقشبندي البدايواني ، أحد أعلام الصوفية في الهند ، أخذ الطريقة عن الشيخ محمد محسن الدهلوي ، والشيخ سيف الدين بن محمد معصوم السرهندي ، واشتغل عليهما مدة طويلة حتى غلب عليه الاستغراق ، وامتد إلى خمس عشرة سنة ، فكان لا يصحو إلا في أوقات الصلوات ، ثم أفاق ، وكان غاية في الزهد والورع ، توفي عام ١١٣٥ هـ بمدينة دهلي .

انظر : نزهة الخواطر : ٦ / ٣٥٩ .

ويتغدى ، ويصلي جميع الصلوات بالجماعة هناك لأننا نذهب إليه ليصلي بالجماعة ، والطلبة أيضا يذهبون هناك أحيانا ليأخذوا الدروس منه » [(١)] .

وقد سبق بأنّ الألفة والاتصال بين أسرة الشيخ محمد إلياس وبين أهل ميوات قد نشأ في زمن أبيه وأخيه ، وحينما علموا أنّ الشيخ محمد إلياس حل محلهما بنظام الدين بدأوا زيارته بين حين وآخر، والتمسوا منه أن يشرف قرية ميوات بزيارته إياها حتى تقر أعين المحبين والمريدين لزيارة خليفة مشايخهم رحمهم الله [(٢)] .

واستشعر الشيخ محمد إلياس أنه لا يتم الإصلاح على نطاق واسع إلا بفتح الكتاتيب والمدارس في ميوات ؛ لذا اشترط عليهم أن لا تتم زيارته إلا أن يعدوه بفتح الكتاتيب في قريتهم ، وذهب الشيخ إلى ميوات وطلب منهم إيفاء عهدهم وألحّ عليه حتى تم فتح كتيبة بعد جهد جهيد، حتى نشأت في هذا السفر عشرة كتاتيب .

وبعد مدة قصيرة وصلت هذه الكتاتيب إلى مئات يُدرس فيها القرآن الكريم وغيره من العلوم الابتدائية [(٣)] .

وقد نجح الشيخ محمد إلياس في الحصول على العلماء والدعاة الذين تربوا على يد الشيخ أشرف علي التهانوي، وكلّفهم بالجولات الدينية في القرى والأرياف، فكانوا يجمعون الناس ويقومون بالنصح والإرشاد [(٤)] .

وإضافة إلى هذه الجهود المذكورة قام الشيخ محمد إلياس في هذه الأسفار بحسم النزاعات والخصومات القديمة التي كانت منتشرة في القرى، وأصلح بين الفريقين

---

(١) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٧١، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٧ .

(٢) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٨٣ .

(٣) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ٨٤ – ٨٥ .

(٤) – تبليغي تحريك كي ابتداء اور اس كي بنيادي اصول ١٢، مين بهي حاضر تها وهان ٧٧ .

المتخاصمين بحل المشاكل والصراعات، وكان موفقا بفضل الله تعالى .

ومع هذا المجهود الذي بذله الشيخ محمد إلياس من إنشاء الكتاتيب ونشر التعليم والوعظ والإرشاد، توصل إلى نتيجة أن الخطب أعظم من ذلك وأوسع ، ورأى أن هذه الجهود لا تسد الفراغ وحاجات المجتمع، ولا يتحقق الغرض المطلوب، ولا بد من أخذ علاج آخر لهذا الداء المنتشر، ومن أساليب أخر لإصلاح الفرد والمجتمع .

واقتنع أخيرا بأن التعليم وحده لا يكفي، فلا بد من الاتصال بطبقات الشعب على اختلافها، وهذه كانت نقطة تحول في حياته [١].

---

(١) – وقد سبق بأنني ذكرت هذا التحول في المبحث « الأسباب التي دعت إلى إنشاء الجماعة » .

* مذهبه وعقيدته *

من خلال حياته وسيرته يتضح للباحث أن الشيخ محمد إلياس كان حنفي المذهب ديوبندي التلقي ولا يخفى أن الديوبندية [٢] تتبنى الفكر الأشعري والماتريدي .

(٢) – للاطلاع على معتقدات الديوبندية راجع إلى كتاب « الديوبندية : تعريفها ، عقائدها » للسيد طالب الرحمن ، والكتاب « المهند على المفند » للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، شيخ ومرشد محمد إلياس الكاندهلوي ، وهو محشو بمعتقدات بدعية مثلا يقول : « إنا بحمد الله ومشايخنا رضوان الله عليهم أجمعين وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام الإمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه في الفروع ومتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي – رضي الله عنهما – في الاعتقاد والأصول ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية ، والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الچشتية ، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية ، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السادة السهروردية رضي الله عنهم أجميعن » . ص ٢٣ – ٢٤ .

ويقول : « عندنا وعند مشايخنا زيارة قبر سيد المرسلين من أعظم القربات وأهم المثوبات وأنجح لنيل الدرجات بل قريبة من الواجبات ، وإن كان حصوله بشد الرحال وبذل المهج والأموال وينوي وقت الارتحال زيارته عليه ألف ألف تحية وسلام » . ص ٢٨ .

ويقول : « عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء الصديقين في حياتهم وبعد وفاتهم » . ص ٣١ .

ويقول : « عندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم حيٌ في قبره الشريف وحياته صلى الله عليه وسلم دنيوية من غير تكليف وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم والشهداء لا برزخية » ص ٣٢ . =

وأما من الناحية السلوكية فهو منخرط في التصوف ؛ لأنّ البيئة المتصوفة التي نشأ فيها الشيخ محمد إلياس كان لها أثر كبير في أفكار الشيخ وسلوكه، وقد تسربت فيه عقائد وأفكار مشايخه الذين تتلمذ وبايع على أيديهم؛ لذا نجد خللا كبيرا خلال دراسته العقدية والسلوكية ، ومنه :

* الالتزام بالبيعة على مشايخ الطرق الأربعة : چشتية ، نقشبندية ، سهروردية ،

= ويقول : « ليس هو – محمد بن عبد الوهاب – ولا أحد من أتباعه وشيعته من مشايخنا في سلسلة من سلاسل العلم من الفقه والحديث والتفسير والتصوف ... » . ص ٤٠ .

والحقيقة أنّ الكتاب المذكور « المهند على المفند » بما فيه من الأسئلة والأجوبة تم تأليفه ردآ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته كما نجد في بداية الكتاب العبارة التالية « أيها العلماء الكرام والجهابذة العظام قد نسب إلى سماحتكم الكريمة أناس عقائد الوهابية وأتوا بأوراق ورسائل لا تعرف معانيها لاختلاف اللسان ، فنرجو أن تخبرونا بحقيقة الحال ومرادات المقال ، ونحن نسألكم عن أمور اشتهر فيها خلاف الوهابية عن أهل السنة والجماعة » . ص ٢٢ .

وإنّ هذا الكتاب ليس مجرد رأي ومعتقدات السهارنفوري فحسب ، وإنما هو عبارة عن معتقدات كافة كبار علماء ديوبند من القديم والجديد ، أمثال الشيخ محمود الحسن ، والشيخ أشرف علي التهانوي والشاه عبد الرحيم الرائيفوري ، والمفتي كفاية الله ، والشيخ محمد يحيى السهارنفوري ، والقاري محمد طيب ، والشيخ محمد يوسف البنوري وأمثالهم حدود ستين عالما – رحمهم الله – الذين سجلوا توقيعاتهم على هذا الكتاب تصديقا وتأئيدا لما فيه ، قائلين بكل صراحة : « إن جميع ما كتبه الشيخ السهارنفوري في هذا الكتاب حق وصواب ، وإنّ هذه هي معتقداتنا ومعتقدات مشايخنا » .

يقول ناشر هذا الكتاب : « كأن « المهند » وثيقة تاريخية متفقة عليها احتفظ فيها المسلك الديوبندي كالأصول » . ص ١٣ .

قادرية .

* استخدام المصطلحات الصوفية في الوعظ والتذكير[١] .

* الاشتغال بأشغال الصوفية من التسبيح الاثني عشري وغيره .

* الإجازة بقراءة دلائل الخيرات وقصيدة البردة وغيرها [٢] .

* التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وبالأنبياء والصالحين [٣] .

* المراقبة عند القبور ، وحصول الفيوض الباطنية .

* الاعتماد على المنام اعتمادا كليا في أمور الدين .

ويتضح أكثر وضوحاً بذكر نماذج من كتاب « تبليغي نصاب » أي المقرر في منهج التبليغ ، حينما نتحدث عن عقائد وأفكار الجماعة - إن شاء الله - لأن هذا الكتاب قرره أمراء الجماعة على التبالغة وهم متفقون على محتوياته .

---

(١) - حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كي ديني دعوت ١٣٠ .

(٢) - انظر : ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس ٦٠ ، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٨ ، المهند ٣٦ .

(٣) - يتبين هذا من خلال دراسة أبيات في قصيدة بردة ودلائل الخيرات وقصص في تبليغي نصاب .

* وفاته *

كان الشيخ محمد إلياس رجلا نحيفا ضعيف البنية، وقد أصيب في آخر حياته بمَغْص[١]، فلم يزده إلا ضعفا وهزلا ، ونظرا إلى هذا كتب قبل وفاته في ١٢ يوليو يوم الأربعاء إلى الشيخ محمد زكريا والشيخ عبد القادر الرائيفوري والشيخ ظفر أحمد العثماني بأنني أعتمد على بعض الأشخاص من عندنا أرجو منكم أن تختاروا واحدا منهم، وقولوا للذين يريدون البيعة مني أن يبايعوا على يديه، فتشاور هؤلاء فيما بينهم، واتفقت آراؤهم على الشيخ محمد يوسف الذي كان ممن رشحهم الشيخ محمد إلياس، فأخبروه بأن المولوي محمد يوسف أهل بذلك، فقال الشيخ: « إذا أنتم اخترتموه فالله يبارك فيه، وأنا أؤيده » .

وأضاف أيضا : « كنت قلقا مضطربا؛ ولكن الآن اطمئن قلبي، وسيستمر هذا العمل بعدي إن شاء الله » .

وفي منتصف الليل أصابته النوبة بالإرتباك، ثم في آخر الليل طلب المولوي محمد يوسف والمولوي إكرام الحسن ، وقال لولده محمد يوسف: «تعال يا يوسف ! والتصق بي وأنا ذاهب » وتوفي قبل أذان الفجر ، وذلك في ٢١ رجب سنة ١٣٦٣ هـ الموافق ١٤ يوليو سنة ١٩٤٤م .

وبعد صلاة الفجر تمت الخلافة للمولوي محمد يوسف في سيل الدموع، ولُفّ رأسه بعمامة الشيخ محمد إلياس رحمه الله، وصلى عليه الشيخ محمد زكريا في جم غفير، ودُفن بجنب أبيه وأخيه في ناحية المسجد الجنوبية الشرقية بنظام الدين دهلي[٢] – اللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عن سيئاته، آمين .

---

(١) – المَغْص بالتسكين : تقطيع في المِعَى ووجع ، والعامة تقول : مَغَص بالتحريك . الصحاح ٣ / ١٠٥٧ .

(٢) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٩٢ – ١٩٥ ملخصا، اردو دائرة معارف اسلامية ٣٧٥، حيات خليل ٦٠٢ .

* الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي *

مولده ونشأته : هو الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس (مؤسس الجماعة) الكاندهلوي ، ولد يوم الأربعاء ٢٥ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥ هـ المصادف ليوم ٢٠ مارس ١٩١٧م في كاندهلة، وسمّاه والده بـ « محمد يوسف » .

شهد منذ نعومة أظفاره أسرة دينية متصوفة ، فترعرع في هذا المحيط الديني الصوفي، وفي أحضان الأمهات العابدات الزاهدات، وبين عطف الشيوخ وعناية العلماء المتصوفين ، مثل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (١).

رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية : حفظ القرآن الكريم من الحافظ إمام خان الميواتي، وهو ابن عشر سنين(٢) ، ودرس التجويد على المقرئ معين الدين .

يقول محمد ثاني الحسني: إنّ الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الذي كان شيخ المشايخ ومرجع الخلائق في وقته، كانت له عناية خاصة بمحمد يوسف في تربيته وتهذيبه، والشيخ محمد يوسف يعامله كمعاملة الولد العزيز مع والده الشفوق الحنون، فكان يناديه بـ« أبي » (٣) .

تلقى العلوم الابتدائية على يد والده الشيخ محمد إلياس بمدرسة كاشف العلوم في نظام الدين دهلي فقد درّسه الصرف وحفّظه قصيدة البردة، وقصيدة «بانت سعاد» ودرس المواد الأخرى على الأساتذة الآخرين(٤) .

---

(١) – انظر : مقدمة حياة الصحابة ١/١٧– ١٨، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٥٨، تذكرة حضرت جي مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٧٦، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف صاحب ٤١ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٥٩، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٨ .

(٣) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٥٩ .

(٤) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٨ .

وبعد ما تلقى العلوم الابتدائية التحق بمدرسة « مظاهر العلوم » بسهارنفور، وأتم دراسة الحديث الشريف على كبار شيوخ الحديث كالشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة الأسبق، والشيخ منظور أحمد خان، وأخيرا الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ابن عمه الكبير الذي أشرف على توجيه الشيخ وتربيته .

وقد تخرج الشيخ محمد يوسف من المدرسة في سنة ١٣٥٤ هـ، وكان ولوعا بالعلم من أول عمره، فكان يقضي أكثر أوقاته في دراسة الكتب ومطالعتها [١] ، وكان له شغف بتأليف الكتب على الرغم من أشغال كثيرة من أعمال التبليغ وغيرها ، ومن أهم مؤلفاته : أماني الأحبار شرح معاني الآثار للطحاوي ، حياة الصحابة .

كما قام بعد تخرجه بتدريس الحديث الشريف في مدرسة كاشف العلوم، نظام الدين، بدهلي[٢] .

ولا يخفى أنّ البيئة التي ولد وترعرع فيها الشيخ محمد يوسف كان فيها رواج كبير للاتصال بالشيوخ والمبايعة على أيديهم؛ ولذلك فإن أعضاء الأسرة كلهم كانوا يتصلون بالشيوخ والموجّهين، ويأخذون عنهم العلم، ويبايعونهم[٣] .

وحينما عرف عنه مرشده وحموه وابن عمه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أنه لم يبايع إلى الآن من الشيخ محمد إلياس فقال: كنت أظن أنك بايعت على يد العم، فعلى كل لا تتأخر .

فالتمس الشيخ محمد يوسف من أبيه الشيخ محمد إلياس أن يبايعه، فلبى رغبته،

---

(١) – المرجع السابق، مقدمة حياة الصحابة ١٨/١ .

(٢) – بحث حميد الله ٤١، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٩٣ .

(٣) – مقدمة حياة الصحابة ١٨ .

واغتسل وبايعه بكل فرح وانبساط، وقال: بارك الله، ومبارك إن شاء الله[١] ، وكان ذلك سنة ١٩٣٥م، ثم أرشده بعد البيعة إلى الأنفاس القدسية، ووجّهه إلى اسم الذات (لفظ الجلالة) ثلاث آلاف مرة، وحثّه على قـراءة « الحزب الأعظم » و « حصن حصين »[٢] ، ثم أصبح خليفة له في الطريقة ، وكان يلتزم بالذكر الجهري الچشتي [٣] .

يؤكد ذلك ما يبينه الشيخ محمد زكريا ارتباط الشيخ محمد يوسف بأشغال الصوفية والذكر الجهري الچشتي فيقول : « إنّ الشيخ محمد يوسف خلَف الشيخ محمد إلياس في الإمارة كان له خليفة في الطريقة أيضا ، وحضوره في الزاوية الصوفية برائيفور وإشرافه على الذكر الجهري في المركز التبليغي بنظام الدين من أكبر الشواهد على ذلك ، وقد شاهدنا كثيرا أن المسجد والغرفة العلوية الكبيرة بمركز نظام الدين كانت تضج بالذكر الجهري وقت التهجد في حياة الشيخ محمد يوسف » [٤] .

وإضافة إلى ذلك كان له علاقة وطيدة بالمشايخ الصوفية الآخرين وخاصة مع الشيخ حسين أحمد المدني، فكلما يسافر إلى سهارنفور يذهب إلى ديوبند لزيارته ذهابا وإيابا، ويجلس عنده بكل أدب واحترام، ويقيم عنده ليلة في الغالب، وكذلك الشيخ حسين أحمد المدني أيضا يأنس به ، ولذا إذا شارك في الاجتماعات التبليغية، فيسأل كل من يصافحه : هل قدمت الأربعينة « چله » يعني مدة أربعين يوما أم لا ؟ فإن كان جوابه في النفي فيسجل له الأربعينة « چله » .

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٨١ .

(٢) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٨ .

(٣) – تقدمت طريقته في حياة الشيخ محمد إلياس انظـر ص ١٣٤ .

(٤) – ذكر واعتكاف كى اهميت ٥٧ .

وحينما توفي الشيخ حسين أحمد المدني كان الشيخ محمد يوسف يطلب ممن يشارك في السياحة التبليغية أن يهدي ثواب خروجه في الأربعينة « چله » إلى روح الشيخ حسين أحمد المدني بل ويطلب أن تكون النية من حين مقابلته ولا تؤجل النية إلى حين الخروج تأكيدا وحرصا على إهداء الثواب لشيخه حتى لا تتغير نية الخارجين [١] .

والشيخ محمد يوسف إذا أراد سفرا مهما يرى زيارة كبار مشايخه أمرا واجبا، فكان يستأذن ويطلب الدعاء منهم ، وكما كان يقوم بزيارتهم بعد الرجوع أيضا .

وإذا رجع من السفر قدم لهم تقاريره ، واستفاد من شفقتهم وعنايتهم، ومن هؤلاء الشيوخ : الشيخ محمد زكريا، والشيخ عبد القادر الرائيفوري، فكان يزوره من حين إلى آخر[٢] .

وكانت علاقته بمدرسة مظاهر العلوم ودار العلوم ديوبند علاقة وطيدة، ورابطة قوية؛ لأنّ مدرسة مظاهر العلوم، درس فيها الشيخ محمد يوسف، ثم صار مشرفا عليها فيما بعد، كما درّس فيها والده من قبل، ولذا أساتذتها وطلابها كانوا يزورون مركز نظام الدين من البداية [٣] .

وأما دار العلوم ديوبند فكانت محببة لدى مشايخ الجماعة ، ونظرا لتوطيد العلاقات والروابط كان يرسل الجماعات إلى ديوبند وسهارنفور ليتشربوا أفكار مشايخها وعلمائها[٤] .

---

(١) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٩٧، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٣٩ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٣٧٢ .

(٣) – المرجع السابق ٣١٣ .

(٤) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٩٧، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٣٤٧ .

وكان لهذا المحيط الديني الصوفي أثر كبير في فكره وسلوكه وحياته العلمية والعملية، لذا نجده يكثر استخدام المصطلحات الصوفية في المحاضرات حتى يصعب على المستمعين فهمها[1] ، كما نراه يبايع مريديه على الطريقة السائدة عند مشايخه بربط الأردية بعضها ببعض حتى تصل إلى مكان بعيد نظرا لكثرة المريدين الذين يبلغون المئات بل الآلاف ، ويمسكها المبايعون كلهم صغارا وكبارا، ويبايعون به، وهكذا النساء يفعلن كما يفعل الرجال وكن جما غفيرا يبايعنه ممسكات الأردية [2] .

وقد سبق بأن الشيخ محمد إلياس استخلف ولده الشيخ محمد يوسف قبل وفاته، وفوض إليه أمانة الدعوة والتبليغ في ٢١ رجب سنة ١٣٦٣ هـ وقد تكلمت عن مجهوداته الدعوية والتبليغية في مبحث «نشأة جماعة التبليغ وتطورها» .

يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا أنه بعد أخذ الخلافة كيف تقدم وسلك مدارج السالكين فيقول :

« كان مملوكي فأضحى مالكي إن هذا من أعاجيب الزمن

... بعد وصال العم (الشيخ محمد إلياس) ارتقى وسار سيرا إلى الأمام، اعتقدت أنا وحضرة الشيخ الرائيفوري (عبد القادر) نور الله مرقده أن النسبة الخاصة [3] من العم نور

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٥١ .

(٢) – المرجع السابق ٦٩٢ – ٦٩٣ ملخصا .

(٣) – النسبة الخاصة : اصطلاح صوفي خاص يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا فيقول : « إنّ لدى الصوفية نسبة خاصة تنتقل عند انتقال الشيخ إلى الشخص الذي يكون بينهما أكثر نسبة اتحادية » . آپ بيتى ٤ / ١٢٤ .

الله مرقده – قد انتقلت إليه، وكنا نشاهدها في كل أمر، ونلاحظ ترقياته المستمرة منذ ذلك الحين حتى حدثت فيه حالة من الحماسة والحدة بعد وصال حضرة المدني – قدس سره – واستطاع أن يعرب ما في نفسه بكل شجاعة وبدون أدنى خوف أمام كل واحد كائنا من كان ، ومازال يرتقي، وبعد وصال الشيخ الرائيفوري – نور الله مرقده – قد ظهرت في كلامه ومحاضراته الأنوار والتجليات ، ولا يبعد أن هذا نتيجة حب الشيخين للمرحوم وثمرة شفقتهما وعنايتهما الخاصة له ...» .[(١)]

ويؤكد على انتقال النسبة قائلا : « بعد وفاة العم محمد إلياس حينما صلى بنا الشيخ محمد يوسف صلاة الصبح فجذب قلبي وعرفت في حينه أن الشيخ محمد إلياس قد وهب النسبة الخاصة ولده حيث طلبه قبل أن يغرغر إذ كان نائما – فقال له : يا يوسف ! تعال التصق بي فإني ذاهب فألقى نفسه على صدره ، وفي تصوري أنه في ذلك الحين ألقيت عليه

= وتحدث عن نفسه فقال : « إنّ مرشدي – خليل أحمد السهارنفوري – حينما وضع العمامة على رأسي أحسست دخول شيء في نفسي ، ففهمت من هذا لعل هذا هو انتقال النسبة » . سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٩٧ .

ويقول محمد ثاني حسني مؤلف سوانح محمد يوسف : « انتقال النسبة اصطلاح عند أهل التصوف ، وهذا يظهر أحيانا بحيث يتعجب الإنسان ويتحير عقله على هذا العطاء الرباني ، فالذين يطالعون أحوال العلماء والمشايخ والصوفية يعرفون جيدا أنهم يفوزون في الغالب بهذه الدرجة بعد مجاهدات كبيرة وإتعاب أنفسهم سنوات ، فيكونون خلفاء مشايخهم الحقيقيين ، لكن هذه النعمة العظمى قد يجدها الإنسان بطريقة وهبية ، فهو يفوز بهذه الدرجة الرفيعة رغم تصورات الناس وأخيلتهم ، وكان أمر الشيخ محمد يوسف من هذا النوع » . سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٩٧ .

(١) – حضرت جي كي يادكار تقريرين لمنشي أنيس أحمد ٨٩ – ٩١ .

النسبة » [١] ، كما كان والده مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس يرابط ويراقب عند القبور فالشيخ محمد يوسف سلك مسلك والده فهو أيضا كان يراقب القبور. كما ذكر القائد محمد أسلم الباكستاني عن الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي بالمدينة المنورة أنه قال : ظلت في جماعة التبليغ عشر سنوات تقريبا ، وكثيرا ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ في ذلك الوقت قريبا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس رحمه الله في محلة نظام الدين مقر الجماعة بدهلي ، فكنا نجلس حول قبره وقتا طويلا في حالة المراقبة ساتري الرؤوس .

وكان الشيخ محمد يوسف يقول : إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس رحمه الله يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به .

وكذلك كنا نجلس أيضا على قبر الشيخ عبد الرحيم الرائيفوري في هيئة المراقبة ، وكان الشيخ محمد يوسف يجلس مراقبا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم عدة ساعات خلال إقامته في المدينة المنورة [٢] .

* مذهبه وعقيدته *

ومن خلال هذا العرض اتضح لنا نشأة الشيخ في جو صوفي ، متشبعاً بالأفكار الصوفية ، وهو على وجه الإجمال كوالده مذهبا ومشربا واعتقادا ، فكان يعتقد بعقائد علماء ديوبند وسهارنفور ، و المعتقدات التي يعتقدها على سبيل الإجمال .

---

(١) - آپ بيتى ٤ / ١٢٥ .

(٢) - جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها ٢٧ .

منها ما يأتي :

* التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته[١] .

* المراقبة عند القبور والاستمداد بها .

* الاهتمام بالمبايعة الصوفية والأذكار المبتدعة .

* الاستدلال بالمنام في الأمور الدينية[٢] .

* الحث والترغيب إلى التوكل وترك الأسباب [٣] .

* الاعتقاد بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذات الباري تعالى في المعراج كما رأى الجنة والنار[٤] .

أما التفصيل يأتي حينما نتحدث عن أفكار الجماعة وعقائدها ، إن شاء الله .

* وفاته *

قام الشيخ برحلة طويلة إلى باكستان في ١٠ شوال سنة ١٣٨٤ هـ المصادف ١٢ فبراير سنة ١٩٦٥م ، وقد زار جميع المدن الكبرى في باكستان الغربية والشرقية [٥] ، وعقد فيها اجتماعات كبرى، وقد لقي الشيخ في هذه الرحلة من التنقلات والخطابات واللقاءات

---

(١) – حضرت جى كى يادگار تقريرين ٩٦ – ٩٧ ، فرمودات يوسفى ١٩٤ ، قصيدة البردة ٢٩٣ .

(٢) – انظر : سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٦٦٨ .

(٣) – انظر : تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٠٠ – ١٠١ .

(٤) – انظر : حضرت كى كى يادرگار تقريرين ١١ – ١٢ .

(٥) – وهي بنغلاديش حاليا .

المستمرة ما أتعب قلبه، وكلّ خاطره، وأورثه السعال والحمّى، وأخيرا ألقى كلمة في حفل بلاهور على شدة مرضه وتعبه، وظل يعاني من الشدة والألم طول الليل .

وفي اليوم التالي – يوم الجمعة – نقل إلى المستشفى ولكنه قبل أن يصل إليه توفي ، وذلك في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ٢ ابريل ١٩٦٥م، إنا لله وإنا إليه راجعون .

واجتمع حشد من الناس إلى جنازته ، وصلوا عليه في لاهور مرتين ، واتصل بهم الشيخ محمد زكريا هاتفيا، وطلب جثمانه إلى نظام الدين بدهلي، فذهب به رفقاؤه إلى دهلي بالطائرة ليلا، وصلى عليه الشيخ محمد زكريا مع جم غفير، ودفن بالجانب الغربي من قبر والده في نظام الدين بدهلي حدود الساعة الحادية عشرة ظهرا في ٣ إبريل سنة ١٩٦٥م [١] .

---

(١) حياة الصحابة ٢١/١ – ٢٢، حضرت جی کی یاد گار تقريرين ٥٦ – ٥٩ مختصرا، مسلمانان پاكستان وهند ٤١٢/٢ – ٤١٣ .

* الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي *

مولده ونشأته

هو الشيخ محمد إنعام الحسن بن الشيخ إكرام الحسن بن حكيم رضى الحسن بن حكيم محمد إبراهيم بن نور الحسن بن أبي الحسن بن المفتي إلهي بخش الكاندهلوي[١] .

ولد الشيخ محمد إنعام الحسن في وطنه الأم « كاندهلة » في ١٨ جمادي الأولى سنة ١٣٣٦ هـ الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨م ، وبها نشأ وتربى .

وله صلة بالشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة ، فالشيخ محمد إلياس خال لأبيه ؛ لأنّ شقيقة محمد إلياس كانت زوجة لجد إنعام الحسن .

وأما صلته بالشيخ محمد زكريا فقد كان صهرا له إذ تزوج إنعام الحسن بابنة الشيخ محمد زكريا كما تزوج محمد يوسف وبذلك يعتبر عديلا للشيخ محمد يوسف .

* رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية *

حفظ القرآن الكريم في صغر سنه على أستاذه «منكتو» وتلقى مبادئ القراءة على جده من أمه الحكيم عبد الحميد، ثم انتقل في العاشرة من عمره سنة ١٩٢٨م إلى مركز نظام الدين بدهلي مع مؤسس جماعة التبليغ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، ودرس كتب النحو والصرف ومشكاة المصابيح عليه، كمادرس تفسير الجلالين على الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي .

---

(١) – مجلة الداعي ، صفر ، ربيع الأول ١٤١٦ هـ ٦١ – ٦٢، تعمير حيات ٢٥ يونيو ١٩ .

ثم التحق عام ١٣٥٢ هـ الموافق ١٩٣٤م بمدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور لتلقي التعليم العالي ، ودرس هناك بعض كتب الفقه والأصول مثل كنز الدقائق وأصول الشاشي على العلامة صديق أحمد الكشميري ، والمفتي عبد الشكور، والمقرئ سعيد أحمد، والمفتي جميل أحمد[١] .

ولكن الشيخ محمد إلياس استدعاه فرجع إلى دهلي وأتم بقية الكتب هناك بمدرسة كاشف العلوم ثم رجع مع الشيخ محمد يوسف في شوال عام ١٣٥٤ هـ إلى مدرسة مظاهر العلوم لدراسة الحديث الشريف ، فدرس معه على نفس الأساتذة ، وتم زواجهما بابنتي الشيخ محمد زكريا على يد الشيخ حسين أحمد المدني في الاجتماع السنوي بمدرسة مظاهر العلوم عام ١٣٥٤ هـ، ثم رجع إلى دهلي بمقر الجماعة في جمادى الأولى عام ١٣٥٥ هـ قبل أن يكمل دراسته في المدرسة لمرض الشيخ محمد يوسف [٢] .

وأكمل تعليمه العالي مع الشيخ محمد يوسف على الشيخ محمد إلياس ، وتلقى التربية منه ، وعليه تخرج في التزكية والإحسان ، وقد أبدى الشيخ ثقته الغالية به لدى لحاقه بالرفيق الأعلى[٣] .

واشتغل الشيخ إنعام الحسن بالتدريس هناك، فكان يدرس الكتب الحديثية، وأخيرا كان يهتم بتدريس صحيح البخاري، وإضافة إلى ذلك كان مرتبطا مع مرشده ومربيه الشيخ

---

(١) – حضرت جى مولانا إنعام الحسن ٤ ، معارف يوليو ٧٥/٩٥، الداعي، صفر ١٤١٦هـ ٦١ .

(٢) – بحث حميد الله ٤٤ ، حضرت جى مولانا إنعام الحسن ٤ – ٥ ، سوانح حضرت جى ثالث ١ / ١٩٢ .

(٣) – الداعي صفر ١٤١٦ هـ /٦١، معارف يوليو ٧٥/٩٥ .

محمد إلياس في حركته التبليغية حتى كان من النخبة المختارة الذين رافقوا الشيخ محمد إلياس حينما سافر لأداء الحج سنة ١٩٣٧م لتوسيع نطاق العمل التبليغي[١] .

ولازم الشيخ محمد يوسف في حله وترحاله وكان ساعده الأيمن طوال حياته [٢] .

إن الشيخ إنعام الحسن نشأ كسابقه في المجتمع الصوفي الذي يأتي إليه كبار الصوفية .

يقول الأستاذ مرغوب أحمد صاحب كتاب « حضرت جى » : قد تربى الشيخ إنعام الحسن في البيئة الروحانية التي يفد إليها المشايخ أصحاب النسبة [٣] من حين إلى آخر مثل الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ عبد القادر الرائيفوري، والشيخ محمد زكريا، فصحبة المشايخ وخاصة توجهات وعنايات الشيخ محمد إلياس جعلته صاحب النسبة ، شهد بذلك الشيخ محمد إلياس قبل وفاته حينما رشح بعض الأشخاص لتتم البيعة على يد أحد منهم، فقال: هؤلاء أصحاب النسبة ، وكان الشيخ إنعام الحسن من المرشحين [٤] .

وفي هذه البيئة كان لا بد لكل مريد من شيخ يبايعه، لذا وجهه حموه الشيخ محمد زكريا أن يبايع على يد مرشده الشيخ محمد إلياس، فبايعه مع الشيخ محمد يوسف في سنة ١٩٣٥ هـ [٥] ، وعلمه بعد البيعة الأنفاس القدسية، وأرشده اسم الذات (لفظ الجلالة)

---

(١) – انظر: المرجعين السابقين .

(٢) – بحث حميد الله ٤٤ .

(٣) – النسبة : الحال الذي يتعرف به صاحبه . اللمع للطوسي ٤٣٥ .

(٤) – حضرت جى مولانا إنعام الحسن ٩ – ١٠، آپ بيتى ٤ / ١٢٣ .

(٥) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٨ .

اثني عشر ألف مرة ، ورغّبه قراءة « الحزب الأعظم » و« حصن حصين » [١] .

يتحدث عنه مرغوب أحمد فيقول : « إنّ الشيخ محمد إلياس قد منحه الإجازة والخلافة في سنة ١٣٦٣ هـ، فانتشر على يده فيض الشيخ محمد إلياس في أنحاء العالم انتشارا كبيرا ؛ لأنّ الشيخ إنعام الحسن قد تمت على يده بيعة آلاف بل مئات آلاف من الناس »[٢] .

وقد كان يقوم منذ عهد الشيخ محمد يوسف بتعليم الأشغال والأذكار الصوفية كما يقول الشيخ محمد زكريا : « إنّ الشيخ إنعام الحسن خليفة ومجاز للشيخ محمد إلياس في السلوك والطريقة ، ومنذ عهد الشيخ محمد يوسف هو الذي يشرف على شعبة الأشغال والأذكار الصوفية وإن كان يبايع البيعة العمومية الشيخ محمد يوسف نظراً إلى بعض المصالح التبليغية .

ولكن من التزم الأذكار المعينة له ثم أراد المزيد منها يرسله الشيخ محمد يوسف إلى الشيخ إنعام الحسن ليتعلم منه طريقة التسبيح الاثني عشري ، والأنفاس القدسية وغيرها » [٣] .

يذكر في هذا الصدد الحافظ محمد يوسف تاندوي فيقول : « إني عرضت على الشيخ محمد يوسف ذات مرة أن يعلمني بعض الأذكار فقال فورا : اذهب إلى الشيخ إنعام واسأله ، فذهبته وعرضت عليه غرضي وبينت له أن الشيخ محمد يوسف أرسلني إليك لهذا

---

(١) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٧٨ .

(٢) – حضرت جى مولانا إنعام الحسن ١١ .

(٣) – ذكر واعتكاف كى اهميت ٥٧ .

الغرض ، فنظر إليّ نظرة ثم قال : إنك مريض ، فتحيرت حينما سمعت من فمه ؛ لأنني في الواقع كنت مريضا آنذاك ، ولم يعرفه أحد ، ولما أصررت عليه فقال : اجلس متربعا ، فجلست فأمرني بإبراز عرق الركبة اليسرى قليلا ، ثم فرّج بيديه بين إبهام رجلي اليمنى والإصبع التي تليها ، وأمر بإمساك العرق في تلك الفرجة ، ثم أمرني باسم المفرد « الله الله » أربعمائة مرة بعد ما لقنني بالنفي والإثبات » (١) .

وبعد ما تولى الإمارة الشيخ إنعام الحسن كما أشرت في المبحث السابق استمر على المبايعة حتى لا تكاد تجد اجتماعا إلا قام الشيخ بالبيعة فيها ، وقل ما قام الشيخ بالبيعة في الاجتماعات للرجال إلا قام للنساء أيضا (٢).

وأحب أن أستشهد على ما قلت ببعض النماذج التي ذكرها السيد محمد شاهد السهارنفوري صاحب كتاب « سوانح حضرت جى ثالث » حيث يتحدث عن اجتماع بهوپال المنعقد في ١٤٠٣ هـ فيقول : ... فقد قام الشيخ إنعام الحسن بعد صلاة المغرب بنصائح مختصرة ، ثم بايع جما غفيرا ، ونصحهم بالأوراد والوظائف ، كما علّم بعض الأصحاب ذكر التسبيح الاثني عشري ، وفي اليوم الثاني من الاجتماع في الساعة الحادية عشرة حضر في اجتماع النساء ببيت « أبأ ميان » وبايعهن بعد البيان(الوعظ)... وبعد صلاة المغرب خاطب الذين ينخرطون في السلوك والإحسان ثم بايعهم (٣).

ويتحدث عن اجتماع « داكا » المنعقد في ١٤٠٣ هـ فيقول : « حسب العادة اليومية

---

(١) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٣٥٥ .

(٢) – انظر : سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ١١٩ ، ١٢٨ .

(٣) – سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ٢٨٧ .

قد بايع على يد الشيخ إنعام الحسن كثير من الناس واستأذن عشرة أشخاص ذكر التسبيح الاثني عشري فسمح لهم »[١].

ومن صور البيعة لدى الشيخ إنعام الحسن أن يجلس المريدون على هيئة التشهد إن لم يكن لديهم عذر، ويُنشر حبل من كرسي الشيخ إلى الحضور ويؤمرون بربط الأردية والعمائم والغتر به ، ويفعل هذا امتثالا بقول الشيخ محمد إلياس كما نقله الشيخ إنعام الحسن عنه أنّه قال له : « إذا دعوتَ أو تبتَ فامسك حبلا أو نحوه ... فبذلك يتطرق إلى قلب الرجل أنه يعتصم بشيء » .

وفي ختام البيعة يلقن الشيخ إنعام الحسن مريديه أن يردّدوا على ألسنتهم: « بايعنا على يد حضرة الشيخ محمد إلياس بواسطة إنعام » ثم يركز على خمسة أشياء :

١ – الاهتمام بالصلوات المكتوبة والنوافل .

٢ – الذكر (الذكر الجهري الچشتي)[٢] .

٣ – تلاوة القرآن الكريم يوميا .

٤ – الاستماع إلى كتب الفضائل (للشيخ محمد زكريا) دبر كل صلاة يوميا .

٥ – السياحة في حلقات ومساجد الحي، ولثلاثة أيام شهريا في القرى المجاورة، ولمدة أربعين يوما سنويا على الأقل .

وتتم هذه البيعة سرا في مكان خاص ولعل سبب ذلك لئلا يطلع عليها العرب، وقد

---

(١) – سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ٤٨٨ .

(٢) – إذا أطلقوا « الذكر » أرادوا به الذكر الجهري الچشتي المسمى بالتسبيح الاثني عشري .

انظر : ذكر واعتكاف كى اهميت ١٢ ، ٥٢ .

يقوم بتعليم الذكر الخاص لعدد منتخب في حدود العشرة وهم ينتخبون من آلاف الأشخاص ويتم هذا التعليم في غرفة مظلمة على طريقة ما أنزل الله بها من سلطان [١] .

ولم يكتف الشيخ إنعام الحسن بمبايعة الإنس فقط بل بايع على يديه مئات من الجن كما يتحدث السيد محمد شاهد السهارنفوري عن عهده فيقول : إنّ عهد إمارة الشيخ محمد إنعام الحسن كان عهدا مباركا ومتطورا من حيث أن خلقا كثيرا انخرطوا في سلكه وانتسبوا إليه ، وهذه السلسة الروحانية التي قام بها الشيخ محمد إلياس قد راجت في عهد الشيخ محمد إنعام في جميع الطبقات من العوام والخواص ، حتى نسمع صدى كلمات بيعته في جميع قارات العالم وهو : « بايعنا على يد حضرة الشيخ محمد إلياس بواسطة إنعام » .

وهذه السلسة الروحانية كما جرت في الإنس راجت في الجن أيضا ، فمئات من الجن كانوا يحضرون في الاجتماعات ويبايعون على يديه ثم يخرجون في الجماعات . ثم ذكر لها بعض النماذج [٢] .

وهو يلقن مريديه أذكار الصوفية المختلفة ، مثلا يكتب إلى أحد مريديه فيقول : اقرأ : الله الله ثلاثة آلاف مرة ، و « الله الله » اعتبرها مرة واحدة [٣] .

ويستدل لذكر الاسم المفرد لفظ الجلالة بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [٤] .

---

(١) – مجلة الدعوة دسمبر ١٩٩٣م ٢٤ – ٢٦، تبليغي جماعت تحقيقى جائزة ١٩ – ٢٤ ملخصا .

(٢) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٣٣١ .

(٣) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٣٤٧ .

(٤) – الزمر ٤٥ ، وانظر : المرجع السابق ٣ / ٤١٩ . =

وكان الشيخ يحث المريدين على الذكر الجهري ، ويحدد له الوقت المناسب بعد التهجد [١] مع قيامه بتعليم الذكر الجهري ، وكان يقول : « إنّ أكثر الأشغال مؤثرا من الأشغال الصوفية لصفاء الروح هو الذكر الجهري » [٢] .

وقد سأله أحمد حسن بجنوري أحد مريديه عن طريقة التسبيح الاثني عشري فكتب إليه : إنّ التسبيح الاثني عشري الذي بينت لك من قبل أبين طريقتها مرة ثانية بحيث أن تقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص ، ثلاث ثلاث مرات ، وتهدي ثوابها إلى مشايخ السلاسل الأربعة ، ثم تصلي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة مرة ، والاستغفار إحدى عشرة مرة ، ثم تقرأ : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أسألك من فضلك ، يا الله يا الله يا الله أن تطهر قلبي عن غيرك ، أن تنور قلبي بنور معرفتك أبدا أبدا لا حول ولا قوة إلا بالله » ثلاث مرات ، ثم اقرأ : لا إله إلا الله مائتي مرة بنفس التصور والطريقة التي علمتك إيّاها [٣] ، وبعد كل عشر مرات تقول : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعده : « إلا الله » أربعمائة مرة ثم « إلا الله » ستمائة مرة ، وفي

= أقول : إن هذا الاستدلال في غير محله ، لم يقل به النبي صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن ، ولا صحابته الكرام ، ولم يفسره أحد من المفسرين الأعلام بل إنهم يفسرون بأن المشركين إذا قيل لهم : لا إله إلا الله ، انقبضوا .

انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥ / ٢٦٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٨٥ ، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٤٦٧ .

(١) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٣٥٢ .

(٢) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٣٥٤ .

(٣) – وقد سبق ذكرها في حياة الشيخ محمد إلياس كما بينها الشيخ محمد زكريا فليراجع إليه .

الأخير « الله » بضربة واحدة مائة مرة ، ثم تجلس في المراقبة وتصور أن نور الله يدخل في القلب » [١] .

هذه بعض النماذج من أوراده التي علمها مريديه ، وهناك أوراد أخرى من أراد أن يطلع عليها فليراجع كتاب « سوانح حضرت جى ثالث » للسيد محمد شاهد السهارنفوري .

* مذهبه وعقيدته *

من الأمر الطبيعي أن يتأثر الرجل من البيئة التي ينشأ وينمو فيها، فالشيخ إنعام الحسن قد ترعرع تحت إشراف الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد زكريا في المحيط الديني الحنفي الصوفي الذي يفد إليه كبار هذه الطائفة كما سبق .

فحصل له التأثير من هؤلاء الموجهين والمرشدين، وانخرط في سلكهم ، لذا كان يعتقد معتقدات مشايخه والتي سبق أن ذكرتها في ترجمة الشيخين محمد إلياس ومحمد يوسف، وسيتضح أكثر وضوحا من خلال دراستي كتاب «تبليغي نصاب» أي المقرر التبليغي للشيخ محمد زكريا في فصل « عقائد الجماعة وأفكارها » لأن الشيخ إنعام الحسن كان يقرر قراء ة هذا الكتاب على الخارجين في الدعوة والمريدين له كما كان مقررا من قبل .

وكان مما يعتقد أن الأمة خلقت لأجل خلق النبي صلى الله عليه وسلم اعتمادا على الحديث الموضوع : « لَوْلاَ كَ لَوْلا كَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلاكَ » [٢] .

---

(١) – حضرت جى ثالث ٣ / ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٢) ـ ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » ١ / ٢٨٩، وقال : موضوع ، وأقره السيوطي في « اللآلي المصنوعة » ١/٢٧٢، وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الموضوعة ١ / ٤٥٠ ، ح : ٢٨٢ ، وقال : موضوع .

أشار إليه في رسالة العزاء التي أرسلها إلى أعضاء الجماعة بعد وفاة الشيخ محمد يوسف(١) .

كما كان يشد الرحال لزيارة قبور المشايخ والصوفية للمراقبة وقراء ة الفاتحة عليه ، أمثال قبر شيخ الطريقة رشيد أحمد كنكوهي بكنكوه (٢)، وقبر شيخ الطريقة الچشتية معين الدين في أجمير (٣)، وقبر الشيخ بو علي قلندر والسيد أحمد السرهندي بسرهند(٤)، وغيرهم (٥) .

وأحب أن أنبه على أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور مع تكرار زيارته لها ، وعلى هذا فقراء ة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ذلك مشروعا لفعله وبيّنه لأصحابه رغبة في الثواب ورحمة بالأمة وأداء لواجب البلاغ .

* وفاته *

توفي الشيخ إنعام الحسن بنظام الدين دهلي في ١٠ محرم الحرام سنة ١٤١٦ هـ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٩٥م إثر نوبة قلبية شديدة ألمت به في نحو التاسعة من الليلة

---

(١) – حضرت جى مولانا انعام الحسن ١٣، حضرت جى كى يادگار تقريرين ٨٨، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٦٤٨ – ٦٤٩ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٤٥ ، سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ١٠٦ .

(٣) – سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ١٢٢ ، ١٦٣ .

(٤) – المرجع السابق ٢ / ٣٧٢ ، ٣٧٧ .

(٥) – انظر : المرجع السابق ٢ / ١٠٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٤٧ ، ٤٨ .

المذكورة وقد توفّر الأطباء البارعون المتخصصون في أمراض القلب على معالجته نحو ثلاث ساعات متتالية ؛ ولكن أجل الله كان محتوما، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وصلى عليه ابنه الشيخ زبير الحسن بجمع كبير .

وانتشر نعي وفاته في أرجاء الهند كلها بل في العالم كله، فتوافد الناس من كل أنحاء الهند ومن شتى أقطار الدنيا ليحضروا الصلاة عليه، ووري جثمانه بجوار الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، وذلك بجانب مقر الجماعة في نظام الدين بدهلي[١] .

---

(١) – مجلة الدعوة صفر ١٤١٦ هـ/٦٠، فرقان يوليو ٩٥م/٧٤، مظاهر العلوم يونيو ٩٥م/٩، تعمير حيات ٢٥ يونيو/١٩، ١٥، حضرت مولانا إنعام الحسن ٢٠ – ٢١ .

* الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي *

(المشرف الأعلى على الجماعة)[(١)]

مولده ونشأته :

يحدثنا عن مولده ونشأته الشيخ أبو الحسن الندوي ومحمد ثاني الحسن فيقولان ما ملخصه : هو الشيخ محمد زكريا بن الشيخ محمد يحيى بن الشيخ إسماعيل الكاندهلوي .

ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان في كاندهلة سنة ١٣١٥ هـ الموافق ٢ فبراير سنة ١٨٩٨م، وفتح عينيه في بيت عريق في العلم والصلاح والسلوك والمجاهدة .

رضع بلبان العلم والدين ، ونشأ في المجتمع الصوفي وتربى في أحضانهم ، ونقل إلى كنكوه ، وهو قريب العهد بالفطام، فدب ودرج بين الصالحين والعلماء الصوفية ، وأدرك شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي ، وسعد بحنانه وعطفه الأبوي لما بينه وبين والده من اختصاص وعقل أول ما عقل أيامه وشفقته .

وقد بلغ الثامنة من عمره حين انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى، وبقي في كنكوه إلى أن بلغ الثانية عشرة من عمره، ووالده يعتني بتربيته أشد الاعتناء، ويحاسبه على النقير والقطمير، ويأخذه بعلو الهمة في كل شيء، والإقبال على العلم وصحبة الصالحين إقبالا كليا، والابتعاد عن الاختلاط بالناس[(٢)] .

وبصرف النظر عما فيه من مبالغة في الثناء يهمنا أن للشيخ محمد زكريا قرابة

---

(١) - حيات خليل ٦٠٩ - ٦١١ .

(٢) - انظر : مقدمة أوجز المسالك ١٦ - ١٧، حيات خليل ٦٠٣ - ٦٠٥ بالتصرف .

بمؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس كما تبين لنا من نسبه أنه ابن أخ محمد إلياس ، وحيث أنه تزوج بابنة الشيخ رؤوف الحسن كما تزوج الشيخ محمد إلياس ، وبذلك يعتبر عديلا لعمه محمد إلياس ، وتزوج الشيخ محمد زكريا بابنة عمه محمد إلياس بعد وفاة زوجته الأولى فصار صهراً له .

* رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية *

بدأ حروف الهجاء على زوجة الدكتور عبد الرحمن المظفرنكري من خدام الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[(١)] ، وحفظ القرآن الكريم على والده، ورعاه والده رعاية دقيقة حتى كان يأمره أن يقرأ كل ما يحفظه من القرآن الكريم مائة مرة ، وقرأ مبادئ اللغة الفارسية والعربية وبعض كتب الأردية مثل «بهشتي زيور» على عمه وصنو أبيه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ[(٢)] .

وانتقل مع والده سنة ١٣٢٨ هـ إلى مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفورو تلقى بقية العلوم والفنون معظمها على والده، وبعضها على مشايخ المدرسة الآخرين .

فدرس النحو، والصرف، وترجمة معاني القرآن الكريم والحديث الشريف، وقصيدة البردة، وبانت سعاد، والقصيدة الهمزية، على والده، وقرأ كتب المنطق على الحافظ عبد اللطيف أمين عام المدرسة وعلى الشيخ عبد الوحيد السنبهلي[(٣)] .

---

(١) – آپ بيتي ٥٩ – ٦١ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٧٦ وما بعدها .

(٣) – مقدمة أوجز المسالك ٧، ١٧، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ٣٠، آپ بيتى ٦٩ – ٧٠، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٧٦ .

فقد أقبل على العلم إقبالا بالقلب والقالب ، واشتغل به بهمة عالية ، وتهيأ تهيؤا كبيرا لدروس الحديث ، فقرأ الكتب الستة على والده سنة ١٣٣٣ هـ غير سنن ابن ماجة [١] ثم قرأ صحيح البخاري وسنن الترمذي مرة أخرى على المربي الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بعد وفاة أبيه سنة ١٣٣٤ هـ ، وكان ذلك اعتمادا على الرؤية التي رآها وامتثالا لطلب واقتراح من الشيخ لما توسم فيه من النجابة وصدق الطلب وعلو الهمة، ولما بينه وبين والده من الحب العميق، والرباط الوثيق، وقضى هذه المدة في عكوف كامل على الدراسة، وفي إجهاد النفس وإرهاقها في المطالعة، والإطلاع على المصادر، والاستعداد للدروس حتى إنه لا ينام أكثر من ساعتين أو ثلاث في طول الليل والنهار[٢] .

منهج دراسة الحديث النبوي الشريف : أما المنهج الذي سلكه الشيخ محمد زكريا في دراسة الحديث النبوي لدى والده فيتحدث عنه قائلا : « إنه كان من لائحة التعليم والدراسة أن نبين بعد دراسة كل حديث هل هو موافق للحنفية أو مخالف لهم، وإذا كان مخالفا لهم فنذكر أدلة الحنفية والرد على الحديث الشريف ، وهذا كان من مستلزمات دراسة الحديث التي كانت في ذمتي ... وأحيانا ما كنت أستطيع أن أرد على الحديث فوالدنا يرشدنا إليه » [٣].

وبعدماتخرج الشيخ محمد زكريا من مدرسة مظاهر العلوم عُين فيها مدرسا، وكان ذلك في غرة محرم سنة ١٣٣٥ هـ، وعمره حينئذ عشرون سنة ، فكان من أصغر الأساتذة

---

(١) – مقدمة أوجز المسالك ١٧ .

(٢) – مقدمة أوجز المسالك ١٧، آپ بيتى ١ / ٩٢ .

(٣) – آپ بيتى ١ / ٢٣ – ٢٤ .

سنا ، وأسند إليه تدريس كتب لا تسند إلى أمثاله في العمر وفي أول التدريس، فأول ما فوض إليه أصول الشاشي وبعض الكتب الابتدائية في النحو والمنطق والفقه، ولم يزل يتدرج فيها حتى أسند إليه تدريس مشكاة المصابيح وبعض أجزاء من صحيح البخاري بأمر من شيخه خليل أحمد السهارنفوري .

وأثبت المدرس الشاب جدارته وقدرته على التدريس حتى أصبح رئيس أساتذة هذه المدرسة ، وانتهت إليه رئاسة تدريس الحديث أخيرا، حتى اشتهر بشيخ الحديث، وكان أكثر اشتغاله بتدريس سنن أبي داود، وكان يدرس النصف الثاني من صحيح البخاري في آخر السنة، وبعد وفاة الشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة آل إليه تدريس الجامع الصحيح بكامله، فواظب عليه مدة طويلة مع ضعف بصره وأمراضه الكثيرة، ولم يعتذر عنه إلا في أول السنة الدراسية وذلك في سنة ١٣٨٨ هـ (١) .

وله مؤلفات كثيرة من أهمها : أوجز المسالك إلى موطأ مالك ، لامع الدراري على جامع البخاري ، تبليغي نصاب (فضائل أعمال) مشايخ تصوف (غير مطبوع) مشايخ چشتية (غير مطبوع) أصول الحديث على مذهب الحنفية (غير مطبوع)(٢) .

وقد عرفنا فيما مضى أنّ البيعة على الطرق الصوفية أمر متبع ورائج في البيئة التي نشأ فيها الشيخ محمد زكريا، فهو يمثلها قائلا: « إن التصوف روح كبارنا وكبار مظاهر العلوم ودار العلوم (ديو بند) فلعله لا يوجد أحد في هاتين المدرستين الذي لم يبايع على أحد المشايخ، ولم يشتغل بالذكر والشغل (الصوفي) إلى حد ما » (٣) .

---

(١) – مقدمة أوجز المسالك ١/٨، ١٨، آپ بيتى ٢ / ٩٧ – ١٠٢، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٨٥ – ٨٦ .

(٢) – انظر : آپ بيتى ٢ / ١٣٩ – ١٦٩ .

(٣) – آپ بيتى ٢١٠ .

وقال مرة : « إن التصوف شغل أساسي لمشايخنا »[١] .

ولهذا لما أراد الشيخ خليل أحمد السهارنفوري السفر إلى أرض الحجاز للقيام فيها مدة طويلة تهافت الناس عليه تهافت الفراش على النور للبيعة، ورغبها الشيخ محمد زكريا، وعرض على شيخه السهارنفوري، فحدد له الوقت بعد المغرب، وأمسك يده بين يديه ولقنه كلمات البيعة ورأى هذا المنظر الشاه عبد الرحيم الرائيفوري والشيخ محمد يحيى والد محمد زكريا فتعجب على أنه قام بهذا العمل الجليل العظيم بدون أن يطلعه على الأمر؛ ولكن الشيخ الرائيفوري صوّبه وحسنه، ودعا له كثيرا، وهكذا تمت البيعة في شوال سنة ١٣٣٣ هـ[٢] .

كما كان مجازا عن الشيخ خليل أحمد السهارنفوري للبيعة في الطرق الأربعة كما يتحدث محمد ثاني حسني فيقول : « وأجاز الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الشيخ محمد زكريا عند عودته من المدينة المنورة سنة ١٣٤٥ هـ للبيعة في الطرق الصوفية الأربعة (الچشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية)، واهتم لها اهتماما بالغا، وأخذ عمامته من رأسه، وقدمها للشيخ سيد أحمد[٣] أن يلف بها رأس الشيخ محمد زكريا وحينما وضعها على رأسه أدركته الرقة حتى ندت منه الصيحة، ودمعت عين الشيخ (السهارنفوري) أيضا .

وذكر الشيخ محمد زكريا في بعض مجالسه : «إني أحسست دخول شيء في نفسي بمجرد وضع العمامة على رأسي، ففهمت من هذا لعل هذه هي حقيقة انتقال النسبة » [٤] .

---

(١) –مجلة الفرقان ، خصوصي اشاعت ٢ محرم ١٤٠٦ هـ /١٧٢ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٨٢ .

(٣) – هو الأخ الكبير للشيخ حسين أحمد المدني صاحب الشهاب الثاقب .

وهو مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة . سوانح مولانا محمد يوسف ٩٧ .

(٤) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٩٧ .

وبعد ذلك بدأ يبايع بأمر عمه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس الجماعة، فبادئ ذي بدء طلبت منه نساء من أسرته أن يبايعهن ولكنه اعتذر فالتجأن إلى الشيخ محمد إلياس فأجلسه وأمره أن يبايعهن، ووضع عمامته على رأسه شفقة عليه وأخذ عمامته من رأسه وأعطاه منها طرفا وأرسل طرفا آخر إلى النسوة من وراء الحجاب وأمر أن يبايعهن بين يديه، وهذه كانت بداية عهده بالمبايعة، ولم يزل يترقى فيها إلى آخر حياته[1] حتى بايع كابتن عثمان في الجو على متن الطائرة وهو قائدها يوم ٢٨ رجب سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ١٤ يوليو سنة ١٩٧٧م حينما كان الشيخ مسافرا من جدة إلى كراتشي[2] .

وأصبح مرجعا لأهل العلم والسلوك يوما فيوما، يقول عنه الندوي : « إنه كان أكبر خلفاء الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وناشر علومه ومفيض بركته » [3] .

ولما كان الشيخ زكريا شديد الحب لمشايخه مثل الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (ت ١٣٦٣ هـ) والشيخ محمد عاشق إلهي ميرتهي (ت ١٣٦٠ هـ) والشيخ حسين أحمد المدني (١٣٧٧ هـ) والشيخ عبد القادر الرائيفوري (ت ١٣٨٢ هـ) فآلت إليه نيابة كل واحد منهم بعد وفاتهم في إكمال المبتدئين، وتربية المريدين، وتوجيه القاصدين، واعتبروه مشرفا روحانيا، وخليفة ووارثا لكل من مشايخهم .

وبعد وفاة الشيخ محمد يوسف سنة ١٣٨٤ هـ أصبح مرجعا لجماعة التبليغ، وللاحتفاظ على مبادئها وأصولها، ولصيانتها من مخاطر وفتنة الزمن، وكان يحمل عبئا كبيرا على عاتقه لقيامه بالتربية الروحانية لكل من أعضائها النشيطين ،وظل مشرفا أعلى على المقرر

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٩٨ ، وانظر : سوانح حضرت جى ثالث مولانا محمد إنعام الحسن كاندهلوي ٢٠٤/١ .

(٢) – مجلة الفرقان محرم ١٤٠٦ هـ/١٩٧ .

(٣) – مقدمة أوجز المسالك ١٧ . هذا تعبير الندوي ، ونلاحظ ما يحمله من المخالفة العقدية .

الرئيسي التبليغي بنظام الدين وعلى المسئولين هناك إلى آخر حياته [١] .

كان الشيخ يتمنى البقاء في المدينة المنورة، وحصل لهذا الغرض الإقامة النظامية في عهد جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمهم الله [٢] .

ثم نجح في الحصول على التابعية السعودية في آخر حياته، وذلك في ٥ رجب سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ٣١ يونيو سنة ١٩٧٧م [٣] .

* مذهبه وعقيدته *

من خلال عرض حياته اتضح للباحث أنه كان كمن سبقه حنفي المذهب صوفي المشرب ديوبندي التلقي ، وقد يتبين اعتقاده أكثر وضوحا حينما نتدارس كتابه «تبليغي نصاب» أي «منهج التبليغ» أو « المقرر في منهج التبليغ » – لأنه منهج علمي لأهل التبليغ يقرؤونها ويدرسونها دراسة حفظ وإتقان – [٤] من خلال دراسة عقائد وأفكار الجماعة ، إن شاء الله .

ويمكننا أن نقول : إنه كان يعتقد بمعتقدات مشايخه أصحاب مدرسة مظاهر العلوم وديو بند ومنها :

١ – التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالحين بعد مماتهم [٥].

٢ – الاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة دنيوية،

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٩٨ – ١٠٠ ، حيات خليل ٦٠٩، ٦١١ .

(٢) – مجلة الفرقان محرم ١٤٠٦ هـ /١٨٣ – ١٨٤ .

(٣) – مجلة الفرقان ١٩٦ .

(٤) – مقدمة أوجز المسالك ٩ .

(٥) – فضائل الحج ١١٤ – ١١٦ .

ويطلع على أحوال الأمة، ويشاهدها فلا فرق بين حياته ومماته في هذا (١) .

٤ - المراقبة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم(٢) .

٥ - رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة رأي العين (٣) .

٧ - الاعتقاد في الصوفية والمشايخ أنهم يتصرفون في الكون (٤) .

وسيأتي تفصيل كل ذلك في الفصل القادم - إن شاء الله .

* وفاته *

توفي الشيخ محمد زكريا في المدينة المنورة عام ١٤٠٢ هـ ، وقد جاء في قصة وفاته من القضايا المؤكدة لمشربهم الصوفي ، والمخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ، كما سيقت قصة وفاته للتأكيد على مكانته وولايته - كما أظن - إذ يزعم أحمد بن محمد أبو عبد الله أحد تلاميذه ومواطني المدينة فيقول: « حضر إلى الشيخ محمد زكريا ملك الموت في آخر السنة ١٤٠١ هـ، فاستأجله وطلب منه أن يبقيه زمنا يسيرا كي يزور المسلمين زيارة وداع، ويدعوهم مرة أخيرة إلى الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه، وأهمية تمسكهم بمذهب معين من المذاهب الأربعة كما دعاهم إلى إحياء الطرق الصوفية .

فسافر إلى بلاد الهند وباكستان وبعض بلاد انجلترا وجنوب أفريقيا ثم عاد الشيخ إلى الحجاز ونزل مكة، وفي هذا الوقت جاء إليه ملك الموت مرة ثانية، فاستأجله الشيخ على أن يميته في المدينة المنورة ولما رجع إليها قبض الملك روحه ، وكان ذلك في أوائل شعبان

---

(١) - نفس المصدر ١١٢ .

(٢) - مقدمة أوجز المسالك ١ / ٢١ ، مجلة البلاغ رمضان ١٤٠٢ هـ ص ٩ ، حيات خليل ٦١١ ، سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ٣٧٩ .

(٣) - آپ بيتى ١ / ١٩ .

(٤) - آپ بيتى ١ / ٥٠ - ٥٣ ، فضائل صدقات ٣٨٨ .

سنة ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٤ مايو ١٩٨٢م [١] .

ودفن في البقيع بين إحاطة أهل البيت وبين قبر شيخه خليل أحمد السهارنفوري كما كانت رغبته .

كما جاء ت بعض المبالغات لبيان فضله وولايته فيقول مريده الدكتور محمد إسماعيل الميمني : إنه بعد دفنه – نوّر اللّه مرقده – رأى أحد المجازين للشيخ قائلا يقول : « يفتح له أبواب الجنة الثمانية » وذهب آخر في الصباح التالي إلى القبر الأقدس فأحسّ وهو يصلي ويسلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « أُحلّ شيخكم في أعلى عليين ومثله لا يوجد إلا نادرا في مئات آلاف بل في عشرات ملايين » [٢] .

---

(١) – بحث في تخريج أحاديث جماعة التبليغ للخضر الأمريكي ٣٤ ج .

(٢) – مجلة البلاغ، دار العلوم كراتشي شوال ١٩/١٤٠٢ .

* الفصل الثاني *

عقائدها وأفكارها

المبحث الأول : موقفها من توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : موقفها من توحيد الألوهية .

المبحث الثالث : موقفها من توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الرابع : موقفها من البدع والخرافات .

* فكرة موجزة عن الكتاب (تبليغي نصاب) *

قبل أن نتحدث عن عقائد الجماعة وأفكارها بالتفصيل يجدر بي أن أشير إلى أهم الكتب التي قُررت على الجماعة ، وهو كتاب « تبليغي نصاب » لأنني أعتقد أن هذا الكتاب يعتبر وثيقة توضح بجلاء معتقدات الجماعة ، لذا سأعطي فكرة عن هذا الكتاب قبل التفصيل بمحتوياته .

التعريف بالكتاب : كتاب « تبليغي نصاب » (المقرر التبليغي) ، ألفه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الذي كانت له مكانة ومرتبة لديهم كما ذكرت فاشتهر بـ « شيخ الحديث » و « المحدث الكبير » و « ريحانة الهند » و « بركة العصر » و « العارف الكبير » و « قطب الأقطاب » حسب زعمهم ، وسمي الكتاب باسم جديد « فضائل أعمال » وهو باللغة الأردية ، وهذا الكتاب يقع في مجلدين، أما الأول فيشتمل على أقسام : حكايات الصحابة، فضائل الصلاة ، فضائل التبليغ، فضائل الذكر، فضائل القرآن، فضائل رمضان، فضائل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

وبين دفتي المجلد الأول رسالة صغيرة ألفها مولانا محمد احتشام الحسن الكاندهلوي بحكم مرشده مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي وسماها: « مسلمانون كى موجوده پستى كا واحد علاج » أي العلاج الوحيد لانحطاط المسلمين الراهن » [١] .

وأما المجلد الثاني فهو يشمل على فضائل الصدقات، وفضائل الحج ، وأصبحت هذه الكتب والرسائل وسيلة إرشاد لأرباب جماعة التبليغ، فجعلوها كمنهج علمي لأهل التبليغ

(١) – مسلمانون كى موجوده پستى كا واحد علاج ٢ .

يقرؤونها ويدرسونها دراسة حفظ وإتقان(١) ، لأن دراستها إجبارية عليهم فأقبلوا عليها إقبالا عظيما حتى قال عنها مدير مجلة الرشيد: الكتاب الذي يقرأ أكثر قراءة ودراسة بعد كتاب الله هو تبليغي نصاب، الذي يتدارس يوميا في آلاف الأماكن والاجتماعات والمساجد دبر الصلوات (٢) .

ويقول الشيخ محمد تقي عثماني : «ومازال تستمر مطالعته الجماعية في المساجد، ولا يكاد أن يوجد وقت من أربع وعشرين ساعة لا يقرأ فيه في ناحية من نواحي الدنيا » .(٣)

وحاول الشيخ محمد زكريا أن يروج كتابه بدعاية تتوافق مع مشربه الصوفي فيقول : « رأى أحد المشايخ في هذه الليلة ١ / ٨ / ١٣٩٧ هـ ، فقال : كنت أنت (محمد زكريا) حاضرا في المجلس ساكتا ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في مكان مرتفع قليلا ، وأمامه كتب عديدة في مجلدات جميلة رائعة الجمال ، فوق كلها فضائل الحج وتحته فضائل الصلاة على النبي ، وتحته حكايات الصحابة لمحمد زكريا ثم كتب أخرى ، ولم يلبث حتى جاء الشيخ محمد يوسف البنوري والرسول صلى الله عليه وسلم يسمع تحاوركما ويبتسم » (٤).

---

(١) – مقدمة أوجز المسالك ٩ .

(٢) – مجلة الرشيد شعبان ١٤٠٢/٣ ، وانظر : تبليغي جماعت اور اس كى ناقدين ٧ .

(٣) – البلاغ ، رمضان المبارك ١٤٠٢/٥ .

(٤) – بهجة القلوب ١٦ .

ويقول : « إن الشيخ خدا بخش كان صوفيا ذاكرا في زاوية الرائيفور ، رأى يوما في المنام أن إبراهيم عليه السلام والشيخ محمد زكريا يعمران بيت الله الحرام » فسئل الشيخ عن ذلك ، فقال : « أنا أؤلف رسالة فضائل الحج في هذه الأيام ، ستكون معاونة في التعمير الروحاني لبيت الله – إن شاء الله »[١] .

ويقول : « إن ماجد علي في عليجرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أنه يقول إن زكريا قد سبق معاصريه بتأليفه فضائل الصلاة على النبي »[٢] .

* دواعي التأليف *

كانت الجماعة في بداية تأسيسها تقرأ وتدارس بعض الكتب للشيخ أشرف علي التهانوي مثل بهشتي زيور وغيره[٣] .

وكانت أمنية الشيخ محمد إلياس تأليف كتاب ليكون مقررا على الجماعة في خروجها وفي حلقات تعليمها[٤] .

فكانت البداية أنه أمر ابن أخيه الشيخ محمد زكريا في الشروع في تأليف كتاب يقرر على الجماعة فكتب بناء على طلبه فضائل الصلاة ، وفضائل الذكر، وفضائل التبليغ ،

---

(١) – بهجة القلوب ص ٢٠ .

(٢) – المرجع السابق ٢٤ .

(٣) – جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ٨٣ ، بهشتي زيور : حلية الجنة .

(٤) – مكاتيب الشيخ محمد إلياس ٢٨، ٩٢ .

وفضائل رمضان، وفضائل الصدقات [١]، وألف « فضائل الحج » بطلب ابن عمه الشيخ محمد يوسف أمير الجماعة سابقا ثم جمع ما كتبه قبل ذلك مثل حكايات الصحابة بأمر مرشده الشاه عبد القادر الرائيفوري [٢]، وفضائل القرآن [٣]، وفضائل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بإرشاد الحافظ محمد ياسين النگينوي [٤] وسمى هذه المجموعة بتبليغي نصاب [٥] .

* منهج المصنف في كتبه *

صنف المصنف رحمه الله كتبه في الفضائل، فذكر بعض الآيات القرآنية فيها أولا، وهي الآيات التي لها علاقة بالموضوع والباب، وترجمها إلى الأردية مع شرح مبسط .

ويورد عقب هذا بعض الأحاديث بشرح مبسط أيضا ثم يعقبه بإيراد بعض آثار الصحابة والتابعين وأقوال المشايخ الصوفية وحكاياتهم الغريبة .

---

(١) – مقدمة فضائل أعمال ١/٣، فضائل نماز ٣، فضائل الذكر ٤، فضائل تبليغ ٣، فضائل صدقات ٧ .

(٢) – مقدمة فضائل أعمال ١/٣ ، حكايات الصحابة ٧، آپ بيتى ٢ / ١٥٠ .

(٣) – مقدمة فضائل أعمال ١/٣ ، فضائل قرآن ٣ – ٤، آپ بيتى ٢ / ١٤٨ .

(٤) – الحافظ محمد ياسين: هو الشاه محمد ياسين النكينوي خليفة رشيد أحمد الكنكوهي . ولد سنة ١٢٨٥ هـ وتوفي عن ٧٥ سنة .

يقول عنه الشيخ محمد زكريا: كان شيخا صاحب الكشف والتصرفات . فضائل درود ٥ ، آپ بيتى ٢ / ١٥٤ .

(٥) – مقدمة فضائل أعمال ١/٣، فضائل حج ٦، آپ بيتى ٢ / ١٥٢ .

وعلى هذا النمط صنف كتب الفضائل في الغالب إلا إنه يقدم أحيانا الأحاديث على الآيات القرآنية كما فعله في «فضائل الصلاة» و« فضائل القرآن » و« فضائل رمضان » .

وبعض الأحيان يقدم حكايات الصوفية على الأحاديث النبوية كما يقول في فضائل الصلاة : « أذكر في هذه الرسالة حكايات الصوفية ثم أذكر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم » (١) .

وبما أن المؤلف له اطلاع واسع على دواوين السنة، وقد شرح بعض كتب الحديث أيضا، أتعجب حشوه هذا الكتاب بكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وشطحات الصوفية، وغير ذلك من الخرافات والقصص والحكايات .

ومعظم تلك البلايا نجدها في كتبه باللغة الأردية أما النسخة المترجمة باللغة العربية فنجدها خالية منها ، ولعل ذلك خشية أن يطلع الإخوة العرب على ذلك (٢) .

وللعلم فإن النسخة الأردية تتضمن نصوص الأحاديث باللغة العربية مع بيان الحكم

---

(١) – فضائل نماز ٦٠ .

(٢) – والدليل على ذلك أن لدى الجماعة منهج ازدواجي ، هناك منهج للعرب ومنهج للعجم ، لذا قرروا في التعليم رياض الصالحين للعرب وتبليغي نصاب للعجم مع العلم أن هناك تراجم في اللغة الأردية لرياض الصالحين متوفرة ، وحينما ترجموا من كتاب « تبليغي نصاب » بعض الأجزاء إلى العربية فحذفوا منها كثيرا من الخرافات ، وقد أشار إليه الشيخ أبو الحسن الندوي في المقدمة حيث يقول : « وقد تناولنا الترجمة بشيء من التعديل والتلخيص لم يفقد الكتاب تأثيره ووقعه في القلوب نظرا إلى اختلاف البيئات والعقليات » (مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها ص ٩) . وكذلك حينما تُرجم كتاب الندوي عن مؤسس الجماعة فحذف منه الشيء الكثير من المؤاخذات عليه مثل المراقبة عند القبور وانتظار النبي صلى الله عليه وسلم مع خلفائه ، ورائحة الصحابة في طفولته .

عليها من الضعيف والمنكر والمرسل والموضوع والباطل في اللغة العربية وعندما يقوم بترجمة النص إنما يترجم الحديث فقط دون الحكم عليه بل بالعكس يذكر فوائده ويستدل به ويستنبط منه ما يريده لتأئيد موقفه ، وأغلبية القراء لا يعرفون العربية .

وتارة ينقل نص الحديث باللغة العربية أو يذكر معناه باللغة الأردية بدون أن ينقل متنه في العربية ويكون الحديث ضعيفا أو موضوعا ولم يذكر الحكم عليه بل يستدل به لتأييد موقفه .

وهذا يدل على عدم التزامه بالأمانة العلمية، وعلى عدم التحري في بيان الصحيح من السقيم والقوي من الضعيف، وعلى عدم التثبت والتتبع في أسانيد الأحاديث النبوية مع أنه شيخ الحديث يعرف قبل غيره قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ »(١) .

ثم إنه لم يكتف بإيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة فحسب بل أورد إلى جانب تلك الأحاديث الواهية مجموعة كبيرة من القصص والحكايات التي لا يصدقها العقل ولا يجيزها الشرع، ولكن الشخص الجاهل إذا قرأ تلك الأحاديث الواهية والقصص المنكرة ويجدها خالية من أي تعقيب وتنبيه يظنها صحيحة .

وعلى هذا يفهم العامة من الناس بأن الروايات والحكايات المروية في هذا الكتاب كلها صحيحة، ويحسنون الظن بالمؤلف المحدث أيضا بحيث أنه لا يمكن أن يكتب كتابا لإفادة

---

(١) – رواه مسلم في المقدمة ٦٢/١، والترمذي في السنن ٣٥/٥، ح : ٢٦٦٢، وابن ماجة في المقدمة ح : ٤١، والإمام أحمد في المسند ٢٥٠/٤، ٢٥٢، من حديث المغيرة بن شعبة، مرفوعا .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

الآلاف المؤلفة من الناس يحتوي على سيل من البدع والخرافات ، ويزيد حسن ظنهم بالكتاب أيضا سكوت كبار علماء ديو بند وسهارنفور من الرد عليه حتى أصبح منهجا مقررا لجماعة التبليغ .

ويؤكد على ذلك ما أجاب به الدكتور أسامة (١) مسئول الجماعة في منطقة « گوريني» بجونفور الهند – حينما اقترحت عليه أن يجرد الكتاب « تبليغي نصاب » عن الأحاديث الموضوعة الواردة فيه – قائلا : « إن الكتاب « تبليغي نصاب » ألفه الشيخ محمد زكريا – رحمه الله – الذي قال عنه سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي إني زرت جميع البلدان الإسلامية ولم أجد مثله شيخ الحديث في العصر الحديث في العالم ، فشهادة مثل الشيخ الندوي لشيخ الحديث محمد زكريا وسكوت علمائنا الأجلاء من ديوبند وسهارنفور يدل على أن هذه الأحاديث تصلح للعمل وتقوم بها الحجة » (٢) .

وهذا قول واعتقاد رجل مثقف بالثقافات الدينية والعصرية فما بالكم بالعوام ... ؟ والله المستعان .

وإليكم بعض الأمثلة من هذا الكتاب من الأحاديث التي سبق ذكرها آنفا :

*** أمثلة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي بين حكمها في العربية وترجم نصوص الأحاديث إلى الأردية مع عدم بيان الحكم ***

١ – يقول الشيخ محمد زكريا : « عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلاَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَقَدْ أَتَى بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الكَبَائِرِ » .

---

(١) – للعلم أنه رجل مثقف بالثقافات الدينية والعصرية فهو تخرج في دار العلوم ديوبند كما تخرج في جامعة عليجرة وهو طبيب عام ومسئول عن الجماعة في منطقته .

(٢) – تم هذا الحوار الذي قمت به معه في جمادي الأولى ١٤١٩ هـ بعيادته .

رواه الحاكم[1] وقال : حنش هو ابن قيس ثقة؛ وقال الحافظ بل واه بمرة لا نعلم أحدا وثقه غير حصين بن نمير، كذا في الترغيب » [2] .

---

(١) - أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧٥/١ ، من طريق حنش ، عن عكرمة، عن ابن عباس، مرفوعا ، وصححه وضعفه الذهبي .

وأخرجه الترمذي في السنن ١ / ٣٥٦ ، ح : ١٨٨ ، وقال الترمذي : وحنش هذا هو أبو علي الرحبي، وهو حسين بن قيس، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعّفه أحمد وغيره .

وأخرجه الدارقطني في السنن ١ / ٣٩٥ ، كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة في السفر بسنده وقال : « حنش هذا أبو علي الرحبي متروك » .

وأورده ابن حبان في «كتاب المجروحين» وقال : «فيه حسن بن قيس، كذبه أحمد وابن معين» . كتاب المجروحين ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وذكره الحافظ أبو الفضل المقدسي في «تذكرة الموضوعات»، وقال : «فيه حنش، كذبه أحمد وتركه ابن معين» . تذكرة المضوعات ١١٥ برقم ٧٨٤ .

وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال : وأما حسين بن قيس فقد كذبه أحمد بن حنبل، وقال مرة : متروك، وكذلك قال النسائي . وقال يحيى : ليس بشيء، وقال العقيلي : لا أصل له . الموضوعات ١٠٩/٢ .

أقول وبالله التوفيق : هذا الحديث قد قال العقيلي فيه: «حديث لا أصل له، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء» . كتاب الضعفاء الكبير ٢٤٨/١ .

والحديث المشار إليه أخرجه مسلم في صحيحه ١ / ٤٨٩ ، ح : ٧٠٥ ، ويقول الألباني عن الحديث الذي نحن بصدده : إنما هو ضعيف جدا . (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣ / ٢٢) .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣ / ١٦٩، كتاب الصلاة، باب ذكر الأثر الذي روي ...بسنده فقال : «تفرد به الحسن المعروف بحنش وهو ضعيف عند أهل النقل ، لا يحتج به »

(٢) - فضائل نماز ٢٦ .

٢ – ويقول : « قال بعضهم : ورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله تعالى بخمس خِصال: يرفع عنه ضيق العيش، وعذاب القبر، ويُعطيه الله كتابه بيمينه، ويمرّ على الصراط كالبرق، ويدخل الجنة بغير حساب .

ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله تعالى بخمس عشرة عقوبة: خمسة في الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاثة في قبره، وثلاثة عند خروجه من القبر .

فأما اللواتي في الدنيا: فالأولى : تُنْزع البركة من عمره، والثانية: تُمحي سيماء الصالحين من وجهه، والثالثة : كل عمل يعمله لا يأجُرُه الله عليه، والرابعة: لا يُرفع له دعاء إلى السماء، والخامسة: ليس له حق في دعاء الصالحين .

وأما التي تصيبه عند الموت فإنه يموت ذليلا، والثانية: يموت جوعا، والثالثة: يموت عَطَشَانا، ولو سُقي بحار الدنيا ما رُوِي من عَطَشه، وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعُه، والثانية: يُوقد عليه القبرُ نارا فيَتَقَلَّبُ على الجَمر ليلا ونهارا، والثالثة: يُسلَّطُ عليه في قبره ثُعبان اسمه الشُّجاعُ الأقرعُ، عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلّم الميتَ فيقول: أنا الشجاعُ الأقرع، وصوته مثل الرعد القاصف، يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى بعد طلوع الشمس، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الفجر، فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعا ، فلا يزال في القبر مُعَذَّباً إلى يوم القيامة، وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب، وسَخَط الرب ودخول النار .

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة، وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات: السطر الأول: يا مُضيّعَ حق الله، السطر الثاني: يا مخصوصا بغضب الله، الثالث : كما ضَيَّعْت في الدنيا حق الله فأيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة؛ لأن المفصل أربع عشرة فقط، فلعل الراوي نسي الخامس [١] عشر، كذا في الزواجر لابن حجر المكي[٢].

قلت (أي الشيخ محمد زكريا) : وهو كذلك؛ فإنّ أبا الليث السمرقندي ذكر الحديث في قرة العيون[٣]، فجعل ستة في الدنيا، فقال: الخامسة تمقته الخلائق في الدار الدنيا، والسادس: ليس له حظ في دعاء الصالحين، ثم ذكر الحديث بتمامه ولم يعزه إلى أحد .

وفي تنبيه الغافلين [٤] للشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، يقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة أعطاه الله خمس خصال، ومن تهاون بها في الجماعة عاقبه الله باثني عشر [٥] خصلة : ثلاثة في الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاثة في القبر، وثلاثة [٦] يوم القيامة، ثم ذكر نحوها ، ثم قال : وروي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا .

وذكر السيوطي في ذيل اللآلي بعدما أخرج ما بمعناه من تخريج ابن النجار في تاريخ بغداد بسنده إلى أبي هريرة قال في الميزان: هذا حديث باطل ركبه محمد بن علي بن عباس علي أبي بكر بن زياد النيسابوري [٧] .

قلت: لكن ذكر الحافظ في المنبهات [٨] عن أبي هريرة مرفوعا: « الصَّلَاةُ عِمَادُ

---

(١) – كذا ذكره المؤلف ولعل الصواب الخامسة عشر .

(٢) – الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/١٤٣ .

(٣) – قرة العيون مع مختصر تذكرة للقرطبي ٢ – ٤ .

(٤) – تنبيه الغافلين ١/٣٠٠ – ٣٠١ .

(٥) – كذا في الأصل والصواب باثنتي عشرة خصلة .

(٦) –كذا في الأصل والصواب ثلاثا في الدنيا وثلاثا عند الموت ، وثلاثا ... وثلاثا .

(٧) – ميزان الاعتدال ٣/٦٥٣ .

(٨) – المنبهات ٨٣ .

الدِّينِ، وَفِيهَا عَشْرُ خِصَالٍ الحديث »(١) .

---

(١) – فضائل نماز ٢٨ – ٣١ .

أقول وبالله التوفيق : هذا الحديث ذكره المصنف في اللغة العربية، ولم يترجمه إلى الأردية إلا إلى قوله: «فأيس اليوم أنتَ من رحمة الله» .

والحديث ما وجدته في دواوين السنة كما صرح به المصنف بقوله: «ولم يعزه إلى أحد» وكونه غير موجود في دواوين السنة دليل على بطلانه كما أشار إليه ابن الجوزي في مقدمة كتابه «الموضوعات» حيث يقول: « فمتى رأيت حديثا خارجا عن دواوين الإسلام كالموطأ ومسند أحمد والصحيحين وسنن أبي داود ونحوها فانظر فيه، فإن كان له نظير من الصحاح والحسان قرب أمره، وإن ارتبت فيه ورأيته يباين الأصول فتأمل رجال إسناده» . (الموضوعات ١ / ٩٩)

فالحديث خارج عن دواوين السنة، وليس له نظير من الصحاح والحسان، وليس له إسناد ندرسه في ميزان الجرح والتعديل؛ وإنما أخذه من كتب الوعظ والإرشاد التي تكون عارية عن الأسانيد المعتبرة غالبا، والله أعلم .

وأما الحديث الذي عند ابن النجار ونقل المصنف عنه قول الذهبي: «هذا حديث باطل»، وقد قال الحافظ عنه في «اللسان» : هذا حديث ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية . لسان الميزان ٥ / ٢٩٦

وأراد المصنف أن يقوي الحديث من رواية أبي هريرة التي في المنبهات لابن حجر بلفظ «الصلاة عماد الدين، وفيه عشر خصال: زين الوجه ونور القلب ، وراحة البدن، وأنس في القبر ، ومنزل الرحمة، ومفتاح للسماء، وثقل الميزان، ومرضاة الرب ، وثمن الجنة ، وحجاب من النار، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين » . (المنبهات لابن حجر ٨٣)

وهذه الرواية أيضا من الروايات التي لا ذكر لها في دواوين السنة، والذي وجدته منها: «الصلاة عماد الدين» فقط بدون الزيادة التي ذكرها المصنف .

وقد ضعفها السيوطي (الجامع الصغير ٢ / ١٢٠ ح : ٥١٨٥) ، وتبعه الألباني (ضعيف الجامع الصغير ٥٢١ ، ح : ٣٥٦٦) وقال العراقي في حاشية الإحياء : حديث «الصلاة عماد الدين» رواه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف من حديث عمر . (إحياء العلوم ١ / ١٤٧)

٣ – ويقول : « رُوي أنه عليه الصلاة والسلام قال: « مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ حَتَّى مَضَى وَقْتُهَا ثُمَّ قَضَى عُذِّبَ فِي النَّارِ حُقْباً » .

والحقب: ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم كان مقداره ألف سنة، كذا في مجالس الأبرار .

قلت: لم أجده فيما عندي من كتب الحديث إلا أن مجالس الأبرار مدحه شيخ مشايخنا الشاه عبد العزيز الدهلوي رحمه الله » (١) .

ثم ضرب الشيخ محمد زكريا هذه الأرقام باللغة الأردية وقال : فالحقب الواحد ثمانية وعشرون مليونا وثمانمائة ألف عام » (٢).

---

(١) – فضائل نماز ٣٦ .

(٢) ـ أقول وبالله التوفيق : بأي مبرر ساق المصنف هذا الحديث في كتابه مادام الحديث غير موجود في كتب الحديث، وكون المصنف وجده في كتاب مجالس الأبرار، وإن كان قد مدحه شيخ مشايخه فالعبرة بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا قوله صلى الله عليه وسلم .

وكون الحديث غير موجود في دواوين السنة هذا دليل قوي على بطلانه كما تقدم في ذلك قول ابن الجوزي، وقد بحثته في مظانه فما وجدته، وليس له نظير من السنة، بل يناقض بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قضى عدة صلوات فاتته في غزوة الخندق ، كما قضى صلاة الفجر حين رجوعه من غزوة خيبر مع أصحابه .

وبعد التنبيه على هذا أصر الشيخ على بقائه في كتابه ، فحينما قال له أحد التبليغيين : الحديث المذكور ضعفه بعض الناس ، فليس من المناسب أن يذكر في هذا الكتاب ، فما رأيكم ؟ فأجابه الشيخ قائلا : « لو كان هذا العاجز (يعني نفسه) ذكره من عنده لأمكن إصلاحه وحذفه ولكن ما دام أنه نقل من كتاب موثوق به فلا مانع من ذكره لتحذير الناس ولو كان ضعيفا . =

٤٠ – ويقول : « عن أم رومان والدة عائشة رضي الله عنها قالت: رآني أبو بكر الصديق أتميّل في صلاتي فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُسْكِنْ أَطْرَافَهُ لَا يَتَمَيَّلْ تَمَيُّلَ اليَهُودِ فَإِنَّ سُكُونَ الأَطْرَافِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ » أخرجه الحكيم الترمذي من طريق القاسم بن محمد، عن أسماء بنت أبي بكر، عن أم رومان .

كذا في الدر[١]، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير [٢]إلى أبي نعيم في الحلية[٣] وابن عدي في الكامل [٤]، ورقم له بالضعف » [٥] .

= ثم إن أجر الصلاة مع الجماعة يضاعف أكثر من ثلاثين مليون كما ذكرنا في الحديث الثاني في فضائل الصلاة ، فلا يستغرب أن يكون عقاب ترك الصلاة مثل ذلك ... وقد استشرت أصدقائي في هذا الأمر ولكنه لم يظهر لي أن أحذف الحديث المذكور » . كتب فضائل پر اشكالات اور ان كى جوابات ١٢٩ – ١٣١ ملخصا .

(١) – الدر المنثور ٥ / ٣ .

(٢) – الجامع الصغير ١ / ١٢٠ وضعفه السيوطي كما أشار إليه المصنف .

(٣) – حلية الأولياء ٩ / ٣٠٤ .

(٤) – الكامل لابن عدي ٢ / ٦٢٠ .

(٥) – فضائل نماز ٧٣ .

أقول : قال الألباني: موضوع . ضعيف الجامع ١ / ٨٨ .

والحديث موضوع كما قال الألباني؛ لأنه يدور على الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي قال فيه أحمد: أحاديثه كلها موضوعة، وقال ابن معين : ليس بثقة . (ميزان الاعتدال ١ / ٥٧٢) وقال الدارقطني والنسائي وجماعة : متروك الحديث (كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ٣٠ برقم ١٢٢ ، والضعفاء والمتروكون للدارقطني ١٨٠ برقم ١٦١) وقال أبو حاتم: كذاب (الجرح والتعديل ٣/ ١٢١) .

٥ – ويقول : « عن أنس قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَ اللّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ طُمِسَتْ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الحَسَنَاتِ » .

رواه أبو يعلى، كذا في الترغيب [١]، وفي مجمع الزوائد[٢]: فيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري، وهو متروك » [٣] .

٦ – ويقول : « عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا أَذْنَبَ آدمُ الذَّنْبَ الذِي أَذْنَبَهُ رفَعَ رأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلاَّ غفَرتَ لِي فَأَوْحَى اللّهُ إِلَيْهِ مَنْ مُحَمَّدٌ؟ فقال تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا عمن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى اللّه إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك ولولا هو ما خلقتك » .

أخرجه الطبراني في الصغير[٤]، والحاكم [٥] وأبو نعيم [٦]والبيهقي[٧] كلاهما في

(١) – الترغيب والترهيب للمنذري ٢ / ٢٣٩ ورمز له بالضعف .

(٢) – مجمع الزوائد ١٠ / ٨٢ . أقول : ترجم المصنف نص الحديث إلى «الحسنات» فقط باللغة الأردية دون التنبيه بالحكم بل بدأ يبين الفوائد .

(٣) – فضائل ذكر ٧٦ .

(٤) – المعجم الصغير ٢ / ٨٢ .

(٥) – المستدرك ٢ / ٦١٥ وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، فتعقبه الذهبي بقوله : بل موضوع.

(٦) – لم أعثر عليه .

(٧) – دلائل النبوة للبيهقي ٥ / ٤٨٩ .

الدلائل، وابن عساكر في الدر[١]، وفي مجمع الزوائد [٢]: رواه الطبراني[٣] في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم .

قلت (أي الشيخ محمد زكريا) : ويؤيد الآخر الحديث المشهور: « لولاك لما خلقت الأفلاك » .

قال القاري في الموضوعات الكبير[٤] : موضوع؛ لكن معناه صحيح » [٥] .

---

(١) -

(٢) - مجمع الزوائد ٨ / ٢٥٣ .

(٣) - المعجم الأوسط ٧ / ٢٩٥ ح ٦٤٩٨ ، المعجم الصغير ٢ / ٨٢ .

(٤) - الأسرار المرفوعة في الأخبار المرفوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ٢٩٥ ح ٣٨٥ .

(٥) _ فضائل ذكر ٩٥ - ٩٦ .أقول وبالله التوفيق : إن حديث عمر رضي الله عنه، موضوع ، قال الذهبي والحافظ ابن حجر : خبر باطل . (ميزان الاعتدال ٢ / ٥٠٤ ، لسان الميزان ٣ / ٣٦٠) وقال الألباني : موضوع . وقد فصّل الكلام فيه فمن أراد الزيادة فليراجع كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٨٨ - ٩٩ ح ٢٥ .

وأيضا هذه الرواية تخالف ما بين الله تعالى من قصة آدم وحوا في القرآن المجيد: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[البقرة ٣٧] والكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي قوله تعالى :

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الأعراف ٢٣] .

فلم يدع اللهَ آدمُ بحق محمد صلى الله عليه وسلم ووسيلته بل دعا الله تعالى بلا واسطة كما أمر بذلك جل وعلا، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

والعجب أنه يريد أن يدعم الحديث الأول بحديث يرى أنه موضوع فالحديث الذي أورده المصنف في تأييد الحديث الأول فهو أيضا موضوع كما قال ابن الجوزي (الموضوعات ١ / ٢٨٨) ، والسيوطي (اللآلي المصنوعة ١ / ٢٧٢) ، والألباني (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٤٥٠) .

وتقول اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حينما سئلت عن هذا الحديث: « ذكره العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، وقال: قال الصغاني : إنه موضوع، ثم قال : وأقول : لكنه معناه صحيح وإن لم يكن حديثا. =

٧٠ – ويقول : « عن علي رضي الله عنه مرفوعا: « من قال إذا مرّ بالمقابر: السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله كيف وجدتم قول لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله اغفر لمن قال لا إله إلا الله، واحشرنا في زُمرة من قال لا إله إلا الله غفر له ذنوب خمسين سنة، قيل: يا رسول الله، من لم تكن له ذنوب خمسين سنة ؟ قال: لوالديه ولقرابته ولعامة المسلمين .

رواه الديلمي في تاريخ همدان، والرافعي وابن النجار كذا في منتخب كنز العمال[١]، لكن روى نحوه السيوطي في ذيل اللآلي[٢]، وتكلم عن سنده، وقال: الإسناد كله ظلمات، ورمى رجاله بالكذب .

= نقول : بل هو باطل لفظا ومعنى؛ فإنّ الله تعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ ﴾[الذاريات ٥٦] .

ولم يثبت حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن الخلق خُلقوا من أجله لا الأفلاك ولا غيرها من المخلوقات .

وذكره محمد بن علي الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة وقال: قال الصغاني: موضوع .

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق ١٢] .

لم تخلق السموات والأرض من أجله صلى الله عليه وسلم بل خلق لما ذكره الله سبحانه، أما الحديث المذكور فهو مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم لا أساس له من الصحة . (فتاوى اللجنة الدائمة ١ / ٣٠٩ ، ٣١٢)

(١) – كنز العمال ١٥ / ٦٥٤ ح : ٤٢٥٩١ .

(٢) – ذيل اللآلي ١٥٧ .

وفي تنبيه الغافلين [١]: وروي عن بعض الصحابة من قال: لا إله إلا الله من قلبه خالصا ومدّها بالتعظيم كفّر الله عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر، قيل: إن لم يكن له أربعة آلاف ذنب، قال: يُغفر له من ذنوب أهله وجيرانه .

قلت (أي الشيخ محمد زكريا) : وروي بمعناه مرفوعا؛ لكنهم حكموا عليه بالوضع كما في ذيل اللآلي .

نعم يؤيده الأمر بدفن جوار الصالح، وتأذيه بجوار السوء؛ ذكره السيوطي في اللآلي بطرق » [٢] .

٨ – ويقول : « عن عبد الله بن أبي أَوْفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ أَحَداً صَمَداً لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ » . كتب الله له ألفي ألف حسنة » .

رواه الطبراني كذا في الترغيب [٣]، وفي مجمع الزوائد [٤] فيه فائد أبو الورقاء وهو متروك » [٥] .

---

(١) – تنبيه الغافلين ٢ / ٤٥٣ ، يقول محققه عبد العزيز محمد الوكيل : أخرجه الدارمي من حديث أنس ، وفيه نعيم بن سالم قال الحافظ ابن حجر في الذيل : باطل الحديث .

(٢) – فضائل ذكر ١٠٢ – ٣ ١٠، اللآلي المصنوعة ٤٣٩/٢ ، هكذا في فضائل ذكر ولعل الصواب « بالدفن بجوار الصالح وتأذى الميت بجوار السوء » .

أقول وبالله التوفيق : رحم الله المؤلف فإنه أيد الموضوع بالموضوع ثم أيد الموضوع بالموضوع فجمع ظلمات بعضها فوق بعض .

والحديث الذي أشار بقوله: « نعم يؤيده الأمر بدفن جوار الصالح » هذا حديث موضوع أيضا كما قال ابن الجوزي (الموضوعات ٣ / ٢٣٧) ، والألباني وفصل الكلام فيه وقال عن الطرق التي ذكرها السيوطي: «وهي شواهد لا تسمن ولا تغني من جوع ، ومن أراد التفصيل فليراجع كتابه . (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢ / ٧٩ – ٨٢)

(٣) – الترغيب والترهيب للمنذري ٢ / ٢٤٢ ورمز له بالضعف .

(٤) – مجمع الزوائد ١٠ / ٨٥ .

(٥) – فضائل ذكر ١٠٥ .

٩ – ويقول : « عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ليس من عبدٍ يقول : لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعَثَهُ اللّهُ يومَ القيامةِ ووجهُه كالقمر ليلةَ البدْرِ، ولم يُرفعْ لأحد يومئذ عملٌ أفضلَ من عملِه إلا مَن قال مثل قوله أو زاد » .

رواه الطبراني [١]، وفيه عبد الوهاب بن ضحاك متروك ، كذا في مجمع الزوائد[٢] .

قلت (أي الشيخ محمد زكريا) : هو من رواة ابن ماجة ولا شك أنهم ضعفوه جدا ... وله شاهد من حديث أم هانئ الآتي[٣] :

قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا إله إلا الله، لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنبا» .

قلت (أي الشيخ محمد زكريا) : أخرجه الحاكم[٤] في حديث طويل، وصححه ولفظه: «قول لا إله إلا الله لا يترك ذنبا ولا يشبهها عمل» وتعقب عليه الذهبي بأن زكريا ضعيف، وسقط بين محمد وأم هانئ .

وذكره في الجامع [٥]برواية ابن ماجة [٦]، ورقم له بالضعف » [٧] .

١٠ – ويقول :« عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « افتَحُوا على صِبْيانكم أولَ كلمةٍ بلا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله فإنه مَن كان أولُ كلامِه لا إله إلا الله وآخرُ كلامِه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة لم يُسئلْ عن ذنبٍ واحدٍ » .

---

(١) – لم أعثر عليه .

(٢) – مجمع الزوائد ١٠ / ٨٦ .

(٣) – فضائل ذكر ١٠٧ .

(٤) – المستدرك ١ / ٥١٤ .

(٥) – الجامع الصغير ٢ / ٧٢٥ .

(٦) – سنن ابن ماجة ٢ / ١٢٤٨ ح ٣٧٩٧ .

(٧) – فضائل ذكر ١٠٩ .

موضوع ؛ ابن محمويه وأبوه مجهولان، وقد ضعف البخاري إبراهيم بن مهاجر»[١] .

١١ – ويقول : « روي عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما مِن عبدٍ ولا أَمَةٍ يضعن بنفقة يُنفِقُها فيما يرضي الله إلا أنفق أضعافها فيما يسخط الله، وما من عبدٍ يدعُ الحجَّ لحاجة من حوائج الدنيا إلا رأى المحلقين قبل أن تقضي تلك الحاجة يعني حجة الإسلام، وما من عبد يدعُ المَشْي في حاجةِ أخيه المسلم قضيت أو لم تقض إلا ابتلي بمعونة منها ثم عليه ولا يؤجر فيه » .

رواه الأصبهاني[٢]، وفيه نكارة، كذا في الترغيب [٣] ، ورواه في مجمع الزوائد[٤] برواية الطبراني في الكبير [٥]عن أبي جحيفة، وقال فيه عبيد بن القاسم الأسدي وهو متروك .

قلت (أي الشيخ محمد زكريا) : « وهو من رواة ابن ماجة وذكره صاحب الكنز» [٦] .

١٢– ويقول : « عن رجل من آل الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين » .

---

(١) – فضائل ذكر ١٠٧ ، تنزيه الشريعة ٢ / ٣٦٤ – ٣٦٥ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن طريق محمد بن محموية عن أبيه وفيه إبراهيم بن مهاجر ، وقال البيهقي: متن غريب لم يكتبه إلا بهذا الإسناد . (شعب الإيمان ٦ / ٣٩٧ – ٣٩٨ ح : ٨٦٤٩)

(٢) – كتاب الترغيب والترهيب للأصبهاني ١ / ٤٤٦ ح : ١٠٥٢ .

(٣) – الترغيب والترهيب للمنذري ٢ / ١١٠ وفيه « يضمن » .

(٤) – مجمع الزوائد ٣ / ٢٠٧ .

(٥) – المعجم الكبير للطبراني ٢٢ / ١٢٩ .

(٦) – فضائل حج ٣٢ ، وانظر كنز العمال ٦ / ٤٤٨ ح : ١٦٤٨٣ .

رواه البيهقي في الشُعَب [١]، كذا في المشكاة ، وفي الإتحاف برواية الطيالسي[٢] بسنده إلى ابن عمر عن عمر ثم قال: وعن رجل من آل حاطب رفعه: « من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة » الحديث . أخرجه البيهقي وهو مرسل، والرجل المذكور مجهول » [٣] .

١٣ – ويقول : « عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ حَجَّ البَيْتَ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي » .

رواه ابن عدي في الكامل [٤]وغيره، كذا في شفاء الأسقام، وفي شرح اللباب: رواه ابن عدي بسند حسن، وبسط في تخريجه صاحب الإتحاف وقال : رد السيوطي على ابن الجوزي في إيراده في الموضوعات وقال: لم يصب » [٥] .

١٤ – ويقول : « عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » .

---

(١) – شعب الإيمان ٣ / ٤٨٨ ح : ٤١٥٢ .

(٢) – مسند أبي داود الطيالسي ١٢ / ١٣ .

(٣) – فضائل حج ٩٧ – ٩٨ والحديث رواه العقيلي في الضعفاء ٤٥٢ وقال : والرواية في هذا لينة كما ذكره الألباني في إرواء الغليل ٤ / ٣٣٤ .

(٤) – الكامل في ضعفاء الرجال ٧ / ٢٤٨٠ .

(٥) – فضائل حج ٩٨ .

أقول : في سنده النعمان بن شبل قال عنه ابن حبان : « يأتي عن الثقات بالطامات وعن الأثبات بالمقلوبات (الضعفاء ٢ / ٧٣) وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢ / ٢١٧) والصغاني في الأحاديث الموضوعة ٦ والشوكاني في الفوائد المجموعة ٤٢ ، وقال الألباني : موضوع وآفته محمد بن محمد بن النعمان بن شبل أو جده (السلسلة الضعيفة ١ / ١١٩) .

رواه الطبراني[١] والدارقطني[٢] والبيهقي[٣] وضعفه ، كذا في الإتحاف [٤] .

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير مما يحتوي عليه هذا الكتاب من هذا القبيل، وينشأ ههنا سؤال يجول في خاطر كل من عنده مسحة من العقل والفهم، وهو أنه ما الذي دعاه إلى إيراد هذه الروايات الموضوعة والباطلة في الكتاب، وقد ردّ عليها المحدثون وأنكروها؟ وإن كان لا بد من إيرادها فلماذا لم ينقل الحكم عليها إلى الأردية حتى يعرفه قراؤه .

* أمثلة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ساقها المصنف بدون التنبيه عليها لا في العربية ولا في الأردية *

١ - يقول الشيخ محمد زكريا : « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائيا أُبلغته » [٥] .

٢ - ويقول : « عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب وبريء من النفاق » [٦].

---

(١) - المعجم الكبير ١٢ / ٤٠٦ - ٤٠٧ ح : ١٣٤٩٧ ، المعجم الأوسط ١ / ٩٤ ح : ٢٨٧ .

(٢) - سنن الدارقطني ٢٧٩ .

(٣) - السنن الكبرى ٥ / ٢٤٦ .

(٤) - فضائل حج ٩٧، وانظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/١٢٠، ٣/٨٩ (وهو باطل وموضوع) .

(٥) - فضائل درود ١٩ .

أقول : قال العقيلي : لا أصل له (الضعفاء ٤ / ١٣٦ - ١٣٧) وقال ابن الجوزي : لا يصح (الموضوعات ١ / ٣٠٣) وقال الألباني : موضوع . (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٣٦٦) .

(٦) - فضائل حج ١٥٧ ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣ / ١٥٥ ، وقال الألباني : منكر . سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٥٤٠ ح : ٣٦٤ .

٣ – ويقول : « عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » (١) .

٤ – ويقول : « عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة » (٢) .

٥ – ويقول : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (٣) .

---

(١) – فضائل حج ٨٢ ، والحديث أخرجه ابن ماجة في السنن ، وفي الزوائد : إسناده ضعيف . سنن ابن ماجة ١ / ٤٥٣ ح : ١٤١٣ .

ومما يستنكر في هذا الحديث قوله : « وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة » والثابت عنه صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الكثيرة الصحيحة أنها بألف صلاة ، منها ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » . صحيح مسلم ٢ / ١٠١٢ ح ١٣٩٤ .

(٢) – فضائل حج ٩٨ – ٩٩ ، والحديث ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤ / ٧٠٢) وقال : وفي سنده سليمان ضعفه ابن حبان والدارقطني .

(٣) – فضائل حج ٩٦ ، وأخرجه الدارقطني بإسناد ضعيف كما في إرواء الغليل ٤ / ٣٣٥ – ٣٣٦ ح ١١٢٨ ، وقال الألباني : منكر ، والتفصيل ينظر في إرواء الغليل ٤ / ٣٣٥ – ٣٣٦ وسلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ١٢٠ .

* أمثلة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي ترجمها في الأردية دون النصوص العربية من غير بيان الحكم *

والأحاديث التي سبق ذكرها هي مما ذكره المصنف بالنص العربي في كتابه وأشار إلى أقوال المحدثين والعلماء من الضعف والوضع وكما ذكرت نماذج من الأحاديث التي ساقها المصنف بالنص العربي دون التنبيه على الضعف والوضع إلا أن هناك جملة من الأحاديث لم يذكرها بالنص العربي بل قام بترجمتها مباشرة وهي ضعيفة وموضوعة ولم يشر إلى ضعفها ووضعها ، ومن ذلك :

١ – يقول الشيخ محمد زكريا : ورد في حديث « عَلَيْكُمْ بِالسّواكِ فَفِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ: مَرْضَاةٌ للربِّ، مَسْخطةٌ للشيطانِ ومَفْرحةٌ للملائكةِ، وجيدٌ للثةِ، ويذهب بالحفرِ ويجلو بالبصرِ، ويطيب الفمَّ، ويقل البلغم، وهو من السنة، ويزيد في الحسناتِ » (١) .

٢ – ويقول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولده إبراهيم: « لَوْ عَاشَ إبراهيمُ لَكَانَ نَبِيّاً » (٢) .

---

(١) – فضائل نماز ٧ .

والحديث أخرجه الدارقطني في سننه (١ / ٥٨) وفيه معلى بن ميمون ، قال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال الدارقطني: معلى بن ميمون ضعيف متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه مناكير غير محفوظة » . العلل المتناهية ١ / ٣٣٥ .

وقال العظيم آبادي في التعليق المغني على الدارقطني : قال النسائي : متروك ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وأورده الهيثمي بأسانيد مختلفة كلها معلولة (مجمع الزوائد ١ / ٢٢٠) .

(٢) – فضائل حج ١٢١ .

أقول وبالله التوفيق : هذا الحديث يعارض قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب ٤٠] . =

٣٠ – ويقول : قال صلى اللّه عليه وسلم: « خَفِّفُوا ظُهُورَكُمْ وَبُطُونَكُمْ لِقِيَامِ الصَّلاةِ » (١) .

٤ – ويقول : « مَنْ تَرَكَ صلاةً واحدةً متعمدا كُتِب اسمُه على أبواب النارِ، فلا بد من دُخولها » أورده السمرقندي في قرة العيون عن النبي صلى اللّه عليه وسلم (٢) .

= فاللّه جل وعلا أخبر أن محمدا صلى اللّه عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، فكيف يخبر النبي صلى اللّه عليه وسلم خلاف النص القرآني بإمكانية نبوة ولده إبراهيم .

وهو يقول صلى اللّه عليه وسلم: « إنه لا نبي بعدي » ولهذا يقول السخاوي عن هذا الحديث الموضوع: « أما ما روي عن بعض المتقدمين: « لو عاش إبراهيم لكان نبيا » فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات، ومجازفة وهجوم عظيم . (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ٣٣٤ ح ٨٩٣) ويقول الألباني: إنها لا تصح هكذا عنه صلى اللّه عليه وسلم . (السلسة الضعيفة ١ / ٣٨٨) .

(١) – فضائل نماز ٧٨ .

أقول وباللّه التوفيق : هذا جزء من حديث طويل أورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالضعف . (الجامع الصغير ١ / ٦٠٥ ح : ٣٩٢٢) وقال الألباني : موضوع . (ضعيف الجامع ٤١٧ ح ٢٨٣٦) والحديث قد أخرجه أبو نعيم في الحلية وقال في آخره: غريب من حديث مسعر، تفرد به إسماعيل . (الحلية ٧ / ٢٥٥)

بعد دراسة السند الذي أورده أبو نعيم نستطيع أن نحكم عليه بالوضع لما فيه من الطامات وبالخصوص إسماعيل بن يحيى، وقد تفرد به .

يقول فيه صالح جزرة: كان يضع الحديث، وقال الأزدي: ركن من أركان الكذب، وقال الذهبي: مجمع على تركه . (ميزان الاعتدال ١ / ٢٥٣)

(٢) – فضائل نماز ٣٧ ، قرة العيون مع الروض الفائق ١٥٣ .

أقول : هذا الحديث بهذا النص لم أجده في كتب الحديث .

٥ – ويقول : « وقد ورد في رواية : « إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن [يس] من قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات » [1] .

(١) – فضائل قرآن مجيد ٥٢ ، أخرجه الترمذي (سنن الترمذي مع التحفة ٨ / ١٦٦٠ ح ٢٨٨٧) والدارمي في السنن (٢ / ٣٠٧ ح ٣٤١١) وقال الألباني : موضوع . (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٣١٢ ح ١٦٩)

* المبحث الأول *

موقفها من توحيد الربوبية

حينما نتدارس قضية التوحيد لدى جماعة التبليغ نرى أن توحيدهم لا يزيد عن توحيد الربوبية بل مقصور عليه ، وكلامهم يطول في هذا الجانب فقط ، وأما توحيد الألوهية والعبادات فلا يهتمون به مع أنهم يجعلون كلمة التوحيد الأصل الأول من أصولهم الستة ، ولكن من يخرج معهم في الجماعة يجد أنهم يقررون توحيد الربوبية في مواعظهم مع اختلاف أماكنهم ، فيفسرون معنى « لا إله إلا الله » أنه إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله ، وأنه لا خالق ، ولا رازق ولا مدبر إلا الله .

ولم أقف مع تجوالي معهم لبيان حقيقة الشرك ، وهو كما لا يخفى له ارتباط وثيق بمفهوم كلمة لا إله إلا الله ، ويؤكد ما أقول ما وجدته منسوبا إلى الشيخ محمد يوسف مفسرا كلمة « لا إله إلا الله » في إحدى محاضراته فيقول : « ليس مراد « لا إله إلا الله » إلا أنه لا يتحقق شيء من أحد ولا يوجد إلا من الله » (١).

ويقول : « أشهد أن لا إله إلا الله » يعني لا صانع ولا معطل إلا هو ، ولا يتحقق شيء من الأشكال والأشياء إلا من الله » (٢).

ويقول : « ذكر القرآن بأماكن شتى بأن لا يعتقد في المخلوقات بل يعتقد أن الله هو

---

(١) - حضرت جی کی یادگار تقریرین اور فرمودات یوسفی ١٢٤ ، حضرت جی کی یادگار تقریرین ٤٠ .

(٢) - حضرت جی کی یادگار تقریرین ٨١ .

المتصرف ، وهذا هو التوحيد » [١] .

فتبين مما مضى أن مفهوم التوحيد لدى الجماعة هو توحيد الربوبية ، وهذا الذي يتكلمون عنه في المحاضرات والاجتماعات ، ويلقنونه الخارجين معهم ، ولا يتعرضون لتوحيد الألوهية ، ولا يخفى أن هذا قصور في بيان معنى الكلمة ومفهومها ، وبالتالي نجد عندهم خللا كبيرا في هذا النوع من التوحيد مثل الاستشفاع والتوسل البدعي .

كما نجد لديهم سيلا من القصص والحكايات التي تتعارض مع توحيد العبادات ، وسيأتي نماذج منها في المباحث القادمة - إن شاء الله .

ومع تقريرهم لتوحيد الربوبية وحصر معنى « لا إله إلا الله » في هذا النوع من التوحيد يصيب الباحث الدهشة لتسرب كثير من القصص التي - في رأيي - تتصادم مع هذا المفهوم للربوبية يتضح ذلك من خلال الحكايات المبثوثة في كتاب « تبليغي نصاب » التي يتدارسها التبليغيون في جولاتهم ورحلاتهم الدعوية وغيره في كتبهم ، وإليكم نماذج منها :

* العلم بالآجال *

إن العلم بالآجال من الأمور الغيبية التي اختص الله جل وعلا بها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[٢] .

ولكن الجماعة التبليغية تزعم أنه ليس من خصائص الله سبحانه وتعالى بل يمكن الاطلاع عليه لبعض الأولياء والشيوخ كما أن مؤلف هذه الجماعة حكى قصصا وروايات تدل على ما ذكرت، وهي كثيرة، وأكتفي بذكر بعض منها دون أي تعليق عليها :

---

(١) - حضرت جی کی یادگار تقریرین ٨٢ ، تذكرة حضرت جی مولانا محمد يوسف كاندهلوى ١٣١ .

(٢) - لقمان ٣٤ .

قال الشيخ محمد زكريا: « قال الشيخ أبو يعقوب السنوسي: جاءني بعض المريدين بمكة وقال: يا أستاذي، سأموت غدا وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فكفني بنصفه واحفر لي قبرا بنصفه، فلما كان الغد وقت الظهر جاء المسجد الحرام فطاف ثم امتد فمات ثم أخذت في تجهيزه وتكفينه ووضعته في قبره، ففتح عينيه، فقلت له: حياة بعد الموت ؟ فقال: بل أنا حي وكل محب لله فهو حي »(١).

وقال : « يقول أبو الحسين المالكي: إني رافقت الشيخ خير نور باف سنوات عديدة، فقال قبل موته بثمانية أيام بأنني سأموت مساء الخميس وقت المغرب، وأُدفن بعد صلاة الجمعة فلا تنس، ولكنني نسيت بالكلية، فنعى لي شخص عن وفاته صباح يوم الجمعة، فذهبت فورا لأشارك في جنازته، فقابلني في الطريق الذين رجعوا من منزله وأخبروني بأنه سيُدفن بعد صلاة الجمعة، ولكنني وصلت إلى منزله وسألت عن كيفية وفاته، فأخبرني الشخص الذي كان موجودا وقت .وفاته وقال : إنه أغمي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق شيئا فبدأ يقول بعد ما حول وجهه إلى ركن من أركان البيت : انتظرني مليا، أنت مأمور بأمر وأنا مأمور بأمر، والذي أُمرت أنت لا يفوتك، ولكني الذي أمرتُ أنا فيبقى عليّ، فانتظرني برهة حتى أكمله، ثم طلب الماء وجدد الوضوء وصلى ثم أغمض عينيه ومدد رجليه واضطجع وانتقل، وبعد ذلك رآه أحد في المنام وسأله عن حاله فقال : لا تسأل قد نجوت من دنياك المنتنة » (٢).

ويحكي عن الشيخ أبي علي الروذباري أنه قال : « ورد عليّ فقير يوم العيد، رقيق الحال، وعليه ثياب خلقة ، وقال: هل هناك مكان نظيف ليموت فيه فقير مفلس، فاعتبرته لغوا وقلت له بدون مبالاة: ادخل ومت حيث تشاء، فدخل وتوضأ ثم صلى ركعات ثم اضطجع ومات، فقمت بتجهيزه وتكفينه، وبينما أنا عند إضجاعه في قبره خطر ببالي أن أفتح وجهه

---

(١) – فضائل حج ٢١٤، فضائل صدقات ٤٧٦، روض الرياحين ٢٤٧ .

(٢) – فضائل صدقات ٤٨٣ .

وأضعه على الأرض ليرحمه الله تعالى على مسكنته، ففتحت وجهه، إذ فتح عينيه، فسألت: يا سيدي، أحياة بعد الموت ؟ قال: أنا حي، وكل عاشق لله فهو حي، ولأنصرنك بجاهي يوم القيامة »[١].

ويقول التهانوي – الذي أراد مؤسس الجماعة نشر تعليماته – : « إنه خرج الشيخ مظفر حسين إلى مكة المكرمة في ٢٣ / ٦ / ١٢٨٢ هـ على طلب من المولوي محمد يعقوب ، وأصيب بمرض الإسهال قبل وصوله إلى مكة ، وذات مرة قال للشيخ إمداد الله بمكة : أتمنى أن أموت بالمدينة المنورة ، ولكنه يبدو أن أجلي قد قرب ، فلو راقبت [٢] ؟

فراقب الشيخ وقال : لا ، وسوف تصل إلى المدينة ، وبعد أيام برئ مظفر حسين من مرضه ، وتوجه إلى المدينة في اليوم التالي ، ولما كان على مسافة من المدينة عاد مرضه ، فمات بالمدينة ١٠ / محرم ١٢٨٣ هـ ، ودفن قريبا من قبر عثمان رضي الله عنه »[٣].

ويحكي التهانوي قصة يبين فيها أنه كيف كان أكابر القوم يحددون الموت والحياة عن طريق الكشف فيقول : « إن الشيخ محمد قاسم النانوتوي أصيب بمرض وفاته ، فقلق الناس ، فقال زميله الشيخ محمد يعقوب النانوتوي : لا داعي للقلق ؛ لأنه يعيش عشر سنوات قادمة ، ولكن الشيخ توفي في هذا المرض ، فتعجب الناس أنه كيف أخطأ كشف الشيخ محمد يعقوب ، فقال الشيخ : أصاب الكشف ولكنني أخطأت في فهمه ، وذلك بأنني حاولت أن أعرف بالكشف عن عمره ، فانكشف لي لفظ « مهدي » ففهمت منه أعداد حروف هذا اللفظ التي تكون « ٥٩ » وكان عمر الشيخ في ذاك الوقت « ٤٩ » فقلت بهذا الحساب إنه يعيش عشر سنوات قادمة ، ولكنه ثبت فيما بعد أنه لم يكن المراد أعداد حروف لفظ «

---

(١) – فضائل صدقات ٤٨٢، روض الرياحين ٢٤٧ .

(٢) – يقصد أن تراقب مراقبة تعرف بها هل أموت في مكة أم في المدينة ؟

(٣) – حكايات أولياء ٢٢١ – ٢٢٢ .

مهدي » بل كان المراد عمر « مهدي » ويكون عمره « ٤٩ » سنة » (١) .

أقول : إنّ من تتبع وتأمل في هذه الحكايات يجد كثيرا منها ما يصطدم مع عقيدة التوحيد الذي أرسله الله به الرسل، ومنها ما يلي :

١ - **العلم بالآجال** : ولا يخفى على من يؤمن بالله ورسله أنه مختص بعلم الله تعالى، وما تدري نفس متى تموت وبأي أرض تموت .

٢ - للأولياء قدرة أن يؤخروا أجلهم ويأمروا ملك الموت لكي يتنظرهم حتى ينتهوا من أشغالهم، كما فعل الشيخ خير نور باف، ولكن الذي خلق الموت والحياة، فهو يقول : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢) ويقول : ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٣) .

٣ - للولي جاه ينصر بجاهه يوم القيامة كما وعد به فقير أبا علي الروزباري، فانظر إلى هذه الجرأة التي لم يتجرأ عليها الأنبياء وهم يقولون يوم القيامة: نفسي نفسي .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٤) .

هذا اليوم الذي قال عنه إمام الأنبياء خير خلق الله لأقربائه : « يا مَعْشَرَ قُرَيش اشتروا أنفسَكم، لا أغني عنكم مِنَ اللهِ شيئاً، يا بَني عَبد مَناف، لا أغني عنكم مِنَ الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنكَ مِنَ الله شيئا، يا صَفية عَمَّة رسولِ الله،

---

(١) - مجالس حكيم الأمت ٢٧٤ .

(٢) - المنافقون ١١ .

(٣) - يونس ٤٩ .

(٤) - عبس ٣٤ - ٣٧ .

لا أغني عنكِ مِنَ اللّه شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سَلِيني ما شئتِ مِن مالي لا أغني عنكِ من اللّه شيئا»[١] .

وقد قال مالك هذا اليوم ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢] ، وقال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[٣] ، وقال : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٤] .

في مثل هذا الموقف الشديد والفزيع يقوم فقير لأبي علي الروزباري ينصره بجاهه، فلا أدري هل ألقى إليه الضمان من العزيز الجبار المقتدر ؟ فهل من مدكر ؟

* العلم بما في الفؤاد*

إن العلم بما في القلوب من الأشياء التي استأثر اللّه بعلمها ويؤمن بها أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا ولكن تعتقد الجماعة أن هناك أولياء يطلعون على الغيب ويعرفون ما يوسوس به القلب كما يقول السيد محمد شاهد السهارنفوري مؤلف كتاب « حضرت جي ثالث » :«إن الشيخ إنعام الحسن كان يدرك ويطلع على أحوال القلوب ووساوس الصدر بقوة لا تكاد تجد له نظيرا في العصر الحديث »، ثم لتأئيد قوله ذكر جملة من القصص في

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٢٥٩/٣، ح : (٢٧٥٣)، وينظر أيضا صحيح البخاري، ح : (٣٥٢٧) و (٤٧٧١) .

وأخرجه مسلم في الصحيح ١٩٢/١ – ١٩٣، ح : (٢٠٤) و (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعا .

(٢) – غافر ١٦ .

(٣) – البقرة ٢٥٥ .

(٤) – النبأ ٣٨ .

هذا الصدد منها ما يقول : « إن أحد أعضاء الجماعة ومبلغيها رغب ولده مرارا في البيعة على يد الشيخ إنعام الحسن ولكنه رفض ، فرأى في المنام قائلا يقول له : اذهب إلى دهلي وبايع على يد الشيخ ، فبناء على منامه حضر مع والده في المركز التبليغي بنظام الدين دهلي ، وطلب من الشيخ أن يبايعه ، فنظر الشيخ إليه وتبسم ثم قال : تعتمد على المنام إلى هذا الحد ؟ ثم بايعه ، وكان هذا المريد يتحير دائما ويقول : إنني لم أخبر أحدا عن منامي فكيف اطلع الشيخ عليه ؟ » (١)

ويحكي عن أحد الأعضاء القدامى من ميوات أنه قال : « اشتريت ذات مرة جاموسا بألف ومائتين ، وذلك ببيتي في ميوات ، ثم حضرت المركز التبليغي بنظام الدين دهلي لأخرج في الجماعة ومعي مائتان روبية ، وجلست في مجلس الشيخ إنعام الحسن إذ نظر إليّ وقال : هناك ناس يشترون الجاموس بألف ومائتين ويأتون بمائتين للخروج في سبيل الله .

يقول الراوي : « وإني لم أخبر أحدا عن هذا ولا ذاك ، ولكنني عرفت أنه يهدفني أنا » (٢).

ويقول أشرف علي التهانوي : « إن الشيخ محمد يعقوب جد خبير بخفايا النفس وأسرارها الدقيقة » (٣).

ويقول : « إن قلب الشاه عبد الرحيم الرائيفوري كان نورانيا جدا - فكنت أخاف أن أجلس عنده خشية أن تنكشف عيوبي » (٤) .

ويتضح هذا أكثر بما ذكره مؤلف هذه الطائفة من القصص والحكايات منها:

---

(١) - سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٥٠٠ .

(٢) - المرجع السابق ٣ / ٥٠١ .

(٣) - حكايات أولياء ١٤٠ .

(٤) - المرجع السابق ٤٢٢ .

يقول الشيخ محمد زكريا: « إن الشيخ شقيق البلخي رحمه الله قال: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى فتى من أحسن الناس وجها، وهو متوشح بثوب من صوف من فوق ثيابه، وفي رجله نعلان، وقد جلس منفردا عن الناس، فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه وأمتحنه، فدنوت منه فلما رآني قال: يا شقيق، ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[١] ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عظيم، قد نطق باسمي (وهو لا يعرفني) وتكلم على ما في نفسي، ما هذا إلا عبد صالح، والله لألحقنه وأستحله مما كان مني، فأسرعت نحوه، لكنه غاب عن عيني، فلما نزلنا « واقصة » [٢] إذا به قائم يصلي وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجري ، فقلت هذا صاحبي، فمضيت إليه لأطلب العفو عن سوء ظني به، وصبرت حتى فرغ من صلاته، وأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلا قال : يا شقيق ! اقرأ : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[٣] ثم تركني ومضى، فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال قد تكلم على ما في سري مرتين، فلما نزلنا إلى «زيالا» إذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة في البئر وأنا أنظر إليه فرمق بطرفه إلى السماء وقال :

أنت ربي إذا ظمئتُ من الماء   وقوتي إذا أردتُ الطعاما

ثم قال: اللهم مالي سواها فلا تعدمني إياها .

قال شقيق : فو الله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها، فمد الفتى يده وأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات، ومال إلى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل،

---

(١) – الحجرات ١٢ .

(٢) – واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء وقبل العقبة . معجم البلدان ٥ / ٣٥٤ .

(٣) – طه ٨٢ .

ويطرحه في الركوة ويحركه ويشربه .

قال شقيق : فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك، فقال: يا شقيق، كم ترى نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر، فوالله ما شربت ألذ منه ولا أطيب رائحة، فشبعت ورويت، وأقمت أياما لم أشته طعاما ولا شرابا، ثم مضى فلم أره حتى دخلنا مكة فرأيته في منتصف ليلة من الليالي وهو في جنب قبة الشراب، وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح، وطاف البيت ثم خرج فتبعته فإذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه، فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى ؟ فقال: هو موسى بن جعفر الصادق رضي الله عنهما » (١) .

ويحكي عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رحمه الله – وهو شيخ شهير من الشيوخ الچشتية – أنه قال : « سألت الله ثلاث ليالي متتالية أن يريني رفيقي في الجنة، فقيل لي: رفيقك في الجنة ميمونة السوداء (٢)، فقلت: وأين هي ؟ فقيل لي: في بني فلان بالكوفة، فخرجت إلى زيارتها، فلما وصلت الكوفة سألت عنها، فقيل لي: هي امرأة ترعى غنيمات في الغابة، فخرجت إليها فإذا هي قائمة تصلي وعليها جبة من صوف، ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى، فلما رأتني أوجزت في صلاتها وسلمت ثم قالت: ارجع يا عبد الواحد ليس الموعد اليوم، فإن موعد اللقاء غدا، فقلت لها: يرحمك الله، كيف عرفت اسمي، فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، فقلت لها: عظيني، فقالت : واعجبا لواعظ يوعظ، ثم قالت: بلغني من الأولياء أنه ما من عبد أعطى شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله

---

(١) – فضائل حج ١٨٨– ١٩٠، روض الرياحين ١٥٧ – ١٥٨ .

(٢) – امرأة حبشية في غاية السواد حتى سميت بالسوداء . فضائل صدقات ٥٤٩ .

حب الخلوة معه، وبدله بعد تقرب وحشة ثم أنشدت تقول :

يا واعظاً قام لاحتساب   يزجرُ قوماً عن الذنوب
تَنهَى وأنت السقيمُ حقاً   هذا من المنكر العجيب
لو كنتَ أصلحتَ قبل هذا   عيبكَ أو تُبتَ من قريب
كان لِما قلتَ يا حبيبي   مَوقعُ صدقٍ من القلوب
تَنهَى عن الغيِّ والتمادي   وأنت في النَّهي كالمُريب

ثم قلت لها: إني أرى أغنامك مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم، فقالت: إليك عني يا بطال، فإني أصلحت ما بيني وما بين سيدي، فأصلح ما بين الذئاب وغنمي » (١) .

ويروي عن الشيخ شبلي رحمه الله قال : « قال لي خاطري يوما: أنت بخيل، فقلت: ما أنا ببخيل، فقال: بل أنت بخيل، فنويت أن أول شيء يُفتح به على أعطيه أوّل فقير ألقاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل عليّ فلان، فأعطاني خمسين دينارا، فأخذتها وخرجت، فأول من لقيت فقير ضرير بين يدي مزيّن يحلق له شعره، فناولته ذلك، فقال: أعطها المزين، فقلت: إنها خمسون دينارا، فرفع رأسه إليّ وقال: ما قلنا لك إنك بخيل، فناولتها المزين، فقال: منذ قعد بين يدي هذا الفقير نويت أن لا آخذ على حلاقته شيئا، قال: فأخذتها وذهبت بها إلى البحر ورميتها فيه، وقلت: فعل الله بك ما فعل، وما أحبك أحد إلا أذله الله تعالى » (٢) .

ويقول : « إنّ إبراهيم الخواص – رضي الله عنه – قال: دخلت البادية فأصابتني شدة، فكابدتها وصابرتها، فلما دخلت مكة داخلني شيء من الإعجاب، فنادتني عجوز في الطواف: يا إبراهيم، قد كنت معك في البادية فلم أكلّمك لأني لم أرد أن أشغل سرّك عنه – جل شأنه – أخرج هذا الوسواس عنك » (٣) .

(١) – فضائل صدقات ٥٤٩، روض الرياحين ١٠١ – ١٠٢ ، بهشتي زيور ٨ / ٥٠ .

(٢) – فضائل صدقات ٥٥٤، روض الرياحين ١٨٧ .

(٣) – فضائل حج ٢٠٠، روض الرياحين ١٧٤ .

أقول : إن كشف القلوب والعلم بما في الصدور من الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها، وقد دلت على ذلك نصوص من الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[١] وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[٢] وقوله : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾[٣] .

بعد ذكر هذه النصوص الصريحة لا داعي لذكر أقوال علماء أهل السنة في هذه المسألة؛ ولكن نقرأ مرة ثانية الحكايات المذكورة في هذا المبحث والقصص الآتية حتى نكون على بصيرة بمعتقدات الجماعة .

* كشف الجنة والنار *

وعندما يسرد الشيخ محمد زكريا الحكايات التي تدل على انكشاف ما توسوس به النفس للأولياء ، نجده يسرد حكايات أخرى تدل على أن الأولياء ينكشف لهم أصحاب الجنة وأصحاب النار ، وفي ذلك يقول : « قال الشيخ أبو يزيد القرطبي: سمعت أن من يذكر لا إله إلا الله سبعين ألف مرة ينجو من نار جهنم . لما سمعت هذا الخبر قرأت نصابا يعني سبعين ألف مرة لزوجتي، وعدة نصاب لي ذخرا للآخرة، وكان عندي شاب، واشتهر عنه أنه صاحب كشف، ويحصل له كشف الجنة والنار أيضا، وكنت أنا مترددا في صحته، ومرة كان معنا في الغداء إذ صرخ صرخة وحصل له ضغط في التنفس، وقال : « أمي تحترق في النار، وأنا رأيت هذا المنظر » .

قال القرطبي : كنت أشاهد فزعه ، فخطر ببالي أن أمنح نصابا لأمه لكي يظهر صدقه عندي بالتجربة ، فمنحت لأمها نصاب سبعين ألف مرة من النصب التي قرأتها

---

(١) – الغافر ١٩ .

(٢) – النحل ١٩ .

(٣) – الإسراء ٢٥ .

لنفسي، وفعلت سرا لا يعلمه إلا الله، ولكن هذا الشاب قال فورا: يا عمي، قد نجت أمي من النار .

قال القرطبي: حصلت لي من هذه القصة فائدتان :

الأولى : قد جربت ما سمعت عن بركة هذا المقدار (سبعين ألف مرة) .

الثانية: تحقق صدق هذا الشاب » .

ثم يعلق الشيخ محمد زكريا على هذه القصة قائلا : « هذه قصة واحدة وأمثال هذه كثيرة في هـذه الأمة » (١) .

ولي تساؤلات على هذه الحكاية :

* هل النطق بالشهادة من الأعمال التي تدخلها النيابة ؟

* وهل يملك أحد أن ينجي أحدا من النار ؟

* ثم إن كان استحقاق دخول الجنة بنطق الشهادة مرة واحدة فلماذا جعل سبعين ألف مرة ؟

* وهل إذا صح الخبر يكون موضع تجربة ؟

* وهل الأعمال الصالحة قابلة للتحويل ؟

ويحكي عن الفقيه أبي الليث (٢) قصة عجيبة فيقول : « كان بمكة رجل من أهل خراسان، وكان رجلا صالحا وأمينا، وكان الناس يودعونه ودائعهم، فجاء رجل فأودعه عشرة آلاف دينار، وخرج الرجل في حاجته، فقدم الرجل مكة، وقد مات الخراساني، وسأل ولده وأهله عن ماله فلم يكن لهم به علم، فقال الرجل لعلماء مكة – وكانوا يومئذ مجتمعين

---

(١) – فضائل ذكر ٨٤ – ٨٥ .

(٢) – هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ت ٣٧٣ هـ ، علامة من أئمة الحنفية، زاهد من الزهاد، وأعلام المتصوفين .

انظر: تنبيه الغافلين ١/ ٩ .

متوافرين – أودعت فلانا عشرة آلاف دينار، وقد مات وسألت ولده وأهله فلم يكن لهم بها علم، فما تأمرونني ؟ فقالوا: نحن نرجو أن يكون الخراساني من أهل الجنة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فأت زمزم، فاطلع فيها وناد: يا فلان بن فلان، أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد، فأتاهم وأخبرهم، فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون، نحن نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، فأت إلى المكان الفلاني فإن فيه واديا يقال له برهوت، وبه بئر، فاطلع فيها إذا مضى ثلث الليل أو نصفه، فناد: يا فلان بن فلان، أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك، فأجابه في أول صوت: إن مالك فهو على حاله، وإني لم أأتمن ولدي على مالك، فدفنته في بيت كذا، فقل لولدي يدخلك في داري ثم سر إلى البيت، فاحفر، فإنك ستجد مالك، فرجع فوجد ماله على حاله، وسأله الرجل متعجبا فقال : ويحك، ما أنزلك ههنا، وقد كنت صاحب خير، قال: كان لي أهل بيت بخراسان، فقطعتهم حتى مت، فآخذني الله بذلك، فأنزلني هذا المنزل »(١) .

والعجيب أن يسجل الشيخ محمد زكريا مثل هذه الحكاية في كتابه لكي يُقرأ على أهل التبليغ ، فهل من المعقول التمكن من مخاطبة أهل الجنة وأهل النار ؟ ومن قال : إن أهل الجنة في بئر زمزم وأهل النار في بئر برهوت ؟ وتري أن هناك المخاطِب هو الرجل العادي ، والمخاطب هو الرجل العاصي ولا أدري كيف تم لهم كشف الجنة والنار وبئريهما بمكة المكرمة، تسكن فيهما أرواح الأبرار والفجار، وتقوم برد السؤال من عالم البرزخ بعد الموت، وقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٢) وقال :

---

(١) – فضائل صدقات ١٩٧، تنبيه الغافلين ١٤٧/١ .

يقول محقق كتاب تنبيه الغافلين عبد العزيز محمد الوكيل: قصة الوديعة والنظر في زمزم أو بئر (برهوت) باليمن ... إلى آخر ما جاء بها قصة لا تستند على أصل من حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) – المؤمنون ١٠٠ .

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ (١) .

وما قاله مخالف لما عليه الكتاب والسنة ، فلم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا في حديث صحيح ولا ضعيف ، والأمور الغيبية مصدرها التلقي من المعصوم عليه السلام لا من الحكايات ولا من الخرافات ، وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام البررة زمنا غير قليل ولكنهم لم يكتشفوا هذا ولم يكتشف أصحاب القرون المفضلة الجنة والنار، ولم نجد إشارة تدل على وقوع مثل هذا الكشف في الكتاب ولا في السنة ولا أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

والطامة الكبرى بناء العقيدة على مثل هذه الحكايات وهي مكذوبة وباطلة ، أو من صُنع الشياطين الذين يصنعون لأوليائهم بعض الأعمال الخارقة للعادة ، نسأل الله السلامة والعافية .

* العلم بما في الأرحام *

إن العلم بما في الأرحام من الأمور الغيبية التي اختص الله تعالى بعلمها كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ * وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) ولكن الشيخ أشرف علي التهانوي – الذي يريد الشيخ محمد إلياس نشر تعليماته على الطريقة التبليغية – يرى أن هناك مشايخ من مشايخ القوم يعلمون ما في الأرحام ، فهو يحكي في كتابه القصة التالية » أنه كان من قبيلة راجبوت رجل يسمى عبد الله خان ، وكان من أخص أصحاب الشاه عبد الرحيم الولائتي ، وكان قد بلغ من أمره أنه كلما جاءه أحد يطلب منه التعويذ وزوجته حامل ، كتب له التعويذ وأخبره بما تضعه زوجته من ذكر أو

---

(١) – القاطر ١٤ .

(٢) – لقمان ٣٤ .

أنثى ، وفعلا كانت المرأة تضع كما أخبر به » [١] .

ويذكر قصة عن الشيخ حبيب الرحمن أن « راؤ عبد الرحمن خليفة الشاه عبد الرحيم كان من أصحاب الكشف ، وقد بلغ من كشفه أنه كلما جاءه من يطلب منه التعويذ للولد قال له دون أن يتردد : اذهب . وأخبره بما ستضعه زوجته من ذكر أو أنثى . فقيل له : كيف تخبر بهذا ؟ فقال : ماذا أفعل ، يعرض عليّ المولود فأراه ولا أشك » [٢] .

نماذج أخرى من علم الغيب : يقول التهانوي : « إن الشاه عبد القادر الدهلوي كان يعرف تمام شهر رمضان ونقصانه عند مستهله فإذا عرف تمامه أنه لا يرى هلال العيد إلا بعد ثلاثين قرأ في صلاة التراويح في الليلة الأولى جزءا واحدا ، وإذا كان الشهر ناقصا قرأ جزئين .

وبما أن هذا الأمر كان قد أصبح مجربا فكان الشاه عبد العزيز يبعث شخصا ليستعلم عن القدر الذي قرأه الشاه عبد القادر ، فإن أخبره بأنه قرأ جزئين قال الشاه عبد العزيز لأصحابه : ما يكون الشهر إلا ناقصا » [٣] .

ويقول : « كان الحكيم خادم علي جالسا في مسجده في رمضان وحان وقت الإفطار فأفطر ، إذ دخل عليه نفر من الروافض وقالوا : قسما بالحسين ، أفطرت ولم تغرب الشمس ، قال خادم علي : كذبتم ، ما أفطرت إلا بعد غروبها ، فألحوا على اعتراضهم ، فقال خادم علي : إن قلوبنا عامرة بالإيمان والدين فهي لا تخطئ في الشهادة ، وإن كنتم في شك مما أقول ، فاحبسوني في غرفة وأغلقوا عليّ الباب ، وراقبوا الشمس ، ولسوف أخبركم عند غروبها فتصدقوني .

---

(١) – حكايات أولياء ١٨٥ .

(٢) – حكايات أولياء ٢٧١ .

(٣) – حكايات أولياء ٥٨ .

وقد استغرب الروافض هذه الدعوى وعزموا على تجربتها ، ففي اليوم التالي حبسوه في غرفة ، وصعدوا فوق السطح ينتظرون غروب الشمس ، فلما غربت ناداهم خادم علي من الغرفة بأن الشمس قد غربت ، فعرفوا صدق دعواه » (١).

* الرسول يطلع على الحوادث ويعين في المصائب *

إن جماعة التبليغ غلَوا غُلواً مفرطا في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى رفعوه فوق المنزلة التي أنزله الله فيها، واعتقدوا فيه عقائد فاسدة باطلة لا أساس لها من الصحة، ونسبوا إليه أمورا لو كان حيا لقاتل قائلها، وتوجهوا إليه بطلب المنفعة ودفع المضرة، وشكوا إليه نوائب الدهر، ونسوا الله الذي بيده مقاليد كل شيء، ويعتقدون فيه أنه يطلع على ما يحدث في الكون على مر الدهور والعصور، وهو يحضر ليشفي المرضى والمصابين، ويفرج هم المهمومين وكرب المكروبين في كل مكان وحين ، وسأضرب هنا بعض النماذج من هذا القبيل :

* يروي الشيخ محمد زكريا، عن محمد بن مالك رحمه الله أنه قال : « مضيت إلى بغداد لأقرأ على أبي بكر بن مجاهد المقرئ رحمه الله، فبينما نحن نقرأ عليه يوما من الأيام وكنا جماعة إذ دخل عليه شيخ وعليه عمامة رثة، وقميص رث، ورداء رث، فقام الشيخ أبو بكر رحمه الله له وأجلسه مكانه واستخبره عن حاله وحال صبيانه، فقال له وُلد لي الليلة مولود، وقد طلبوا مني سمنا وعسلا .

قال الشيخ أبو بكر رحمه الله : فنمت وأنا حزين القلب بما سمعت منه فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال لي : ما هذا الحزن ؟ اذهب إلى علي بن عيسى الوزير

---

(١) - حكايات أولياء ١٧٨ - ١٧٩ .

(وزير الخلافة) فاقرأ عليه السلام، وقل له بعلامة أنك لا تنام كل ليلة جمعة إلا بعد أن تصلي عليّ ألف مرة، وهذه الجمعة صليت ليلتها عليّ سبع مائة مرة ثم جاءك رسول الخليفة فدعاك إليه فمضيت ثم رجعت فصليت عليّ حتى أتممت ألف مرة، سلم إلى أبي المولود مائة دينار ليستعين بها على مصالحه .

فقام أبو بكر المقرئ مع أبي المولود فمضيا إلى دار الوزير فدخلا عليه، فقال الشيخ أبو بكر المقري للوزير: هذا الرجل أرسله إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام الوزير وأجلسه مكانه، وسأله عن القصة فقصها عليه، ففرح الوزير وأمر غلامه بإخراج بَدْرَة[١] فوزن منها مائة دينار وسلّمها لأبي المولود ثم وزن أخرى ليعطيها للشيخ أبي بكر فامتنع من أخذها، فقال له الوزير: خذها لبشارتك لي بهذا الخبر، فقد كان هذا الأمر سرا بيني وبين الله عز وجل، ثم وزن مائة أخرى وقال له: خذها لك ببشارتك بعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاتي عليه، ثم وزن مائة أخرى وقال لي: خذها لتعبك في المجيء إلينا ههنا، وجعل يزن مائة بعد مائة حتى وزن ألف دينار، فقال له الرجل: أنا لا آخذ إلا ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٢] .

* ويروي عن عبد الواحد بن زيد البصري رحمه الله قال : « خرجت حاجا فصحبني رجل، فكان لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فسألته في ذلك فقال : حينما جئت أول مرة لأداء الحج ومعي أبي، فلما انصرفنا قِلنا في

---

(١) – البدْرَة : كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويُقدم في العطايا ويختلف باختلاف العهود . المعجم الوسيط ٤٣/١ .

(٢) – فضائل درود ١٠٣ – ١٠٤ ، القول البديع ١٦١ – ١٦٢ .

بعض المنازل، فبينما أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي : قم فقد مات أبوك واسود وجهه، فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو ميت يسود وجهه، فدخلني من ذلك رعب، فبينا أنا على ذلك من الغم إذ غلبتني عيناي فنمت فإذا أنا على رأس أبي بأربعة سودان معهم أعمدة من حديد عند رأسه، إذ أقبل رجل يمشي حسن الوجه بين ثوبين أخضرين، فقال لهم: تنحوا، فرفع الثوب ومسحه بيديه ثم قال لي: قم، فقد بيض الله وجه أبيك، فقلت: من أنت بأبي وأمي ؟ قال: أنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومنذئذ ما تركت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حال من الأحوال »[1] .

* ويذكر الشيخ محمد زكريا، عن سفيان الثوري قال : « بينما أنا في الخارج إذ رأيت شابا لا يرفع قدما ولا يضع أخرى إلا وهو يقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، فقلت له: أبعلم تقول هذا؟ فقال : من أنت ؟ قلت : سفيان الثوري، قال: العراقي، قلت: نعم، قال: هل عرفت الله ؟ قلت: نعم، قال: كيف عرفته ؟ قلت: بأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويصور الولد في الرحم، قال: ما عرفت الله حق معرفته، قلت : وكيف تعرفه ؟ قال: هممت ففسخ همتي، وعزمت فنقص عزمي فعرفت أن لي ربا يدبرني، قلت: فما صلواتك على النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : كنت حاجا، ومعي والدتي فماتت فاسود وجهها، وتورم بطنها، فعرفت أنه حصل ذنب كبير، فرفعت يدي نحو السماء للدعاء فإذا بغمامة قد ارتفعت من قبل تهامة، وظهر منها رجل ومسح يده على وجهها فابيض، ومسح يده على بطنها فسكن المرض، فقلت: من أنت الذي فرجت عني وعن أمي؟ قال: أنا

---

(١) – فضائل درود ١٠٦، القول البديع ٢٣٩ .

نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، قلت: فأوصني، قال : لا ترفع قدما ولا تضع أخرى إلا وأنت تصل على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم »(١) .

* ويقول : « قال كردي قاطع الطريق : بينما أنا وأصحابي قد خرجنا لقطع الطريق، وأخذ أسباب الناس، إذ انتهينا إلى مكان فيه ثلاث نخلات، فواحدة منها ليس عليها ثمر، والنخلتان عليهما ثمر، فنظرت فإذا العصفور يحمل رطبا من النخلة المثمرة إلى النخلة اليابسة، وفعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم خطر بنفسي أن أنظر ذلك، فقمت وصعدت على النخلة فنظرت فإذا بحية عمياء فاتحة فاها، والعصفور يضع ذلك الثمر في فيها، فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمرنبينا بقتلها، فلما أعماها الله سخر لها عصفورا يقوم لها بالقوت، وأنا عبد من عباده أقامني لقطع الطريق وخيانة السبيل ثم قلت: اللّهم إني تائب إليك مما كان مني ثم كسرت سيفي، ووضعت التراب على رأسي وناديت: الإقالة الإقالة، سمعت قائلا يقول: قد أقلناك، فأتيت رفاقي فلما رأوني قالوا: ما بالك بتلك الحالة ؟ فقلت لهم: إني كنت مهجورا فصالحت ثم قصصت عليهم ما رأيت، فقالوا: نحن نصالح وكسروا سيوفهم جميعا، وتركنا ما اغتصبنا ثم أحرمنا وقصدنا مكة، فمشينا ثلاثة أيام حتى انتهينا إلى قرية فيها امرأة عجوز عمياء، فقالت : أفيكم فلان كردي ؟ فقلنا: نعم، فأخرجت ثيابا، وقالت إن ولدي مات عن ثلاثة أيام، وخلف هذه الثياب، فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال متتالية في المنام، وقال لي : أعطي هذه الثياب لفلان الكردي، قال: فأخذنا الثياب ولبسنا جميعا .

---

(١) – فضائل درود ١٠٩، القول البديع ٢٤٠ .

ثم يعلق عليها الشيخ محمد زكريا فيقول: إن في هذه القصة عبرتين :

تدبير الله ايصال الرزق للحية العمياء، وإعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم عطايا الثوب »(١) .

ويروي عن الشاه عبد الرحيم أنه قال : « إني مرضت ذات مرة فزرت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال صلى الله عليه وسلم : كيف حالك يا بني ؟ ثم بشرني بالشفاء ، ومنحني شعرتين من لحيته ، وتمتعت بالصحة فورا ، وإذا انتبهت فإذا في يدي هاتان الشعرتان » (٢) .

* ويحكي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : « بينما أنا في الطواف إذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع أخرى إلا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا هذا، إنك قد تركت التسبيح والتهليل، وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء ؟ فقال: من أنت ؟ فقلت: أنا سفيان الثوري، فقال: لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري، ثم قال: خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كان في بعض المنازل مرض والدي فقمت لأعالجه فبينما أنا عند رأسه إذ مات واسود وجهه، فحزنت حزنا شديدا وقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون، وجذبت الإزار على وجهه، فغلبتني عيناي فنمت، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها، ولا أنظف منه ثوبا، ولا أطيب منه ريحا، ويرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الإزار عن وجهه ومرّ بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض ثم ولى راجعا فتعلقت

---

(١) – فضائل صدقات ٣١٦ – ٣١٧، روض الرياحين ٣١٤ .

(٢) – فضائل درود ١١٣ .

بثوبه، وقلت: من أنت يرحمك الله ؟ فقد منّ الله بك على والدي في دار الغربة، قال: أو ما تعرفني ؟ أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن (صلى الله عليه وسلم) أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة عليّ، فلما نزل به ما نزل[1] أتيته لإغاثته ، وأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ » [2] .

* ويقول : « قال محمد بن سعيد بن مطرف[3] رحمه الله – وكان من الأخيار الصالحين – : كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا آويت إلي مضجعي أنّ أصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم عددا معلوما ، فإني في بعض الليالي قد أكملت العدد فأخذتني عيناي وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل عليّ من باب الغرفة فأصاب الغرفة به نور ثم نهض نحوي وقال: هات هذا الفم الذي تكثر به الصلاة عليّ أقبله فكنت أستحيي أن أقبله إلى فيه فاستدرت بوجهي فقبل خدي فانتبهت فزعا من فوري وانتبهت صاحبتي التي بجنبي فإذا بالبيت يفوح مسكا (من رائحته صلى الله عليه وسلم) وبقيت رائحة المسك من قبلته في خدي نحو ثمانية أيام »[4] .

ويحكي الشيخ محمد زكريا حكاية وفاة عمته فيقول : « إن المنية قد حضرتها وقت الفجر فنادتني وقالت : اجلسني بالسرعة ثم ذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم شرف

---

(١) – وفي الروض الفائق (٢٩٩) استغاث بي .

(٢) – فضائل درود ١٠٧، الروض الفائق ٢٩٩ .

(٣) – لعل الصواب مطرق كما نكره السخاوي .

انظر: القول البديع ١٣٥ .

(٤) – فضائل درود ٩٠ – ٩١، ١٠٢ – ١٠٣ ، القول البديع ١٣٥ – ١٣٦ .

بقدومه ، وأشارت بيدها إلى باب الدور العلوي أنه حضر هناك وتفضل بالقدوم ، ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى ، وذلك في ٢٤ شعبان ١٣٤٢ هـ » [١] .

* ويقول الشيخ محمد زكريا: « أخبرني صديق معتمد لديّ عن كاتب بلكنؤ أنه كان من عادته أن يكتب الصلاة على النبي في البياض المخصص لها قبل أن يبدأ الشغل بالكتابة في كل صباح، فإذا قرب موته فزع من الآخرة، وقال: ما أدري ما يفعل بي في الآخرة، فجاءه مجذوب [٢] وقال: يا عمي، لماذا تفزع ؟ إنما البياض قد عُرض إلى السيد صلى الله عليه وسلم، وهو يكتب عليها (ص) »[٣] .

---

(١) – آپ بيتى ١ / ١٨ – ١٩ .

(٢) – مجذوب : من ارتضاه الحق تعالى لنفسه ، واصطفاه لحضرة أنسه ، وطهره بماء قدسه ، فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب . معجم المصطلحات الصوفية ٢٣٦ .

(٣) – فضائل درود ٨٩ ، ولعله يقصد بالصاد الصواب أو الصحيح ، يعني يصدقه صلى الله عليه وسلم ويقبله . انظر : فيروز اللغات (اردو جيبي) ص ٣٥٥ .

* التعليقات على الحكايات *

من تأمل في القصص المذكورة يجد فيها ما يعارض عقيدة التوحيد ، ومنها ما يلي:

١ - الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّه وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[١] ، وقال : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾[٣] .

٢ - الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر بنفسه لتفريج المكروبين وتسلية المبتلين بعد موته صلى الله عليه وسلم، ويقول الله جل وعلا : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٤] ، ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّد سَلِينِي مَا شِئْتِ مِن مالي، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً »[٥] .

---

(١) - النمل ٦٥ .

(٢) - الأعراف ١٨٨ .

(٣) - الأنعام ٥٩ .

(٤) - النمل ٦٢ .

(٥) - أخرجه البخاري في الصحيح ٢٥٩/٣، ح : (٢٧٥٣)، وينظر أيضا صحيح البخاري، ح : (٣٥٢٧) و (٤٧٧١) .

وأخرجه مسلم في الصحيح ١٩٢/١ - ١٩٣، ح : (٢٠٤) و (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

٣ – أنه صلى الله عليه وسلم يمسح بيده على وجه وبطن امرأة أجنبية، ومن اطلع على سيرته العاطرة يعرف أن المعصوم عليه أفضل الصلاة والتسليم لم يمسح طول حياته يد امرأة أجنبية حتى في البيعة التي بايعهن، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط[١] ، وقالت أميمة رضي الله عنها: ولم يصافح رسول اللهه صلى الله عليه وسلم منا امرأة [٢] .

٤ – إذا كان آكل الربا والعصاة في مؤاخذة الله تعالى فيذهب صلى الله عليه وسلم لنصرتهم .

٥ – يجري صلى الله عليه وسلم مجرى السحاب، ويحضر لتفريج الكربات .

٦ – يلتقي الناس ويوصيهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وهم في اليقظة .

وقد تكلمت في أكثر من موضع أنه لا يكشف السوء إلا الله جل وعلا، ولا يملك ذلك نبي من الأنبياء ولا ولي من الأولياء .

ولو كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقدر على النصر والمساعدة بعد وفاته لنصر صهره وحبيبه عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي حصره الثوار والطغاة أياما طويلة، ومنعوه من الماء، وحضوره في المسجد النبوي حتى استشهد رضي الله عنه، ولكنه صلى

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٢٣٧/٣، كتاب الشروط، ح : (٢٧١٣) وفي التفسير، ح : (٤٨٩١) وفي الطلاق، ح : . ٥٢٨٨) وفي الأحكام، ح : (٧٢١٤) .

وأخرجه مسلم في الصحيح ١٤٨٩/٣، ح : ٨٨ – (١٨٦٦)، كلاهما من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

(٢) – مسند أحمد ٣٥٧/٦ .

الله عليه وسلم لم يساعده بشيء وكان قريبا منه .

وهذا حسين بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته حصر في كربلا ببغداد ومنع من الماء حتى استشهد عطشانا ولم يركب صلى الله عليه وسلم سحابا ليصل إليه وينصره ويؤزره .

أقول : كيف يسوغ نسبة هذه الأساطير إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم، وترويجها في الكتب التي يقرؤها آلاف مؤلفة من المسلمين، ولا شك أن من تعود من العوام على قراءة مثل هذه القصص والحكايات تسرب إليهم الأفكار المنافية للإسلام والتوحيد، شعروا بها أو لم يشعروا .

ويا ليت يقوم أحد من مسئولي الجماعة ليجرد هذا الكتاب [١]من مثل هذه الخزعبلات حتى يعم نفعه ويهدي الناس إلى سبيل الرشاد، وفقهم الله فهو ولي التوفيق .

وفي نهاية هذا الكلام وعن حقيقة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة أو المنام أحب أن أنقل ما كتبه الشيخ محمد عبد الرؤوف القاسم فهو كلام نفيس في هذا المقام كما يقول : «إنهم (الصوفية) في رؤيتهم مما يتوهمونه أنه محمد صلى الله عليه وسلم، يظنون أنهم يرونه حقا، ويحتجون لذلك بالحديث الشريف: « مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقّاً، فَإِنَّ

---

(١) – وأنى لهم هذا ! فقد قامت مكتبة « مدينة بكد پو دهلى » بطبع هذا الكتاب المحشى بهوامش ضرورية التي تبين بعض ما في الكتاب من الخلل والانحراف فشن التبليغيون حملة على الكتاب المذكور وعلى المكتبة والمحشي ، ونشروا إعلاناً انتقدوا فيه المحشي بانتقادات سيئة وأوصوا أن لا يشتري أحد هذا الكتاب ولا يهديه لأحد بل يرميه في النهر ، وفعلا هم قاموا بتنفيذ هذه المهمة ، لذا لا نجد الآن نسخة من هذا الكتاب المحشى في المكتبة المذكورة ولا في خارجها ، وللتفصيل ينظر : تبليغي نصاب ايك مطالعة ص ٢١-٢٢ .

الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي »[1].

والحديث واضح البيان، لا لبس فيه ولا غموض، فهو يقول: «مَنْ رَآنِي ...» والفرق كبير جدا بين هذا القول وبين «من رأى شخصا يدّعي أنه أنا» أو « من رأى شخصا وظنّ أنه أنا» أو «من رأى شخصا وقيل له: إنه أنا » الفرق كبير جدا بين هذه العبارات وبين عبارة الحديث : « من رآني ... » التي تعني رؤيته صلى الله عليه وسلم بشكله وصوره التي كان عليهما بل وزيه أيضا .

ويقول في الحديث أيضا: « ... فإن الشيطان لا يتمثل بي – وفي رواية – لا يتمثل بصورتي » والمعنى واحد، وهنا أيضا الفرق كبير جدا بين هذا القول وبين قوله لو قال : « ... فإن الشيطان لا يدعي أنه أنا أو لا يستطيع الشيطان أن يقول عن شيطان آخر إنه أنا أو لا يستطيع أحد أن يُخدع فيتوهم شيطانا يراه أنه أنا » .

إن عبارة : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » تعني أن الشيطان لا يستطيع أن يتراءى بصورة الرسول وشكله وزيه التي كان عليها صلى الله عليه وسلم في حياته بحيث لو رآه أي إنسان من أصحابه لعرفه أنه هو .

وقد يتساءل متسائل : كيف نعرف إن كان من نراه في المنام هو الرسول صلى الله عليه وسلم أم لا ؟

الجواب : تورد كتب الحديث وكتب الشمائل أوصافه صلى الله عليه وسلم فمن رأى في منامه إنسانا تجتمع فيه كل تلك الأوصاف دون استثناء فهناك احتمال أن يكون هذا الذي رآه هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأقول : هناك احتمال أن هو الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الأوصاف المذكورة

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٨/٤٠١ – ٤٠٢، ح : (٦٩٩٣) و (٦٩٩٤) (٦٦٩٦) و (٦٦٩٧)، ومسلم في الصحيح ٤/١٧٧٥ – ١٧٧٦، ح : (٢٢٦٦) و (٢٢٦٧) و (٢٢٦٨) و (٢٢٦٨) .

هي أوصاف إجمالية لا تفصيلية وغير دقيقة حيث يمكن أن نراها مجتمعة في عشرات الأشخاص الذين يختلفون عن بعضهم بدقائق صورهم وتفاصيلها .

وفي قصة جماعة الحرم عبرة لأولي النهى، فقد رأى عشرات منهم الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، وأخبرهم أن محمد بن عبد الله القحطاني هو المهدي المنتظر، ولا يخلو أن يكون بعضهم على علم بأوصاف الرسول الموجودة في الكتب وأن يكون رآه بتلك الأوصاف المجملة ثم كانت النتيجة أن القحطاني لم يكن المهدي، وبالتالي كانت تلك الرؤيا من وسوسات الشياطين أو من حديث النفس .

إن في هذه الحادثة برهانا عمليا ساطعا على أن الشيطان يدعي أنه محمد صلى الله عليه وسلم كما يجب أن لا ننسى العدد الوافر من الأولياء العارفين الذين رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر كل واحد منهم أنه هو المهدي المنتظر ثم كانت النتيجة أن الذي رأوه إما كان وسوسة شيطان أو حديث نفس، وهذا بالنسبة للرؤية في المنام أو في الجذبة [1] .

أما ما يقوله المتصوفة من الرؤية في اليقظة فهذا واضح البطلان والضلال كما هو واضح أن المترائي هو شيطان يضحك على أذقانهم، ويسلبهم عقولهم وإيمانهم ويضل بهم غيرهم .

إن الشيطان يدعي أنه الرب [2] ، فهل كثير عليه إن ادّعى أنه الرسول [3] ؟

وتقول اللجنة الدائمة ما نصه : « قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [4] .

---

(١) - الجذب : (في اصطلاح الصوفية) : حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق ، ويتصل فيها بالعالم العلوي . المعجم الوسيط ١ / ١١٢ .

(٢) - كما ذكره ابن تيمية عن عبد القادر الجيلاني رحمه الله .

(٣) - انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ٦٥٠ - ٦٥٢ ملخصا .

(٤) - الزمر ٣٠ - ٣١ .

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بلغ الرسالة وأكمل الله به دينه وأقام به الحجة على خلقه، وصلى عليه أصحابه رضي الله عنهم صلاة الجنازة، ودفنوه حيث مات في حجرة عائشة رضي الله عنها .

وقام من بعده الخلفاء الراشدون، وقد جرى في أيامهم أحداث ووقائع فعالجوا ذلك باجتهادهم ولم يرجعوا في شيء منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن زعم بعد ذلك أنه رآه في اليقظة حيا وكلمه أو سمع منه شيئا قبل يوم البعث والنشور فزعمه باطل لمخالفته النصوص والمشاهدة وسنة الله في خلقه ...» [١] .

* نماذج من تصرفات العباد *

يحكي الشيخ محمد زكريا عن أبيه أنه قال : « إن رجلا من « بانى بت » [٢] كان عليه دعوى القتل ويحاكم في محكمة « كرنال » [٣] وكان ملزما بالحضور إلى المحكمة في اليوم المحدد ، وفي الطريق واجهه نهر « جمنا » [٤] وفيه فيضان شديد، وإذا فاض نهر جمنا فلا يمكن عبوره، فتضرع إلى الملاحين وبكى لهم ليوصلوه إلى شاطئ آخر، ولكن بدون جدوى، وحينئذ رأى رجل قلقه وعجزه فقال له : إني أدلك على حلّ المشكلة بشريطة إخفاء اسمي، اذهب إلى المكان الفلاني بقرب جمنا، هناك كوخ فيه مجذوب تضرع إليه، واطلب منه بإلحاح ولا تقصر فيه مهما قال لك شيئا حتى لو شتمك وضربك، ولكن ألزمه .

فذهب وتضرع إليه، فلامه المجذوب لوما كثيرا كعادته قائلا: هل أنا إله ؟ ماذا أفعل أنا؟ ولكنه لازمه وبكى عنده ، فقال المجذوب في النهاية : اذهب وقل لجمنا أرسلني إليك من

---

(١) – فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٢٥ .

(٢) – اسم منطقة في الهند .

(٣) – اسم منطقة في الهند .

(٤) – اسم نهر معروف في الهند .

لم يأكل شيئا ولم يباشر زوجته طول حياته لتفسح لي الطريق فذهب وتيسر له الطريق من قبل جمنا» .

وبعد ذكر القصة علق عليها الشيخ محمد زكريا فقال : « إنه لا استبعاد فيها، فإن معجزات الأنبياء السابقين كرامات هذه الأمة .

وكانت زوجة المجذوب وأولاده في ذلك الكوخ فبدأت تبكي وتقول له: أنت ما أكلت شيئا طول حياتك ؟ وبدون هذا سمنت مثل الفيل ؟ فهذا تعرف أنت وربك، ولكنك قلت لم أباشر زوجتي قط، فمن أين هؤلاء الستة، فقد قذفتني، وطال النقاش بينهما حتى قال في النهاية: قد أكلت كثيرا وجامعتك كثيرا؛ ولكنني سمعت واعظا في صغر سني يقول: أي أمر إذا كان لله فهو دين وعبادة وثواب، ومنذئذ كلما أكلت شيئا نويت أن أتقوى به على عبادة الله أو نويت أن يفرح قلب من جاء به ليؤكلني، وكذلك قد جامعتك كثيرا بعد الزواج فكلما وطئتك نويت أن أعطيك حقك الذي فرض الله عليّ » (١) .

وذكر قصة أخرى عن الشيخ أبي الحسن الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجددي النقشبندي أنه قال : « كان ولي على شاطئ النهر والآخر المتأهل وصاحب أولاد على الشاطئ الآخر، وقال لزوجته أعدى المائدة، واذهبي بها إلى الولي الذي على الشاطئ الآخر، فقال: إنما النهر عميق فكيف أعبره حتى أصل إلى الشاطئ الآخر، فقال: «إذا أدخلت رجلك في النهر فاذكري اسمي وقولي: إن جرى بيني وبين زوجي ما يجري من العلاقة بين الزوجين فأغرقني وإلا فأعبر، فقالت، وبمجرد قولها غاض الماء وعبرت النهر في ماء قدر ركبتيها، وقدمت له المائدة فتناولها كلها وحده، فلما حان وقت العودة، تشوشت بأني عرفت ورد المجيء ولكني ماذا أقول في العودة، وحينما رأى حيرتها وقلقها سألها فبينت له الحكاية من البداية إلى النهاية، فقال: إذا ذهبت اذكري اسمي وقولي: إن أكل لقمة

---

(١) – آپ بيتى ١ / ٥١ – ٥٢ ، فضائل صدقات ٣٨٨ .

فأغرق، وإلا فأعبر، فتجاوزت، وسألت زوجها: أنت صاحب أولاد، وقلت ما يخالف الواقع، وهو تناول جميع الطعام أمام عيني، ولكنه أنكر تناول لقمة، فرد عليها وقال: فعلت ما فعلت بأمر إلهي، وما فعلت عن أمري، وهو فعل ما فعل بأمر إلهي لا لهوى النفس، وأما الذي تفعله الدنيا فذلك تحقيقا لرغبات النفس وليس امتثالا لأمر إلهي، والذي تفهمه الدنيا من علاقة زوجية وبطنة وشره فلم يرتكبها أحد منا » .

وبعد سرد القصة المذكورة أيدها الشيخ وصدقها وقال : « إنه لا استبعاد فيها، ولا يبعد أن يقع مثل هذا عدة مرات » (١) .

لو تأملنا في القصص المذكورة لوجدنا فيها كثيرا ما يخالف الدين القويم والعقل السليم والشرع المتين، ومنها:

١ – الحث على الاستعانة بمجذوب في الشدائد والمحن لدفع الكربات والمصائب التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا ننسى أن هذا المجذوب بذي الخلق فبدأ كلامه باللوم الكثير وأظهر في البداية أنه لا يقدر على هذا الفعل إلا الله ثم قام به نفسه حسب زعمه .

ويقول الله عزوجل : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ﴾ الآية (٢) .

ويقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ . أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٣) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) – آپ بيتى ١ / ٥٣ .

(٢) – النمل : ٦٢ – ٦٣ .

(٣) – البقرة : ١٨٦ .

(٤) – الغافر : ٦٠ .

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ...» الحديث[١] .

٢ – إثبات قدرة التصرف لمجذوب وولي في الكون الإلهي، فبمجرد حكمه أفسح النهر الطريق امتثالا لهما .

٣ – تفضيل الأولياء على الأنبياء وتنقيص مكانتهم؛ لأن موسى كليم الله، ونبيه في موقع حرج تبعه فرعون وجنوده، ولكنه لم يستطع أن يقوم لفلق البحر وتجاوزه بتدبيره، بل بين لنا القرآن الكريم : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[٢] فلم يملك موسى دفع هذه النازلة، بل كان على يقين جازم وإيمان صادق بربه عزوجل وعلى نصرته وحمايته : ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٣] ثم قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ ... ﴾[٤] إلى أن قال: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾[٥] .

وهكذا ينسب الشيخ محمد زكريا صراحة التصرفات إلى بعض مشايخه فهو يقول : « حضرة الأقدس الشاه محمد ياسين النكينوي – خليفة قطب العالم شيخ المشايخ حضرة الكنكوهي – كان في غاية الولاية والتواضع ، وكان قليل الكلام ووليا صاحب

---

(١) – أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٧٦، ح : ٢٥١٦، والإمام أحمد في المسند ١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، وأبو يعلى في المسند ٤/٤٣٠، ح : ٢٥٥٦، كلهم من حديث عبد الله بن عباس، فذكره مطولا .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) – الشعراء : ٦١ .

(٣) – الشعراء : ٦٢ .

(٤) – الشعراء : ٦٣ .

(٥) – الشعراء : ٦٥ .

التصرفات » [١] .

ويقول : « من أكابرنا الحافظ محمد ضامن الشهيد التهانوي كان ولده محمد يوسف وليا صاحب التصرفات ، ولتصرفاته وتمائمه المؤثرة العاجلة قصص كثيرة ، وهو الذي أخبر قبل وفاته أنه يريد السفر اليوم ... وقد تم وصاله في نفس اليوم » [٢] .

وقد نتساءل ألا يتعارض مدح الشيخ محمد زكريا لبعض الأشخاص بكونه من أصحاب التصرفات مع توحيد الربوبية ؟

وإذا كان يقصد أنه صاحب كرامة فيغير السنن الكونية ، فهل الكرامة صفة ذاتية ملازمة له أم هي وقتية ؟ وهل يملك أحد أنه يغير في السنن الكونية ؟

ويقول : ذهبت جماعة من العرب لزيارة قبر جواد معروف ، بينما هم في الطريق إلى قبره إذ رأى أحدهم في المنام أن صاحب القبر يخاطبه قائلا : بعني جملك بالبختي الذي أملكه ، فباعه صاحب المنام ، فقام صاحب القبر إلى جمله ونحره ، فلما قام صاحب الرؤيا من منامه وجد جمله تثعب أوداجه دما ، فنحره وقسم لحمه بين رفقته ، فأكلوا ثم تولوا راجعين ، فلما نزلوا في المنزل الذي بعده لقيهم رجل على بختي يسأل كل واحد عن اسمه ، فلما أخبره صاحب الرؤيا باسمه ، سأله هل بعت شيئا من صاحب هذا القبر ، فقص صاحب الرؤيا القصة كاملة ، فقال له صاحب البختي : إن صاحب القبر والدي ، وهذا البختي ملكه ، أمرني في المنام إن كنت ابني فأعط جملي هذا البختي فلانا وسماك ، فخذه وبعد أن سلّم إليه الجمل تولى .

قال الشيخ محمد زكريا معلقا على هذه الحكاية : « وهذا غاية الجود أن يبيع بعد الموت جمله الأصيل ليقدم القرى إلى من يأتي يزور قبره ، ولا غرابة في هذه القصة فإنه

---

(١) - فضائل درود ٥ .

(٢) - فضائل حج ٢١٣ .

حديث عن عالم الأرواح ، ويمكن فيه مثل هذا » [١] .

وهذا الخلل في توحيد الربوبية نجده عند مشايخهم السابقين بل هو من معتقدات علماء ديوبند التي يحملها مشايخ التبليغيين ، كما صرح الشيخ نجم الدين الديوبندي قائلا « إن علماء ديوبند لا يقولون إن الإنسان لا يتصرف البتة في حياته أو بعد مماته » [٢] .

وهذا هو الشيخ أشرف علي التهانوي – الذي أراد نشر تعليماته الشيخ محمد إلياس عن طريق التبليغ – يقول : « إن أهل التصرف يقدرون على العناصر ، فيركبون الأجساد ، ويتشكلون في الأشكال ، وذلك لأن الأرواح ذات انبساط فيوفقون بينها وبين عدد من الأجساد مما يسهل عليهم التشكل في أشكال مختلفة » [٣] .

ويحكي قصة في كتابه عن القاري طيب [٤]: أنه حصل نزاع بين كبار المدرسين في دار العلوم ديوبند ، ودخل في هذا النزاع رئيس المدرسين الشيخ محمود الحسن ، وطال النزاع ، وبينما هم كذلك ، إذ طلب الشيخ رفيع الدين مدير الدار من الشيخ محمود الحسن أن يحضر إلى حجرته – الواقعة في دار العلوم – وذلك بعد صلاة الفجر صباحا ، فذهب الشيخ محمود الحسن ودخل عليه في حجرته ، وكان الجو باردا جدا آنذاك ، فقال الشيخ رفيع الدين : انظر أولا إلى شعاري وهو من القطن ، فرآه الشيخ محمود الحسن فإذا هو مبلل يقطر ، فقال الشيخ رفيع الدين : لقد جاءني الشيخ النانوتوي رحمة الله عليه بجسده العنصري آنفا ، مما عرقت له عرقا شديدا ، وأمرني أن أخبرك بأن لا تكن طرفا في هذا

---

(١) – فضائل صدقات ٥١٣ .

(٢) – الديوبندية ٦٩ نقلا عن زلزلة در زلزلة ١٠ .

(٣) – الديوبندية ٩٥ نقلا عن مقالات حكمت ٣١ .

(٤) – هو القاري محمد طيب بن الحافظ أحمد بن محمد قاسم النانوتوي ، ولد في ١٣١٥ هـ ودرس في دار العلوم بديوبند ثم أصبح مديراً لها وبايع على يد التهانوي ثم صار خليفة له ، توفي في سنة ١٤٠٣ هـ . انظر : حضرت مولانا انعام الحسن ٤١٢ .

النزاع ، وما دعوتك إلا لأبلغك هذا ، فقال الشيخ محمود الحسن : أتوب على يديك مما كان مني ، وأتعاهد بأنني لن أتكلم في هذا الأمر بشيء » .

وقد أيد التهانوي هذه القصة ووجهها قائلا : « إن هذه الواقعة فيها تمثل للروح وله صورتان : الأولى : أن هذا الجسد كان مثاليا شبيها بالجسد العنصري ، والثانية : أن الروح تصرفت في العناصر وهيأت لها جسدا عنصريا » (١).

ويحكي القصة التالية في كتابه عن ديوان محمد ياسين – وكان من خدام الشيخ النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند – أنه يقول : « كنت مشغولا بالذكر الجهري تحت القبة الشمالية في مسجد « چهته » بديوبند ، وكان الشيخ النانوتوي – رحمة اللّه عليه – مراقبا في صحن المسجد في الجهة الشمالية نفسها ، وكان متوجها إلى قلبي ، إذ طرأت عليّ حالة خاصة ، ورأيت – وأنا في حالة الذكر – أنه غاب سقف المسجد وقبته مع بقاء جدرانه وأن نورا عظيما في الفضاء ممتد إلى السماء ، إذ رأيت عرشا ينزل من السماء وعليه الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، والخلفاء الأربعة على الزوايا الأربعة ، نزل العرش حتى استقر قريبا مني في المسجد ، فقال الرسول صلى اللّه عليه وسلم لأحد خلفائه : اذهب وآت بالشيخ محمد قاسم ، فذهب وأتى به ، فطلب الرسول صلى اللّه عليه وسلم من الشيخ محمد قاسم حساب المدرسة ، فقدم الشيخ حساب المدرسة بكل دقة ، ففرح الرسول صلى اللّه عليه وسلم بهذا فرحا شديدا ، واستأذنه في الذهاب ، ثم صعد العرش إلى السماء ، وغاب عن الأنظار » .

ثم يعلق عليها التهانوي قائلا : « إن هذه الواقعة كانت نوعا من الكشف ، والذي يحتمل أن يكون قد حصل بتوجه الشيخ وهو نوع من التصرف ، ولعل تعبير هذه الواقعة هو أن يرى صاحبها ما رأى فيها من تدقيقه صلى اللّه عليه وسلم لحساب المدرسة حتى يطمئن الذين كان في قلوبهم شك حول ذلك ، وأما المعاندون فمن دأبهم التشكيك حتى في

---

(١) – حكايات أولياء ٢٦١ – ٢٦٢ .

الوحي » (١).

ويقول : « تحدى الروافض مرة الشيخ النانوتوي وقالوا : لئن أريتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، وشهد لك الرسول بالصدق ، اعتنقنا عقيدة أهل السنة والجماعة ، فقال الشيخ : أعطوني موثقا من الله ، ولأرينكم رسول الله في اليقظة ، فتردد الروافض ، ثم قال التهانوي معلقا على هذه القصة : « قال الشيخ ذلك إما لكونه متمكنا من مثل هذا التصرف ، وإما لثقته بقوله عليه السلام : « لو أقسم على الله لأبره » (٢).

ويقول : « قال الحافظ عبد القادر التهانوي ، عن الشيخ محمد – قدس سره – يقول: ركبنا في الباخرة إلى الحج، فجاءها الطوفان، واستمرّ أياما حتى وقعت الباخرة في خطر وكادت أن تغرق، فنادى القَبطان بأعلى صوته: الآن وقت الدعاء فليدعوا الله سبحانه، فجلست أنا في المراقبة، وطرأت عليّ كيفية خاصة، وعرفت أنّ الباخرة قد حمّل أحد جانبيها الحافظ محمد ضامن على كتفه والآخر الحاج إمداد الله (٣)مكي على كتفه، حتى جعلاها مستوية على الماء تجري بالسلامة، وفرح الناس فرحا شديدا، وأما أنا فقد سجلت في دفتري هذه القصة بالوقت واليوم والتاريخ والشهر، ولما رجعت من سفري هذا إلى قرية « تهانة » رأيت ما كنت قد سجلت في دفتري، وسألت بعض الناس، فأخبرني قدرت على الفنجابي وكان من خدام الشيخ إمداد الله المكي – وقال: في ذلك الوقت أنا كنت حاضرا في خدمة الشيخ، إذ خرج الشيخ من حجرته ودفع إليّ إزاره، وهو مبتل، وقال: أغسله بماء البئر ونظفه، فلما شممته وجدت فيه رائحة ماء البحر ودسومته، ثم خرج الحافظ محمد

(١) – حكايات أولياء ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٢) – المرجع السابق ٢٨٤ .

(٣) – انظر ترجمته في ص ٣٠٨ .

ضامن من حجرته، ودفع إليّ إزاره وفيه أيضا أثر ماء البحر» [١] .

مثل هذه الخرافات والخزعبلات جمعها الشيخ أشرف علي التهانوي التي أراد نشرها الشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة حيث يقول : « يهوى قلبي أن يكون التعليم للشيخ التهانوي، ويتم تبليغه عن الطريقة التي قررتها أنا، وبذلك ينتشر تعليمه ويشيع » [٢].

ولا يفوتني أن أتساءل كيف يتأتى لمحمد ضامن أن ينقذ السفينة وهو في بيته ، وكيف علم بغرقها ؟ هل نتيجة مراقبة تلميذه أم استغاث به تلميذه فاستجاب له ، أم أنقذه بلا سؤال (العارف لا يعرّف) هذه التساؤلات أطرحها أمام القاري لعله يتفق معي فيما قررته من تعارضها مع توحيد الربوبية .

ويذكر السيد محمد شاهد السهارنفوري تصرفات عجيبة للشيخ إنعام الحسن منها ما يقول : « ذهب الشيخ مرة إلى اجتماع ، وبعد الاجتماع أقام في مقره هناك ، ونحن على الباب إذ جاءت امرأة كافرة ورجل بطفل ، وتضرعوا إلينا قائلين : نحن نعتقد أنه لو نظر شيخكم إلى هذا الطفل لعادت إليه الصحة ، فذكرنا للشيخ عجزهم واستكانتهم ، فسمح له بالدخول ، وألقى عليه نظرة عابرة فشفي فورا » [٣] .

ويقول : « ذات مرة حضر شاب عربي في المركز التبليغي بدهلي ، وطرأت عليه أحوال وكيفيات لم يتحملها ، فتشوش جميع من في المركز ، وذات يوم كانوا يتشاورون في حجرة بالدور الأرضي إذ دخل الشاب وتكلم كلاما فارغا ، فألقى الشيخ عليه نظرة حادة ، فتقهقر قليلا ، ثم نظر إليه فتقهقر قليلا ، ثم نظر إليه فخرج مسرعا وشفى بعد قليل » [٤].

وهم لا يقفون إلى هذا الحد ، بل يزعمون أن أولياء الله يتصرفون في جنة الله التي

---

(١) – كرامات امدادية ص ٧ – ١٨ ملخصا، وانظر: الديوبندية ٧٢ .

(٢) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٥٨ .

(٣) – سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٥٠١ .

(٤) – المرجع السابق ٣ / ٥٠١ .

أعدها للمتقين .

يقول الشيخ محمد زكريا عن جعفر بن سليمان رحمه الله أنه يقول : « مررت أنا والشيخ مالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور فيها إذ مررنا بقصر شامخ يُعَمَّر، وإذا شاب جالس يأمر العاملين ويقول: افعلوا كذا واصنعوا كذا، فقال مالك بن دينار رحمه الله : أما ترى إلى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على بناء هذا القصر، ما أحوجني إلى أن أسأل ربي أن يخلّصه فيجعله من شباب الجنة، ثم قال: يا جعفر، ادخل بنا إليه، قال: فدخلنا إليه وسلمنا عليه، فردّ علينا السلام وكأنه لم يعرف مالك بن دينار، فلما عرفه قام إليه وقال: هل من حاجة يا مولاي ؟ فقال مالك : كم نويت أن تنفق على هذا القصر ؟ قال: مائة ألف درهم، فقال مالك: ألا تعطيني هذا المال فأضمن لك قصرا في الجنة خير لك من قصرك هذا، بولدانه وخدمه، مكللا بالدر والياقوت، مرصعا بالجوهر، ترابه الزعفران، ملاطه المسك، تفوح رائحته، لا يخرب أبدا ولم يبنه بان، قال له الجليل: كن فكان؟ فقال له الشاب : يا سيدي أمهلني الليلة إلى غد، قال جعفر: فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فأكثر من دعائه، فلما أصبحنا غدونا إليه فإذا بالشاب جالس، فلما عاينه مالك بن دينار قال له: ما تقول فيما قلت بالأمس؟ فقال: تفعل؟ قال: نعم، فأحضر المال لوقته، وأحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمنه مالك بن دينار لفلان بن فلان، إني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وُصف والزيادة عليه، واشتريت لك بهذا المال قصراً في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل، ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب، وحملنا المال من عنده، فما أمسى مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد، وما مضى أربعون يوما على هذه القصة حتى وجد مالك الكتاب الذي أعطاه الشاب موضوعا في محرابه عند ما فرغ من صلاة الغداة، فأخذه مالك، فإذا في ظهره مكتوب بلا مداد: هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار، قد وفينا الشاب القصر الذي ضمنته له وزيادة على ذلك بسبعين

ضعفا، فتعجب من ذلك، ثم ذهبنا إلى منزل الشاب فإذا بالباب علامة السواد[١] ، والبكاء في الدار، فقلنا: ما فعل الشاب؟ فقيل: مات بالأمس، فأحضرنا الغاسل، وقلنا أنت غسلته، فحدثنا كيف صنعت؟ فقال الغاسل: إنه أحضرني قبل موته وقال: إذا غسلتني، وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني ففعلت ذلك، قال: فأخرج مالك الكتاب، وأراه الغاسل فقال له: والله إنه هذا الكتاب بعينه الذي وضعته في كفنه »[٢] .

هذه هي حكايتهم التي تدل دلالة واضحة على عدم فهمهم معنى التوحيد، وأن الشرك تسرب فيهم بطريقة شعروا بها أولم يشعروا بها؛ لأنهم اعتقدوا قدرة الأولياء على التصرف مع الله ، وهذا شرك مع الله في الربوبية، وتدبير شئون الخلق ، أسأل الله لنا ولهم أن يجنبنا من الزلل وسوء المعتقد .

---

(١) – في روض الرياحين (ص ٨٧) : بالباب مسدود .

(٢) – فضائل صدقات ٥٣٦ . ٥٣٧ ، روض الرياحين ٨٦ – ٨٧ .

* المبحث الثاني *

موقفها من توحيد الألوهية

تحدثنا فيما سبق أن القوم لا يهتمون بتوحيد الألوهية ، التوحيد الذي جاء ت به الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال سبحانه تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١) وقال : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢) وهو الذي من أجله قامت المعارك بينهم وبين أممهم ، وهو مقتضى لا إله إلا الله ، فلا معبود بحق إلا هو سبحانه تعالى ، ومن أهم أنواع العبادات : الدعاء ، فلا يجوز صرف سؤال أو دعاء لغير الله .

ومما يؤسف له أن نجد معتقدات وعبارات وحكايات منسوبة إلى مشايخهم تتعارض مع هذا التوحيد ، ومنها :

* التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم *

إن من المسائل التي أشكل فَهْمُها على كبار الجماعة مسألة التوسل ، فقد وقعوا في التوسل الممنوع والمبتدع الذي يتنافى مع مبادئ الإسلام وهدي النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول الشيخ محمد زكريا متحدثا عن آداب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم : « بعد أن تسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، تدعو متوسلا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتقول : « يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلما على ملتك

---

(١) – الأنبياء ٢٥ .

(٢) – النحل ٣٦ .

وسنتك » [١] .

ويحث كل من استفاد من كتابه « فضائل الحج » ثم ذهب لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقول: «السلام عليك يا رسول الله من زكريا بن يحيى الكاندهلوي يستشفع بك إلى ربك » .

ويقول : « وبعد قراءة السلام على الخليفتين أبي بكر وعمر، تقف بينهما وتقول: «السلام عليكما يا ضجيعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقيه ووزيريه ، جزاكم الله أحسن الجزاء، جئناكما كي نتوسل بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع لنا ويدعو لنا ربنا أن يحيينا على ملته وسنته، ويحشرنا في زمرته، وجميع المسلمين » [٢] .

ويورد حكايات لتأئيد هذا التوسل المبتدع فيحكي عن ذي النون المصري - رحمه الله - قال : « بينما أنا أطوف ببيت الله الحرام إذ أنا بشخص قد حاذى البيت وهو يقول : رب عبدك المسكين الطّريد الشّريد من بين يديك، أسألك من الأمور أقربها، ومن الطاعات أحبّها، وأسألك بأصفيائك من خلقك الكرام، وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا سقيتني بكأس محبتك، وكشفت عن قلبي أغطية جهل معرفتك حتى أرقى بأجنحة الشوق إليك فأناجيك بين رياض العرفان ...

قلت : فما اسمك ؟ قال: سماني أبي سعدون، قلت: المعروف بالمجنون ؟ قال : نعم، قلت : فمن القوم الذين سألت الله تعالى بهم وبحرمتهم ؟ قال: أولئك قوم ساروا إلى الله سيرَ مَنْ نصب المحبة بين عينيه، وتجردوا تجرُّد من أخذتِ الزبانية بقلبه ... »[٣]

---

(١) - فضائل الحج ١١٤ - ١١٥ .

(٢) - فضائل الحج ١١٧ .

(٣) - فضائل حج ١٧١ - ١٧٢ ملخصا ، روض الرياحين٩٧ - ٩٨ .

ويقول : « قال الشيخ أبو عبد الله الجلاء [١] رحمه الله : ذات يوم اشتهت أمي على والدي سمكة، فذهب إلى السوق وأنا معه واشتراها، وبحث عن حمال فإذا بصبي واقف بجواره قال : يا عمي، هل تبحث عمن يحملها؟ فقال : نعم، فحملها الصبي على رأسه ومشى معنا، فسمع الآذان في الطريق، وقال : نادى مناد الله، وأنا أحتاج الوضوء فلا أقدر أن أوصلها إلا بعد الصلاة فإذا شئت انتظرني وإلا فخذها، فوضع السمكة ومشى فتيقظ والدي أن هذا الصبي يفعل هكذا فنحن أولى أن نتوكل على الله فتركها ودخلنا المسجد ثم رجعنا فإذا السمكة في مكانها لم تبرح، فحملها الصبي إلى بيتنا، وأخبر الوالد أمي هذه القصة العجيبة فقالت: قل له يأكل معنا هذه السمكة، فقيل له، فقال أنا صائم، فأصرّ عليه الوالد أن يفطر عندنا، فقال الصبي : إذا ذهبت فلا أرجع مرة أخرى، ويمكنني أن أجلس في مسجد مجاور إلى المساء حتى أفطر عندكم ثم أرجع، ثم ذهب إلى المسجد، وجاءنا بعد المغرب وتعشى ثم دللناه على الخلوة، ومُقْعَدة كانت تسكن بجوارنا فرأيناها تأتينا قائمة مستوية، فسألناها كيف شفيت ؟ قالت : دعوت بوسيلة هذا الضيف، فقلت : اللّهم ببركة هذا الضيف اكشف عني الضر فشفيت على الوقت .

قال أبو عبد الله : قمنا إليه في الخلوة وجئنا إلى الباب فوجدناه مغلقا بحاله ولم نجده [٢] .

---

(١) – هو أبو عبد الله ابن الجلاء أحمد بن يحيى بغدادي ، سكن الرملة ، صحب ذا النون وأبا تراب وغيرهم ، أحد أئمة القوم ، له النكت . انظر : حلية الأولياء ١٠ / ٣١٤ و سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٥١ .

(٢) – فضائل نماز ٦٢ – ٦٣ ، الروض الفائق ١٠٠ – ١٠١ ، روض الرياحين ٢٨٩ ..

والتوسل بحق أحد من خلق الله عزوجل توسل مبتدع لا يجوز، كما قررت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتقول: «أن يسأل العبد ربه حاجته مقسما بوليه أو نبيه أو بحق نبيه أو أولياءه بأن يقول: اللهم إني أسألك كذا بوليك فلان أو بحق نبيك فلان» فهذا لا يجوز؛ فإن القسم بالمخلوق على المخلوق ممنوع، وهو على الله الخالق أشد منعا ثم لا حق لمخلوق على الخالق بمجرد طاعته له سبحانه حتى يقسم به على الله أو يتوسل به .

هذا هو الذي تشهد له الأدلة وهو الذي تصان به العقيدة الإسلامية، وتسد به ذرائع الشرك » (١) .

والشيخ محمد زكريا كان يعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة دنيوية ، ويطلع على أحوال الأمة ويشاهدها ، فلا فرق بين حياته ومماته في هذا (٢) .

لذا كان يأتي إلى المدينة المنورة ، ويرابط عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الشرقي من القبر نحو الأقدام الشريفة ، ويذهب في المراقبة عدة ساعات متواليات على حالة واحدة (٣) .

ويسرد حكايات في « تبليغي نصاب » تدل دلالة واضحة على الاستغاثة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما يروي الشيخ محمد زكريا عن يوسف بن علي قال : «كانت امرأة هاشمية تسكن في المدينة الطيبة، وكان يؤذيها بعض الخدام، فجاءت مستغيثة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فأتى من الروضة الشريفة هذا الصوت: أمالك فيّ أسوة فاصبري كما صبرت أو نحو هذا .

تقول المرأة : بعد ما سمعت هذا الصوت زال عني الحرج والقلق، وأولئك الخدام

---

(١) – فتاوى اللجنة الدائمة ٣٤٢/١ .

(٢) – فضائل حج ١١٢ .

(٣) – مقدمة أوجز المسالك ، مجلة البلاغ رمضان ١٤٠٢ هـ / ٩ ، حيات خليل ٦١١ .

الثلاثة الذين كانوا يؤذونني كلهم ماتوا » (١) .

ويقول : «إنّ أبا القاسم ثابت بن أحمد البغدادي قال : إنه رأى رجلا بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم أذن للصبح عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال فيه: الصلاة خير من النوم فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك ، فبكى الرجل وقال : يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل ؟ ففلج الخادم ، وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ومات » (٢) .

ويقول : « أصاب الناس قحط في زمان عمر رضي الله عنه بالمدينة المنورة، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال : ائت عمر فاقرئه السلام، وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك الكَيْس الكَيْس، فأتى الرجل عمر رضي الله عنه وأخبره، فبكى عمر وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه » (٣) .

أقول : إن العلامة الألباني ردّ هذه القصة والاستدلال بها من عدة وجوه بالتفصيل وهو يتلخص فيما يلي :

الأول : عدم التسليم بصحة هذه القصة ؛ لأنّ مالك الدار (راوي القصة) غير معروف العدالة والضبط ، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح ...

---

(١) – فضائل حج ١٣١ .

(٢) – فضائل حج ١٣٤، وفاء الوفاء ٤/١٣٨٢ .

(٣) – فضائل حج ١٣٢، وفاء الوفاء ٤/١٣٧٤ .

الثاني : أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء ... بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار وهي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ... ﴾ [(١)] وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس ... وهكذا كانت عادة السلف الصالح ... ولم ينقل عن أحد منهم مطلقا أنه التجأ إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلب منه الدعاء للسقيا ، ولو كان ذلك مشروعا لفعلوه ولو مرة واحدة ، فإذا لم يفعلوه ذلك دل ذلك على عدم مشروعيته ما جاء في القصة .

الثالث : هب أن القصة صحيحة ، فلا حجة فيها ؛ لأنّ مدارها على رجل لم يسم ، فهو مجهول أيضا ، وتسميته بلالا في رواية سيف لا يساوي شيئاً ؛ لأنّ سيفا هذا – هو ابن عمر التميمي – متفق على ضعفه عند المحدثين ، بل قال ابن حبان فيه : « يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا : إنه كان يضع الحديث ... » .

الرابع : أن هذا الأثر ليس فيه التوسل بالنبي صلى صلى الله عليه وسلم ، بل فيه طلب الدعاء منه بأنّ يسقي الله تعالى أمته ، وهذه مسألة أخرى لم يقل بجوازها أحد من علماء السلف رضي الله عنهم ، أعني الطلب منه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته [(٢)] .

ويفصل القصة الشيخ محمد يوسف في إحدى محاضراته بلاهور فيقول : « إنه أصاب قحط عظيم في عهد عمر رضي الله عنه، واجتمع الناس في المدينة من جميع النواحي، وبدأ عمر رضي الله عنه يدبر الخطط اللازمة، ودعا الله أن لا يموتوا من الجوع،

---

(١) – نوح ١٠ – ١١ .

(٢) – التوسل أنواعه وأحكامه ١١٦ – ١٢٠ ملخصا .

وكتب إلى عمرو بن العاص رضي اللّه عنه بمصر أن يرسل إليه الغلة في أسرع وقت، فردّ عليه بأنني سأرسل قافلة من الإبل أولها في المدينة وآخرها بمصر وعليها المواد الغذائية من الأكل والشرب (وفعلا وصلت الغلة) .

وكان يأكل على مائدة عمر رضي اللّه عنه يوميا ما يتراوح بين أربعين إلى خمسين ألف نسمة، وكان يرسل الطعام إلى القرى ولو كان فيها بيت واحد، وهذا تنظيم وتنسيق عظيم ؛ ولكنه مازال القحط يزداد، عندئذ ذبح رجل شاة فلم يجد فيها إلا العظم والدم والجلد، فصاح: «وا محمداه» وذرفت عيناه ثم نام فزار النبي صلى اللّه عليه وسلم في المنام يقول: اقرأ السلام على عمر وقل له: كنت عاقلا فماذا أصابك ؟ فلما استيقظ ذهب إلى عمر رضي اللّه عنه وناداه على بابه: يا أمير المؤمنين! أجب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فنسي عمر وتصور أنه في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فجرى إليه، ولما وصل إلى الباب تذكر أنه ليس عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فاهتزّ وقال: اختلت حياتي، وجمع أهالي المدينة كلهم وسألهم: هل تغيرت من عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟ قالوا: لا، فقال: اسمعوا إلى ما يقول هذا الرجل، ولما سمعوا عرف كلهم إلا عمر، يعني مادامت صلاتك ودعاؤك مقبولا لماذا انهمكت في التنظيم، ولم لم تدع ؟ حينئذ دعا عمر واستسقى، واستعاذ من القحط والجدب، وكان الدعاء مختصرا : « اللّهم إنا نستغفرك ونستسقيك » .

ونزل المطر قبل أن يمسح يديه على وجهه، وعادت الروح والحيوية إلى المواشي، وقالت الأعراب: يأتي النداء من جميع نواحي السحاب: « أتاك الغوث أبا حفص »[1] .

---

(١) – حضرت جي كي يادگار تقريرين ٩٦ – ٩٧، فرمودات يوسفي ١٩٤ .

مع أنني لم أقف على تفصيل . - هذه القصة نلاحظ فيها أمورا عديدة تخالف عقيدة التوحيد ، منها :

ا – الاستغاثة بالنبي صلى اللّه عليه وسلم بعد وفاته في النوائب والمصائب .

ب - إثبات السماع للرسول صلى اللّه عليه وسلم بعد الموت وحضوره في المنام فورا لحل المشكلة .

ج - إثبات علم الغيب للنبي صلى اللّه عليه وسلم حيث أنه كان يعرف كل ما قام عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه من التنظيم والتنسيق .

د – تنقيص رتبة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه حيث أن الرجل كان يناديه بأمير المؤمنين بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه وسلم بعدة سنوات، وهو يتصور أنه في عهده صلى اللّه عليه وسلم ثم فهم أهل المدينة كلهم مراده صلى اللّه عليه وسلم إلا هو .

هـ – الحث والترغيب إلى التواكل وترك الأسباب [(١)] .

ويروي الشيخ محمد زكريا عن عثمان بن حنيف رحمه اللّه، « أنّ رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي اللّه عنه في حاجة له، وكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له ابن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلّ ركعتين ثم قل: «اللّهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن تقضي حاجتي» وتذكر حاجتك .

فانطلق الرجل وصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده،

---

(١) – انظر: تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٠٠ – ١٠١ .

فأدخله على عثمان رضي اللّه عنه، فأجلسه معه على الطّنفسة [١]، وسأله عن حاجته، فقضاها له، ثم اعتذر له فقال : ما قضيت حاجتك حتى كانت الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها .

ثم إن الرجل خرج من عنده ولقي ابن حنيف فقال له : جزاك اللّه خيرا ... » [٢]

أقول وباللّه التوفيق: إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه، والعلامة ناصر الدين الألباني – حفظه اللّه – قد فصلا الحكم عن هذه القصة فليراجع إليهما [٣] .

ويقول الألباني : « وخلاصة القول : إنّ هذه القصة ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة :

* ضعف حفظ المتفرد بها .

* الاختلاف عليه فيها .

* مخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث .

وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة ، فكيف بها مجتمعة » [٤].

وكما ذكرت أن أمراء الجماعة كلهم كانوا يلتزمون بأوراد قصيدة البردة وغيرها من الأبيات البدعية والشركية ، ولا يخفى أنه يوجد فيها التوسل الممنوع بشكل واضح ، كما كانوا مرابطين ومراقبين لدى القبور .

---

(١) – الطّنفسة : البساط . المعجم الوسيط ٥٦٨/٢، الصحاح ٩٤٤/٣ .

(٢) – فضائل حج ١٣٧، وفاء الوفاء ١٣٧٣/٤ .

(٣) – انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ١٥٥ وما بعدها، والتوسل أنواعه وأحكامه للألباني ٨٢ وما بعدها .

(٤) – التوسل أنواعه وأحكامه ٨٥ .

ولعل السبب في ذلك أنهم تعلموا وتربوا على أيدي علماء ديوبند وسهارنفور الذين يجيزون مثل هذا التوسل ويعتقدون أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة دنيوية؛ فهم يقولون : «أما الاستفادة من روحانية المشايخ الأجلة ووصول الفيوض الباطنية من صدورهم أو قبورهم، فيصح على الطريقة المعروفة في أهلها وخواصها، لا بما هو شائع في العوام»[١] .

وهم يقولون : « عندنا وعند مشائخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء والصديقين في حياتهم وبعد وفاتهم بأن يقول في دعائه: اللّهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي إلى غير ذلك »[٢] .

* النبي - صلى الله عليه وسلم - حي في قبره حياة دنيوية*

ويقولون : « عندنا وعند مشائخنا حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره الشريف، وحياته صلى الله عليه وسلم دنيوية من غير تكليف، وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم، والشهداء لا برزخية كما هي حاصلة لسائر المؤمنين »[٣] .

كما احتج الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ أشرف عليه التهانوي لإثبات هذه العقيدة الباطلة بأن تركة النبي صلى الله عليه وسلم لا تورث، وأن أزواجه لا يحللن لأحد بعده، فهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة عنصرية لكنه انعزل عن الناس كما ينعزل المعتكف أربعين يوما مثلا ..[٤]

---

(١) – المهند على المفند ٣٩ .

(٢) – المهند على المفند ٣١ .

(٣) – المهند على المفند ٣٢ .

(٤) – عقائد أهل السنة والجماعة للمفتي عبد الشكور ١٦٢ – ١٦٥ .وانظر: آب حياة للنانوتوي ٢، نقلا عن الديوبندية ٢٠٢ .

وقد تكلم الشيخ حسين أحمد المدني من كبار[(١)] التبليغيين الملقب بشيخ الإسلام لدى الطائفة في هذا الصدد بقوله: « يعتقد النجدي وأتباعه أن حياة الأنبياء عليهم السلام كانت فقط إلى العصر الذي عاشوه في الدنيا، وأما بعد مماتهم فهم وعامة المؤمنين سواء في الموت، وأنه ليس لهم حياة بعد الموت إلا الحياة البرزخية التي ثبتت لجميع أفراد الأمة .

ويرى البعض منهم: سلامة جسد - النبي صلى الله عليه وسلم - دون بقاء علاقته بالروح، كما نسمع منهم كلمات شنيعة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن ننقل هذه الكلمات بلساننا، وكتبوا ذلك في كتبهم ورسائلهم، وأما أكابرنا فإنّ رسائلهم ومعتقداتهم تخالف كل ذلك ...»[(٢)] .

ويقول: « ليست حياة النبي صلى الله عليه وسلم روحانية فحسب مثل التي للشهداء، بل هي جسمانية أيضا، ومن قبيل الحياة الدنيوية بل أقوى منها بوجوه » [(٣)] .

* دحض هذه الفرية *

إنّ النبي صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره الحياة البرزخية التي يحصل بها التنعم في قبره بما أعده الله له من النعيم - عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم - وليس حيا الحياة التي كانت له في الدنيا، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر ٣١] [(٤)] .

---

(١) - انظر : تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٢٤ .

(٢) - الشهاب الثاقب ٥٨ .

(٣) - مكتوبات ١/١٣٠ .

(٤) - فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٢٠ .

فالقول بالحياة الدنيوية مخالف للنص القرآني الصريح، وإضافة إلى ذلك تقوم عشرات من الإشكلات التي يتعذر حلها، فالعقلاء يسألون القائلين بالحياة الدنيوية عن حكمة ستر النبي الحي وراء الجدار وعن فائدة ذلك .

وكيف طاب لأبي بكر أن يجلس في مجلس الخلافة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

ولماذا طلبت فاطمة رضي الله عنها ميراث أبيها ؟ ألم تعلم أنّ هذه المطالبة لا تجوز في حياة الوالد ؟ وقد طمأنها أبو بكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم: « نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ ... إلخ »[1] ولماذا لم يقل إن هذه المطالبة قبل أوانها ؟

والصحابة رضي الله عنهم لم يرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في فتنة الارتداد وغيرها، ولا أشار النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بما ينفع .

أفلم تكن الحاجة قائمة لتدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل أحداث: شهادة الحسين، وصلح الحسن، وخداع مختار بن عبيد الثقفي، وفتنة الحرة، وادعاء مسيلمة وأسود للنبوة، وظلم الحجاج بن يوسف الثقفي، وثورة العباسيين، وسقوط بغداد، وظلم الأتراك، وتنبؤ القادياني وغيره من الحوادث[2] ؟

وما أحسن ما قال ابن القيم رحمه الله في الرد على من زعم الحياة الدنيوية للنبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٥٧٩/٤، ح : (٣٧١٢)، و ج ٥٣١/٧، ح : (٥٣٥٨)، ومسلم في الصحيح ١٣٧٧/٣ – ١٣٧٩، ح : ٤٩ – ٥١ – (١٧٥٨) .

(٢) – انظر : مسئلة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ١٨ – ١٩ .

لو كان حيا في الضريح حياته   قبل الممات بغير ما فرقان

ما كان تحت الأرض بل من فو   قها والله هذي سنة الرحمان

أتراه تحت الأرض حيا ثم لا   يفتيهم بشرائع الإيمان

ويريح أمته من الآراء والـ   ـخلف العظيم وسائر البهتان

أم كان حيا عاجزا عن نطقه   وعن الجواب لسائل لهفان

وعن الحراك فما الحياة اللات قد   أثبتموها أوضحوا ببيان(١)

يا قومنا استحيوا من العقلاء   والمبعوث بالقرآن والرحمان

والله لا قدر الرسول عرفتم   كلا ولا للنفس والإنسان

من كان هذا القدر مبلغ علمه   فليستتر بالصمت والكتمان

ولقد أبان الله أن رسوله   ميت كما قد جاء في القرآن(٢)

ولم يقف علماء ديوبند عند هذا الحد بل ذهبوا إلى أنّ الشهداء أيضا أحياء حياة دنيوية في قبورهم؛ فقد حكى الشيخ أشرف علي التهانوي قصة في هذا الصدد فيقول :

إنّ رجلا من أصحاب الكشف زار قبر الحافظ، محمد رضا من التهانوي فلما انتهى من قراءة الفاتحة(٣) عليه قال: إنّ في صاحب القبر مداعبة، فإنّي لما بدأت في قراءة

---

(١) – القصيدة النونية ١٣٠ .

(٢) – القصيدة النونية ١٣١ .

(٣) – المبتدعة في شبه القارة الهندية يقرؤون عند زيارة القبر سورة الفاتحة بدلا من الأدعية المأثورة في ذلك، ويرجون ثوابها للموتى، وما لهم من مستند في ذلك إلا الروايات الواهية الموضوعة .

انظر: الديوبندية ٢٠٣ .

الفاتحة عليه قال لي: لماذا جئت تقرأ الفاتحة على الأحياء، اذهب واقرأها على ميت من الأموات، فسأل الناس عن صاحب هذا القبر فأخبروه أنه مات شهيدا »[١] .

* الشفاء من تربة القبر *

ويقول الشيخ أشرف علي في كتابه : « ذكر الشيخ معين الدين - أكبر أبناء الشيخ محمد يعقوب النانوتوي - كرامة ظهرت لأبيه[٢] بعد الوفاة قال: انتشرت الحمى في قريتنا (نانوتة) وجعل الناس يستشفون بتراب قبر الشيخ محمد يعقوب، فكل من أخذ شيئا من تربة قبره وعلقه بجسده اشتفى من الحمى، حتى ذهب الناس بالتراب كله، وقد قمت بإعادة التراب على القبر عدة مرات، وكلما أعدت التراب عليه أخذوه حتى تعبت من كثرة إلقاء التراب على القبر، فذهبت إليه وقلت له: ما بال هذه الكرامة، جلبت علينا المشاكل، اسمع! إن شفى أحد بعد هذا فلن نعيد على قبرك ترابا، وستبقى مستويا هكذا، يدوسك الناس بنعالهم، فلم يشف أحد بعد ذلك اليوم »[٣] .

ولا يغيب عن أذهاننا أن مؤسس جماعة التبليغ يريد نشر تعليمات راوي هذه القصص الواهية الشيخ أشرف علي التهانوي في كتبه كما ذكرت من قبل .

---

(١) - حكايات أولياء ٢٢٣ .

(٢) - هو الشيخ محمد يعقوب النانوتوي بن مملوك على شيخ الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديوبند . الديوبندية ٨٧ .

وكان الشيخ محمد يعقوب رئيس المدرسين بدار العلوم . حكايات أولياء ٤ .

(٣) - حكايات أولياء ٣٣٩ .

ويقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني [(١)]: « فلسنا ننكر الاستغاثة بأرواح المشايخ »[(٢)].

ولهذه البيئة والتربية أثر بالغ في حياة مشايخ الجماعة، ومن هذا القبيل ما ذكرته في حياة موسس الجماعة الشيخ محمد إلياس أنه كان يجلس في أكثر الأحيان عند قبر الشاه عبد القدوس الكنكوهي جاثيا على ركبتيه ساكتا واجما [(٣)].

وكان يجلس في الخلوة قرب قبر عبد الرحيم خان خانان وقبر السيد نور محمد بدايوني ساعات طويلة، ويصلي بالجماعة هناك[(٤)].

وكان يشد الرحال إلى أمروهة ليحضر إلى مزارات ومقابر مشايخه في الطريقة[(٥)].

وكان يرغب في قراءة قصيدة البردة[(٦)] مع أنها مشتملة على الأبيات الشركية مثل:

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به   إلا ونلتُ جـــواراً منه لم يُضـم

---

(١) – هو أحد أبناء دار العلوم ديوبند ومن تلامذة الشيخ محمد أنورشاه الكشميري والشيخ شبير أحمد العثماني وغيرهما، وكان من الذين بايعوا الشيخ محمود الحسن شيخ الهند .

توفي عام ١٩٥٦م . ملخصا من مشاهير العلماء للدكتور حافظ فيوض الرحمن ٥٩٨/١ .

(٢) – سوانح قاسي لمناظر أحسن الكيلاني ٣٣٢/١ في الهامش .

(٣) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى ديني دعوت ٥٨، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٥ .

(٤) – حضرت مولانام محمد إلياس ٧١، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٧ .

(٥) – تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف ٤١ .

(٦) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٦٠ .

(٧) – قصيدة بردة مع دلائل الخيرات ٢٨٥ .

ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مُستلَم[٧]

ومَنْ تكُن برسول الله نصرتُه إن تلقه الأسدُ في آجامها تَجِمِ

ولن ترى من وَلِيٍّ غير منتصرٍ به ولا من عدوٍ غير منقسم[١]

يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذ به سواكَ عند حلولِ الحادثِ العَمَمِ

ولن يضيقَ رسول الله جاهك بي إذ الكريم تجلَّى باسم مُنتَقِمِ

فإنّ مِن جودِك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علمُ اللَّوح والقَلَم[٢]

وكذلك كان الشيخ محمد يوسف يحكي حكايات في المحاضرات التي تشير إلى الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وتصرفاته[٣] بعد وفاته كما ذكرتها .

وقال محمد أسلم الباكستاني: قال الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي: ظللت في جماعة التبليغ عشر سنين تقريبا وكثيرا ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ « ذاك الوقت » قريبا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس رحمه الله في محطة نظام الدين مقر الجماعة في دهلي فكنا نجلس حول قبره وقتا طويلا في حالة المراقبة ساتري الرؤوس .

والشيخ محمد يوسف كان يقول: إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس – رحمه الله – يوزع النور (الذي ينزل من السماء في قبره) بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به، وكذلك كنا نجلس أيضا على قبر الشيخ عبد الرحيم الرائيفوري في هيئة المراقبة،

---

(١) – المرجع السابق ٢٩١ .

(٢) – المرجع السابق ٢٩٣ .

(٣) – انظر: حضرت جى كى يادكار تقريرين ٩٦ – ٩٧، فرمودات يوسفي ١٩٤ .

والشيخ محمد يوسف كان يجلس مراقبا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم عدة ساعات خلال قيامه في المدينة المنورة، وهذه الطريقة معروفة بين مشايخ جماعة التبليغ وهم يعملون عليها بالكثرة »[١] .

وكان الشيخ محمد زكريا يرابط عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الشرقي من القبر نحو الأقدام الشريفة، ويذهب في المراقبة عدة ساعات متواليات على حالة واحدة[٢] .

وشد الرحال إلى باكستان لقراءة الفاتحة على قبر الشيخ عبد القادر الرائيفوري ولقضاء بعض الأوقات هناك، واهتم بختمة القرآن الكريم عند قبره [٣] .

وكان يذهب مع الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي والشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي لقراءة الفاتحة على قبر الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[٤] .

وهكذا نلاحظ أن زيارتهم للقبور فيها مخالفات شرعية وليست هي الزيارة المشروعة ، والمشروع الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يزور القبور، ويدعو للأموات بأدعية علّمها أصحابه، وتعلموها عنه، ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأ من القرآن أو آيات منه للأموات مع تكرار زيارته لقبورهم، ولو كان ذلك مشروعا لفعله وبيّنه لأصحابه رغبة في الثواب ورحمة بالأمة وأداء لواجب البلاغ، فلما

---

(١) – جماعة التبليغ عقيدتها وأفكارمشايخها ٢٧ .

(٢) – مقدمة أوجز المسالك ٢١/١، مجلة البلاغ رمضان ١٤٠٢ هـ/٩ .

(٣) – سوانح حضرت مولانام محمد يوسف الكاندهلوي ١٠٢ .

(٤) – المرجع السابق ٢٤٥ .

لم يفعل ذلك مع وجود أسبابه دل على أنه غير مشروع، وقد عرف ذلك أصحابه رضي الله عنهم فاقتفوا أثره، واكتفوا بالعبرة والدعاء للأموات عند زيارتهم، ولم يثبت عنهم أنهم قرؤوا قرآنا للأموات، فكانت القراءة لهم بدعة محدثة، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ [(١)] » .

وكان الشيخ محمد زكريا يعتقد بحياة النبي صلى الله عليه وسلم حياة دنيوية، كما بينت من قبل .

وانطلاقا من هذا المعتقد أجده يورد سيلا من الحكايات في كتابه « تبليغي نصاب » التي تتنافى مع توحيد الألوهية ، وإليكم نماذج منها :

* طلب الطعام من قبر سيد الأنام *

يحكي الشيخ محمد زكريا عن ابن الجلاء [(٢)] قال : « دخلت المدينة وقد غلب عليّ الجوع فزرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقلت : يا رسول الله، أنا ضيفك في هذه الليلة، ثم غلبني النوم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأعطاني رغيفا فأكلت نصفه ثم انتبهت من المنام وفي يدي نصفه الآخر » [(٣)].

ويقول : « قال أبو الخير الأقطع : دخلت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذَواقاً، فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي صلى الله عليه

---

(١) – الفتاوى الإسلامية ١/٣٦، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ١ / ٣٨٢ .

(٢) – لعله ابن العلاء، وهو أبو عبد الله محمد بن العلاء . انظر: الروض الفائق ٢٨٤ .

وقال السمهودي: ابن الجلاد . وفاء الوفاء ١٣٨٠/٤ .

(٣) – فضائل حج ١٣٣ .

وسلم وعلى أبي بكر وعمر، وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، وتنحيت ونمت خلف المنبر، فرأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلي بن أبي طالب بين يديه، فحركني علي وقال : قم، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقمت إليه، وقبلت بين عينيه، فدفع إلي رغيفا، فأكلت نصفه، وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف »(١) .

ويقول : « قال الإمام أبو بكر بن المقري : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا على حالة، وأثر فينا الجوع، وواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العَشاَء حضرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، الجوع، وانصرفت، فقال لي أبو القاسم، اجلس، فإما أن يكون الرزق أو الموت، قال أبو بكر: فقمت أنا وأبو الشيخ، والطبراني جالس ينظر في شيء، فحضر بالباب علوي، فدقّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير، فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام، فولى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قال العلوي: يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فأمرني أن أحمل شيئاً إليكم»(٢) .

ويحكي عن عبد السلام بن أبي القاسم الصقلي أنه يقول : « حدثني رجل ثقة نسي اسمه، قال: كنت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن لي شيء فضعفت، فأتيت إلى الحجرة وقلت: يا سيد الأولين والآخرين، أنا رجل من أهل مصر، ولي خمسة أشهر في

---

(١) – فضائل حج ١٢٨، فضائل درود ١١٢، القول البديع ١٦٠ – ١٦١، وفاء الوفاء ١٣٨١/٤ .

(٢) – فضائل حج ١٣٣، وفاء الوفاء ١٣٨٠ .

جوارك، وقد ضعفت، فقلت: أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لي من يشبعني أو يخرجني، ثم دعوت عند الحجرة بدعوات، وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلم بكلام، ويقول: يا جداه، يا جداه، ثم جاء إلي وقبض على يدي، وقال لي: قم، فقمت وصحبته، فخرج بي من باب جبريل، وعدا إلى البقيع، وخرج منه فإذا بخيمة مضروبة وجارية وعبد، فقال لهما: قوما فاصنعا لضيفكماعيشة، فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النار، وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة .

وشاغلني بالحديث حتى أتت الجارية بالملة وقسمتها نصفين وأتت بعكّة فيها سمن، فصبّت على الملة وأتت بتمر صيحاني، فقال لي : كل، فأكلت شيئا قليلا، ثم قال لي : كل، فأكلت، ثم قال لي : كل، فقلت : يا سيدي لي أشهر لم آكل فيها حنطة، ولا أريد شيئا، فأخذ النصف الثاني وضم ما فضل مني من الملة، وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعهما في المزود، وقال لي: ما اسمك؟ فقلت: فلان، فقال: بالله عليك لا تَعُد تشكو إلى جدي فإنه يعز عليه ذلك، ومن الساعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك، فقال للغلام: خذه وأوصله إلى حجرة جدي، فغدوت مع الغلام إلى البقيع فقلت له: ارجع وقد وصلت، فقال: يا سيدي، الله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلا يُعلم النبي صلى الله عليه وسلم سيدي بذلك، فأوصلني إلى الحجرة، وودعني ورجع، فمكثت اكل من الذي أعطاني أربعة أيام، ثم جُعت بعد ذلك، فإذا بالغلام قد أتاني بطعام، ثم لم أزل كذلك كلما جُعت أتاني بطعام حتى سبب الله لي جماعة خرجت معهم إلي ينبع » [١] .

---

(١) – فضائل حج ١٣٥، وفاء الوفاء ٤/١٣٨٤ .

ويقول : « قال السيد أبو محمد عبد السلام الحسيني: أقمت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لم أستطعم فيها، فأتيت عند قبره صلى الله عليه وسلم، فركعت ركعتين، وقلت : يا جدي جعت وأتمنى عليك ثردة، ثم غلبتني عين ونمت، فبينا أنا نائم، وإذا برجل يوقظني، فانتبهت فرأيت معه قدحا من خشب، وفيه ثريد وسمن ولحم وأخاوية[1]، فقال لي: كل، فقلت له: من أين هذا؟ فقال: إن صغاري لهم ثلاثة أيام يتمنون هذا الطعام، فلما كان اليوم فتح الله لي بشيء عملت به هذا ثم نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: إن أحد إخوانك تمنى هذا الطعام فأطعمه منه »[2] .

ويقول : « قال أبو العباس بن نفيس المقرئ الضرير: جُعت بالمدينة الطيبة ثلاثة أيام، فجئت إلى القبر الشريف، وقلت: يا رسول الله، جعت، ثم نمت ضعيفا، فركضتني جارية برجلها، فقمت إليها فقالت: أعزم، فقمت معها إلى دارها، فقدمت إليّ خبز بر، وتمرا وسمنا، وقالت : كل يا أبا العباس، قد أمرني بهذا جدي صلى الله عليه وسلم، ومتى جُعت فأت إلينا » .

ثم يقول الشيخ محمد زكريا : « قال أبو سليمان داود بعد ذكر القصة المذكورة: إنه قد وقع في كثير مما ذكر وأمثاله أن الذي يأمره صلى الله عليه وسلم في ذلك، إنما يكون من الذرية الشريفة، لا سيما إذا كان المتناول طعاما؛ لأن من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القِرى[3] البداءة بأنفسهم، ثم بمن يكون منهم، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل

---

(١) – أخاوية جمع خَوِيَّة : طعام يصنع للنفساء . المعجم الوسيط ١ / ٢٦٤ .

(٢) – فضائل حج ١٣٤، وفاء الوفاء ١٣٨٢ – ١٣٨٣ .

(٣) – القِرَى : ما يُقدّم إلى الضيف . الصحاح ٦/٢٤٩١ .

القرى يكون منه ومن ذريته الكريمة »[(١)] .

ويقول : « قال أحمد بن محمد الصوفي: تُهتُ في البادية ثلاثة أشهر، فانسلخ جلدي، فدخلت المدينة، وجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، وعلى صاحبيه ثم نمت، فرأيته صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: يا أحمد جئت؟ قلت: نعم، وأنا جائع وأنا في ضيافتك، قال : افتح كفيك ففتحتهما، فملأهما دراهم، فانتبهت وهما مملوءتان، وقمت فاشتريت خبزا حواريا وفالوذجا، وأكلت، وقمت للوقت ودخلت البادية »[(٢)] .

ويحكي عن محمد بن المنكدر أنه قال : « أودع رجل عند أبي ثمانية دنانير وخرج للجهاد، وقال لأبي : إن احتجت أنفقها إلى أن أعود وأصاب الناس جَهْد من الغلاء، فأنفق أبي الدنانير، فقدم الرجل وطلب ماله، فقال له أبي: عُد إليَّ غدا، وبات في المسجد يلوذ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم مرة وبمنبره مرة، حتى كاد أن يصبح، يستغيث بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو كذلك، وإذا بشخص في الظلام يقول : دونكها يا أبا محمد، فمد أبي يده، فإذا هو بصرة فيها ثمانون دينارا، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه »[(٣)] .

ويقول : « قال أبو عبد الله محمد بن أبي زرعة الصوفي: سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبتنا طاوين، وكنت دون البلوغ، فكنت أجيء إلى أبي غير دفعة وأقول : أنا جائع، فأتى أبي عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: يا رسول الله، أنا ضيفك الليلة،

---

(١) – فضائل حج ١٣٥ – ١٣٦، وفاء الوفاء ٤/١٣٨٤ – ١٣٨٥ .

(٢) – فضائل حج ١٣٤، وفاء الوفاء ٤/١٣٨١ – ١٣٨٢ .

(٣) – فضائل حج ١٣٢ – ١٣٣، وفاء الوفاء ٤/١٣٨٠ .

وجلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة، فسئل عنه فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع في يدي دراهم، وفتح يده «فإذا فيها دراهم، ويارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، وكنا ننفق منها » [١] .

* طلب الشفاء من المصطفى صلى الله عليه وسلم *

يحكي الشيخ محمد زكريا عن أبي محمد الإشبيلي[٢] رحمه الله قال : « إنه نزل برجل من أهل غرناطة علة عجز عنها الأطباء وأيسوا من برئها، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمد بن أبي ضال [٣] كتابا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به، وضمنه أبياتا، وهي مذكورة في وفاء الوفاء [٤] ، وسلّمه أحد الحجاج .

---

(١) ـ فضائل حج ١٣٣، وفاء الوفاء ٤/١٣٨١ .

(٢) – أبو محمد الإشبيلي : هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الأندلسي الإشبيلي أبو محمد المعروف بابن الخراط ، محدث ، فقيه ، خطيب ، رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا ، وتوفي بها في سنة ٨٥٢ هـ . معجم المؤلفين ٢ / ٥٨ ، سير أعلام النبلاء ٢١ / ١٩٨ .

(٣) – لعله أبو الخصال كما هو في وفاء الوفاء ٤/١٣٨٧ .

(٤) – وفاء الوفاء ٤/١٣٨٧، وهي كما يلي :

كتاب وقيذ من زمانة مستشف ... بقبر رسول الله أحمد يستشفي

له قدم قيّد الدهر خطوها ... فلم يستطع إلا الإشارة بالكف

ولما رأى الزوار يبتدرونه ... وقد عاقه عن ظعنه عائق الضعف

بكى أسفا واستودع الركب إذ غدا ... تحية صدق تفعم الركب بالعرف

فيا خاتم الرسل الشفيع لربه ... دعاء مهيض خاشع القلب والطرف =

قال : فما هو إلا أن وصل الركب إلى المدينة، وقرئ على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبرئ الرجل لوقته في مكانه، فلما قدم الذي استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضرّ قط » (١).

ويحكي عن الشاه عبد الرحيم أنه قال : « إني مرضت ذات مرة فزرت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال صلى الله عليه وسلم : كيف حالك يا بني؟ ثم بشرني بالشفاء، ومنحني شعرتين من لحيته، وتمتعت بالصحة فورا، ولما انتبهت فإذا في يدي هذان الشعران » (٢) .

ويقول : « قال عبد الرحيم بن عبد الرحمن رحمه الله : أصابني وجع في يدي من وقعة وقعتها في حمام، فورمت يدي فبت ليلة متوجعا، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فلم أقل إلا يا رسول الله، حتى قال لي: أوحشتني صلاتك عليّ، فلما استيقظت، زال الورم والوجع نهائيا » (٣) .

=

عتيقك عبد الله ناداك ضارعا ... وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف

رجاك لضر أعجز الناس كشفه ... ليصدر داعيه بما جاء من كشف

لرجل رمى فيها الزمان فقصرت ... خطاه عن الضعف المقدم في الزحف

وإني لأرجو أن تعود سوية ... بقدرة من يحيي العظام ومن يشفي

فأنت الذي نرجوه حيا وميتا ... لصرف خطوب لا تريم إلى صرف

عليك سلام الله عدة خلقه ... وما يقتضيه من مزيد ومن ضعف

(١) – فضائل حج ١٣٨، وفاء الوفاء ١٣٨٧/٤ .

(٢) – فضائل درود ١١٣ .

(٣) – فضائل درود ١٠٤، القول البديع ١٦٢ .

* من كانت له حاجة فليأت إلى القبر*

يقول الشيخ محمد زكريا : « إن أبا حفص السمرقندي حكى في كتابه «رونق المجالس» : أنه كان بمدينة بلخ رجل تاجر، كثير المال، وكان له ابنان، فتوفي الرجل، وقسم ابناه المال بينهما نصفين، وكان في الميراث الذي خلفه أبو هما ثلاث شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم، فأخذ كل واحد منهما شعرة واحدة بينهما، فقال أكبرهما: نجعل الشعرة الباقية نصفين، فقال الآخر : لا والله بل النبي صلى الله عليه وسلم أجل من أن يقطع شعره صلى الله عليه وسلم، فقال الكبير للأصغر: تأخذ هذه الثلاث شعرات بقسطك من الميراث ؟ فقال: نعم، فأخذ الكبير جميع المال، وأخذ الصغير الشعرات، فجعلها في جيبه، وصار يخرجها ويشاهدها، ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ويعيدها إلى جيبه، فلما كان بعد أيام فني مال الكبير، وكثر مال الصغير، فعاش أياما، وتوفي فرآى بعض الصالحين النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له : « قُلْ لِلنَّاسِ: مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى حَاجَةٌ فَلْيَأْتِ قَبْرَ فُلانٍ هذَا، وَيَسْأَلِ اللهَ قَضَاءَ حَاجَتِه »(١)» .

ولعل فيما سردناه من هذا الكتاب المقرر على الجماعة دليل واضح على ضعف توحيد الألوهية عندهم وعدم اهتمامهم به ، وهـذه الحكايات تتنافى مع هذا النوع من التوحيد ؛ لأنّ المسلم الذي تربى على الفطرة، يعرف جيدا أنّ الله هو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وبيده ملكوت السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير .

وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، فهو الذي يقول في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

---

(١) – فضائل درود ١٠٠، القول البديع ١٢٨ .

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[١] .

وقال : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢] .

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٣] .

وقال : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[٤] .

وقال : ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾[٥] .

وقال : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾[٦] .

فدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ونداؤه والاستعانة به بعد موته في قضاء الحاجات وكشف الكربات شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام سواء كان ذلك عند قبره أم بعيدا عنه [٧] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها

---

(١) – البقرة : ١٨٦ .

(٢) – النمل : ٦٢ .

(٣) – العنكبوت : ١٧ .

(٤) – الشعراء : ٧٩ – ٨٠ .

(٥) – الملك : ٢١ .

(٦) – فاطر ٣ .

(٧) – فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣١٥ .

أن يطلب من الميت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره بظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء ، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسبابه .

ولو قصد الصلاة عند قبور الأولياء والصالحين من غير أن يقصد دعاءهم والدعاء عندهم مثل أن يتخذ قبورهم مساجد لكان ذلك محرما منهيا عنه، ولكان صاحبه متعرضا لغضب الله ولعنته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ... فإذا كان هذا محرما ... فكيف بمن يقصد دعاء الميت والدعاء عنده وبه، واعتقد أنّ ذلك من أسباب إجابة الدعوات، ونيل الطلبات، وقضاء الحاجات ؟

وهذا كان أول أسباب الشرك في قوم نوح، وعبادة الأوثان في الناس .

قال ابن عباس : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم »(١) .

ويقول رحمه الله : « ... وعلم أنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله ... وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله، يا رسول الله، ادع لي، سل الله لي، استغفر الله لي، سل الله لي أن يغفر لي أو يهديني أو ينصرني أو يعافيني، ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو أشكو إليك فلانا الذي ظلمني، ولا يقول: أنا

---

(١) – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٤ .

نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت خير معاذ ليستعان به، ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور .

ولا يكتب أحد محضرا أنه استجار بفلان، ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر، ونحو ذلك ... كما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم .

فهذا علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر، وبإجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا لأمته ...

وكان أصحابه يُبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جدب الزمان أو قوة العدو أو كثرة الذنوب .

ولا يقول : سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم، بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين »[١] .

ويقول رحمه الله : « وهؤلاء الذين يستغيثون بالأموات من الأنبياء والصالحين والشيوخ وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم غاية أحدهم أن يجري له بعض هذه الأمور أو يحكي له بعض هذه الأمور، فيظن أن ذلك كرامة وخرق عادة بسبب هذا العمل .

---

(١) - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٩ - ٢٠ .

ومن هؤلاء من يأتي إلى قبر الشيخ الذي يشرك به، ويستغيث به، فينزل عليه من الهواء طعام أو نفقة أو سلاح أو غير ذلك مما يطلبه فيظن ذلك كرامة لشيخه، وإنما ذلك كله من الشيطان، وهذا من أعظم الأسباب التي عبدت بها الأوثان .

وقال الخليل عليه السلام : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ﴾ »[(١)] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم، هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[(٢)] .

فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم، وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع في هذه الحال ... هو من الدين الذي لم يشرعه الله وال ابتعث به رسولا ولا أنزل به كتابا، وليس هو واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات، فهذه كله من الشيطان[(٣)] .

---

(١) – إبراهيم ٣٥ – ٣٦ ، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) – الشورى ٢١ .

(٣) – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٨ – ١٩ .

* المبحث الثالث *

موقفها من توحيد الأسماء والصفات

لا يخفى على الباحث أن الناس انقسموا في توحيد الأسماء والصفات إلى معطلة ومشبهة ومثبتة ، وأعني بالمعطلة : المعتزلة والأشاعرة والماتريدية . والمشبهة : من يمثل صفات الله بصفات الخلق . والمثبتة : وهم أهل السنة والجماعة فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا تكييف ولا تفويض ولا تشبيه ولا تمثيل .

وهنا يأتي سؤال ما هو موقف جماعة التبليغ من هذه القضية ؟ هل يثبتون أسماء الله وصفاته جميعا أم يؤولونها أم يعطلونها أم يشبهونها ؟ هل يميلون إلى فكر الاعتزال أو الأشاعرة والماتريدية ... ؟

لا يستطيع الخارج مع الجماعة أن يقف خلال الجولات على اتجاههم الفكري في هذه القضية ، فهم لا يتعرضون لها بالبحث والمناقشة ، وأغلب الخارجين من العوام الذين ليس لهم إلمام بهذه القضية ، ولكن بدراسة عقائد مشايخهم نجد أنهم يميلون إلى فكر الأشاعرة والماتريدية ويعتقدون بها ، منهم الشيخ خليل أحمد السهارنفوري والشيخ محمود الحسن، والشيخ أشرف علي التهانوي، والشاه عبد الرحيم الرائيفوري، والمفتي كفاية الله، والشيخ محمد يحيى السهارنفوري، والسيد حسين أحمد المدني، والشيخ محمد يوسف البنوري وغيرهم من علماء ديوبند وسهارنفور،

يقولون : جميع طائفتنا وجماعتنا ... فيتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي، رضي الله عنهما، في الاعتقاد والأصول[١] .

ولهذا يخالفون مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات الثابتة في الكتاب والسنة لله تعالى، من اليد والاستواء وما إلى ذلك .

وهم يسلكون مسلك المؤولة فيقولون : « وأما ما قال المتأخرون من أئمتنا في تلك الآيات ﴿الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٢] يؤلونها بتأويلات صحيحة سائغة في اللغة والشرع؛ بأنه يمكن أن يكون المراد من الاستواء الاستيلاء، ومن اليد القدرة إلى غير ذلك تقريبا إلى أفهام القاصرين، فحق أيضا عندنا، وأما الجهة والمكان فلا يجوز إثباتهما له تعالى »[٣] .

كما نجد منهج التأويل لدى الشيخ محمد زكريا في كتابه المقرر على التبليغيين فيقول : « توجد آيات في القرآن الكريم لا يجوز إطلاقها على ظاهرها للحق سبحانه وتقدس، فلا بد فيها من التأويل، مثل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٤] »[٥] .

وحكى الشيخ حمود التويجري عن أحد الثقات السعوديين أنه شهد على سعيد أحمد الهندي – رئيس جماعة التبليغ في المملكة – أنه ماتريدي، وأنه ينكر علو الله على خلقه[٦] .

كما نجدهم يقررون في مدارسهم لدراسة العقيدة كتب الماتريدية مثل : « شرح العقائد النسفية » للتفتازاني و«المسائرة في العقائد المنجية في الآخرة» لابن الهمام،

---

(١) – المهند على المفند ٢٣ – ٢٤، وانظر ب – ٢ .

(٢) – طه ٥ .

(٣) – المهند على المفند ٤٢ .

(٤) – الفتح : ١٠ .

(٥) – فضائل قرآن ١٦ .

(٦) – انظر: القول البليغ في التحذير عن جماعة التبليغ ٤٢ .

و«تبصرة الأدلة» لأبي المعين النسفي، وغيرها ....

ولا يخفى أن من قال: إن معنى ﴿اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾: استولى على العرش، فقد أخطأ خطأ عظيما؛ لأن هذا تحريف الكلام عن موضعه ومخالف لما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومستلزم للوازم باطلة لا يجوز للمؤمن أن يتفوّه بها بالنسبة إلى الله عزوجل إذ يلزم أن العرش كان خارج ملكه سبحانه وتعالى .

فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

ومقتضى هذه الصيغة « استوى على كذا» في اللغة العربية العلو والاستقرار ، بل هو معناها المطابق للفظ؛ فمعنى ﴿اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ أي علا عليه علوا يليق بجلاله وعظمته (٢).

نسأل الله أن يثبتنا على ما كان عليه سلف هذه الأمة .

---

(١) – يوسف : ٢ .

(٢) – انظر للتفصيل : التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة ص ١٤-١٨ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٤٠ – ٤٥ للشيخ ابن عثيمين .

* المبحث الرابع *

موقفها من البدع والخرافات

ونتيجة لضعف المنهج عند القوم وعدم التزامهم بالمنهج الصحيح : الكتاب والسنة ، نجد أنه يتسرب في عقائدهم الأفكار البدعية وسيل من القصص الخرافية والمنامات المكذوبة ، يذكرونها متأثرين ومحتجين بها ، والعجيب أنهم لا يقبلون الحديث الصحيح في الأمور العملية ، ولا يقبلونه في العقائد باعتباره من الآحاد ، ولكنهم يحتجون بالمنامات والحكايات الخرافية ويؤمنون بها ، وها أنا أسرد بعضا مما وجدته في هذا الكتاب :

* رد السلام وضمان الغفران بصوت مسموع من قبره عليه السلام *

يحكي الشيخ محمد زكريا : « أنّ السيد نور الدين الأيجي والد الشريف عفيف الدين لما ورد إلى الروضة المقدسة وقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سمع مَن كان بحضرته قائلا من القبر يقول: وعليك السلام يا ولدي »[١] .

ويروي عن الشيخ أبي النصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الصوفي الكرخي رحمه الله أنه يقول : « حججت وزرت النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما أنا جالس عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكري، ووقف بإزاء وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: السلام عليك يا رسول الله، فسمعت صوتا من داخل الحجرة : وعليك السلام يا أبا بكر، وسمعه من حضر »[٢] .

---

(١) – فضائل حج ١٣١، الحاوي ٤٤٧/٢ .

(٢) – المرجع السابق .

ويقول : « قال إبراهيم بن شيبان : حججت فجئت المدينة، فتقدمت إلى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله علي وسلم ، فسمعته من داخل الحجرة يقول : وعليك السلام » [١] .

ويقول : « إنّ سعيد بن المسيب رحمه الله – الذي صلى خمسين عاما صلاة الصبح بوضوء صلاة العشاء – كان يلازم المسجد النبوي وحده أيام الحرة سنة ٦٣ هـ والناس يقتتلون .

قال : لم أزل أسمع الأذان والإقامة من القبر الشريف أيام الحرة حتى عاد الناس »[٢] .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « إنّ أعرابيا أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف وقال: اللّهم إنك أمرت بعتق العبيد، وهذا حبيبك وأنا عبدك، فأعتقني على قبر حبيبك من النار، فهتف هاتف : تسأل العتق لك وحدك، هلا سألت لجميع الناس لأعتقهم، اذهب فقد أعتقناك [٣] .

ويقول : « إنّ الحسن البصري [٤] رضي الله عنه قال : وقف حاتم الأصم البلخي رحمه الله على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رب، إنا قد زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي من الغيب يا هذا، ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد أجبناك، ارجع

---

(١) – فضائل درود ٢٠، ٤٠، القول البديع ١٦٠ .

(٢) – فضائل حج ١٣٩، الحاوي ٢/٢٦٦ بالتصرف .

(٣) – فضائل حج ١٢٦ – ١٢٧ .

(٤) – لعله أبو الحسن الصوفي كما ذكره صاحب الروض الفائق ٢٨٤ .

ومن معك من الحاضرين مغفورا لكم جميعا »[١] .

وويقول : « يروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا النبي صلى الله عليه وسلم فرمى بنفسه على قبره وقال: يا رسول الله، سمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢] .

وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي، فنودي من داخل القبر: يا هذا، قد غُفر لك »[٣] .

* خير البشر ﷺ يمدّ يديه من القبر *

يحكي الشيخ محمد زكريا القصة التالية أكثر من مرة في كتابه فيقول : إن السيد أحمد الرفاعي شيخ مشهور من أكابر الصوفية، وقصته مشهورة حينما فرغ من الحج سنة ٥٥٥ هـ حضر لزيارة الروضة فقام مستقبلا القبر، وأنشد هذين البيتين :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر وقبلها، ويقال: كان في ذلك الوقت تسعون ألف موجودين في المسجد النبوي، وكلهم رأوا تلك الواقعة، وزاروا اليد المباركة لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

---

(١) – فضائل حج ١٢٧، الروض الفائق ٢٨٤ .

(٢) – النساء ٦٤ .

(٣) – فضائل حج ١٣١ – ١٣٢، الروض الفائق ٢٨٤، الحاوي ٤٤٨/٢ .

(٤) – وهذا مستحيل ، هل كانت يد الرسول صلى الله عليه وسلم طويلة حتى يراها هؤلاء كلهم .

ويذكر أنه كان فيهم الحضرة السامية محبوب الله سبحانه القطب الرباني عبد القادر الجيلاني نور الله مرقده » [(١)].

ويقول : « إنّ مولانا جامي – نور الله مرقده – ذهب لأداء الحج بعد ما كتب قصيدته في النعت النبوي ، وبعد الحج أراد أن يحضر في المدينة المنورة، فزار أمير مكة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وأمره أن لا يسمح للجامي أن يحضر في المدينة، فمنعه الأمير .

ولكنه خرج مختفيا إلى المدينة لغلبة شوقه وجذبه، فرأى الأمير مرة ثانية في المنام أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : « إنه يأتي فأمسكه » فأرسل الأمير بعض رجاله ومسكوه ثم أدخله في السجن، فرأى الأمير مرة ثالثة أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: إنّ الجامي ليس مجرما بل إنه كتب أبياتا[(٢)]، وأراد أن يقرأها على قبري، وإذا فعل هذا تخرج يدي من القبر، وتكون سببا للفتنة، فأخرجوه من السجن، وأكرموه غاية الإكرام

---

(١) – فضائل حج ١٣٠ – ١٣١، فضائل درود ١١٨، الحاوي ٢/٤٤٧ .

(٢) – قد ذكرها الشيخ محمد زكريا بعد سرد القصة بعنوان: « مثنوي مولانا محمد جامي رحمة الله عليه» .

وهذا المثنوي يشتمل على اثنين وثلاثين بيتا باللغة الفارسية، وقد ذكر ترجمتها بالأردية الشيخ أسعد الله – الأمين العام لمدرسة مظاهر العلوم والخليفة والمجاز للشيخ أشرف علي التهانوي – والمثنوي ملئ بالشركيات، أذكر أبياتا على سبيل المثال :

(١) – ز مهجورى برآمد جان عالم ترحم يا نبي الله ترحم

إنّ ذرات العالم تلفظ أنفاسها الأخيرة بفراقك – ترحم يا نبي الله ترحم

(٢) – زخاك اى لاله سيراب برخيز چو نرگس خواب چند از خواب برخيز =

والإعزاز » (١) .

أقول : وهنا يرد سؤال أنه مادام خروج اليد من القبر سبباً للفتنة فلماذا خرجت في القصة الأولى التي ذكرها الشيخ محمد زكريا ؟

* إذن الحبيب ﷺ للحبيب *

يروي الشيخ محمد زكريا عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما مرض أبي أوصى أن يؤتى به إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويستأذن له، ويقال: هذا أبو بكر يدفن

= يا صاحب الأنوار الطيبة أرو العالم بسقاءك ونضرتك . واستيقظ من نومك الهادي ونور قلوبنا نحن المحتاجين .

(١٠) – زحجره پاى در صحن حرم نه بفرق خاك ره بوسان قدم نه

اخرج من الحجرة وتفضل في ساحة الحرم – وضع قدمك على رؤوس الذين يقبلون تراب طريقك .

(١١) – بده دستى زپا افتادگان را بكن دلدار ئي دل دادگان را

وخذ بأيدي العاجزين وساعد المحتاجين – وتلاطف وتواسي قلوب العشاق المخلصين

(٢٥) – بخود در مانده ام از نفس خود رائى ببين درمانده چندين به بخشاىء

وأنا عاجز من نفسي الأمارة والمستبدة – فالتفت إلى هذا العاجز والمسكين، وانظر بنظرة الغفران .

(٢٦) – اگر نه بود چو لطفت دست يارى زدست ما نيايد هيچ كارى

إن لم تمددني بألطافك الكريمة – أكون عضوا معطلا ومفلوجا لا أستطيع بعمل ما

انظر: فضائل درود ١١٩ – ١٢٢، منتخبا .

(١) – فضائل درود ١١٨ .

عندك يا رسول الله، فإن أذن لكم فادفنوني، وإن لم يؤذن لكم فاذهبوا بي إلى البقيع، فأتي به إلى الباب فقيل: هذا أبو بكر قد اشتهى أن يدفن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوصانا فإن أذن لنا دخلنا، وإن لم يؤذن لنا انصرفنا، فنودينا أن ادخلوه بكرامة وإعزاز، وسمعنا كلاما، ولم نر أحدا » [(١)] .

ويروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لما حضرت أبا بكر الوفاة أقعدني عند رأسه، وقال لي: يا علي إذا أنا مت فغسلني بالكف الذي غسلت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحنطوني، واذهبوا بي إلى البيت الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنوا فإن رأيتم الباب قد فتح فادخلوا بي وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين حتى يحكم الله بين عباده .

قال : فغُسل وكُفن، وكنت أول من بادر إلى الباب فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فرأيت الباب قد فتح، فسمعت قائلا يقول: « أدخلوا الحبيب إلى حبيبه؛ فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق »[(٢)] .

---

(١) – يقول السيوطي رحمه الله : قال الخطيب: غريب جدا .

ويقول الدكتور محمد خليل هراس في الهامش: ليس يغرب فحسب ولكنه فشر وهذيان وإنما كان الاستئذان من صاحبة البيت وهي عائشة ابنته فأذنت لأبيها ثم استؤذنت كذلك لعمر فأذنت له . الخصائص الكبرى ٣/٤٠٨ .

(٢) – فضائل حج ١٣٨ – ١٣٩ ، الخصائص الكبرى للسيوطي ٣/٤٠٨ تحقيق محمد خليل هراس، ويقول تعليقا عليه : =

بعد سرد القصتين يعلق عليهما الشيخ محمد زكريا قائلا : « ذكرهما السيوطي في الخصائص الكبرى، وبين عن القصة الأخيرة أنها منكرة على منهج المحدثين»، ثم يقول الشيخ محمد زكريا : « ولكن قيمتها التاريخية مازالت باقية » .

ولا ندري ما يريد بالقيمة التاريخية ؟

* الكلام حول الأوهام *

وما يقع من أحداث في هذه الروايات لم تثبت بسند صحيح ، فهل تقع أم أن ذلك محض افتراء ، وإذا كانت تقع فكيف يفهم وقوعها علماء السلف ؟ تجد الإجابة على هذه التساؤلات في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذ يقول : « ولا ريب أن الأوثان يحصل عندهامن الشياطين، وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثانا هو أول الشرك، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه، وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين مثل : أن يرى القبر انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان، فإن الشيطان يتصور بصور الإنس، ويدّعي أحدهم أن النبي فلان أو

= كلام من جنس ما يقوله أصحاب المدائح الشحاذون، ويقول السيوطي : وقال ابن عساكر: هذا حديث منكر وفي إسناده أبو الطاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي كذاب عن عبد الجليل المري وهو مجهول .

أقو ل : إن الذي ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أوصى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يدفن بعد موته إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم . طبقات ابن سعد ٣ / ٢٠٩ ، وانظر : الصديق وأسرته رضي الله عنهم لمحمود شاكر ١٤٨ ، الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل ص ٣٧٨ ، صديق أكبر لسعيد أحمد أكبر آبادي ٣٠٣ .

الشيخ فلان، ويكون كاذبا في ذلك .

وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جدا، والجاهل يظن أنّ ذلك الذي رآه قد خرج من القبر، وعانقه أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما، والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان » [١] .

ويقول : « فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾[٢] .

وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات، فهذا كله من الشيطان، وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة، أو يذكرون ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين، فهذا كله ليس بمشروع ولا واجب ولا مستحب باتفاق أئمة المسلمين .

ومن قصد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين » [٣] .

وتقول اللجنة الدائمة في فتاويها : « الأصل أنّ الأموات عموما لا يسمعون نداء

---

(١) – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٥ .

(٣) – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٨ – ١٩ .

(٣) – الشورى ٢١ .

الأحياء من بني آدم ولا دعاءهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ ﴾[1] .

ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كل دعاء أو نداء من البشر حتى يكون ذلك خصوصية له، وإنما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه يبلغه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه فقط سواء كان من يصلي عليه عند قبره أو بعيدا عنه كلاهما سواء في ذلك لما ثبت عن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً، وَلاَ بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ »[2] .

أما حديث : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ بَعِيداً بَلَغْتُهُ » فهو حديث ضعيف[3] عند أهل العلم »[4] .

وتقول اللجنة : « الأصل في الميت نبيا أو غيره أنه لا يتحرك في قبره بمديده أو غيرها، فما قيل من أن النبي صلى الله عليه وسلم أخرج يده لبعض من سلم عليه غير صحيح بل هو وهم وخيال لا أساس له من الصحة »[5] .

---

(١) – الفاطر ٢٢ .

(٢) – مسند أحمد ٣٦٧/٢ .

(٣) – قال ابن تيمية : هذا الحديث موضوع على الأعمش بإجماعهم . الفتاوى ٢٤١/٢٧ .

(٤) – فتاوى اللجنة الدائمة ١ / ٣١٤ .

(٥) – المرجع السابق ١ / ٣١٦ .

أقول : إذا كان الأمر هكذا في سماعه صلى الله عليه وسلم السلام فما بالكم عن رده بالسلام والكلام ، وهو في قبره بين الجدران بصوت عال موصول إلى الآذان، وفي ذلك ذكرى لمن كان له لمسة من الأفهام والأذهان .

* السفر بنية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم*

إنّ السفـر لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز بل هو بدعـة كما أفتى بذلك العلماء المحققون [(١)] لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاَ تُشَـدُّ الـرِّحَـالُ إلاَّ إلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ : المَسْجِدِ الحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى »[(٢)] .

ويجوز للمسلم أن يسافر إلى المدينة للصلاة في المسجد النبوي، ومن زار مسجده صلى الله عليه وسلم شرع له أن يسلم عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهما وعلى أهل البقيع .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وقد كره مالك وغيره أن يقول الرجل : زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ هذا اللفظ لم يرد، والأحاديث المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة بل كذب، وهذا اللفظ صار مشتركا في عرف المتأخرين يراد به الزيارة البدعية التي في معنى الشرك كالذي يزور القبر ليسأله أو يسأل الله به أو يسأل الله عنده » [(٣)] .

---

(١) – انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ١ / ٢٨٥ – ٢٨٧ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٢ / ٣٦٠ ، ح : (١١٨٩) ، ومسلم في الصحيح ٢ / ١٠١٤ ، ح : (١٣٩٧) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

(٣) – فتاوى ابن تيمية ٣٥٥/١ .

ولكن منهج الجماعة يركز على أن يكون السفر إلى المدينة النبوية بنية زيارة قبره صلى اللّه عليه وسلم .

ومع أن الحديث صحيح وصريح في المنع من شد الرحال إلا لزيارة المساجد الثلاثة نجد الشيخ محمد زكريا في كتابه « تبليغي نصاب » يذهب ليس فقط إلى استحباب زيارة القبر بل إلى ما هو أبلغ من ذلك ، إذ نلمس أنه يميل إلى أن شد الرحال لزيارة القبر دليل على محبته للنبي صلي اللّه عليه وسلم ، ومعنى ذلك أن عدم زيارته جفاء ودليل على عدم المحبة ، وهذا يحمل خطرا عظيما من لازم قوله ؛ لأن عدم محبته صلى اللّه عليه وسلم خطيرة جدا ، وكأنما نحس من كلامه الميل إلى إيجابها وقد جاء في كتابه « تبليغي نصاب» مانصه : « قد كتب الملا علي القاري رحمه الله – وهو عالم فقيه محدث حنفي شهير – بأن زيارة النبي صلي الله عليه وسلم من أُهم المثوبات وأفضل العبادات وأنجح وسيلة، وأرجاها لنيل الدرجات العليا، بل قريبة من الواجبات عند جميع المسلمين بالاتفاق إلا البعض لا يعتبر شذوذهم، بل قال بعض العلماء : إنّها واجبة لمن استطاع إليه سبيلا، وتركها إهمال عظيم وجفاء جسيم ...

وقد كُتب في الدر المختار أنّ زيارة قبره صلى اللّه عليه وسلم مندوبة بل قال بعض العلماء : إنها واجبة لمن كان له سعة ، يقول العلامة شامي عن خير رملي الشافعي بأنه نقله عن ابن حجر وأيده » (١).

ثم يعلق عليه الشيخ محمد زكريا فيقول : « نظرا إلى حسناته – صلى اللّه عليه وسلم كما يحب ربنا ويرضى ويعدد ما يحب ويرضى – على أمته وإلى التوقعات المرجوة منه بعد وفاته لو لم يتم الحضور لديه بعد الوسعة والطاقة فهو في غاية الحرمان، والحرمان من هذه السعادة العظمى بأعذار بسيطة هو غاية القساوة والجفاء .

وإن قال بعض العلماء : إن نية زيارة المسجد النبوي لازمة دون زيارة قبره المبارك صلى اللّه عليه وسلم نظرا إلى بعض الروايات الواردة ... ولكن مذاهب الأئمة الأربعة كلها

---

(١) – فضائل حج ٩٤ ، وانظر : الدر المختار ٢ / ٢٦٢ .

تتفق على أن إرادة زيارة قبره المبارك مستحب أيضا »[١] .

ثم ذكر بعض أقوال المذاهب الأربعة لتأييد موقفه، واستدل ببعض الأحاديث الضعيفة، ثم يقول : « هكذا كتب صاحب الدر المختار من الحنفية أن ينوي زيارة المسجد النبوي مع زيارة القبر الشريف، ولكن كتب ابن الهمام من الفقهاء الحنفية أن يجرد النية لزيارة القبر المبارك فقط في المرة الأولى بناء على الحديث [٢] ، ثم إن قُدر له وسَعِد بالحضور مرة ثانية فلينو زيارة القبر الشريف والمسجد النبوي معا ، وقد نقل العلامة الشامي رحمه الله عن الملا جامي رحمه الله أنه سافر مرة لزيارته (القبر) فقط، حتى لم يدخل معها الحج لكي تكون النية خالصة للزيارة » .

ثم يعلق الشيخ محمد زكريا قائلا : هذا هو اقتضاء المحبة [٣] ، إلى أن قال : قد ثبت عن الصحابة الكرام والتابعين السفر لزيارة القبر الأطهر[٤] ، ثم ذكر حكايات في هذا الصدد والله أعلم بصحتها ، وقد حاول تأئيد أقواله بأحاديث ولكنها لم تصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأحاديث التي استدل بها منها :

١ – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي » [٥] .

---

(١) – فضائل حج ٩٥ .

(٢) – والحديث المشار إليه ذكره الشيخ محمد زكريا هو عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي كان حقا عليّ أن أكون له شفيعا » وسيأتي تخريجه .

(٣) – فضائل حج ٩٦ – ٩٧ .

(٤) – المصدر السابق ١٠٢ .

(٥) – فضائل حج ٩٦ ، وسبق تخريج الحديث . وهو منكر .

٢ – وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لاَ يَهُمُّهُ إلاَّ زِيَارَتِي كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعاً » (١) .

٣ – وعنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حيَاتِي » وبلفظ « مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حيَاتِي » (٢) .

٤ – وعن رجل من آل الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّداً كَانَ فِي جوارِي يَوْمَ القِيَامَةِ ... » الحديث (٣) .

٥ – وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَجَّ البَيْتَ ولَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي » (٤) .

٦ – وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَنِي فِي المَدِينَةِ مُحْتَسِباً كَانَ فِي جوارِي وكُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ القِيَامَةِ » (٥) .

---

(١) – فضائل حج ٩٦ ، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٢ / ٢٩١ ، ح : (١٣١٤٩) ، وفي الأوسط ٥ / ١٦ ، ح : (٤٥٤٦) ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، مرفوعا .

وقال الهيثمي في المجمع ٤ / ٢ : وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف . وقال ابن عبد الهادي : حديث ضعيف الإسناد ، منكر المتن ، لا يصلح الاحتجاج به ، ولا يجوز الاعتماد على مثله ، وقد تفرد به مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع .

انظر : الصارم المنكي في الرد على السبككي ٣٥ – ٣٦ .

(٢) – فضائل حج ٩٧ ، والحديث تقدم تخريجه وقال الألباني : موضوع . انظر : السلسلة الضعيفة ١ / ١٢٠ ح ٤٧ ، ٣ / ٨٩ ، إرواء الغليل ٤ / ٣٣٥ – ٣٣٦ .

(٣) – فضائل حج ٩٧ ، والحديث تقدم تخريجه .

(٤) – فضائل حج ٩٨ ، والحديث تقدم تخريجه وقال الألباني : موضوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة ١١٩/١، ح : (٤٥) .

(٥) – فضائل حج ٩٨ – ٩٩، والحديث سبق تخريجه .

٧ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « مَنْ حَجَّ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ قَصَدَنِي فِي مَسْجِدِي كُتِبَ لَهُ حَجَّتَانِ مبْرُورَتَان » [١] .

٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ صلَّى عِنْدَ قَبْرِي سَمِعتُهُ وَمَنْ صلَّى عَلَيَّ نَائِياً كَفَى أمر دنياه وآخرته وكُنْتُ له شهيداً وشفيعاً يومَ القيامَة » [٢] .

وهكذا استدل الشيخ محمد زكريا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة لتأئيد موقفه الذي يعارض الحديث الصحيح ، ويبني عليه أحكاما ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا شك أن هذه الأحاديث لا تقوم بها حجة ، ولعله فيما ذهب إليه مؤيدا لموقف مشايخه من سهارنفور وديوبند ومتابعا لشيخه وشيخ محمد إلياس الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الذي يصرح بهذا المذهب ويفاخر به قائلا : « عندنا وعند مشايخنا زيارة قبر سيد المرسلين (روحي فداه) من أعظم القربات وأهم المثوبات وأنجح لنيل الدرجات بل قريبة من الواجبات وإن كان حصوله بشد الرحال وبذل المهج والأموال، وينوي وقت الارتحال زيارته عليه ألف ألف

---

(١) – فضائل حج ٩٩ ، وذكر الحديث الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤ / ٧٠٣ ، وعزاه إلى الديلمي .

(٢) – فضائل حج ١٠٠، وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٣٦٦/١ ، ح : (٢٠٣) ، وقال : موضوع بهذا التمام، أخرجه ابن سمعون في الأمالي ٢/١٩٣/٢، والخطيب في تاريخه ٢٩١/٣ – ٢٩٢، وابن عساكر ٢/٧٠/١٦ من طريق محمد بن مروان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعا .

وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٢٣/١ نقلا عن ابن تيمية : « وأحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة » .

تحية وسلام، وينوي معها زيارة مسجده صلى الله عليه وسلم وغيره من البقاع والمشاهد الشريفة، بل الأولى ما قال العلامة الهمام ابن الهمام أن يجرد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد لأن في ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله صلى الله عليه وسلم ، ويوافقه قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لاَ تَحْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلاَّ زِيَارَتِي كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ شَفِيعاً لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ »[1] .

وكذا نقل عن العارف السامي الملا جامي أنه أفرز الزيارة عن الحج وهو أقرب إلى مذهب المحبين، وأما ما قالت الوهابية من أن المسافر إلى المدينة المنورة على ساكنها ألف ألف تحية لا ينوي إلا المسجد الشريف استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام : « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ »[2] فَمَرْدُودٌ »[3] .

* الطريقة لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام *

يرى الشيخ محمد زكريا أن الذكر الآتي وهو ما علمه الخضر لأحد الأبدال يحصل به رؤية النبي صلى الله عليه وسلم مناما كما يقول : « إنّ أحدا من الأبدال[4] سأل الخضر عليه الصلاة والسلام فقال : علّمني بعمل أقوم به في الليل فقال الخضر : أشغل نفسك في

---

(١) – والحديث ضعيف ، وتقدم تخريجه في ص ٢٧٩ .

(٢) – متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في الصحيح ٣٦٢/٢، ح : (١١٩٧) ومسلم في الصحيح ١٠١٤/٢، ح : ٥١١ – (٣٩٧) .

(٣) – المهند على المفند ٢٨ – ٢٩ ، حياة خليل ٤٥٤ – ٤٥٥ .

(٤) – الأبدال : (عند الصوفية) هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير ، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام . اصطلاحات الصوفية ٢٣٥ .

التطوع بين المغرب والعشاء ولا تكلّم أحدا، وتُسلّم على كل ركعتي التطوع واقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات وبعد العشاة اذهب إلى بيتك بدون الكلام وصل هناك ركعتين، واقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة مرة وقل هو الله أحد سبع مرات، واسجد سجدة بعد السلام ، واذكر فيها الاستغفار سبعا والصلاة على النبي سبعا وسبحان الله والحمد لله لا إله إلا الله الله أكبر لا حول ولا قوة إلا بالله سبعا، ثم ارفع رأسك من السجدة، وارفع يديك وادع : يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا إله الأولين والآخرين، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا رب يا رب يا رب الله يا الله يا الله .

ثم قم وأنت رافع يديك ثم ادع بهذا الدعاء واقفا ثم اضطجع على الجنب الأيمن متجها إلى القبلة وصلّ على النبي صلى الله عليه وسلم حتى تنام .

وبعد أن ساق القصة السابقة يعلق عليها الشيخ محمد زكريا قائلا : من داوم عليه باليقين والإخلاص ليَرَنّ الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام قبل الموت ، وقد جرّ به بعض الناس ورأوا أنهم وصلوا إلى الجنة وزارو هنا الأنبياء الكرام وسيد الكونين صلى الله عليه وسلم، وتشرفوا بالكلام معه ، ولهذه العملية فوائد كثيرة عديدة ولكنني تركتها اختصارا [١] .

ويقول : إن العلامة الدميري رحمه الله كتب في حياة الحيوان ، أنه من كتب يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة متوضئا على بطاقة محمد رسول الله، أحمد رسول الله، خمساً وثلاثين مرة ثم استصحبها فالله جل شأنه يرزقه القوة على الطاعة، ويبارك له ويحفظه من وساوس الشياطين ، وإذا نظر إليها متفكرا يوميا عند طلوع الشمس وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فتكثر زيارته صلى الله عليه وسلم في المنام [٢] .

---

(١) – فضائل درود ٥٢ – ٥٣ .

(٢) – فضائل درود ٥٣ .

* قراءة دلائل الخيرات وقصيدة البردة *

لا يخفى أن قصيدتي البردة ودلائل الخيرات قد اشتملتا على الأبيات البدعية من التوسل بحق الأنبياء والأولياء ، والغلو والاطراء ، والأبيات الشركية من الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك التزم مشايخ الجماعة بقراءتها والترغيب فيها كما سبق بنا حينما تحدثت عن أبرز شخصيات الجماعة ، وأنقل هنا بعض الأقوال من مشايخها التي تجلي بوضوح موقفهم من هاتين القصيدتين .

يقول الشيخ حسين أحمد المدني : « إن الوهابية الخبيثة ترى أن الإكثار من الصلاة والسلام على النبي عليه السلام ، وقراء ة دلائل الخيرات وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية وغيرها ، وجعلها وردا أمر قبيح جدا ، كما أنهم يعدون بعض أبيات قصيدة البردة شركا ، كبيت :

يا أشرف الخلق ما لي من ألوذ به　　　سواك عند حلول الحادث العمم

وأما مشايخنا الأجلاء فكانوا يمنحون أتباعهم وثائق لقراءة دلائل الخيرات وغيرها ، ويأمرونهم بالإكثار من قراءتها ومن الصلاة والسلام على النبي عليه السلام .

وقد كان الشيخ الكنكوهي والشيخ النانوتوي رحمة الله عليهما يقرآن دلائل الخيرات كما أنهما منحا الإجازة لقراءتها لآلاف أتباعهما » (١).

ويؤكد هذا الشيخ خليل أحمد السهارنفوري قائلا : « ... وكان شيخنا العلامة الكنكوهي يقرأ دلائل الخيرات وكذلك المشائخ الأخر (٢)من ساداتنا ... وكانوا يروون الدلائل رواية ، وكان يجيز أصحابه بالدلائل مولانا الكنكوهي رحمة الله عليه » (٣).

---

(١) – الشهاب الثاقب ٨٦ – ٨٧ .

(٢) – كذا في الأصل ، والصواب : الآخرون .

(٣) – المهند على المفند ٣٦ .

وأحب أن أشير إلى أن هذا هو الكنكوهي الذي بايع على يده مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس على الطرق الأربعة ، فكان مرشدا أولا له .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « إنّ وجه تأليف « دلائل الخيرات » مشهور بأن المؤلف كان في السفر واحتاج إلى الماء للوضوء وكان مضطربا لعدم وجود دلو وحبل، ورأته جارية وسألته ثم بصقت في البئر ففار الماء إلى رأس البئر فتحير المؤلف وسألها فقالت : هذه بركة الصلاة على النبي، وبعد ذلك بدأ تأليف كتاب دلائل الخيرات » (١) .

ويقول : « كتب الشيخ زروق رحمه الله أن من قبر مؤلف دلائل الخيرات تفوح رائحة المسك والعنبر، وهذا كله من بركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » (٢) .

ويقول : « قد نقل عن المشايخ الكرام مئات صيغ للصلاة على النبي، ودلائل الخيرات نموذج منه » (٣) .

وأقف إلى هنا في هذا المبحث وإلا فهناك بدع كثيرة مثل بدعة أضافية كختمة سورة ياسين بعد المغرب جماعيا والدعاء الجماعي وغيرها من الأذكار المبتدعة التي سيأتي بعض منها في الفصل القادم – إن شاء الله .

أسأل الله أن يجعلنا من المتبعين بالكتاب والسنة غير مبتدعين ؛ لأن البدعة أمر جد خطير لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر أمته دائما عن البدعة في خطبته قائلا : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ،

---

(١) – فضائل درود ٨٩ .

(٢) – فضائل درود ٨٩ .

(٣) – فضائل درود ٥٦ .

وكل بدعة ضلالة » [١] ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة » [٢] ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « عليك بتقوى الله والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع » [٣] .

وقال الإمام مالك رحمه الله : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [٤] فما لم يكن يومئذ دنيا فلا يكون اليوم دينا » [٥] .

---

(١) - أخرجه مسلم في الصحيح ٢ / ٥٩٢ ح ٨٦٧ .

(٢) - أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ١٠٣ ، وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم ، ووافقه الذهبي .

(٣) - أخرجه الدارمي في السنن ١ / ٤١ - ٤٢ ح ١٤١ .

(٤) - المائدة ٣ .

(٥) - الاعتصام للشاطبي ١ / ٤٩ .

* الفصل الثالث *

موقفها من التصوف

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : علاقتهم بالتصوف .

المبحث الثاني : أورادهم وأذكارهم .

المبحث الثالث : موقفهم من عقيدة وحدة الوجود والقائلين بها .

المبحث الرابع : موقفهم من الخضر .

المبحث الخامس : مفهوم التوكل عندهم .

المبحث السادس : الكشف والكرامات .

المبحث السابع : الدعاوي والمبالغات .

توطئة : عندما جاء الإسلام متمثلا في مصدريه الأساسيين : كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم، فربّى صلى اللّه عليه وسلم أصحابه وتلامذته في ظلهما وضوئهما تربية نموذجية لكي يكونوا قدوة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، ومثلا عليا لمن أراد أن يهتدي بهدي اللّه جل وعلا وهدي رسوله صلى اللّه عليه وسلم، فكانوا صورة حية لتعاليم رب العالمين وإرشادات رسوله صلى اللّه عليه وسلم، متبعين مقتدين غير مبتدعين محدثين، مهتدين لهديه، وسالكين بمسلكه، منتهجين بمنهجه، وغير باغين ولا عادين ولا مفرطين ولا مفرطين في أمور دينهم ودنياهم[1] .

فإنهم كانوا ممثلي الإسلام الصحيح الكامل غير المشوب بشوائب البدع والمحدثات والخرافات والضلالات التي لحقت الإسلام بعد أدوار وأطوار فإنهم كانوا تلامذة المدرسة الإسلامية الأولى التي كان أستاذها سيد ولد آدم المحفوظ بحفظ اللّه، والمعصوم بعصمة اللّه، والمؤيَّد بوحي اللّه ، فهم أولياء اللّه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لأنهم هم الذين حبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وأولئك هم الراشدون .

فكل عمل يخالف عملهم، وكل قول يعارض قولهم، وكل طريق في الحياة يناهض طريقهم فهو مردود ومرفوض؛ لأنهم شاهدوا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما لم يشاهده غيرهم، وسمعوا عنه ما لم يسمعه الآخرون، فهم أشبه الناس في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وعاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم ومعاشرتهم ومعاشهم برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من غيرهم ، ولذلك أُمر المؤمنون باتباعهم في قوله صلى اللّه عليه وسلم : « مَا أَنَا

---

(١) – التصوف، المنشأ والمصدر ١٣ ، إحسان إلهي ظهير .

عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » (١) .

ففي ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعمل أصحابه وحياتهم توزن أعمال وأقوال المسلمين الذين جاؤا بعدهم، فما وجد لها سند ودليل يحكم عليها بالصحة والصواب، وما لم يعاضدها الكتاب ولم تناصرها السنة، ولم يوجد لها أثر في حياة الصحابة وأفعالهم يحكم عليها بالفساد والبطلان، بقطع النظر عمن صدرت عنه وممن وردت لقوله عليه السلام: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » (٢) .

ويتضح بذلك جليا أنه لا بد من الاعتقاد بأن كل شيء لا يوجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فليس من الدين – وهو محدث وبدعة وضلالة (٣) .

وعليه فهل للتصوف والصوفية أصل في القرآن والسنة أم هل مارسها خيار خلق الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أولياء الله الحقيقيون الأولون من أمة محمد الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وما لم يكن كذلك فتركه واجب لقطع النظر عمن قاله وعمل به ...

---

(١) – التصوف، المنشأ والمصدر ١٣، إحسان إلهي ظهير .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٣/٢٢٩، ح : (٢٦٩٧)، ومسلم في الصحيح ٣/١٣٤٣ – ١٣٤٤، ح : ١٧ – (١٧١٨) .

(٣) – التصوف المنشأ والمصدر ١٥ .

* لمحة تاريخية عن التصوف *

إن الناس اختلفوا في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه، ولا يعرف على وجه التحديد من بدأ التصوف في الأمة الإسلامية، ومن هو أول متصوف .

وإن كان الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما دخل مصر سنة ١٩٩ هـ وترك بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها السماع والمواجيد والمواويل التي ينشدونها فعناهم الشافعي هنا هم المتصوفة فتكلم عنهم كثيرا : « لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يكون أحمق » ، وقوله : «ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد إليه عقله أبدا » [(١)] .

وهذا يدل على أنه قد كان هناك قبل نهاية القرن الثاني الهجري فرقة معلومة عند علماء الإسلام يسمونهم أحيانا بالزنادقة وأحيانا بالمتصوفة .

وأما الإمام أحمد فقد أثر عنه أقوال كثيرة في التنفير من أفراد معينين نسبوا إلى التصوف كقوله حينما سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له : « لا أرى لك أن تجالسهم » وذلك بعد أن اطلع الإمام أحمد بن حنبل على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها للبكاء ومحاسبة النفس – كما يزعمون – والكلام على الوساوس وخطرات القلوب .

وسئل أبو زرعة عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل محذرا إياه من مجالسته وكتبه : « إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له : في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله

---

(١) – الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ٣٣ .

عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة »[١].

وبلغ التصوف غايته وذروته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث، حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج[٢] أن يظهر معتقده على الملأ ولذلك أفتى علماء العصر بكفره وقتله فقُتل سنة ٣٠٩ هـ وصلب على جسر بغداد .

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية : « أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك »[٣].

وسبق ابن الجوزي وابن خلدون في هذا [٤] ، وخلاصة القول أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم وعدم وجوده في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف

---

(١) – تلبيس إبليس ، تحقيق د؟ السيد الجميلي ٢٠٦ .

(٢) – الحلاج : وهو أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج، فارسي، وكان جده مجوسيا نشأ بواسط في العراق، ومات قتلا على الزندقة في بغداد سنة ٣٠٩ هـ .

انظر: الكشف عن الصوفية ٣٥٤، البداية والنهاية ١١/١٣٨ .

ومن هفواته :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا　　نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته　　وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال :

كفرت بدين الله والكفر واجب　　لديّ وعند المسلمين قبيح

النقشبندية ٧١ نقلا عن أخبار الحلاج ١٦ ، ٥٣ ، تاريخ بغداد ٨ / ١٢٩ .

(٣) – الصوفية والفقراء ٥ .

(٤) – تلبيس إبليس ١٥٧، مقدمة ابن خلدون ٤٦٧ .

الصالحين .

والجدير بالذكر أن الحركة الصوفية من أول نشأتها إلى حين ظهورها العلني نجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم بلا استثناء في القرن الثالث والرابع الهجري كانوا من الفرس، ولم يكن فيهم عربي قط [١] .

وأدخلوا الأفكار الأجنبية في الأفكار الإسلامية الصافية، فعلى سبيل المثال إن أبا يزيد البسطامي الذي توفي في بداية القرن الثالث كان أبوه وجده من مجوس فارس والهند، فجده كان سادن النار وكان أبوه كاهنا يقوم على خدمة الأصنام، وكان أبو يزيد من العلماء المخضرمين الذين استوعبوا الثقافات الثلاث الهندية والفارسية والرومانية، وتبعه في هذا الطريق أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، وكان نصرانيا، فجمع العلوم التي تلقاها عن والده إلى ما كسبه من العلوم الفارسية والهندية قديمها وجديدها ومن ثم دخل الإسلام كغيره [٢] .

والصوفية ظلت تواصل انتشارها في أرض فارس ثم العراق، ومن هنا نشأت في منتصف القرن الرابع الهجري بدايات الطرق الصوفية التي سرعان ما انتشرت في العراق ومصر والمغرب ...

وفي القرن السادس والسابع والثامن بلغت الفتنة الصوفية أقصاها، وأخيرا عم الخطب وطم في القرون المتأخرة التاسع والعاشر حيث ظهرت آلاف الطرق الصوفية، وانتشرت العقيدة والشريعة الصوفية في الأمة .

---

(١) – انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ٣٤ .

(٢) – الإسلام والتصوف ؟ محمد أحمد الشافي ص ٣٧ .

فقد تبين مما مضى أن التصوف دخيل على الإسلام، وعندما جاء الإسلام متمثلا في مصدريه الأساسيين : كتاب الله والسنة الصحية لرسوله صلى الله عليه وسلم، لم نجد فيه أية إشارة للتصوف لا بلفظها ولا بمعناها[1] .

(١) – الفكر الصوفي ٣٤، ٣٥ ملخصا .

* المبحث الأول *

علاقتهم بالتصوف

إن علاقة الجماعة بالتصوف علاقة وثيقة ، ولا يجد الباحث صعوبة في تبيين هذه العلاقة ، فمؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس مع أنه بايع على يد شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ خليل أحمد السهارنفوري على الطرق الأربعة ، يجعل من أهدافه وأمنياته انتشار الطرق الصوفية في جماعة التبليغ يقول : « إن أمنيتي منذ زمن بعيد أن تستفيض هذه الجماعات على الأسس الخاصة لدى مشايخ الطريقة في الخانقاهات مراعية بكل آدابها » [1] .

ولذلك من جاء بعده نراه يحث ويحرض كل من ينتسب إلى جماعة التبليغ على أن يحضروا مرارا وتكرارا عند المشايخ الصوفيين أمثال الشيخ حسين أحمد المدني بدار العلوم ديوبند والشيخ عبد القادر الرائيفوري برائيفور ليقضوا هناك أوقاتهم ، ويستفيدوا من هؤلاء أكثر ما يمكن » [2] .

فالتصوف جزء من ثقافتهم ، ومتغلغل في وجدانهم ، ومما يؤكد ذلك قول الشيخ محمد زكريا : « إن التصوف روح كبارنا وكبار مظاهر العلوم ودار العلوم (ديوبند) فلعله لا يوجد أحد في هاتين المدرستين الذي لم يبايع على أحد المشايخ، ولم يشتغل بالذكر

---

(١) – حضرت جى مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٤ .

(٢) – تبليغى جماعت پر اعتراضات كى جوابات ١٧ .

والشغل الصوفي إلى حد ما »[١] .

ويقول : « إن التصوف شغل رئيسي لمشايخنا»[٢] .

ويقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري – وهو شيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة، وشيخ محمد زكريا المشرف على الجماعة – مبيناً عقيدته وعقيدة من ينتسب إليه : « إنا بحمد الله ومشايخنا وجميع طائفتنا وجماعتنا منتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الچشتية وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السادة السهروردية رضي الله عنهم أجمعين »[٣] .

ويقول : « يستحب عندنا إذا فرغ الإنسان من تصحيح العقائد وتحصيل المسائل الضرورية من الشرع أن يبايع شيخا راسخ القدم في الشريعة زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، قد قطع عقبات النفس وتمرن في المنجيات وتبتل عن المهلكات كاملا مكملا ويضع يده في يده ويحبس نظره في نظره ويشتغل باشتغال الصوفية من الذكر والفكر والفناء الكلي فيه، ويكتسب النسبة التي هي النعمة العظمى .

وأما من لم يتيسر له ذلك ولم يقدر له ما هنالك فيكفيه الانسلاك بسلكهم والانخراط في حزبهم ... وبحمد الله تعالى وحسن إنعامه نحن ومشايخنا قد دخلوا في بيعتهم

---

(١) – آپ بيتى ٢١ .

(٢) – مجلة الفرقان خصوصى اشاعت ٢ محرم ١٤٠٦/١٧٢ .

(٣) – المهند على المفند ٢٤ مختصرا .

واشتغلوا بأشغالهم، وقصدوا للإرشاد والتلقين » [١] .

وقال الشيخ حسين أحمد المدني - وهو يقارن بين أكابره وبين أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب في العقائد : « إن الوهابية يعدون الأشغال الباطنية وأعمال الصوفية كالمراقبة والذكر والفكر والإرادة وربط القلب بالشيخ والفناء والبقاء والخلوة وغيرها بدعة وضلالة، ويرون أقوال هؤلاء الأكابر وأفعالهم شركا كما أنهم يرون الدخول في السلاسل الصوفية مكروها بل أقبح من ذلك .

كما لا يخفى ذلك على من سافر إلى الديار النجدية وخالطهم، وأما الفيوض الروحية فهي لا اعتبار لها عندهم، وأما أكابرنا الأجلاء فينسلكون جميعاً في الطرق الصوفية الباطنية ، شعارهم الرياضة والفكر والذكر » [٢] .

وقال : « هناك بون شاسع بين عقائد الوهابية وبين معتقدات وأعمال أكابرنا كبعد الأرض والسماء بل أكثر من ذلك، فهؤلاء ينخرطون في السلوك في الطرق الأربعة وخاصة الطريقة الچشتية الصابرية » [٣] .

والشيخ محمد طيب يقول : « إن علماء ديوبند لا ينكرون التصوف أو طرق الصوفية ومناهج التربية لدى الزهاد والعباد والمصلحين الموثوقين لديهم، وهم فعلا يأخذون بهذه الطرق وهذه المناهج » [٤] .

---

(١) - المهند على المفند ٣٨ - ٣٩ مختصرا .

(٢) - الشهاب الثاقب ٧٧ .

(٣) - المرج السابق ٥٥ ملخصا .

(٤) - مجلة الداعي محرم ١٤١٨ هـ جامعة اسلامية دار العلوم ديو بند الهند ١٤ .

في هذا المحيط الصوفي نشأ وتربى مشايخ التبليغ، وتأثروا به، وتسربت إليهم أفكار الصوفية، لذا نرى أن جميعهم ينخرطون في الطرق الصوفية المعروفة، وتمت بيعتهم على أيدي مشايخهم في الطريقة كما ذكرت ذلك في تراجمهم بداية من مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس نهاية إلى مشرف الجماعة الشيخ محمد زكريا، حتى نلاحظ أن الشيخ محمد زبير الحسن بن الشيخ إنعام الحسن الذي يقوم مقام الأمير في مركزهم الرئيسي بنظام الدين في دهلي هو خليفة ومجاز من الشيخ محمد زكريا[١] ، كما نجد كثرة المصطلحات[٢] الصوفية في كتبهم ومحاضراتهم مثل القطب[٣] والأبدال[٤]، والقبض[٥]، والبسط[٦]

---

(١) – أحوال وآثار عدد خاص إنعام الحسن ٤١١ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٢٥١ .

(٣) – القطب : هو الغوث ، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام . اصطلاحات الصوفية ص ٢٣٥ .

(٤) – مكاتيب محمد إلياس ٨٩، ٩٤ .

الأبدال (البدلاء) وهم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد ذلك هو البدل لا غير ، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام . اصطلاحات الصوفية ملحق مع التعريفات للجرجاني ٢٣٥ .

(٥) – القبض : حال من الخوف في الوقت ، وقيل : وارد يرد على القلب يوجب الإشارة إلى عتاب وتأديب ، وقيل : أخذ وارد الوقت . اصطلاحات الصوفية ص ٢٣٦ .

(٦) – فضائل حج ٤٩ .

والبسط : هو حال من يسعه الأشياء ولا يسعه شيء ، وقيل : هو حال الرجاء ، وقيل : هو وارد يوجب الإشارة إلى رحمة وأنس . اصطلاحات الصوفية ٢٣٦ .

، والعشق ، والطريقة ، والشريعة ، والفيوض الروحانية ، وانتقال النسبة [١] .

وألفاظ البيعة التي يلقنونها على هذه الطرق هي كما يلي :

« بايعت على يد فلان – يذكر اسمه – في الأسرة الچشتية « النقشبندية، والقادرية والسهروردية » [٢] وهناك شجرات يوزعها المشايخ على مريديهم وقت البيعة فهذه نموذج لشجرة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي التي كان يوزعها على مريديه .

---

(١) – انظر : حضرت جى كى ياد گار تقريرين ٩٠ .

(٢) – تذكرة الرشيد ج ٢ /٩٨، حيات خليل ٤٣١/٢، بيعت كى شرعى حيثيت ٤٠ .

نسبتِ مسلسلہ وشجرات

نفس نتوان گشت الا ظل پیر		دامن آن نفس کش راسخت گیر

مخدوم العالم امام ربانی مرشد نا ومولانا الحافظ الحاج المولوی رشید احمد محدث گنگوہی قدس سرہ العزیز کو نسبت بیعت وارتباط صحبت وخرقہ واجازت حاصل ہے اعلیٰحضرت مولانا حاجی امداد اللہ شاہ مہاجر مکی رحمۃ اللہ علیہ سے اور اعلیٰحضرت حاجی صاحبؒ کی نسبت وصحبت کا اتصال سرور عالم محمد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم تک متعدد طرق سے ضیاء القلوب میں مذکور ہے ناظرین سوانح اور متوسلین آستانہ گنگوہیہ کی آگاہی کیلئے مختصراً عرض کرنا ضرور ہوا

(خاندان چشتیہ صابریہ قدوسیہ) امام ربانی حضرت مولانا رشید احمد انصاری ایوبی نعمانی محدث گنگوہی

وصال ۹ جمادی الثانیہ ۱۳۲۳ھ مرقد گنگوہ

قدس سرہ از اعلیٰحضرت حاجی امداد اللہ شاہ فاروقی مہاجر مکیؒ از میانجیو نور محمد علویؒ جھنجھانویؒ از حاجی سید عبد الرحیم فاطمی شہید

ولایتی از شاہ عبد الباری صدیقیؒ امروہی از شاہ عبد الہادی صدیقیؒ امروہی از سید عضد الدینؒ از شاہ محمد مکی جعفری

از شاہ سید محمدیؒ از شیخ محب اللہ صدیقیؒ الہ آبادی از شاہ ابو سعید نعمانی نوشیروانی گنگوہیؒ از شاہ نظام الدین بلخیؒ

فاروقی از شاہ جلال الدین تھانیسریؒ فاروقی از قطب العالم عبد القدوس گنگوہیؒ نعمانی از شیخ محمد فاروقیؒ ردولوی از شیخ احمد

فاروقی ردولوی از شیخ عبد الحق فاروقیؒ ردولوی از شیخ جلال الدین محمد عثمانی پانی پتی از شیخ شمس الدین ترک علوی پانی پتی

از امام الملۃ مخدوم علاؤ الدین علی احمد صابر حسینی از شیخ فرید الدین شکر گنج فاروقیؒ از شیخ قطب الدین بختیار کاکی

اوشی حسینیؒ از امام الطریقہ خواجہ معین الدین حسن سنجریؒ از شاہ ابو النور عثمان ہارونی از منیر الدین حاجی شریف زندنیؒ از

قطب الدین مودود چشتی حسینی از سید ناصر الدین ابو یوسف چشتی حسینی از سید ابو محمد محترم چشتی حسینی از سید ابو احمد ابدال حسنی

از خواجہ شرف الدین ابو اسحاق شامی از خواجہ کریم الدین ممشاد علو دینوری از خواجہ امین الدین ابو ہبیرہ بصری از خواجہ

سدید الدین حذیفہ مرعشی از سلطان العارفین ابو اسحاق ابراہیم بن ادہم فاروقی از خواجہ ابو الفیض فضیل بن عیاض

ازخواجہ ابوالفضل عبدالواحد بن زید از سیدنا امام حسن بصریؒ ازمولانا ابوالحسن وابوتراب عمزادہ و داماد
۲۷ رصفر ۱۷۶ھ یا ۱۷۷ھ بصرہ — یکم رجب یا ۴ محرم ۱۱۰ھ بصرہ — شب دوشنبہ ۲۱ رمضان ۴۰ھ

رسالتماب علی بن ابی طالب کرم اللہ وجہہ ازنبی الحرمین وسیلتنا فی الدارین محمد مصطفیٰ صلی اللہ علیہ وسلم۔
نجف اشرف غالباً — دوشنبہ ۱۲ ربیع الاول ۱۱ھ ہجری نبوی مدینہ منورہ زادہا اللہ شرفاً وتعظیماً

(خاندان چشتیہ نظامیہ قدوسیہ) حضرت امام ربانی قدس سرہ کا سلسلہ نسبت واجازت تا قطب العالم شیخ عبدالقدوس گنگوہی قدس سرہ مثل سابق ہے اور آگے سلسلہ اس طرح ہے کہ شیخ عبدالقدوس گنگوہی اجازت طریقہ نظامیہ ازمرشد خود شیخ درویش بن محمد قاسم اودھی از سید بڈھن بہرائچی از سید اجمل بہرائچی از سید جلال الدین بخاری از مخدوم جہانیان جہان گشت ازخواجہ نصیر الدین روشن چراغ دہلی از سلطان المشائخ امام الملۃ شیخ نظام الدین اولیاء بن محمد احمد بدایونی ازخواجہ فرید الدین شکر گنج تا سرور عالم صلی اللہ علیہ وسلم۔

نیز قطب العالم عبدالقدوس گنگوہی کو اس سلسلہ کی اجازت اپنے مرشد شیخ درویش بن محمد قاسم اودھی سے اس طرح بھی حاصل ہے کہ شیخ درویش ازمرشد خود شیخ سعد اللہ از شیخ افلح اللہ از شیخ صدر الدین طبیب دلہا از سلطان المشائخ شیخ نظام الدین دہلوی رحمۃ اللہ علیہم اجمعین اس سلسلہ کا نام چشتیہ نظامیہ افلحیہ ہے۔

نیز قطب العالم کو اپنے مرشد شیخ درویش سے اس سلسلہ کی اجازت باین طور حاصل ہے کہ شیخ درویش ازمرشد خود میاں بن حکم اودھی از سید صدر الدین اودھی از سید محمد گیسو دراز ازخواجہ نصیر الدین از سلطان المشائخ شاہ نظام الدین اولیاء، تا آخر۔ اور اس سلسلہ کا نام چشتیہ نظامیہ گیسو درازیہ قاسمیہ ہے۔

(خاندان عالیہ قادریہ قدوسیہ) کی نسبت بیعت وارتباط صحبت وحصول خرقہ واجازت امام ربانی مولانا گنگوہی قدس سرہ کو اعلیحضرت حاجی صاحب رحمۃ اللہ علیہ کیساتھ بوسائط مذکورہ قطب العالم عبدالقدوس گنگوہی سے اس طرح حاصل ہے کہ قطب العالم عبدالقدوس گنگوہی از درویش محمد بن قاسم اودھی از سید بڈھن بہرائچی از سید اجمل بہرائچی از مخدوم جہانیان جہان گشت از سید جلال الدین بخاری از شیخ ابوالمکارم فاضل از شیخ قطب الدین ابوالغیث از شیخ شمس الدین علی افلح از شیخ شمس الدین حداد از امام الاولیا سید الطائفہ شیخ محی الدین عبدالقادر جیلانی از شیخ ابوسعید مخزومی از شیخ ابوالحسن قرشی علی الہکاری از شیخ ابوالفرح طرطوسی از شیخ عبدالواحد تمیمی از شیخ ابوبکر شبلی از شیخ جنید بغدادی از شیخ سری سقطی از شیخ معروف کرخی از شیخ داود طائی از شیخ حبیب عجمی از امام حسن بصری از امیر المومنین علی ابن ابی طالب از سرور عالم محمد مجتبیٰ صلی اللہ علیہ وسلم۔

نیز حضرت غوث الثقلین محی الدین عبدالقادر جیلانی قدس سرہ کو اس سلسلہ کی اجازت جدی سلسلہ سے

بایں طور حاصل ہے کہ غوث الثقلین از ابو صالح از موسیٰ جنگی دوست از سید عبد اللہ جیلی از سید یحییٰ زاہد از سید موسیٰ مورث از سید داؤد مورث از سید موسیٰ الجون از سید عبد اللہ المحض از امام حسن مثنیٰ از امام حسن از علی کرم اللہ وجہہ از سرور عالم صلی اللہ علیہم اجمعین اس سلسلہ کا نام سلسلہ جیلانیہ آبائیہ ہے۔

نیز قطب العالم عبد القدوس گنگوہیؒ کو اس سلسلہ کی اجازت اس طرح بھی حاصل ہے از حضرت ابراہیم حسینی از شاہ موسیٰ از شیخ احمد جیلی از شیخ عبد القادر از شیخ محمد حسن از شیخ ابو النصر از شیخ ابو صالح از غوث الثقلین شیخ عبد القادر جیلانی تا سرور عالم صلے اللہ علیہ وسلم۔ اور اس سلسلہ کا نام قادریہ ابراہیمیہ ہے۔

حضرت امام ربانی قدس سرہ کو اس سلسلہ علیہ کی اجازت اعلیحضرت حاجی صاحب سے بواسطہ حضرت شاہ رحم علی صاحب بھی حاصل ہے اسکی اسناد اس طرح ہے حضرت مخدوم العالم از اعلیحضرت حاجی امداد اللہ شاہ از میانجیو نور محمد از حاجی عبد الرحیم شہید از سید رحم علیشاہ از سید عبد الرزاق از سید عبد الحی از سید محمد غوث از سید ابو محمد از شاہ محمد از سید قمیص الاعظم از سید الیاس مغربی از سید عبد الحق مغربی از سید مولانا مغربی از سید احمد قدسی از سید عبد القادر راسی از سید عبد الوہاب از سید موسیٰ از سید یحییٰ زاہد از سید زین الدین از سید عبد الرزاق از غوث الثقلین سید عبد القادر جیلانی از ابو سعید مخزومی از ابو الحسن ہکاری از ابو الفرح طرسوسی از عبد الواحد تمیمی از ابو بکر شبلی از جنید بغدادی از سری سقطی از شیخ معروف کرخی از امام علی بن موسیٰ رضا از امام موسیٰ کاظم از امام جعفر صادق از امام محمد باقر از امام زین العابدین از امام حسین شہید کربلا از امیر المومنین علی کرم اللہ وجہہ از محبوب رب العلمین محمد مصطفےٰ صلے اللہ علیہم اجمعین وبارک وسلم۔

(خاندان عالیہ نقشبندیہ قدس سرہ) اس سلسلہ کی نسبت بیعت و ارتباط صحبت و خرقہ و اجازت امام ربانی حضرت مولانا گنگوہی قدس سرہ کو اعلیحضرت حاجی صاحب کیساتھ بوسائط مذکورہ قطب العالم عبد القدوس گنگوہیؒ کیساتھ اس طرح حاصل ہے کہ شیخ عبد القدوسؒ از درویش محمد بن قاسم اودھی از سید بدہن بہرائچی از سید اجمل بہرائچی از شاہ عبد الحق از خواجہ عبید اللہ احرار از خواجہ مولانا یعقوب چرخی از خواجہ علاؤ الدین عطار از امام الطریقہ خواجہ بہاؤ الدین نقشبند از خواجہ سید امیر کلال از خواجہ محمد بابا سماسی از خواجہ عزیزان علی رامیتنی از خواجہ محمود ابو الخیر فغنوی از خواجہ محمد عارف ریوگری از خواجہ عبد الخالق غجدوانی از خواجہ یوسف ہمدانی از خواجہ ابو علی فارمدی از خواجہ امام ابو القاسم قشیری از خواجہ ابو علی دقاق از خواجہ ابو القاسم نصرابادی از خواجہ ابو بکر شبلی از سید الطائفہ جنید بغدادیؒ از شیخ سری سقطی از شیخ معروف کرخی از شیخ داؤد طائی از خواجہ حبیب عجمی از امام الاولیا

حسن بصری از امیر المومنین علیؓ کرم اللہ وجہہ از سرور عالم محمد مصطفےٰ صلے اللہ علیہ وسلم۔

نیز اس سلسلہ عالیہ کی اجازت حضرت امام ربانی قدس سرہ کو ایۃ من ایات اللہ حضرت شاہ ولی اللہ محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ کے توسط سے بھی حاصل ہی باین طور کہ مرشدنا گنگوہی قدس سرہ از اعلحضرت حاجی امداد اللہ شاہ از میانجیو نور محمد از حضرت سید احمد شہید از شاہ عبد العزیز محدث دہلوی از شاہ ولی اللہ از شاہ عبد الرحیم از سید عبد اللہ از سید آدم بنوری از امام ربانی شیخ احمد مجدد الف ثانی از خواجہ باقی باللہ از خواجہ امکنگی از مولانا درویش از مولانا زاہد از خواجہ عبید اللہ احرار از مولانا یعقوب چرخی از خواجہ علاؤ الدین عطار از امام الطریقہ خواجہ بہاؤ الدین نقشبند تا سرور عالم صلی اللہ علیہ وسلم۔ اور اس سلسلہ کا نام نقشبندیہ مجددیہ ولی اللہیہ ہے۔

شاہ ولی اللہ صاحبؒ کے والد ماجد شاہ عبد الرحیمؒ صاحب کو نسبت وصحبت وخرقہ واجازت جن طرق متعددہ سے حاصل ہی وہ مفصل ومبسوطا شافین قول جمیل مین مذکور ہین وہان دیکھ لیجائین ان تمام شعب وشجرات کو بجنسہا حضرت امام ربانی قدس سرہ کے شجرات واسانید سلسلہ کہا جاسکتا ہی۔ تطویل کے اندیشہ سی یہان ذکر نہین کیا گیا۔ خواجہ ابو علی فارمدی کو نسبت اویسیت حاصل ہی ابو الحسن خرقانی کیساتھ اور انکو بایزید بسطامی سے روحی فیض پہونچا اور انکی تربیت امام جعفر صادق کی روحانیت سے ہوئی اور امام جعفر صادق کو اپنے نانا قاسمؒ بن محمد بن ابی بکر الصدیقؓ کیساتھ انتساب حاصل ہی اور انکو حضرت سلمان فارسیؓ کیساتھ اور آپکو حضرت خلیفہ رسول اللہ صدیق اکبر ابو بکر بن ابی قحافہ کیساتھ اور حضرت صدیق نے جو کچھہ حاصل کیا سرور عالم محمد مصطفےٰ صلی اللہ علیہ وسلم سے حاصل کیا اس نسبت اویسیت کو صدیقیہ نقشبندیہ نظامیہ قدوسیہ کہدیتے ہین۔

نیز حضرت امام ربانی قدس سرہ کو اس سلسلہ علیہ کی اجازت اعلحضرت حاجی امداد اللہ شاہ صاحب سے باین طور بھی حاصل ہی کہ مرشدنا گنگوہی از اعلحضرت حاجی امداد اللہ صاحب از سابق مرشد خود حضرت مولانا نصیر الدین دہلوی از شاہ محمد آفاق دہلوی از خواجہ ضیاء اللہ از خواجہ محمد زبیر از خواجہ حجۃ اللہ محمد نقشبند ثانی از خواجہ محمد معصوم از حضرت مجدد الف ثانی شیخ احمد سرہندی تا سرور عالم صلی اللہ علیہ وسلم۔ اور اس سلسلہ کا نام نقشبندیہ مجددیہ نصیریہ ہے۔ نیز چونکہ حضرت مجدد الف ثانی قدس سرہ کو اجازت اور بیعت تمام طرق چشتیہ قادریہ سہروردیہ کبرویہ مداریہ اور قلندریہ کی اپنے پیرو مرشد شیخ عبد الاحد سے حاصل ہی اور انکو اپنے مرشد شیخ رکن الدین گنگوہی سے اور انکو اپنے مرشد ووالد ماجد شیخ عبد القدوس گنگوہی سے اسلئے حضرت امام ربانی کا سلسلہ نسبت باین طرق تمام خاندانوں مین جناب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم کیساتھ قریب تر ثابت ہوگا۔

(خاندان علیہ سہروردیہ قلندریہ) اس سلسلہ میں نسبت بیعت وارتباط صحبت وخرقہ واجازت حضرت مرشدنا گنگوہی قدس سرہ کو اعلیحضرت حاجی صاحب کے سامنے بوسائط مذکورہ شیخ عبد القدوس قدس سرہ سے باین طور حاصل ہے کہ قطب العالم عبد القدوس گنگوہی از درویش محمد بن قاسم از سید بڈھن بہرائچی از سید اجمل بہرائچی از سید جلال الدین بخاری از شیخ رکن الدین ابو الفتح از والد خود شیخ صدر الدین از والد خود شیخ بہاؤ الدین زکریا ملتانی از امام الطریقہ شیخ شہاب الدین سہروردی از شیخ ضیاء الدین ابو النجیب سہروردی از شیخ وجیہ الدین عبد القاہر سہروردی از شیخ ابو محمد بن عبد اللہ از شیخ احمد دینوری از شیخ ممشاد علو دینوری از حضرت جنید بغدادی از معروف کرخی از شیخ داؤد طائی از خواجہ حبیب عجمی از امام الاولیاء حسن بصری از امیر المومنین علی کرم اللہ وجہہ از سرور عالم محمد مصطفےٰ صلی اللہ علیہ وسلم۔

نیز سید اجمل بہرائچی قدس سرہ کو طریقہ مداریہ اور قلندریہ میں امام الطریقہ شیخ بدیع الدین شاہ مدار قدس سرہ سے اجازت ونسبت بلاواسطہ حاصل ہے اور شاہ مدار کا سلسلہ اس طرح ہے کہ شاہ بدیع الدین از شاہ طیفور شامی از شاہ عین الدین شامی از شاہ یمین الدین شامی از حضرت بدیع الدین علمبردار از امیر المومنین علی کرم اللہ وجہہ از سرور عالم صلی اللہ علیہ وسلم اس سلسلہ کا نام مداریہ قلندریہ قدوسیہ امدادیہ رشیدیہ ہے۔

نیز شیخ جلال الدین بخاری کو سلسلہ کبرویہ کی اجازت شیخ حمید الدین سمرقندی سے باین سلسلہ حاصل ہے کہ شیخ حمید الدین از شیخ شمس الدین بن ابی محمد بن محمود بن ابراہیم بن ادہم از شیخ عطایا خالدی از شیخ احمد بابا کمال خجندی از شیخ نجم الدین کبری از عمار یاسر از ابو النجیب سہروردی از شیخ احمد غزالی از ابو بکر نساج از ابو القاسم گرگانی از خواجہ ابو عثمان مغربی از ابو علی کاتب از شیخ علی رودباری از سید الطائفہ جنید بغدادی از معروف کرخی از شیخ داؤد طائی از خواجہ حبیب عجمی از امام الاولیاء حسن بصری از امیر المومنین علی کرم اللہ وجہہ از سرور عالم احمد مجتبیٰ محمد مصطفےٰ صلی اللہ علیہ وعلی آلہ واصحابہ وجمیع احبابہ اجمعین برحمتک یا ارحم الراحمین۔

سلاسل مشہورہ میں حضرت امام ربانی قدس سرہ کا سلسلہ ارتباط واجازت بطریق مشہور یہ ہے جو مذکور ہوا ان سلاسل میں جو بحیثیت اصل ایک ہونے اور فیوضات وبرکات کے باہم وابستہ اور ایک کے دوسرے کی جانب منتقل ہوتے رہنے سے جو شاخیں پیدا ہوگئی ہیں وہ اس کثرت سے ہیں کہ احاطہ دشوار ہے اسلئے ان سے بحث نہیں کیگئی حضرت امام ربانی قدس سرہ کا تربیت باطنی وفیوضات روحانی میں قطب العالم شیخ عبد القدوس گنگوہی قدس سرہ کی ذات بابرکات کیساتھ زیادہ مناسبت رکھنا نسبت اویسیت

وفیضان روحانیت کے علاوہ اسلئے بھی ہے کہ سلاسل اربعہ مشہورہ مین حضرت شیخ کا واسطہ غالبًا قایم ہے حضرت امام ربانی کی بافیض ومجمع برکات ذات سے متوسلین کو حسب نصیب مقدر ہر خاندان اور ہر سلسلہ مین فیض پہونچا مگر چونکہ چشتیہ خاندان کا فیضان زیادہ ہوا اسلئے شجرات مین یہی شجرہ زیادہ تر طبع اور شایع ہوا اور متوسلین کی جماعت کثیرہ کے پاس یہی موجود بھی ہے اگرچہ شیخ عبد القدوس قدس سرہ کا واسطہ اس سلسلہ مین آنیکے سبب کہہ سکتے ہین کہ چارون خاندان بلکہ تمام شاخین اور فروعات اسمین شامل ہوگئے مگر اوپر چلکر اس سلسلہ کا ارتباط چونکہ امام الطریقہ حضرت معین الدین اجمیری قدس سرہ سے ملتا ہے اسلئے صورۃً فیضان کا انتساب چشتیہ کیجانب منسوب ہے عمر بھر مین حضرت امام ربانی قدس سرہ کو شعر گوئی کا صرف ایکبار اتفاق ہوا اور اس حالت مین آپنے وہی شجرہ نظم فرمایا ہے جو عام طور پر آپکے متوسلین کی دعاؤن کا توسل قرار پاتا ہے تبرکًا اسکو ہدیہ ناظرین کرکے اس عنوان کو ختم کرتا ہون شجرہ منظومہ

بہر امداد و بنور حضرت عبد الرحیم	عبد باری عبد ہادی عضد دین مکی ولی
ہم محمدی و محب اللہ و شاہ بوسعید	ہم نظام الدین جلال و عبد قدوس احمدی
ہم محمد عارف و ہم عبد حق شیخ جلال	شمس دین ترک و علاؤ الدین فرید جودھنی
قطب دین و ہم معین الدین و عثمان و شریف	ہم مودود و ابو یوسف محمد و احمدی
بوسحاق و ہم ممشاد و ہبیرہ نامور	ہم حذیفہ و ابن ادہم ہم فضیل مرشدی
عبد واحد ہم حسن بصری علی فخر دین	سید الکونین فخر العلمین بشری نبی
پاک کن قلب مرا تو از خیال غیر خویش	بہر ذات خود شفا یم دہ ز امراض دلی

حضرت امام ربانیؒ کے متوسلین کی استدعا پر جناب قاری مغیث الدین صاحب ساڈھوری مدظلہ نے اوّل مین اسی بحر پر دو شعر بڑھا کر حضرت مخدوم العالم قدس سرہ کا اسم مبارک شامل شجرہ کر دیا ہے خدام آستانہ گنگوہیہ کیلئے وہ بھی شجرہ کے ہر دو طرف حاشیہ پر درج ہین۔ اب نہایت ادب و خلوص کے ساتھ بدرگاہ واہب العطیات دعا و مناجات ہے کہ وہ ذات قاضی الحاجات اس مؤلف نامراد و سیہ کار اور حضرات ناظرین سوانح کو اس جماعت مقبولہ و حزب مبرور کے فیوضات و برکات سے بہرہ مند و فائز المرام بنائے اور اپنی سچی و نافع محبت کا شمہ عطا فرمائے انتساب کو ثبات و قرار بخشے اور میدان حشر مین ان حضرات کی شمولیت و ہمرکابی نصیب ہو آمین بجاہ سید المرسلین ﷺ

وقد عرفنا فيما مضى في تراجم أمراء الجماعة أن جميعهم بعد ما حصلوا على الإجازة والخلافة من مشايخهم في الطريقة قاموا أيضا بالبيعة على أيديهم لمريديهم بيعة فردية وجماعية للرجال والنساء ، ويبلغ عددهم أحيانا إلى المئات بل الآلاف ، حتى بايع الشيخ محمد زكريا كابتن عثمان في الجو على متن الطائرة (١) ، وبايع على يده الخواص وأهل الشورى من الجماعة على السلاسل الأربعة (٢) ، وكان يحث مريديه على أن يدعوا الناس إلى التصوف فيقول : « أما الآن فقد أصبح الزمان ملائما وصالحا للدعوة إلى التصوف بكل قوة والعمل به » (٣) .

بل يرى أن من لم يلتزم التصوف فهو بريء من جماعته كما يقول : « وعلى أية حال فإننا كجماعة نرى ضرورة التقليد في هذا العصر ، كما نرى التصوف الشرعي أقرب الطرق للتقرب إلى الله ، فالذي يخالفنا في هذين الأمرين (التقليد والتصوف) سواء كان فردا أو جماعة فهو بريء من جماعتنا » (٤) .

---

(١) - مجلة الفرقان محرم ١٤٠٧/١٩٧ .

(٢) - محبوب العارفين ١٣ .

(٣) - ذكر واعتكاف كى اهميت ٦٨ .

(٤) - فتنة مودوديت لمحمد زكريا ١٢٦ .

* المبحث الثاني *

أورادهم وأذكارهم

تبين لنا مما سبق علاقتهم الوثيقة بالتصوف ، ومن المعلوم أن التصوف له أوراد وأذكار ، ومن هذا المنطلق يلتزم مشايخ التبليغ بأوراد الصوفية وأشغالهم حتى واظبوا عليها إلى آخر حياتهم كما شهد بذلك الشيخ محمد زكريا فهو يقول : « رأيت من أكابرنا الشاه عبد القادر – نور الله مرقده – وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني وعمي المحترم – الشيخ محمد إلياس – كانوا يهتمون بالذكر الجهري إلى آخر حياتهم » (١). وأراد به الذكر الجهري الچشتي المسمى بالتسبيح الاثني عشري (٢)، وقد سبقت طريقة هذا الذكر البدعي حينما تحدثت عن حياة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (٣).

وقد اهتم الشيخ محمد زكريا بتأليف عدة كتب في هذا الموضوع ، وشرح فيها مصطلحات التصوف، وحث على أذكار الصوفية وأشغالهم في السلاسل الأربعة، وقد ذكرت منها بعض النماذج للأذكار الچشتية حينما تكلمت عن مشايخ الجماعة .

وذكر عدة طرق للذكر للطريقة النقشبندية ومنها : أن يجلس بعد الفجر أو التهجد متوركا طاهرا نحو القبلة، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة مرة ويقرأ سورة الإخلاص ثلاث عشرة مرة، ويهدي ثوابها إلى مشايخ السلسلة، ويجدد تصوره بالربط القلبي مع الشيخ ويلصق اللسان في سقف الفم حتى لا يتحرك ويأتي بلفظ (لا) خياليا من سرّته إلى الدماغ .

---

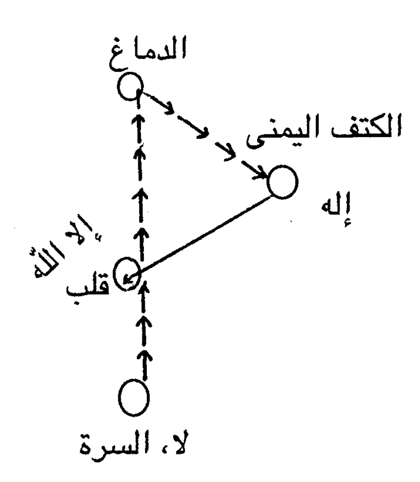
(١) – نسبت واجازت ٤ .

(٢) – ذكر واعتكاف كى اهميت ١١ .

(٣) – انظر ص

ومن هنا ينتهي بـ(إله) على كتفه اليمنى، ويضرب بضربة (إلا اللّه) على قلبه .

وفي هذا الذكر لا يتحرك أي عضو من الرأس أو اللسان أو العنق تحركا ظاهرا، بل كل هذا يتحقق في التصور، وشكله هكذا [١] :



وكان يلتزم الشيخ محمد زكريا بعقد مجالس الذكر البدعية مثل « ختمة خواجگان » يقول الصوفي محمد إقبال : « إن من المعتاد لدى الشيخ محمد زكريا « ختمة خواجگان » وختمة سورة ياسين ثم الدعاء يوميا » [٢] .

وطريقة « ختمة خواجگان » أن يقرأ سورة الفاتحة سبع مرات ثم سورة ألم نشرح تسعا وسبعين مرة ، والصلاة على النبي مائة مرة ، ثم سورة الإخلاص ألف مرة ، وسبع مرات سورة الفاتحة ، ومائة مرة الصلاة على النبي ، ومائة مرة يا قاضي الحاجات ويا كافي المهمات ، يا دافع البليات ، يا حل المشكلات ، يا رافع الدرجات ، يا شافي الأمراض ، يا مجيب الدعوات ، يا أرحم الراحمين ، ثم يهدي ثوابها إلى مشايخ السلسلة » وهناك

---

(١) – المرجع السابق ١١٧، ١٢١ ملخصا .

(٢) – ذكر واعتكاف كى اهميت ٢٥ .

ختمة خواجكان الچشتية ، وختمة خواجكان القادرية (١).

ويذكر الشيخ حمود التويجري عن بعض العلماء أن رجلا من طلبة العلم خرج مع التبليغيين من المدينة إلى الحناكية ، وأميرهم أحد رؤساء جماعة التبليغ ، وفي أثناء الليل رأى أحدهم يهتز ويقول : هو ، هو ، هو ، فأمسكه ، فترك الحركة وسكت ، وفي الصباح أخبر أميرهم بما فعله الهندي الصوفي التبليغي ، فأنكر الأمير على طالب العلم إنكاره على التبليغي ، وقال له بغضب شديد : أنت صرت وهابيا ، والله لو كان لي من الأمر شيء لأحرقت كتب ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الوهاب ، ولم أترك على وجه الأرض منها شيئا » (٢).

وقد ذكر الشيخ محمد زكريا طرقا أخرى للذكر بأشكال خيالية في الطرق الصوفية الأخرى غير المذكورة، مثلا يقول : « إن ورد لفظ الجلالة للصوفية خمسة وعشرون ألفا يوميا على الأقل ، وورد « لا إله إلا الله » خمسة آلاف يوميا على الأقل » (٣).

كما تكلم عن الذكر في كتابه «تبليغي نصاب» وأتى فيه بأقوال وقصص للصوفية للاستشهاد والاستدلال، وقسم الذكر إلى نوعين :

* **الذكر اللساني.**
* **الذكر القلبي.**

وصرح قائلا : « إن الذكر القلبي هو أفضل من الذكر اللساني، وهو الذي يسمى

---

(١) – التفصيل ينظر في كليات امدادية ٨٣ .

(٢) – القول البليغ في التحذير عن جماعة التبليغ ١٠ .

(٣) – فضائل ذكر ٨٤ .

بالمراقبة التي ورد ذكرها في الحديث أن الفكر القلبي للحظة واحدة أفضل من العبادة سبعين سنة » .[١] .

ويذكر فيه قصة لأحد الصوفية والعجيب أن الشيخ محمد زكريا يعتمد في تأييد هذا الذكر بتزكية الشيطان لهؤلاء الذاكرين وإضافة إلى ذلك جاء ت هذه التزكية في المنام ، فيقول : « روي عن جنيد رضي الله عنه – أنّه رأى الشيطان عريان في المنام، فقال له: ألا تستحيي من الناس أن تأتي أمامهم عريانا ؟ فقال : هؤلاء ليسوا برجال، الرجال جالسون في مسجد « شونيزية » الذين هزّلوا جسمي، وقطعوا كبدي .

يقول جنيد : فذهبت إلى مسجد « شونيزية » ورأيت أناسا وضعوا رؤوسهم على ركبتيهم جالسين في المراقبة ، فلما نظروا إليّ قالوا : لا تنخدع بكلام الخبيث » [٢] .

ثم عقبها الشيخ محمد زكريا قصة أخرى مثلها، وصرح أن إبليس أشار إلى جماعة الصوفية [٣] .

فعجبا كيف يعتمد على حكاية شيطانية منامية ؟

ولعل هذا القدر يكفي للنماذج وإلا فما سلم من هذه الأفكار أحد من مشايخ التبليغ .

حتى رئيس الجماعة الحالي المكلف الشيخ زبير الحسن بن الشيخ إنعام الحسن

---

(١) – فضائل ذكر ٢٠ . ولم أعثر على لفظ الحديث الذي ذكره المؤلف ولكني اطلعت على حديث نحوه « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة » وهو موضوع كما قال الألباني . انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٣٢٢ ح ١٧٣ ، ضعيف الجامع الصغير ٥٨١ ح ٣٩٨٨ .

(٢) – فضائل ذكر ٤٧ .

(٣) – المرجع السابق ٤٤ .

يشتغل بأشغال الصوفية، ويذكر هو هو، وقد شاهدته أنا بعينيّ .

ففي اليوم ١٤١٨/٥/١١ هـ كنت في المركز الرئيسي للجماعة بنظام الدين بدهلي، للدارسة الميدانية، إذ قابلني بعد المغرب أحد الإخوان المعروفين لديّ وهو محمد إظهار البهاري، فقال : تعال نزور حضرت جى - يعني الشيخ زبير الحسن - وكانت المعرفة بينهما، فاغتنمت الفرصة، ورافقته حتى وصلنا إلى حجرة الشيخ إذا هي مظلمة، والشيخ يهتز ويقوم بالذكر الجهري على وحده لكلمة « هو هو » ، وكأنه غافل عما سواه، فجلسنا عند الباب، وانتظرنا حوالي عشر دقائق، فقال مرافقي : الآن الشيخ في الوجد، فالوقت غير مناسب فرجعت بعد ما رأيت هذا المنظر الغريب والمدهش[١] . وهذا هو زبير الحسن الذي يقوم بمهمة تعليم الذكر الجهري يعني التسبيح الاثني عشري في المركز التبليغي الرئيسي بدهلي منذ عهد أبيه الشيخ إنعام الحسن .

وقد قام الشيخ محمد زكريا بتأييد أوراد الصوفية وأشغالهم في كتابه المقرر على التبليغيين في أماكن عديدة وبأساليب شتى، فمثلا يقول :

« روى أبو يعلى في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الذِّكْرَ الخَفِيَّ الذِي لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ حَتَّى المَلاَئِكَةُ، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ دَرَجَةً مِنْ غَيْرِهِ »[٢] .

---

(١) - مذكرة خاصة التي نقلت فيها هذه الواقعة في ١٤١٨/٥/١١ هـ - ١٩٩٧/٩/١٢م .

(٢) - فضائل ذكر ٤٣ . مسند أبي يعلى الموصلي بتحقيق حسن سليم أسد ٨ / ١٨٢ - ١٨٣ ح ٤٧٣٨ . يقول المحقق : إسناده ضعيف . وأورده الهيثمي في المجمع ١٠ / ٨١ ، ويقول : رواه أبو يعلى وفيه معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف .

ويقول : « الذكر أصل من أصول الصوفية وهو رائج في جميع الطرق الصوفية »[١] .

ويقول : « الذكر شجر تأتي عليه ثمرات المعارف التي تسمى في اصطلاحات الصوفية ثمرات الأحوال والمقامات »[٢] .

ويقول : « بعض الناس يقولون: إن الذكر الجهري لا يجوز، فهو بدعة ، وهذا الخيال جاء لديهم بقلة النظر في الحديث »[٣] .

ويمنع الشيخ محمد زكريا اعتراض المعترضين على الذكر الجهري (حيث قالوا : إنه بدعة) بأن ذلك من قلة نظرهم في الحديث .

ولا أدري ما الحديث الذي يؤيد ما جاء من ذكر ، وليته ساعدنا في بيانه وتحديثه ، وأنى له ذلك ، بل نجده يسرد قصصا يريد بها تأئيد مشروعية الذكر المفرد ، منها ما يقول : « قال الليث بن سعد رحمه الله : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة هجرية ماشيا، فلما أتيت مكة صليت العصر ثم طلعت على جبل أبي قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو، فقال: يا رب، يا رب، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رباه، يا رباه، حتى انقطع نفسه، ثم قال : يا الله، يا الله، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي، يا حي، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رحمن، يا رحمن، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رحيم، يا رحيم، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه، سبع مرات .

---

(١) – فضائل ذكر ٥٢ .

(٢) – المرجع السابق ٥٢ .

(٣) – المرجع السابق ٣٩ .

فلما فرغ، قال : اللّهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه، وإن بردي قد خلق فأكسني، قال الليث : فو اللّه ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا، وليس على الأرض عنب يومئذ، وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك، فقال: ولم ؟ فقلت: لأنّك لما دعوت كنت أنا أؤمن، فقال لي: تقدم ،سمّ اللّه تعالى، وكل، ولا تدخر منه شيئا، فتقدمت فأكلت، فإذا عنب لا عجم فيه، لم آكل قط أطيب منه، فأكلت حتى شبعت، والسلة لم تنقص شيئا .

ثم قال لي: خذ أحب البردين إليك، فقلت: أما البردان فأنا غني عنهما، ثم قال: توارعني حتى ألبسهما، فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على يديه ونزل من الجبل حتى أتى الصفا والمروة، فسأله سائل وقال: أكسني، كساك اللّه حلل الجنة، يا ابن رسول اللّه، فدفعهما إليه، فلحقت الرجل وقلت له: من هذا ؟ قال: هذا حضرة الإمام جعفر الصادق .

قال الليث : فرجعت إليه لكي أسمع منه وطلبته فلم أجده » [(١)] .

روى هذه القصة اللالكائي في كرامات الأولياء وفي سندها مجاهيل [(٢)] ، ومع ثبوتها فلا حجة فيها ؛ لأن الحجة ما في الكتاب والسنة .

ويقول : « القلب كالمرآة، ولتنظيف هذه المرآة يلقن مشايخ السلوك الرياضيات والمجاهدات والأذكار والأشغال » [(٣)] .

---

(١) – فضائل حج ١٨٧ – ١٨٨ ، الروض الفائق ٢١٠ .

(٢) – شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩ (كرامات أولياء اللّه) ص ١٩١ رقم ١٢٦ .

(٣) – فضائل قرآن ٢٨ ، ٢٩ ملخصاً .

وقد ذكرت أن الشيخ إنعام الحسن يستدل لذكر الاسم المفرد بقوله تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ) [(١)] .

واستدل الشيخ أشرف علي التهانوي لذكر الاسم المفرد « الله » بقوله تعالى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) [(٢)] فيقول : « إن اسم الرب هو « الله » وهو أمر بذكر اسمه فدلت الآية على ذكر اسمه « الله » مفردا » [(٣)] .

وهذا استدلال ضعيف لم يقله أحد من المفسرين المعروفين بل يقول القرطبي في تفسير الآية : « أي صل لربك أول النهار وآخره ، ففي أوله صلاة الصبح وفي آخره صلاة الظهر والعصر » [(٤)] .

ولا يخفى أن منهج الصوفية طريقة وسلوكا مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما عرضناه من أذكار الجماعة وأورادهم ، فالبدعة عليها واضحة والمخالفة صريحة ، ولا يفوتني أن أنقل إنكار شيخ الإسلام على من يدعو بالذكر المفرد مبينا بدعته وعدم مشروعيته ، إذ يقول : « وأما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا، فليس بكلام تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة، ولا حالا نافعا ... والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه، لا ما تكون الفائدة

---

(١) – الزمر ٤٥ . انظر سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٤١٩ ، وتقدم فيه تفسير المفسرين .

(٢) – الانسان ٢٥ .

(٣) – مجالس حكيم الأمت ٢٩١ .

(٤) – الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ١٥٠ .

حاصلة بغيره » إلى أن قال: « وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد » .

وقال : « والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال: يا هو، يا هو، أو: هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل » .

وقد صنف صاحب « الفصوص » كتابا سماه « كتاب الهو » إلى أن قال رحمه الله : « والله تعالى لا يأمر أحدا بذكر الاسم المفرد، ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام، ولا يؤمر به في شيء من العبادات، ولا في شيء من المخاطبات »[1] .

وممن اشتد نكيره على هذه الطريقة السيد محمد صديق حسن القنوجي رحمه الله إذ يقول : « أما المسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم، ويخرجونها عن لفظها العربي، فهم من أجناد إبليس اللعين، ومن أعظم حمر الكون الذين ألسنتهم حلل التلبيس والتزيين، لما أنّ إطلاق لفظ الجلالة مفردا عن إخبار عنها بقولهم: « الله الله » ليس بكلام ولا توحيد، وإنما يلعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلاؤها عن المعنى .

ولو أنّ رجلا عظيما صار مسمى بزيد، وصار جماعة يقولونه : زيد زيد، يعدّ ذلك استهزاء وإهانة وسخرية، لاسيما إذا زادو إلى ذلك تحريف اللفظ .

ثم انظر هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر لفظ الجلالة بانفرادها وتكريرها ؟

---

(١) – مجموع الفتاوى ١٠/٢٢٦ – ٢٢٧ ملخصا .

إذ الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل، وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، خالية عن هذا التنهيق والنهيق والنعيق التي اعتادها من هو عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمته ودله في مكان سحيق » [1] .

وأما الذكر الخفي القلبي كما حث عليه الشيخ محمد زكريا، فهذه بدعة، لا نص عليها من الكتاب ولا من السنة بل ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عكس ذلك، حيث قال : « لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ »[2] ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ »[3] .

فابتداع طريقة لذكر القلب سماها الشيخ محمد زكريا طريقة الذكر «بالنفي والإثبات» في صقالة القلوب بعدة مواضع، فهو بدعة ينبغي الرجوع عنها؛ لأنّ الشرع موقوف على الشارع لا على مشايخ الطرق وسلاسلها ، فما وافق الكتاب والسنة نأخذها، وما خالفهما نضربهاعلى الحائط .

---

(١) – الدين الخالص ٥٧٧/٣ (للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر) .

(٢) – أخرجه الترمذي في السنن ٤٢٧/٥، ح : (٣٣٧٥)، والإمام أحمد في مسنده ١٨٨/٤، وصححه ابن حبان في صحيحه (٢٣١٧) والحاكم في المستدرك ٤٥٩/١، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن ماجة في السنن ١٢٤٦/٢، ح : (٣٧٩٣) .

(٣) – أخرجه البخاري في الصحيح ٥٧٢/٨، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ تعليقا .

* المبحث الثالث *

موقفه من عقيدة وحدة الوجود والقائلين بها

وحدة الوجود، هذه الكلمة تعني في العقيدة الصوفية أنه ليس هناك موجود إلا الله، فليس غيره في الكون، وما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية، هذه الحقيقة التي تنوعت وجوداتها ومظاهرها في هذا الكون المشاهد، وليس هذا الكون في هذه العقيدة الباطلة - إلا الله في زعمهم - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وطالما عرفنا أن مشايخ الجماعة منغمسون في الطرق الصوفية لذا نجدهم يستخدمون كلمات وتعبيرات غامضة قد توحي بهذه العقيدة الفاسدة عقيدة وحدة الوجود .

ويذكر عن شيخ مشايخهم الحاج إمداد الله المهاجر المكي[١] التصريح بعقيدة وحدة الوجود فهو يقول[٢] : « القول بوحدة الوجود حق وصواب، وأول من خاض في المسألة هو

---

(١) – هو إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي المهاجر إلى مكة المكرمة ، وهو الذي جدد الطريقة الجشتية الصابرية ، وهو إمام الطائفة الديوبندية وشيخ مشايخهم ، وقد بايعه على الطريقة رؤوس الديوبندية أمثال محمد قاسم النانوتوي ، ومحمد يعقوب النانوتوي ، ورشيد أحمد الكنكوهي ، وأشرف علي التهانوي ، وكان الشيخ زكريا يكثر الثناء عليه ، وله مصنفات كلها في التصوف ؛ لأنه كان غريقا فيه ، توفي عام ١٣١٧ هـ بمكة المكرمة ، ودفن بالمعلاة . نزهة الخواطر ٨ / ٧٠ – ٧٢ .

(٢) – الديوبندية ٣٠ نقلا عن شمائم امدادية ٣٢ .

الشيخ محيي الدين بن عربي »[(١)] .

وقد سبق بأن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس كان يراقب على ركبتيه عند قبر الشيخ عبد القدوس الكنكوهي ساعات طويلة ، ويصلي النوافل هناك بين المغربين ، ولا يغيب عن أذهاننا أن عبد القدوس هذا كان من أكابر الدعاة إلى وحدة الوجود كما يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي : « وقد كانت تسيطر على هذين الشيخين الجليلين الشيخ عبد القدوس ، والشيخ ركن الدين فكرة وحدة الوجود ، والسكر والاضطراب ، والفناء والاستغراق ، وكانا من أصحاب السماع والمواجيد وكان الشيخ عبد القدوس من الدعاة المتحمسين إليها »[(٢)] .

وقد يسأل سائل هل يلزم من جلوس مؤسس الجماعة عند قبر من طغت عليه فكرة وحدة الوجود إيمانه بها أيضا على اعتبار أنه لو كان منكرا لهذه الفكرة وغير مؤمن بها ما

---

(١) – قال الشيخ أبو محمد عز الدين بن عبد السلام فيه : هو شيخ سوء مقبوح كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجا . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٤٨ .

ويروي ابن تيمية عن الشيخ إبراهيم الجعبري أنه كان يقول: « رأيت ابن عربي، هو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله » . انظر : الصوفية نشأتها وتطورها ٥١ .

وقال ابن تيمية : رأيت بخطه في كتابه (الفتوحات المكية) هذين البيتين:

الرب حق والعبد حق … يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب … أو قلت رب أنّي يكلف

انظر مجموع الفتاوى ٢/٢٤٢ .

وقال الذهبي عنه: ومن أردأ تواليفه كتاب « الفصوص » فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فوا غوثاه بالله . سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٤٨ بترجمة رقم ٣٤ .

(٢) – الإمام السرهندي حياته وأعماله للندوي ١١٨ .

جلس عند قبر من يؤمن بها على تلك الهيئة من الخضوع ؟ وإذا لم يكن التلازم صريحا واضحا فلعلنا نجده عند استدلال مشايخ التبليغ بأقوال كبار الدعاة إلى وحدة الوجود مثل أبي يزيد البسطامي[١]، وابن عربي، ويدافعون عن أبي منصور الحلاج المصلوب، فهذا الشيخ محمد زكريا قال بيتا في الدفاع عنه :

دى گئى منصور كو پهانسى ادب كى ترك پر

تها انا الحق حق مگر اك لفظ گستا خانه تها[٢]

إنما صلب أبو منصور لتركه التأدب . فقوله: أنا الحق، كان حقا إلا أن فيه لفظا يؤدي إلى إساءة أدب .

وحينما ذكر في كتابه «تبليغي نصاب» أقوالا لمحيي الدين بن عربي الداعي المعروف إلى عقيدة وحدة الوجود، فلقبه بألقاب علمية عظيمة حيث يقول : « قال شيخ العارفين محيي الدين بن عربي » [٣] .

ويقول : « كتب الشيخ الأكبر رضي الله عنه: إن لم تكن أعمالك تابعة لرضا الآخرين فلم تنتقل من هوى نفسك ولو جاهدت طيل حياتك .

---

(١) – وهذا هو أبو يزيد البسطامي الذي كان يقول : « طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو » .

البدء والتاريخ للمقدسي ٦١/٥ .

ويقول : « سبحان ما أعظم شأني » . نقلا عن النقشبندية ٥٩/٥٥، ويقول : « ملكي أعظم من ملك الله » . تبليغي جماعت كا إسلام ٩٢ .

(٢) – ولي كامل ٢٤٩ .

(٣) – فضائل رمضان ٤٦ .

ولهذا إذا وجدت شخصا تحترمه من قلبك فالزمه بخدمته، وكن أمامه كالميت يتصرف فيك حيث شاء، ولم تبق لك رغبة ولا شهوة، واسرع في الامتثال لحكمه، وتجنب مما منعه وإن أمرك بالزنا فازن، لكن بأمره لا برأيك، وإذا أمرك أن تجلس فاجلس ، فالواجب أن تسعى لحصول شيخ كامل ليوصلك بالله » [١] .

واتضح من هذا العرض أن الشيخ محمد زكريا يثني عليهم وينعت ابن عربي بالشيخ الأكبر ، وينقل نقولا من أقواله وهل ثناؤه على القائلين بوحدة الوجود قبول قولهم في هذه المسألة ؟

الواقع لا نستطيع أن نجزم أن هذا تأئيد لهم إلى ما ذهبوا إليه ، وإذا كان لا يعتبر دليلا على أنه يذهب إلى ما ذهبوا إليه فكيف نفسر ثناءه عليهم مع ما اشتهر عنهم من القول بوحدة الوجود ؟

ولم أقف على موقف له يستنكر هذه الفكرة ، بل رأيناه أنه يدافع عن الحلاج ، ويقول : « إن وحدة الوجود مرحلة ابتدائية للتصوف [٢] » وهذا يشير إلى أنه يؤمن بهذه الفكرة ؛ لأنه قطع منازل السلوك حتى أصبح شيخ الطريقة .

ويقول : « إن الحق سبحانه وتقدس منبع في الواقع لكل حسن وجمال، والحق أنه لا يوجد في الكون جمال سواه » [٣] .

هذا وقد قال الصوفي محمد إقبال – وهو من أخص أصحاب الشيخ محمد زكريا –

---

(١) – فضائل تبليغ ٣٠ – ٣١ .

(٢) – ذكر واعتكاف كى اهميت ٦٦ .

(٣) – فضائل قرآن ٥٨ .

بيتا يمدح به الشيخ محمد زكريا، ويذكر ما له من فضل على طائفته :

عشق ومعشوق عاشق ايك كه كر سر وحدت سمجهاد يا كس نى

معناه : « من الذي أوقفنا على سر الوحدة (وحدة الوجود) حيث بين لنا أن العشق والمعشوق والعاشق كله شيء واحد »[١] .

وقد ذكر الشيخ محمد زكريا قصيدة للشيخ محمد قاسم النانوتوي في نهاية كتاب فضائل درود، وهي تحتوي على أبيات بدعية وخرافية ومنها :

رها جمال په تيرى حجاب بشريت نجانا كون هى كچه بهى كسى نى جز ستار

يعني كان على النبي صلى الله عليه وسلم حجاب البشرية، لم يعلم أحد شيئا عن حقيقة حاله إلا الله[٢] .

وقال الشيخ محمد زكريا : « أريد أن أسجل هنا قصتين لأكابرنا كنموذج :

إحداهما – رسالة سامية لشيخ المشايخ قطب الإرشاد حضرة الگنگوهي – قدس سره – التي كتبها إلى شيخه شيخ العرب والعجم الحاج إمداد الله – أعلى الله مراتبه – يقول : إنّ إطالة الكلام إساءة الأدب، اللّهم اغفر، فإنما كتب بأمر الشيخ، أنا كذاب، أنا لا شيء لا ظل إلا ظلك، ولا وجود إلا وجودك، من أنا ؟ لا شيء، وما أنا هو أنت، وتفريق أنا وأنت، هو شرك محض » [٣] .

(١) – الديوبندية ٣٧، تبليغي جماعت كا اسلام ٩٣ نقلا عن محبت ٧٠ .

(٢) – فضائل درود ١٢٤ .

(٣) – فضائل صدقات ٤٠٧ ، ملخصا .

وهو يقول : «اللّهم صلّ على سيدنا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وطِراز مُلكك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك ، إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك ...» [١]

* الردود على عقيدة وحدة الوجود *

إنّ هذه العقيدة لا تحتاج إلى دليل يبطلها، وإنما تصورها تصورا صحيحا يكفي لبطلانها، فما عرف البشر في تاريخهم الطويل كفرا وإلحادا أعظم من هذا الكفر، فإنّ اللّه سبحانه وتعالى استعظم مقالة من قالوا (اتخذ اللّه ولدا) فقال جل وعلا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه، وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً ﴾ [٢].

فإذا كانت السماوات تكاد تنفطر من تلك المقالة الخبيثة بل وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، فكيف بمن نسب كل شيء خبيث في الأرض إلى ذات اللّه، بل جعله عين اللّه ؟

إنّ تصور هذه العقيدة يكفي لبطلانها عند من له أدنى حس وشعور [٣].

---

(١) – فضائل درود ٥١ – ٥٢ .

(٢) – مريم ٨٨ – ٩١ .

(٣) – الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ٨٠ .

* المبحث الرابع *

موقفهم من الخضر

قصة خضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، ووردت أيضا في السنة الصحيحة؛ حرّف المتصوفة معانيها وأهدافها ومراميها وجعلوها عمودا من أعمدة العقيدة الصوفية ، فيعتقد كثير ممن ينتسبون إلى الطرق الصوفية بأن الخضر حيٌّ يُرزق إلى الآن، وأنه يطوف الدنيا كلها ، فأصبح الخضر الصوفي المزعوم يكاد أن يكون في كل ميدان من ميادين التصوف، فهو صاحب الكشف، وهو نقيب الأولياء، وهو آخذ العهود، وهو مرشد الأنام، وهو معلم الأذكار .

فانطلاقا من هذه الأفكار، وأساسا على هذه المعتقدات ذكر صاحب «تبليغي نصاب» في كتابه عدة حكايات للخضر حيث يقول : « إن وليا ينقل قصة طويلة عن لقائه مع الخضر، فقال الخضر في آخره: إني أصلي الفجر في مكة المكرمة، وأجلس في الحطيم عند الركن الشامي حتى طلوع الشمس، وأصلي الظهر في المدينة الطيبة، والعصر في بيت المقدس، والمغرب على طور سيناء، والعشاء عند السد السكندري »(١) .

كتب أحد القراء إلى الشيخ محمد زكريا : « أنا الآن في الحرم ، وقد كتب حضرتكم في « فضائل الحج » أن الخضر عليه السلام يصلي صلاة الفجر في الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة ويمكث عند الركن الشامي إلى الضحى ، فذهبت إلى الركن الشامي بعد صلاة الفجر ، فلم أجد في الحطيم وعند الركن الشامي إلا عددا من المحلقين اللحى ،

---

(١) - فضائل حج ٢١٨ .

فيحتمل أن يكون الخضر حلق لحيته تقليدا لبعض أهل مكة فلم أستطع أن أعرفه ، وإلا فما قلتم في « فضائل الحج » فهو كآية من القرآن ، أستغفر الله ، أستغفر الله » [١] .

فرد الشيخ عليه قائلا : « قد أفرغت غضبك على كتابي « فضائل الحج » حيث لم تلق الخضر عليه السلام عند الركن الشامي[٢] ، فإن عدم حصولك إياه في هذا المقام لا يعني نفي وجوده ولا كونه حليق اللحية ، فإن الرجل إذا قال : أجلس في الحرم في المكان الفلاني فلا يلزم منه أنه لا يجلس في مكان آخر قط » [٣] .

ويقول : « عن إبراهيم الخواص رحمه الله قال: عطشت في بعض أسفاري وسقطت من العطش، فإذا أنا بماء رشّ على وجهي، ففتحت عيني فإذا أنا برجل حسن الوجه، راكب على دابة شهباء، فسقاني الماء، وقال: كُن رديفي، فما لبثت إلا يسيرا حتى قال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة، فقال: انزل فاقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام، وقل له : أخوك الخَضِر يقرؤك السلام »[٤] .

ويقول : « طلب أحد الأبدال من الخضر عليه الصلاة والسلام أن يعلّمه بعمل يقوم به الليل، فقال له الخضر : اشتغل بالنوافل من المغرب إلى العشاء ولا تكلم أحدا، وسلّم بعد كل ركعتي التطوع، واقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة مرة وقل هو الله ثلاث مرات، وانصرف إلى بيتك بعد صلاة العشاء بدون الكلام، وصل ركعتي التطوع هناك واقرأ في كل

---

(١) – كتب فضائل پر اشكالات اور ان كى جوابات ١٧٠ – ١٧١ .

(٢) – المرجع السابق ١٧٤ .

(٣) – نفس المرجع ١٧٧ .

(٤) – فضائل درود ١١٢، فضائل حج ١٢٨، روض الرياحين ١٧١ .

ركعة سورة الفاتحة مرة وقل هو اللّه أحد سبع مرات، واسجد سجدة بعد التسليم، واستغفر وسلم على النبي واقرأ سبحان اللّه الحمد للّه لا إله إلا اللّه اللّه أكبر لا حول ولا قوة إلا باللّه في هذه السجدة وكل ذلك سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجدة وارفع يديك لهذا الدعاء : « يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمة الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب الله يا اللّه يا الله ثم قم رافعا يديك ثم اقرأ نفس الدعاء وأنت واقف ثم اضطجع على جنبك الأيمن متوجها إلى القبلة وصل على النبي صلى اللّه عليه وسلم حتى تنام، من داوم عليه باليقين والإخلاص ليزورن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قبل موته »[١] .

أقول من له مسكة من العقل ينكر بداهة هذه القصص المكذوبة؛ هذا الخضر الجوال والرحال الذي يطوف الدنيا يوميا، ويصل إلى المدينة، ويبلغ سلامه بغيره، وهو لا يسلم بنفسه عليه، وهو يعلم طريقة زيارة النبي صلى اللّه عليه وسلم في المنام، ولِمَ لم يزره في حياته صلى اللّه عليه وسلم، ولِمَ لم يحضر المدينة في عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم، ويلقاه ويسلم عليه فهل من مجيب ؟؟

ويقول الشيخ محمد زكريا : « وقال رجل صالح[٢] : بقيت في بريّة الحجاز أياما ولم آكل شيئا، فاشتهيت خبزا وباقلا[٣] حاراً، فقلت: أنا في البريّة، وبيني وبين العراق مسافة

---

(١) – فضائل درود ٥٢ .

(٢) – لعله أبو بكر الهمداني كما ذكره صاحب الروض الفائق ٩٥ .

(٣) – الباقلاء : نبات عشبي حولي من الفصيلة القرنية تؤكل قرونه مطبوخة وكذلك بذوره . انظر المعجم الوسيط ١/٦٦ .

بعيدة فأين أجد باقلا حارا، فلم أتم خاطري حتى نادى أعرابي : يا باقلا حار وخبز، فتقدمت إليه وقلت له : عندك باقلا حار وخبز؟ قال : نعم، وبسط مئزرا كان عليه، وأخرج خبزا وباقلا، وقال لي: كل، فأكلت، ثم قال لي: كل، فأكلت، ثم قال لي: كل، فأكلت، فلما قال لي الرابعة، قلت: بحق الذي بعثك لي إلا ما قلت لي من أنت ؟ قال: أنا الخضر، ثم غاب عني » [١] .

ويحكي عن سفيان بن إبراهيم – رحمه الله – قال: « لقيت إبراهيم بن أدهم رحمه الله بمكة عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يبكي، فلما رآني لجأ في ناحية من الطريق، فسلمت عليه وصليت عنده، وقلت له : ما هذا البكاء ؟ فقال: خير، فعاودته مرة ثانية وثالثة، فلما أطلت عليه السؤال، قال لي : إن أنا أخبرتك بخبر تبوح به أم تستر عليّ ؟ فقلت له : قل ما شئت – يعني أخفيه – قال: اشتهت نفسي سِكباجا [٢] منذ ثلاثين سنة، وأنا أمنعها جهدي، فلما كان البارحة غلبني النوم، وإذا أنا بشاب من أحسن الناس وجها، وبيده قدح أخضر يعلو منه البخار ورائحة السكباج، فأجمعت همتي عنه، فقرُب مني وقال: يا إبراهيم، كُل، فقلت: ما آكل شيئا تركته لله، فقال لي: ولا إن أطعمك الله تعالى؟ قال: فما كان لي جواب إلا البكاء، فقال لي: كُل يرحمك الله، فقلت له: فقد أُمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا ما نعلم، فقال لي: كُل عافاك الله، فإنما ناولني هذا رضوان، وقال لي: يا خضر، أطعمه إبراهيم إنه صبر صبرا طويلا ومنع شهواته، ثم قال: فالله عزوجل يطعمها وأنت تمنعها .

---

(١) – فضائل حج ١٩٣، الروض الفائق ٩٥ – ٩٦ ، روض الرياحين ١٦٢ .

(٢) – السّكباج : هو لحم يطبخ بخل . المعجم الوسيط ١ / ٤٣٨ .

يا إبراهيم، إني سمعت الملائكة يقولون: مَنْ أُعطي فلم يأخذ طلَب ولم يُعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك، لم أخلّ بالعهد، وإذا بفتى آخر قد ناوله شيئا، وقال: يا خضر، لَقّمه، فلم يزل يطعمني بيده، فانتبهت وحلاوة ذلك في فمي، ولون الزعفران في شفتي، فدخلت زمزم، فغسلت فمي، فلا الطعم ذهب ولا أثر الزعفران .

قال سفيان : رأيت فإذا أثره لم يذهب ... »(١)

ويقول الشيخ محمد زكريا : « إنّ أحدا من الأبدال سأل الخضر، هل رأيت وليا أعلى منك درجة ؟ فقال: نعم، كنت مرة في المسجد النبوي، وكان المحدث عبد الرزاق، يحدث الناس أحاديث النبي صلي اللّه عليه وسلم، ورأيت شابا جالسا في زاوية المسجد واضعا رأسه على ركبتيه، فقلت له: ألا ترى هؤلاء الذين يسمعون أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، لِم لا تشاركهم ؟

فلم يرفع رأسه، ولم يلتفت إليّ، وقال : هناك أناس يسمعون الأحاديث من عبد الرزاق، وهنا من يسمع من الرزاق نفسه، لا من عبده، فقال الخضر: إذا كان قولك حقا فمن أنا ؟ فرفع رأسه وقال: إن صحت الفراسة فأنت الخضر .

قال الخضر : هناك أولياء للّه لا أعرفهم لعلو مرتبتهم »(٢) .

وحكى الشيخ محمد زكريا : « أن الشيخ أبا عبد اللّه الأندلسي خرج للسفر مع مريديه ومنهم الشبلي ، ومر أثناء السفر على منطقة النصارى إذ صادف فتاة وثنية جميلة شغفته حبا حتى لبث ثلاثة أيام لم يذق طعما ، وحاول الشبلي أن يغادر الشيخ هذا المكان ،

---

(١) – فضائل حج ١٩٦، روض الرياحين ١٦٥ – ١٦٦ .

(٢) – فضائل حج ١٢٨ – ١٢٩ ، روض الرياحين ١٨٢ – ١٨٣ .

ولكن الشيخ قال : إن حبها وقع في قلبي ولا أستطيع أن أترك هذا المكان فيئس الشبلي ورفقاؤه وغادروه فبقي الشيخ وحيدا ، ثم خطب الفتاة للزواج فاشترط أبوها على الشيخ أن يرعى الخنزير وقبل الشيخ هذا الشرط ورعى الخنزير أكثر من سنة في الصحراء في سبيل التزوج بها ثم خرج من تلك الصحراء ثم انظر كيف تم الجمع بين الشيخ المذكور وبين عشيقته الوثنية كما حكى الشيخ محمد زكريا :

الشيخ : (للفتاة) كيف وصلت هاهنا ، ومن الذي جاء بك في هذا المكان ؟

الفتاة : يا سيدي ! لما خرجت من قريتنا ووصل الخبر إليّ قلقت قلقا حتى ذهلت عن الطعام والشراب والرقاد ، وبت في قلق حتى إذا أدركني الصباح رقدت رقدة وغشيني النعاس ، فرأيت رجلا يقول لي : إن كنت تريدين أن تدخلي في زمرة المؤمنات فدعي عبادة الأوثان واتبعي الشيخ وتوبي عن ذنبك وادخلي في دينه .

قلت : ما دين الشيخ ؟ قال : الإسلام .

قلت : ما هو الإسلام ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه حقا

قلت : كيف الوصول إلى الشيخ ؟ قال : اغمضي عينيك وناوليني يدك في يدي فقمت وناولته يدي ، فمشى بي قليلا ثم قال : افتحي عينيك ، ففتحت عيني فإذا أنا على شاطئ نهر دجلة ، ونظرت يمينا وشمالا وبقيت متحيرة ، فأشار إلى حجرة وقال : هذه حجرة الشيخ فاذهبي إليه وقولي إن أخاك الخضر يقرأ عليك السلام » [1] .

ويحكي نور الحسن الكاندهلوي مؤلف كتاب « حضرت مولانا إنعام الحسن » « أن الصوفي عثمان الذي كان يطبخ الطعام للشيخ إنعام الحسن رأى ذات ليلة أنه ظهر شيخ

---

(١) – اكابر كا سلوك واحسان ٧٠ – ٨٠ ملخصا .

من السقف والأبواب كلها مغلقة وخاطبه قائلا : خذ هذه الصرة واعطها للشيخ إنعام الحسن وقل له يكثر الدعاء ، وحينما ولى قال له الصوفي عثمان : أعطني شيئا ، فأعطاه ، وحينما أصبح أخبر الشيخ إنعام الحسن القصة بتمامها ، ثم أخبر الشيخ إنعام الحسن الشيخ محمد زكريا فقال الشيخ محمد زكريا : إنه خضر » [١].

* تعليقي على الخضر الصوفي *

قد تبين فيما مضى أنّ الخضر الصوفي يختلف تماما عن الخضر الذي ذكره الله في القرآن وقص علينا محمد صلى الله عليه وسلم قصته؛ فذاك نبي عبد موحد مؤمن على علم علمه الله بالوحي، وعاش زمنا ثم توفي، وانتهى وقته وزمانه على أصح أقوال العلماء كما ذهب إليه الجمهور لقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ﴾ [٢].

وعلى تقدير أنه بقي حيا إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد دلت السنة على وفاته بعد وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة محدودة كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فيما ثبت عنه : « أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذه فَإِنَّه عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا اليَوْمَ أَحَدٌ » [٣].

وعلى هذا يكون شأنه شأن الأموات، لا يسمع نداء من ناداه، ولا يهدي من ضلّ عن الطريق ... [٤]

(١) – حضرت مولانا انعام الحسن ٦٠٦ – ٦٠٧ .

(٢) – الأنبياء ٣٤ .

(٣) – أخرجه البخاري في الصحيح ١/٤٦، ح : (١١٦) ومسلم في الصحيح ٤/١٩٦٥ – ١٩٦٦، ح : (٢٥٣٧ – ٢٥٣٩) .

(٤) – انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٣/٢٠٨ – ٢١٢ ملخصا .

فالقول بحياته قول على الله بغير علم ولا برهان ، وغاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة ، يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر، فيالله تعالى العجب ! فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه، وكثير من زاعمي رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فمن أين للرائي أن المخبر له صادق ولا يكذب .

ونص القرآن أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن، ولم يصاحبه، وقال: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[1] فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم ، ويمسك يد فتاة أجنبية يخلو بها ويسافر معها .

فلو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة، وإرشاد جهلة الأمة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والخلوات إلى غير ذلك .

يقول المفسر الكبير أبو حيان – رحمه الله : « والجمهور على أن الخضر قد مات، وممن ذهب إلى موت الخضر، وعدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الفضل المرسي، فقد قال : أما خضر موسى بن عمران فليس بحيّ ؛ لأنه لو كان حيا للزمه المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإيمان به، واتباعه، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ لَمْ يَسَعْهُمَا إِلاَّ اتِّبَاعِي » . اهـ [2].

فالخضر الصوفي المزعوم، فهو كما رأينا مصدرا للخرافة والجهل والشرك، فهو يطلع على ما تشتهيه الأنفس، ويفرج كرب المكروبين، ويرشد التائهين، ويجول العالم كله،

---

(١) – الكهف ٧٨ .

(٢) – البحر المحيط ١٤٧/٦ .

ويستخبر أحواله في كل مكان وحين – كما زعمه الشخ محمد زكريا – ولذلك أخبر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الخضر المزعوم هذا لا حقيقة له، حيث يقول :

« ثلاثة أشياء ما لها من أصل باب النصيريه، ومنتظر الرافضة، وغوث الجهال (الخضر) ... والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فإنه باطل ليس له وجود ... وموسى لم يكن يعرف الخضر، والخضر لم يكن يعرف موسى، بل لما سلم عليه موسى، قال له الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال له: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، وقد كان بلغه اسمه وخبره، ولم يكن يعرف عينه ، ومن قال إنه نقيب الأولياء أو إنه يعلمهم كلهم، فقد قال الباطل، والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره .

وإذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قط ، ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون ...

وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجل مثل شخص رأى رجلا ظنّ أنه الخضر، وقال إنه الخضر »[١] .

وأختم كلامي بكلام نفيس لابن كثير – رحمه الله – حيث يقول : « ... ثم ما الحامل له – أي الخضر عليه السلام – على هذا الاختفاء، وظهوره أعظم لأجره، وأعلى في مرتبته، وأظهر لمعجزته، ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة، والروايات المقلوبة،

---

(١) – زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ٦٨ – ٧٢ ملخصا.

والآراء البدعية، والأهواء العصبية، وقتاله مع المسلمين في غزواتهم، وشهوده جمعهم وجماعاتهم، ونفعه إياهم، ودفعه الضر عنهم ممن سواهم، وتسديده العلماء والحكام، وتقريره الأدلة والأحكام، أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار وجويه الفيافي والأقطار، واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم .

وهذا الذي نكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم[١] .

(١) – البداية والنهاية ١/٣٣٦ .

* المبحث الخامس *

مفهوم التوكل عندهم

التوكل على الله : هو تفويض الأمر إليه تعالى وحده مع الأخذ بالأسباب الميسرة المباحة سواء كانت من الأسباب المعنوية مثل الدعاء والصلاة وغيرها أم كانت من المادية التي جرت سنة الله بترتيب مسبباتها عليها .

فمن ترك الأسباب مع تيسرها، واكتفى بالتوكل فهو مخالف لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُسمى توكله عجزا لا توكلا شرعيا [(١)] ؛ قال تعالى : ﴿وَاتَّقُو اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [(٢)] فجعل التوكل مع التقوى التي هي القيام بالأسباب المأمور بها، وقال تعالى أيضا: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [(٣)] .

فالأخذ بالأسباب ثم الاعتماد على الله عزوجل هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة، يقررونه ويؤكدون عليه؛ لأنه هو الذي يتمشى مع طبيعة هذا الدين الذي جاء لعمارة الدنيا وإصلاحها على أساس الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

سئل الإمام أحمد – رحمه الله – عن قوم لا يعملون ويقولون : « نحن متوكلون » فقال : « هؤلاء مبتدعة » [(٤)] .

---

(١) – انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ١ / ٢٤٩ – ٢٥٠ بالتصرف .

(٢) – المائدة ١١ .

(٣) – الرسالة القشيرية ١٢٩ .

(٤) – التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب ١٨٣ نقلا عن المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة د. عبد الإله الأحمدي (٢ / ٢٣٤) .

وهذا ابن المبارك - رحمه الله - يقول له الفضيل - الإمام الزاهد - « أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟ فقال ابن المبارك : « يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون به وجهي ، وأكرم به عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا ، إن تم ذا » [(١)].

وسأل رجل الحسن فقال : « يا أبا سعيد أفتح مصحفي فأقرأه حتى أمسي ، قال الحسن: « اقرأه بالغداة ، واقرأه بالعشي، وكن سائر نهارك في منفعتك وما يصلحك »[(٢)] .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : « وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد » إلى أن قال : « فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته » [(٣)].

ويقول - رحمه الله - : « فترك الأسباب المأمور بها : قادح في التوكل » [(٤)].

ويقول : « فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ، ويندفع بها المكروه ، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل » [(٥)] .

---

(١) - تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٠ ، شعب الإيمان للبيهقي ٢ / ٩٦ ح ١٢٦٦ .

(٢) - شعب الإيمان للبيهقي ٢ / ٩٤ ح ١٢٥٩ .

(٣) - مدارج السالكين ٢ / ١١٦ .

(٤) - نفس المرجع .

(٥) - المرجع السابق ١٢٠ .

ويقول ابن رجب – رحمه اللّه – : « واعلم أنّ تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر اللّه سبحانه وتعالى المقدورات بها ، وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإنّ اللّه تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له والتوكل بالقلب عليه إيمان به كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [١].

ويقول ابن حجر – رحمه اللّه – : « والحق أنّ من وثق باللّه وأيقن أن قضاءه عليه ماض ، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعاً لسنته وسنة رسوله ، فقد ظاهر صلى اللّه عليه وسلم في الحرب بين درعين ، ولبس على رأسه المغفر ، وأقعد الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة ، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ، وهاجر هو ، وتعاطى الأسباب الأكل والشرب ، وادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء ، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك ، وقال الذي سأله : أعقل ناقتي أو أدعها ؟ قال : « اعقلها وتوكل » فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل » [٢].

وقد انحرفت الصوفية في مفهوم التوكل انحرافا خطيرا؛ فالتوكل عندهم متعارض مع العمل، ومتناف معه، لذلك يفسرون التوكل بقولهم: « التوكل: أن يكون العبد بين يدي اللّه كالميت بين يدي الغاسل ، يقلبه كيف يشاء، لا يكون له حركة ولا تدبير » [٣].

(١) – النساء : ٧١ . جامع العلوم والحكم ٤٠٩ .

(٢) – فتح الباري ١٠ / ٢٢٣ .

(٣) – الرسالة القشيرية ١٢٩ .

ويقول السري السقطي : « لا يكن معك شيء تعطي منه أحدا» [١] .

ويقول داود الطائي : «صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت، وفر عن الناس فرارك من السبع » [٢] .

ويقول الجنيد : «أحب للمريد أن لا يشغل قلبه بالتكسب وإلا تغير حاله » .

ويقول : «وما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات » [٣] .

وبهذا يتضح لنا مفهوم التوكل عند السلف وعند الصوفية، وإذا درسنا مفهوم التوكل لدى الجماعة عرفنا أنهم يعتقدون اعتقاد الصوفية في التوكل ، ولذا ذكر الشيخ محمد زكريا عدة حكايات للصوفية توضح مفهومهم للتوكل ولم يعلق عليها ، وخلاصتها أنهم يجوبون الغابات والصحاري و يعيشون في الكهوف ويتنقلون بلا راحلة ولا زاد، كما لا حظنا شيئا منها في قصة خضر مع التائهين .

وها هي حكايات أخرى ذكرها الشيخ محمد زكريا في « تبليغي نصاب » في هذا الباب فيحكي عن الشيخ فتح الله الموصلي – رحمه الله – قال : « رأيت في الصحراء غلاما – لم يبلغ الحلم – يمشي ويحرك شفتيه، فسلّمت عليه فرد الجواب، فقلت له: إلى أين يا غلام؟ فقال: إلى بيت الله الحرام، قلت له : فبماذا تحرّك شفتيك ؟ قال: بالقرآن، قلت: فإنه لم يجر عليك قلم التكليف، قال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سنا ، فقلت: خطوك

(١) – الرسالة القشيرية ٨٢/١، اللمع ٢٦٢ .

(٢) – الرسالة القشيرية ٦٥/١ .

(٣) – الرسالة القشيرية ١٣٣/١ .

قصير وطريقك بعيد، فقال : إنما عليّ نقل الخطا، وعلى الله الإبلاغ، فقلت: أين الزاد والراحلة ؟ فقال : زادي يقيني وراحلتي رجلاي، قلت: أسألك عن الخبز والماء؟ فقال: يا عماه، أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله، أكان يَجْمُلُ بك أن تحمل معك زادك؟ فقلت: لا، قال: إن سيدي دعا عباده إلى بيته وأذن لهم في زيارته، فحملهم ضعف يقينهم على حملِ أزوادهم .

وإني استقبحت ذلك، فحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعني؟ فقلت: كلا وحاشا، ثم غاب عن عيني فلم أره إلا بمكة، فلما رآني قال: يا شيخ، أنت بعدُ على ذلك الضعف في اليقين ثم أنشد يقول :

مالك العالمين ضامنُ رزقي ... فلماذا أكلّف الخلقَ رزقي

قد قضى لي بما عليَّ وما لي ... مالكي في قضائه قبل خلقي

صاحبُ البذل والنّدى في يساري ... ورفيقي في عسرتي حسنُ خُلقي

فكما لا يردُّ عَجزي رزقي ... فكذا لا يجُرُّ رزقي حِذقي»[١]

ويروي عن أبي عبد الرحمن خفيف[٢] – رحمه الله أنه قال : « دخلت بغداد قاصدا الحج وفي ذهني تكبر صوفي، وما أكلت وما شربت شيئا أربعين يوما، ولم أدخل على الشيخ الجنيد البغدادي، والتزمت الطهارة كل حين، ثم خرجت من بغداد، فرأيت ظبيا في غابة على رأس البئر وهو يشرب، وكنت عطشانا جدا، فلما دنوت إلى البئر ولى الظبي، فإذا الماء في أسفل البئر، فمشيت وقلت: يا سيدي، مالي محل هذا الظبي؟ فنوديت من خلفي

---

(١) – فضائل حج ١٩٢ – ١٩٣ ، روض الرياحين ١٦١ – ١٦٢ .

(٢) – لعله عبد الله بن حنيف كما هو في الروض الفائق ٩٥ .

جربناك فلم تصبر، فارجع واشرب، فإن الظبي حضر بدون قدح ولا حبل، وأنت جئت بهما، فرجعت فإذا البئر ملآنة ماء، فملأت ركوتي، فكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة الطيبة، ولم ينفد .

فلما رجعت من الحج دخلت الجامع ببغداد فلما وقع بصر الشيخ الجنيد عليّ قال: لو صبرت لنَبَع الماء من تحت رجلك »[١] .

ويحكي عن رجل صالح[٢] أنه قال : « حججت سنة من السنين، وكانت سنة كثيرة الحر والسموم، فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفوت قليلا ، فلما استيقظت فلاح لي شخص في البرّية فأسرعت إليه فلحقته فإذا هو غلام لا نبات بعارضيه، وجهه كالقمر المنير أو الشمس الضاحية، وعليه أثر الدلال والترفة، فسلّمت عليه، فقال : وعليك السلام يا إبراهيم، فتعجبت منه أكثر العجب، وقلت له: من أين تعرفني، ولم ترني قبلها؟ فقال: يا إبراهيم، ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت، فقلت له : ما الذي أوقعك في مثل هذه البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الحر والسموم ؟ فقال : يا إبراهيم، ما أنست بسواه، ولا رافقت أحدا غيره، وأنا منقطع إليه بالكلية ، مقر له بالعبودية .

فقلت له : من أين المأكول والمشروب؟ قال: تكفل لي به المحبوب، فقلت له: واللّه إني خائف عليك لأجل ما ذكرت لك ، فأجابني ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب، وأنشد يقول :

---

(١) – فضائل حج ١٩١، الروض الفائق ٩٥ .

(٢) – هو إبراهيم الخواص، كما ذكره صاحب الروض الفائق، وسيأتي ذكره أيضا فيما بعد .

من ذا يخوّفني بالبرّ أقطعه إلى المحب وقد قدمت إيمانا

الحب أقلقني والشوق أزعجني ولا يخاف محب اللّه إنسانا

فإن أجوع فذكر اللّه يشبعني ولا أكون بحمد اللّه عطشانا

وإن ضعفت فوجدي فيه يحملني من الحجاز إلى أقصى خراسانا

فهل لصغران سني اليوم تحقرني دع عنك عذلك بي قد كان ما كانا

ثم قلت له : باللّه عليك يا غلام ماعمرك ؟ فقال: إذا أحلفتني فعمري اثنتا عشرة سنة، ثم قال: يا إبراهيم لماذا سألت عن عمري ؟ فقلت: واللّه لقد أدهشني ما سمعت منك، فقال: الحمد للّه الذي أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده .

قال إبراهيم فتعجبت من حسن وجهه وحلاوة منطقه، وقلت: سبحان الخالق المصور، فأطرق رأسه ساعة ونظر إليّ ثم أنشد أبياتا ...

ثم قال : يا إبراهيم إن المنقطع من قطعه الحبيب، والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب، فهل أنت منقطع عن الحجاج، يا إبراهيم، قلت له : نعم، سألتك باللّه أن تدعو لي أن ألحق من سبقني من أصحابي، فنظر إلى السماء وحرّك شفتيه، فأخذتني سنة من النوم، فما استيقظت إلا وأنا في وسط الحجاج، ورفيقي يقول لي: يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة، فما أعرف أن الغلام صعد إلى السماء أم نزل في الأرض .

فلما انتهينا إلى مكة ودخلت الحرم الشريف، وإذا أنا بالغلام متعلق بأستار الكعبة وهو يبكي ويقول : تعلقت بالأستار والبيت[1] زرته وأنت بما في القلب والسر أعلم

---

(١) – ذكره الشيخ محمد زكريا في كتابه باللغة الأردية أما في الروض الفائق وروض الرياحين يوجد « القبر » بدل « البيت » .

أتيت إليه ماشيا غير راكب ... لأني على صغري محب متيم

هويتك طفلا حيث لا أعرف الهوى ... فلا تعذلوني إنني متعلم

وإن كان قد حانت إلهي منيتي ... لعلي بوصل منك أحظى وأغنم

ثم خرّ ساجدا، وأنا أنظر إليه، فأتيت إليه وحركته فإذا هو قد مات رضي الله عنه وأرضاه .

قال إبراهيم فتأسفت عليه كل الأسف، ومضيت إلى راحلتي، وأخذت ثوبا لأكفنه، واستعنت بمن يساعدني على تجهيزه، فأتيت إليه فلم أجده، فسألت عنه الحجاج جميعا فلم أجد أحدا يقول رآه حيا ولا ميتا، فعلمت أنه مستور عن أعين الناس، ولم يره أحد غيري، فرجعت إلى مكاني وغفوت فرأيته في المنام وهو في موكب عظيم، وهو في أوائلهم وعليه نور ساطع وعليه من الحلل ما يعجز عن وصفه الواصفون، فقلت له : ألست صاحبي ؟ فقال: نعم، فقلت له : ألست متّ ؟ قال: قد كان ذلك، فقلت له: لقد طلبتك لأغسلك وأكفنك فلم أجدك، فقال : يا إبراهيم إن الذي من بلدي أخرجني ولحبه شوقني، وعن أهلي غرّبني، هو الذي كفنني وما أحوجني، فقلت له: ما فعل الله بك بعد ذلك ؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: ما بغيتك ؟ قلت: أنت بغيتي وأمنيتي، فقال: أنت عبدي حقا ولا أحجب عنك كل ما تريد، فقلت: أريد أن تشفعني في القرن الذي أنا فيه، قال: قد شفعتك فيه .

قال إبراهيم : ثم صافحني فاستيقظت من منامي وقضيت ما كان عليّ من الحج ونسكه، ولم يفتر قلبي عن ذكر الغلام، وسرت مع جملة الحاج، والناس يقولون: عجب الناس من طيب رائحة يدك .

قال الناقل لهذه القصة : ولم تزل رائحة الطيب تفوح من يد إبراهيم حتى مات »[١] .

---

(١) – فضائل حج ١٧٧ – ١٨٠، الروض الفائق ١٥٦ – ١٥٧، روض الرياحين ١٤١ – ١٤٤ .

ويروي عن شيخ [١] « أنه كان يمشي في البرية فإذا هو بفقير يمشي حافي القدمين، حاسرَ الرأس، عليه خرقتان، متزر بإحداهما، مرتد بالأخرى، ليس معه زاد ولا ركوة .

قال : فقلت في نفسي: لو كان مع هذا ركوة وحبل، إذا أراد الماء توضأ، ثم لحقت به وقد اشتدت الهاجرة، فقلت له: يا فتى! لو جعلت هذه الخرقة التي على كتفك على رأسك تتقي بها الشمس كان خيرا لك، فسكت ومشى، فلما كان بعد ساعة، قلت له: أنت حاف ما ترى في نعلي تلبسها ساعة وأنا ألبسها ساعة ؟ فقال: أراك كثير الفضول، ألم تقرأ الحديث ؟ قلت: بلى، قال: فلم تقرأ عن النبي صلى الله عليه وسلم: « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » [٢].

فسكت ومشينا فعطشت ونحن على ساحل البحر، فالتفت إليّ وقال: أنت عطشان ؟ فقلت: لا، فمشينا ساعة وقد كظّني العطش ثم التفت إليّ وقال: أنت عطشان ؟ فقلت: نعم، وما تقدر تعمل معي في مثل هذا الموضع ؟ فأخذ الركوة مني ودخل البحر، وغرف الماء وجاءني به، وقال: اشرب، فشربت ماء أعذب من ماء النيل، وأصفى لونا، وفيه حشيش، فقلت في نفسي: هذا ولي كبير لله، ولكني أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة، فوقف وقال: أيهما أحب إليك، تمشي أو أمشي ؟ فقلت في نفسي: إن تقدم فاتني، ولكني

---

(١) – لعله أبو بكر مصري كما ذكره صاحب روض الرياحين ١٦٠ .

(٢) – أخرجه مالك في الموطأ ٩٠٣/٢، والترمذي في السنن ٤ / ٤٨٤ ح ٢٣١٨ من طريق علي ابن حسين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الترمذي عنه أنه مرسل ، وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة .

وابن ماجة في السنن ٢ / ١٣١٦ ح ٣٩٧٦ من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة .

أتقدم أنا، وأجلس في بعض المواضع، فإذا جاء سألته الصحبة، فقال: يا أبا بكر! إن شئت تقدّم وأجلس، وإن شئت تأخر فإنك لا تصحبني .

ومضى وتركني، فدخلت المنزل، وكان به صديق لي، وعندهم عليل، فقلت لهم : رُشّوا عليه من هذا الماء، فرشوا عليه فبرأ بإذن الله، فسألتهم عن الشخص فقالوا: ما رأيناه »[(١)] .

ويحكى عن الشيخ بُنان – رحمه الله – قال : « كنت في طريق مكة لأداء الحج أجيء من مصر، ومعي زاد، فجاءتني امرأة وقالت: يا بُنان ! أنت حمّال، تحمل على ظهرك، وتتوهم أنه لا يرزقك ؟ قال: فرميت بزادي ثم أتى عليّ ثلاثة أيام لم آكل، فوجدت خلخالا في الطريق، فقلت في نفسي : أحمله حتى يأتي صاحبه فربما يعطيني شيئا .

فإذا بتلك المرأة فقالت: أنت تاجر تقول: يجيء صاحبه فآخذ منه شيئا؟ ثم رَمَتْ إليّ شيئا من الدراهم، وقالت: أنفقها، فاكتفيت بها إلى مصر في العودة »[(٢)] .

ويحكي عن الشيخ مالك بن دينار رحمه الله أنه قال : « خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطريق وإذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، فقلت: أيها الشاب، ومن أين أنت ؟ قال: من عنده، فقلت: وإلى أين ؟ قال: إليه، فقلت: وأين الزاد والراحلة ؟ فقال: عليه، فقلت له: إن الطريق لا تقطع إلا بالمأكل والمشرب فهل معك شيء ؟ قال: نعم، قد تزودت عند خروجي من بلدي بخمسة أحرف، فقلت: وما هي فقال : قوله تعالى : ﴿كهيعص﴾[(٣)] فقلت : وما معنى كهيعص ؟ فقال: أما قوله كاف فهو الكافي، وأما الهاء فهو الهادي، وأما الياء فهو الذي يأوي، وأما العين فهو العالم، وأما الصاد فهو الصادق؛ فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى

---

(١) – فضائل حج ١٩١ – ١٩٢، روض الرياحين ١٦٠ – ١٦١ .

(٢) – فضائل حج ٢٠٢ ، روض الرياحين ١٧٨ .

(٣) – مريم ١ .

ولا يحتاج إلى الزاد والراحلة .

قال مالك : فلما سمعت منه هذا الكلام نزعت قميصي لألبسه فأبى أن يقبله، وقال: يا شيخ، العرى خير من ثياب الدنيا؛ حلالها حساب، وحرامها عقاب .

فكان إذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول: يا من يفرح بطاعات العباد ولا تضره المعاصي، هب لي ما يسرك - يعني الطاعات - واغفر لي ما لا يضرك - يعني المعاصي .

فلما أحرم الناس ولبوا قلت له: لم لا تلبي ؟ فقال: يا شيخ، أخاف أن أقول لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك ولا أسمع كلامك ولا أنظر إليك، ثم مضى وغاب عن بصري، فما رأيته إلا بمنى، وهو أنشد يقول :

إن الحبيب الذي يرضيه سفكُ دمي   دمي حلال له في الحل والحرم

والله لو علمت روحي بمن علقتْ   قامت على رأسها فضلا عن القدم

يا لائمي لا تلمني في هواه فلو   عاينت منه الذي عاينت لم تلم

يطوف بالبيت قوم لو بجارحة   بالله طافوا لأغناهم عن الحرم[1]

ضحًى الحبيب بنفسي يوم عيدهمُ   والناس ضحوا بمثل الشاء والنَّعَم

للناس حج ولي حج إلى سكني   تُهدى الأضاحي وأهدي مُهجتي ودمي

ثم قال : اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك بضحاياهم وهديهم، وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فخرّ ميتا ثم نودي بالغيب: هذا حبيب الله، هذا قتيل الله .

قال مالك : فجهزته وواريته بالتراب ثم بت تلك الليلة متفكرا في أمره فرأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك، فقال: فعل بي كما فعل بالشهداء يوم بدر بل زيادة منهم، فسألته

---

(١) - قد ترجم الشيخ محمد زكريا فيقول : يطوف بالبيت قوم بجارحة لو طافوا ذات الله لأغناهم عن الحرم . أقول : حاشا لله عز وجل أن يطاف به .

ومن أين هذه الزيادة ؟ فقال: هم قُتِلوا بسيف الكفار، وأنا قُتِلتُ بسيف محبة الملك العزيز الجبار »(١).

وقد تأثر مشايخ التبليغ من هذه الحكايات الصوفية حتى حاولوا أن يثبتوا الرهبانية في الإسلام كما ذكر الشيخ محمد زكريا قصة عن إبراهيم بن أدهم : « أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو في الطواف وإذا بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنُه وجمالُه، فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكي، فقال: بعض أصحابه – سوء الظن به – إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ – غفلة دخلت على الشيخ بلا شك، ثم قال: يا سيدي، ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء ؟ فقال الشيخ: إنني عقدت مع الله عقدا لا أقدر أفسخه، وإلا كنت أُدني هذا الفتى مني وأسلِّم عليه، فإنه ولدي وقرة عيني، تركته صغيرا وخرجت من البيت، وها هو قد كبر كما ترى، وإني لأستحيي من الله أن أعود لشيء خرجت عنه وتركته له عزوجل، وأنشد :

ولا عرضتْ لي نظرةٌ مذ عـرفتُه — مدى الدّهر إلا كان لي حيث أنظرُ
أغارُ عـلى طـرفـي له فـكأنـنـي — إذا رام طَـرفـي غيره لستُ أبصرُ
أيا منتهى سُؤلي وذُخري وعُدّتـي — وِدادك فـي قـلـبـي إلـى يوم أحـشرُ

ثم قال لي : امض وسلّم عليه لعلّي أتسلّى بسلامك عليه، فأتيت الفتى وقلت له: بارك الله لأبيك فيك، فقال: يا عمّ، وأين أبي، إنّ أبي قد خرج فارّاً إلى الله في صغري، ليتني أراه ولو مرة واحدة وتخرج روحي عند ذلك، هيهات هيهات، وخنقته العبرة، وقال: والله أودُّ لو أني رأيته وأموت في مكاني ثم بكى وأنشد بأبيات الشوق والذوق .

ثم رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد وقد بلّ الحصى بدموعه، وهو يتضرع إلى الله ويبكي ويقول :

هـجرتُ الخَلقَ طُرّاً في هواكا — وأيْـتـمـتُ العـيـالَ لكـي أراكا
فلو قطّعتني فـي الحـبّ إرباً — لما سكن الفؤادُ إلى سواكا

---

(١) – فضائل حج ١٧٤ – ١٧٥، روض الرياحين ١٣٧ – ١٣٨ .

فقلت له : ادع له، فقال: حجبه الله عن معاصيه، وأعانه على ما يرضيه » [١] .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « قد يُورَد إشكال عام أنه لا يوجد تعليم الرهبانية في الدين المحمدي عليه الصلاة والسلام، وفيه الدين والدنيا متلازمان .

يقول الباري عزّ اسمه : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [٢]، وتُستنفد القوى في هذه الآية الشريفة كأنه ما نزل شيء للعمل في القرآن إلا هذه الآية » [٣] .

أقول : إن الشيخ محمد زكريا لا يرضى من تفسير المفسرين في هذه الآية ولكن أبى المفسرون إلا أن يفسروها بما أراد الله تعالى من جمع بين الحسنيين ، يقول : ابن كثير رحمه الله عقب هذه الآية : « فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هين، وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينهما، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا » [٤] .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « إن قصد حصول الشيء للإفطار في مساء صيام خطأ؛ لأنه من قلة الاعتماد على وعد الله بالرزق » [٥] .

فمن تدبر في الأقوال والحكايات التي ذكرها الشيخ محمد زكريا، وجدها أنها توحي فكرة التواكل والابتعاد عن الدنيا بالكلية وعدم الاهتمام بها، وعدم الأخذ بالأسباب التي أوجدها الباري سبحانه تعالى لصالح العباد والبلاد .

---

(١) – فضائل حج ١٩٧ – ١٩٨ ، روض الرياحين ١٦٦ – ١٦٧ .

(٢) – البقرة ٢٠١ .

(٣) – فضائل تبليغ ١٧ .

(٤) – تفسير ابن كثير ١/٣٦٥ .

(٥) – فضائل رمضان ٣٢ .

يقول ابن الجوزي في مثل هذا التوكل : « قلة العلم أوجبت هذا التخطيط، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد، وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده، وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال، فقد قال تعالى: ﴿ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (١) أي قواما لأبدانكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ » (٢) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكَ تَدَعَ ورَثَتَكَ أَغْنِياءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تدعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ »(٣) واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٤)، وقال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٥) ، وقال: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً ﴾ (٦) .

وقد ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين، وشاور طبيبين، واختفى في الغار، وقال : « مَنْ يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ » (٧) ، وأمر بغلق الباب .

---

(١) – النساء ٥ .

(٢) – أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٧/٤ .

(٣) – أخرجه البخاري في الصحيح ٢٥٤/٣، ح : (٢٧٤٢) و أخرجه أيضا في الصحيح ٥٢٩/٦، ح : (٥٣٥٤) ومسلم في الصحيح ١٢٥٠/٣ – ١٢٥١، ح : (١٦٢٨) .

(٤) – النساء ٧١ .

(٥) – الأنفال ٦٠ .

(٦) – الدخان ٢٣ .

(٧) – أخرجه البخاري في الصحيح ٤٧٥/٨، ح : (٧٢٣١) ومسلم في الصحيح ١٨٧٥/٤، ح : (٢٤١٠) .

وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَغْلِقْ بَابَكَ»[١] .

وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافي الاحتراز »[٢] .

إلى أن قال رحمه الله : « ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين؛ فقد كان آدم عليه السلام حراثا، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطا، وإبراهيم ولوط زراعين، وصالح تاجرا ، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة – صلوات الله عليهم أجمعين .

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: « كُنْتُ أَرْعَى غَنَماً لأَهْلِ مَكَّةَ بِالقَرَارِيطِ ... » [٣] .

وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله عليهم بزازين ... وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب »[٤] .

ويناقش ابن القيم – رحمه الله – قضية التوكل بشيء من التفصيل فيقول: « فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعل الله سببا في حصول المدعو به ، فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سببا ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء ... فقد وقع في الوهم الباطل، فإن الله سبحانه وتعالى قضى بحصول الشبع إذا أكل والرّي إذا شرب فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو ، وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة ، وقضى بدخول الجنة إذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٤/٤٣٣، ح : (٣٢٨٠)، وينظر أيضا : ح : (٣٣٠٤) و(٣٣١٦) و (٥٦٢٣) و(٥٦٢٤) و (٦٢٩٥) و (٦٢٩٦) .

وأخرجه مسلم في الصحيح ٣/١٥٩٤ – ١٥٩٥، ح : ٩٦ – (٢٠١٢) و ٩٧ – (٢٠١٢) .

(٢) – تلبيس إليس ٣٤١ .

(٣) – أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣٧٩، ٤٦٢ .

(٤) – تلبيس إبليس ٣٤٥ بالتصرف .

فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبدا ، وقضى بإنضاج الطعام بإيقاد النار تحته ، وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذر فيها فما لم يأت بذلك لم يحصل إلا الخيبة (١) ... إلى أن قال – رحمه الله : فالتجرد من الأسباب جملة ممتنع عقلا وشرعا وحسا ولا أخلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الأسباب فقد ظاهر بين درعين يوم أحد، ولم يحضر الصف قط عريانا كما يفعل من لا علم عنده ولا معرفة .

واستأجر دليلا مشركا على دين قومه يدلّه على طريق الهجرة ... وكان يدّخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد وجميع أصحابه وهم أولو التوكل حقا، وأكمل المتوكلين بعدهم هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة أو لحق أثرا من غبارهم فحال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه محك الأحوال وميزانها ، بها يعلم صحيحها من سقيمها (٢) .

وخلاصة القول أن نأخذ بالأسباب ثم نعتمد في حصول النتائج على الله وحده، فلا تنافي بين التوكل ومزاولة العمل والتكسب ونحو ذلك، فقد أمر الله تعالى بالعمل كما أمر بالتوكل ولا يمكن أن يأتي في الكتاب الكريم والتشريع الإلهي العظيم ما فيه تناقض .

هذا ما أحببت أن أبين مفهوم التوكل لدى علماء أهل السنة والجماعة ، ولو تأملنا في الحكايات المذكورة لوجدنا فيها مع مظاهر التواكل معتقدات وممارسات ، والذي أعتقده أن كثيرا منها غير مقبولة وغير معقولة مثل قوله : إن عبد الله بن حنيف لم يأكل ولم يشرب شيئا أربعين يوما ، وقطع إبراهيم الخواص مسافة بعيدة مع الغلام في غفوة ، وشفاعة الغلام المقبولة للقرن الذي يعيشه ثم الرائحة الزكية التي فاز بها الخواص في المنام بقيت طول حياته ، كما رأينا أنه كيف اطلع الجنيد على ما حدث لعبد الله بن حنيف في مكان بعيد ، وكيف اطلعت المرأة على ما خطر في قلب « بنان» أليس هذا من القضايا الغيبية

---

(١) – مدارج السالكين ٢ / ١١٨ – ١١٩ بالتصرف .

(٢) – مدارج السالكين ٢/ ١٣٤ – ١٣٥ بالتصرف .

التي لا تقبل إلا من المعصوم عليه السلام ؟

وأقف إلى هنا في هذا المبحث ولعلنا وصلنا إلى النتيجة بأنهم متصوفة وجميع مظاهر التصوف موجودة لدى الجماعة ومشايخها كما شاهدنا وسنشاهدها في المباحث القادمة إن شاء الله، وقد مهدوا السُبل بهذه الطريقة التبليغية لنشر وترويج الأفكار المتصوفة كما يبشر الشيخ محمد زكريا أتباعه فيقول : « لقد أصبح الجو الآن ملائما للدعوة إلى التصوف بأكمله بكل قوة والعمل به » (١).

(١) – ذكر واعتكاف كى اهميت ٩٨ .

* المبحث السادس *

الكشف والكرامات

توطئة : من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات[١] .

فالكرامة هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم[٢] .

وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد كما أن النبي لا يملك أن يأتي بالمعجزة من عند نفسه بل كل ذلك من الله وحده، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٣] .

ولا يملك الصالحون أن يتصرفوا في ملكوت السماوات والأرض إلا بقدر ما آتاهم الله من الأسباب كسائر البشر[٤] .

وأهل السنة والجماعة يرون إمكان وقوع الكرامة على أيدي بعض عباد الله الصالحين الذين آمنوا وكانوا يتقون .

يقول ابن تيمية – رحمه الله : « فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي

---

(١) – مجموع الفتاوى ١٥٦/٣ .

(٢) – لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٩٢/٢ .

(٣) – العنكبوت ٥٠ .

(٤) – فتاوى اللجنة الدائمة ٣٨٨/١ .

يكرم الله بها أولياءه المتقين، وخيار أولياء الله كرامتهم لحجة في الدين أولحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كذلك »(١) .

أما الكرامة فليست من شروط الولاية، فقد يكون الإنسان وليا لله وأكثرهم طاعة له ولا تظهر على يديه كرامة قط؛ لأن شروط الولاية محصورة في شرطين هما: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(٢) .

وقد تمنح للمشتغلين بالذكر والفكر والمجاهدة مع قلة علمهم وجهل بعضهم أكثر مما تمنح للعلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة مع كمال علمهم وتفضيل الله لهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة »(٣) .

وقد ضل كثير من الناس عندما ظنوا أن كل من جرت على يديه خوارق العادات فهو من أولياء الله الصالحين، فالخوارق ليست دليلا على أن صاحبها ولي لله تعالى، فالكرامة سببها الإيمان والتقوى والاستقامة على طاعة الله، فإذا كانت الخارقة بسبب الكفر والشرك والطغيان والبدعة والفسق فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « ومن لم يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل، ومن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان واتباع القرآن لم يعرف طريق المحق من المبطل، والتبس عليه الأمر والحال كما التبس على الناس حال

---

(١) – فتاوى ابن تيمية ١١/٢٧٤ .

(٢) – يونس ٦٣ .

(٣) – فتاوى ابن تيمية ١١/٢٨٣ .

مسيلمة صاحب اليمامة وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء، وإنما هم كذابون »[(١)] .

ويقول : « إنّ أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي ولهم أحيانا مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التي نهى عن الصلاة فيها؛ لأن الشياطين تتنزل عليهم بها، وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب الكهان ... وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك ... وقد تقضي بعض حوائجهم » [(٢)] .

ويقول شارح الطحاوية : « ومن لم يكن له – صلى اللّه عليه وسلم – مصدقا فيما أخبر ، ملتزما لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنية التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان ، لم يكن مؤمنا فضلا عن أن يكون وليا للّه تعالى ، ولو طار في الهواء ومشى على الماء ، وأنفق من الغيب ، وأخرج الذهب من الخشب » [(٣)] .

فلا بد أن يكون عند العبد الميزان الذي يفرق به بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان والصالحين والطالحين وإلا ضلّ وزاغ، وظن أعداء اللّه أولياءه ، وهذا الميزان هو الكتاب والسنة ، فإذا كان العبد ملتزما بهما فنعم، وإلا فإنه ليس على شيء ولو ظهرت الخوارق على يديه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه : « وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة، ولهذا تنزلت عليهم الشياطين، واقترنت بهم فصاروا

---

(١) – جامع الرسائل ١٩٧ .

(٢) – مجموع الفتاوى ٤١/١٩ .

(٣) – شرح العقيدة الطحاوية ٥٠٧ .

من أولياء الشياطين لا من أولياء الرحمن ... إلى أن قال : ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد، وعبده مجتهدا في عبادته، ولم يكن متبعا لذكره الذي أنزله – وهو القرآن – كان من أولياء الشياطين ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء » (١) .

* اهتمام الجماعة بالكشف والكرامات والمنامات *

تحتل الكرامات والمنامات والكشف مساحة كبيرة من اهتمامات الجماعة ولا نستغرب فيها كثيرا ؛ لأن أساس الجماعة هو الكشف والمنامات كما صرح مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس ، ولذا نرى أن كتبهم المقررة على التبليغيين مملوءة بالغرائب والعجائب من أخبارها، والكثير منها يرده الشرع ويرفضه العقل، وقد لاحظناه فيما سبق ولكنهم ذهبوا إلى قبول ذلك واستمسكوا به وروجوه وجاء تركيزهم على الكرامات وبالغوا في إثباتها ثم تجاوزوا الحدود إلى نسج الأساطير واختلاق الحكايات وتناقل الخرافات ليرسخوا في أذهان عوام الناس اللجوء إلى الأولياء والاستغاثة بهم بزعم أنهم أصحاب كرامة ولهم عند الله المنازل الرفيعة والدرجات العالية ، وسأعرض منها في هذا المبحث على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٤٥ – ٤٦ ملخصا .

* كشف الأمور المعنوية *

كما يزعم التبالغة أن الأولياء تنكشف لهم خطرات القلب والجنة والنار في المنهج التبليغي ، فقد زعموا أن الأولياء تنكشف لهم ذنوب الناس إذ يزعم الشيخ محمد زكريا قائلا : « والذين هم من أهل الكشف يحسون ويشعرون بزوال الخطايا » (١) ، ثم استدل قائلا : « بأن في هذا الباب قصة مشهورة للإمام الأعظم - رضي الله عنه - كما ورد أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله إذا رأى الماء الذي يتوضأ منه الناس يعرف أعيان تلك الخطايا التي خرت في الماء، ويميز غسالة الكبائر عن الصغائر والصغائر عن المكروهات والمكروهات عن خلاف الأولى كالأمور المجسدة حسا على حد سواء » .

ويقول أيضا : « وقد بلغنا أنه دخل مطهرة جامع الكوفة فرأى شابا يتوضأ فنظر في الماء المتقاطر منه فقال: يا ولدي، تب عن عقوق الوالدين، فقال: تبت إلى الله عن ذلك، ورأى غسالة شخص آخر فقال له: يا أخي، تب من الزنا، فقال: تبت من ذلك، ورأى غسالة شخص آخر فقال له : يا أخي تب من شرب الخمر وسماع آلات اللهو، فقال: تبت منها، فكانت هذه الأمور كالمحسوسة عنده على حد سواء من حيث العلم بها ثم بلغنا أنه سأل الله تعالى أن يحجبه عن هذا الكشف لما فيه من الاطلاع على سوآت الناس فأجابه الله إلى ذلك » (٢) .

وقد اعترض شخص على هذا الكشف لأبي حنيفة - رحمه الله - بأنه لا أصل له، فرد عليه الشيخ محمد زكريا قائلا : « إن الكشف للإمام الأعظم في الماء المستعمل أمر معروف ... وقد تظافرت الأحاديث الصحيحة في أن الأعضاء تكون طاهرة من المعاصي بالوضوء، وذكر صاحب الهداية علة نجاسة الماء المستعمل انتقال الآثام إليه .

---

(١) - فضائل نماز ١٣ .

(٢) - فضائل ذكر ١٥٠، فضائل نماز ١٣، ميزان الكبرى للشعراني ٨٤/١ - ٨٥ .

وقد ذكر مولانا عبد الحي في السعاية في الاستدلال هذه القصة للإمام، وفي مناقبه عدة واقعات من هذا النوع أنه يكشف عليه أنواع المعصية ، وإني أرى أنه يوجد لدى أكابر كل زمان أنهم يكشفون على أنواع المعصية ثم ما ثبت من الكشف في الأحاديث الصحيحة فلماذا استشكل عليك »[١].

وقد نتساءل هل الوضوء تمحو الصغائر والكبائر أم الصغائر دون الكبائر ؟ وإذا كانت الكبائر تمحى أيضا فلماذا يحتاج الإنسان إلى التوبة ؟ وهل الذنوب أمور مادية تتشخص في الدنيا ؟ وهكذا نرى المبالغة في ذكر أمور لا سند لها ، والذي لا يمكن نسبتها إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله لمصادمتها بالشرع والعقل إذ كيف يستطيع أن يكشف على أنواع المعاصي في الماء المغسول لو كان الأمر كذلك لاستفاد منه ولي الأولياء إمام الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر المجرمين والفاسقين أن يتوضؤوا ثم يشاهد أنواع المعاصي ويعاقبهم حسب مراتبها أو يستتيبهم منها .

وحينما رمى الناس بالتهمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم توضئي حتى أعرف مدى صحة الاتهام بل قال لها: « إِنْ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ...»[٢] الحديث .

فهذا الهذيان لم يحدث حتى لسيد ولد آدم وأفضل الخلق على الإطلاق مما يدل على بطلان هذا الكلام وكذبه ويحمل وزره من وضعه ونقله، وأصحاب التبليغ يكثرون مثل هذا الهذيان في الكلام والبيان، وهاهي نماذج أخرى من هذا الهُراء :

---

(١) – كتب فضائل پر اشكالات اور ان كى جوابات ٢١٦ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٥/٦٧ – ٧٢، ح : (٤١٤١) وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/٢١٢٩ – ٢١٣٦، ح : (٢٧٧٠) كلاهما من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث طويل عن قصة الإفك .

يقول الشيخ محمد زكريا : « إنّ الشيخ وهب بن الورد – رحمه الله يقول : « كنت أصلي يوما في الحطيم فسمعت صوتا من داخل ستار الكعبة : « إني أشكو إلى الله أولا ثم أشكو إليك يا جبريل الناس بأنهم يشتغلون حولي في الدعابة والمزاح واللغويات فإن لم يكفوا عنها فأنشق انشقاقا حتى يتفكك جدراني واحدا واحدا » (١) .

ويروي عن الشيخ ظفر أحمد التهانوي أنه يقول : « كنت جالسا عند الشيخ محب الدين (أخص أصحاب شيخ مشايخهم إمداد الله المكي وكان معروفا بالكشف) وهو يقرأ في كتاب له في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فالتفت إليّ دفعة وقال : من الذي دخل الحرم الآن ؟ فإن الحرم كله قد امتلأ نورا وضياء ، فلم أرد عليه ، ثم ما لبثنا حتى مر بنا الشيخ خليل أحمد بعد ما طاف بالبيت ، فقام الشيخ محب الدين إليه ، وقال مبتسما : « الآن عرفنا حقيقة الأمر ، ولذا أنا قلت : من الذي دخل في الحرم » (٢) .

* كشف القبور وأهل القبور *

إن مسألة كشف القبور من المسائل التي تهتم جماعة التبليغ وتؤمن بها إيمانا لا يترك لهم مجال الشك فيها، ولذا أكثر الشيخ محمد زكريا ذكر القصص في هذا المجال في «تبليغي نصاب» ومنها قوله: « إن الشيخ نجم الدين الأصبهاني – رحمه الله – خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة، فلما دفنوه، وجلس الملقّن يلقنه عند قبره، ضحك الشيخ نجم الدين – رحمه الله – وكان من عادته لا يضحك، فسأله بعض خدمه عن ضحكه، فزجره وقال بعد أيام : ما ضحكت إلا لأنه لما جلس الملقّن على القبر سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقّن حيا » .

وذكر الشيخ محمد زكريا توجيه ذلك فقال : « قوله «ميت يلقن حيا» فهذا أمر ظاهر،

---

(١) – فضائل حج ٨٣ .

(٢) – فضائل ذكر ٣٥ .

إن الميت حي بعشق الله، والملقن خال من هذه الملكة » [١] .

ويقول : « قال أبو سنان – رحمه الله : والله إني كنت من الذين دفنوا ثابتا البناني، وأثناء دفنه سقطت لبنة من اللحد، فرأيته يصلي قائما، فقلت لرفيقي: انظر إلى هذا، فقال: اسكت، فلما دفناه ذهبت إلى بيته وسألت بنته عن عمله، فقالت: لم تسأل ؟ فأخبرتها بالقصة، فقالت: قام الليل خمسين سنة ويدعو في الصباح دائما: اللّهم إن كتبت لأحد أن يصلي في القبر فاكتب لي » [٢] .

ويقول : « قال الشيخ صالح المري : أقبلت ليلة الجمعة في آخرها إلى الجامع لأصلي الصبح فيه ، فمررت على مقبرة، وجلست عند قبر هناك ، فغلبني النوم فرأيت في منامي أن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون بفرح وسرور، وإذا بشاب عليه ثياب دنسة جالس بجانب القبر مهموما مغموما فريدا بنفسه، فلم يلبثوا إلا ساعة حتى أقبلت الملائكة بأيديهم أطباق مغطاة بمناديل من نور، فأخذ كل واحد منهم طبقا من تلك الأطباق ودخل في قبره إلا هذا الشاب يدخل فارغ اليد، فقلت له: ما لي أراك حزينا، وما هذه الأطباق ؟ فقال: هدايا الأحياء لموتاهم، وليس له إلا والدة قد اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت وتركته ولا تتذكره، فسألته عن منزل والدته أين هو ؟ فوصف لي الموضع، فلما أصبحت ذهبت إليها، فكلمتني من خلف الستر، فقصصت عليها القصة، فقالت: إنه ولدي، وفلذ كبدي، خذ هذه الألف درهم فتصدق بها عن ولدي وقرة عيني، وأنا لن أنسه بقية عمري من الدعاء والصدقة .

قال الشيخ صالح : ثم رأيت في المنام الناس قد خرجوا من قبورهم وإذا بالشاب عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فأقبل نحوي حتى دنا مني وقال: جزاك الله عني خيرا يا صالح، قد وصلت هديتك إليّ » .

---

(١) – فضائل حج ١٩٤، الروض ١٦٣ .

(٢) –فضائل نماز ٦٥ .

ثم يقول الشيخ محمد زكريا: « آلاف القصص مثل هذه موجودة في الكتب »[1] .

ويروي عن عالم أنه قال : « رأى رجل في المنام أن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة، فإذا هم يلتقطون شيئا، ورأيت رجلا منهم جالسا منفردا وحده لم يلتقط معهم، فدنوت منه فسلمت عليه، وسألته ما الذي يلتقطه هؤلاء ؟ فقال: يلتقطون ما يهدي المسلمون من الصدقة والدعاء والصلاة على النبي وما إلى ذلك، فقلت له : لم لا تلتقط معهم ؟ فقال: إني غني عن ذلك بختمة يقرؤها ولدي يهديها إلي في كل يوم وليلة، وهو يبيع الزلابية في السوق الفلاني .

فلما استيقظت من نومي ذهبت إلى السوق فإذا بشاب جالس يبيع الزلابية ويحرك شفتيه، فقلت له: بأي شيء تحرك شفتيك ؟ فقال: بختمة أقرؤها وأهدي ثوابها إلى والدي في قبره، فمكثت بعد ذلك مدة من الزمن رأيت كما رأيت أولا أن أهل القبور يلتقطون وإذا بالرجل يلتقط معهم، فاستيقظت متعجبا وذهبت إلى السوق لأنظر ما فعل بالشاب، فوجدته قد مات »[2].

ويقول الشيخ محمد زكريا: « إن أحدا من الأولياء كان من أصدقاء وخدام والدي المخلصين، وكان صاحب كشف ، وكثر كشفه في القبور، فحضر عند قبر والدي بعد ثلاثة أيام من وفاته، فأمره أبي بثلاث :

١ - قال : (وكان معارضوه كثيرين) قل لمحمد زكريا: لا تفكّر في هؤلاء، فهم لا يضرون إلا أنفسهم .

٢ - قال : (وكان عليه دين كثير ولذا كثر مطالبوه) لا تفكر فيه ، والحمد لله تم أداؤه بكامله .

٣ - قال : « اتق الأولياء وخف منهم ، فإن مقلوبهم ومعكوسهم أيضا يكون

---

(١) - فضائل صدقات ٩٩ - ١٠٠ ، روض الرياحين ٢٣٨ .

(٢) - فضائل صدقات ٩٩، روض الرياحين ٢٣٧ .

سليما » (١) .

ونلاحظ على هذه القصة زعمين :

الزعم الأول : أن هناك من له قدرة على الاتصال بالأموات وسماع كلامهم ومخاطبتهم ، وهو غير معقول شرعا ولا عقلا .

الزعم الثاني : أن الأموات يعلمون الغيب ويخبرون بالمستقبل مع أن العلم بالمستقبل لا يعلمه إلا الله .

وقال : « وقد أخبر بعض الأولياء أنهم رأوا حول الكعبة المشرفة الملائكة والأنبياء والأولياء – رحمهم الله – وأكثر ما يروهم ليلة الجمعة، وليلة الاثنين، وليلة الخميس »(٢) .

ولا أدري ماذا يعني بـ «رأوا » هل يرون ذلك يقظة أم مناما ، فإنّ يقظة فقد أعظم الفرية ، وإن كان مناما فهو قدر مشترك لجميع الناس ولا خصوصية فيه .

ويقول صاحب كتاب « بهجة القلوب » :«قد حصلت المكاشفة في ١٠ صفر ١٤٠٠ هـ لحضرة الشيخ (محمد زكريا) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حضر وقت الظهيرة في غرفة مدرسة العلوم الشرعية (بالمدينة المنورة التي أقام فيها الشيخ محمد زكريا) وقال : « جِئتُ لأُصلّي بِهِ صلاةَ الظهر » (٣) .

وقد مر بنا أن الشيخ محمد إلياس – مؤسس الجماعة – يخبر عن وفاة والده فيقول : « صلى الناس على والده – محمد إسماعيل – عدة مرات لكثرة الازدحام، لذا حصل التأخير في الدفن، إذ رأى ولي من أصحاب الإدراك أن الشيخ محمد إسماعيل يقول : ودعوني بالسرعة فإني خجل جدا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم في انتظاري مع

---

(١) – تبليغى جماعت كا اسلام ١٠٦ – ١٠٧ نقلا عن تيس مجالس ١٨٥ .

(٢) – فضائل حج ١٨٣، روض الرياحين ١٤٩ .

(٣) – بهجة القلوب ٢٩ .

صحابته » (١) .

والقوم في هذه الدعاوي يريدون أن ينسجوا حول أنفسهم هالة من التعظيم مرة برغبة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة عندهم ومرة بشوقه لرؤيتهم حتى يخجل محمد إسماعيل من التأخر على النبي صلى الله عليه وسلم .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « كان نباش يحفر القبور ليسرق الكفن، فحفر قبرا، فأشرف فيه على إنسان جالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه، وتحته نهر يجري، فغشي عليه، وأخرجه الناس من القبر فأفاق بعد ثلاثة أيام، ثم سألوه فأخبرهم بما رأى، فسأله بعض الناس أن يدله على ذلك القبر فعزم على ذلك، فلما كان في الليل رأى صاحب القبر في النوم وهو يقول: لئن دللت أحدا على قبري لتصيبنك عقوبة كذا وكذا، فاستيقظ وعهد أن لا يدل أحدا » (٢) .

وقد أتساءل : أن النباش المغمى عليه قد أخرجه الناس من القبر فهم لم يعرفوا القبر الذي أخرجوه منه حتى استفسروه عن القبر ؟

وكيف يطلع صاحب القبر وهو في قبره على ما يحدث من التساؤلات بين الناس في بيوتهم ؟

وهل يملك صاحب القبر العقاب والعذاب إذ يهدد النباش إن دلّهم فيعاقب عقابا شديدا ، وقد قال جل وعلا : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ٤٧ – ٤٨ ، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوى ٦٣ .

(٢) – فضائل صدقات ٤٧٥، روض الرياحين ٢٤٢ .

(٣) – النحل ٢١ .

* الحياة بعد المماة *

قد مر بنا حكايات عديدة سردها الشيخ محمد زكريا في « تبليغى نصاب » التي تدل دلالة واضحة على اعتقاده أن الأولياء لا يموتون وتزيد هنا ذكر بعض الحكايات التي تؤكد هذا المعنى فمن ذلك ما يحكي عن الشيخ أبي سعيد الخزاز أنه قال : « كنت بمكة فمررت بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الوجه وهو ملقى على الأرض ميتا فنظرت في وجهه فرأيته يضحك وقال لي : يا أبا سعيد ! أما علمت أن الأحباء أحياء وإن ماتوا ؟ وإنما ينقلون من دار إلى دار » [(١)] .

ويحكي عن رجل صالح أنه يقول : « إني غسلت مريدا فمسك إبهامي ، فقلت : اترك إبهامي فإني أعرف أنك لم تمت ، وإنما هـو انتـقال من مكان إلى مكان آخر ، فترك إبهامي » [(٢)] .

ويقول : « قال الولي المشهور الشيخ ابن الجلاء – رحمه الله – لما مات والدي وضعته على الخشبة للغسل فصار يضحك ، ففر الذين يغسلونه ولم يجرأ أحد على غسله حتى حضر ولي آخر رفيقه فغسله » [(٣)] .

ثم يعلق عليها قائلا :«إن صاحب الروض قد كتب عدة واقعات عن أجل المتفانين التي تدل على بشاشتهم وضحكم ومزاحهم وتمتعهم وتنعمهم عند موتهم وبعد مماتهم » [(٤)] .

---

(١) – فضائل حج ٢١٣ ، فضائل صدقات ٤٨٣ ، روض الرياحين ٢٤٧ ، وفيه الخدري بدل الخزاز .

(٢) – فضائل صدقات ٤٧٦ ، الروض الفائق ٩٥ ، وفيه اسم الرجل أبو يعقوب السنوسي .

(٣) – فضائل صدقات ٤٧٦ ، الروض الفائق ٩٥ .

(٤) –فضائل صدقات ٤٧٦ .

أقول : وهذه الحكايات تحمل عقيدة باطلة وهي أن الأولياء لا يموتون ويتصرفون تصرفاتهم الدنيوية من الكلام والضحك والقبض إلى آخره كما شاهدنا في القصص المذكورة .

والمعروف أن للحياة ثلاثة أقسام: حياة دنيوية، حياة برزخية، وحياة أخروية، فحينما يموت الإنسان ينتقل إلى الحياة البرزخية ثم يبعث منها يوم القيامة والبعث والنشور كما دلت عليه النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، والحياة البرزخية لا يعلم كيفيتها وكنهها إلا الله تعالى، كما قال تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَاءِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(١)] .

وهذا الاعتقاد بأن الأولياء لا يموتون يصطدم مع عقيدة الإسلام، فقد قال جل وعلا : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[(٢)] ، قال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[(٣)] .

وقد أدرك الموت أفضل البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وشهد بذلك أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأكثره محبة فقال: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[(٤)] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[(٥)] .

ولكن انظر إلى هُراء القوم الذي يستحيي المؤمن من إيراده، فلديهم أموات يتكلمون

---

(١) - المؤمنون ١٠٠ .

(٢) - آل عمران ١٨٥ .

(٣) - القصص ٨٨ .

(٤) - أخرجه البخاري في الصحيح ٧٠/٢ - ٧١، ح : (١٢٤١ - ١٢٤٢)، والنسائى في السنن ١١/٤، والذهبي في تاريخ الإسلام قسم السيرة النبوية ص ٥٦٥ .

(٥) - الزمر ٣٠ .

ويضحكون ويفتحون أعينهم ويمسكون الإبهام، ولكن هنالك إمام الأنبياء وسيد الأولياء مات، وتقول فاطمة – فلذة كبده – رضي الله عنها: يا أبتاه، يا أبتاه، حزينة حزنا شديدا حتى لم ترها الأعين مبتسمة طيل حياتها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة الغم، وهي عاشت ستة أشهر، ولكن المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما لم يتكلم ولم يضحك ولم يفتح عينه ليؤنس ابنته فاطمة رضي الله عنها ويخفف حزنها وغمها .

وإضافة إلى ذلك فهذه الأسطورات لا يصدقها العقل السليم أيضا فإذا كانوا هؤلاء أحياء ولا يموتون فلماذا كانوا يغسلونهم للدفن، وكيف طابت نفوس هؤلاء الأولياء أن يغسلهم الآخرون وهم أحياء ؟ وحينما فتحوا أعينهم وتكلموا فلم يخرجوا من قبورهم أليس هذا يعتبر من الانتحار، وكيف دفنهم مرافقوهم وهم أحياء، أوليس هذا من قتل المسلم ووأده عمدا، وقد قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ﴾[١] ، وقد يُسْئَل يوم القيامة عن الطفلة الصغيرة التي دفنت حية كما قال تعالى : ﴿وَإِذِ الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[٢] فما بالكم بدفن الأولياء الأحياء .

ومثل هذه التساؤلات وغيرها كثيرة تخطر في البال فهل لها من جواب يقبله أولو الألباب ؟ ؟

(١) – النساء ٩٣ .

(٢) – التكوير ٨ – ٩ .

* طي الأرض * [١]

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجرا إلى المدينة قال مخاطبا لمكة المكرمة: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ» [٢] وهذا يدل على محبته وعلاقته القلبية بمسقط رأسه مكة المكرمة، ومع ذلك لم يكن بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يسكن بها، أو يطوف حول الكعبة المشرفة أو يصلي في الحرم الشريف بعد ما خرج منها، كما أن المشركين حالوا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين أن يطوفوا بالكعبة عام الحديبية حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الرجوع بعد وصولهم إلى الحديبية، ولم يتمكنوا من دخول المسجد الحرام، وإضافة إلى ذلك واجه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة كثيرا من الشدائد والمحن، لذا خطط تخطيطا دقيقا للهجرة إلى المدينة أخذا بجميع الوسائل والأسباب الظاهرة الممكنة والميسرة، فخرج من بيته مختفيا إلى أبي بكر، وأمر عليا أن يبيت على فراشه حتى لا يفطن صناديد قريش لخروجه ثم خرج مع أبي بكر إلى جبل ثور وهو في جهة معاكسة من المدينة،

---

(١) – طي الأرض : يعرفه الشيخ محمد زكريا فيقول: إنه سير خاص للأولياء، وبه يقطعون مسافة آلاف ميل في أقدام . فضائل صدقات ٤١١ .

(٢) – أخرجه الترمذي في السنن ٦٧٩/٥، ح : (٣٩٢٦) وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٣/٩ رقم ٣٧٠٩) والحاكم في المستدرك ١ / ٤٨٦ ح ١٧٨٧ ، والطبراني في المعجم الكبير ٣٢٥/١٠ رقم ١٠٦٢٤، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

ومكث هنا ثلاثة أيام ولياليها بخطة دقيقة مدروسة يأتيهم الطعام والشراب والأخبار مع أناس معينين، ثم ارتحل من هناك إلى المدينة المنورة مع دليل كان مشركا وهو عبد الله بن أريقط، استأجره لهذا الغرض، وأخذ نحو اسبوع في الذهاب إلى المدينة .

وتبين من هذا أن في هذا الموقف الحرج الذي أشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1] ، لم يهتد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى طيّ الأرض فيطويها خلال لحظات وساعات، ولا أحد من صحابته الكرام البررة، ولا يعتقده أحد من أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، ولكن جماعة التبليغ ترى وتعتقد في أوليائهم أنهم كانوا يطوون مسافات بعيدة خلال لحظات، وكانوا يزورون المسجد الحرام كل يوم حال كونهم مقيمين في أرجاء العالم، بعيدين من مكة المكرمة .

وقد رأينا نماذج من هذا في قصة الخضر وغيره، وفيما يأتي نماذج من تلك الأباطيل والخرافات التي أوردها مصنف «تبليغي نصاب» في كتابه، فهو يروي عن بعض المشايخ أنه قال : « كنت بالمدينة الطيبة، فجئت عند القبر الشريف فإذا برجل أعجمي يودع النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعته لما خرج فلما بلغ ذا الحليفة صلى وأحرم، فصليت وأحرمت وخرجت خلفه، فالتفت إلي وقال: ماذا تريد ؟ فقلت: أريد أن أتبعك فأبى، فألححت عليه فقال : إن كان ولا بدّ فلا تضعْ قدمك إلا على أثر قدمي، فقلت: نعم، فمشى، فأخذ على غير الطريق، فلما مرّ هويٌ من الليل إذا بضوء سراج فالتفت إليّ وقال: هذا مسجد عائشة فتقدم أنت أو أتقدم أنا ؟ فقلت: ما تختار، فتقدم، ونمت أنا حتى إذا كان وقت السحر دخلت مكة فطفت وسعيت وجئت عند الشيخ أبي بكر الكتاني – رحمه الله – وجماعة من الشيوخ عنده قعود،

---

(١) – الأنفال ٣٠ .

فقال لي: متى قدمت ؟ قلت: الساعة، قال: من أين ؟ قلت: من المدينة، قال: متى خرجت منها؟ قلت: البارحة، فنظر بعضهم إلى بعض، فقال لي الكتاني: مع من جئت ؟ قلت : مع شيخ من حاله وقصته كذا كذا، قال: ذاك أبو جعفر الدامغاني – رحمه الله – وهذا في حاله قليل، ثم قال: قوموا فاطلبوه، ثم قال لي: قد علمت أن هذا ليس حالك، وقال: كيف كنت تحسُّ بالأرض تحت قدميك ؟ قلت: مثل الموج إذا دخل تحت السفينة » (١) .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « قال سهل بن عبد الله رحمه الله : إن من الأولياء عبد الله بن صالح كان له سابقة وموهبة من الله جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد، حتى أتى مكة، فأطال قيامه فيها، فقلت له: لقد طال مقامك بها، قال لي: لِمَ لا أقيم بها ولم أر بلدا ينزل فيه الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد ؟ والملائكة تغدو فيها وتروح، وإني أرى فيها أعاجب كثيرة، وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى لا يقطعون ذلك، ولو قلت كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين، فقلت له: أسألك بالله إلا ما أخبرتني بشيء من ذلك، فقال : ما من ولي كامل صحت ولايته إلا وهو يحضر هذا البلد في كل ليلة جمعة، فمقامي هنا لأجل أن أراهم، ولقد رأيت واحدا منهم يقال له: ما لك بن القاسم الجيلي، وقد جاء ويده غَمِرة(٢) ، فقلت له: إنك قريب عهد بالأكل، فقال لي: أستغفر الله فإني منذ أسبوع لم آكل، ولكن أطعمت والدتي وأسرعت لألحق صلاة الفجر، قال عبد الله: وبين مكة وبين الموضع الذي جاء منه مالك تسعمائة فرسخ(٣) ، ثم سألني عبد الله:

---

(١) – فضائل حج ١٩٥، روضض الرياحين ١٦٤ – ١٦٥ .

(٢) – غَمِرت يده فهي غَمِرة من الغَمَرة وهي ريح اللحم والسهك . الصحاح ٢ / ٧٧٣ .

(٣) – يقول الشيخ محمد زكريا: وقدر فرسخ ثلاثة أميال فأصبح ألفان وسبعمائة ميل . فضائل حج ١٨٣ .

فهل أنت مؤمن بذلك ؟ فقلت: نعم، قال: الحمد لله الذي أراني مؤمنا »[١] .

ولا نستغرب في هذا فإنه معتقد كبار علمائهم، فها هو الشيخ أشرف علي التهانوي – الذي أراد مؤسس الجماعة نشر تعليماته عن طريق الجماعة – يروي في كتابه عن الشيخ محمد إسماعيل عن الشيخ أحمد حسين قال: « وصلت إلى بيت الله فلقيت رجلا حكى لي عن نفسه فقال: ذهبت إلى المدينة وأقمت بها أياما فرأيت محمدا صلى الله عليه وسلم في الطواف، وأمرني أن أبايع على أيدي الأسرة الصابرية، فرجعت إلى مكة المكرمة وبايعت أحد المشايخ امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكنت أحضر إلى حضرة الحاج رضي الله عنه[٢] ، فقلت له يوما: سمعت من بعض المشايخ أن هناك طريقا لو سلكه أحد بعد صلاة الظهر يصلي العصر بالمدينة الطيبة ثم يعود ويصلي المغرب بمكة، فقال الشيخ إمداد الله: أما أنا فلا أعرف هذا الطريق، فقلت له: إن كنت لا تعرف ذلك فما حاجة البقاء في مكة ؟ ثم رجعت، وبعد أيام قال لي حضرة الحاج رضي الله عنه: هيأ بنا نخرج للتنزه، وأخذ بيدي في يده المباركة، وصعد بي فوق جبل ونزلنا منه فإذا نحن بالمدينة، فصلينا هناك، ثم رجعنا وصلينا الصلاة الثالثة في مكة المكرمة »[٣] .

ويذكر الشيخ محمد زكريا طريقة الحصول على كرامة طي الأرض فيقول : « إن عبد الواحد بن زيد رحمه الله كان يقسم ويقول : إن الله لا يزكي أحدا إلا أن يعيش جائعا

---

(١) – فضائل حج ١٨٣، الروض ١٤٨ – ١٤٩ .

(٢) – يريد به الحاج إمداد الله المهاجر المكي .

(٣) – الديوبندية ١٠٣ نقلا عن كرامات امدادية ٤٠ .

وبالجوع يمشي الولي على الماء، وبه يحصل طي الأرض » [(١)] .

أقول : هذه القصص من ضلالات الصوفية ومن منكراتهم وهي باطلة وغير مقبولة، إذ كيف يستطيع هؤلاء أن يقطعوا تلك المسافة البعيدة بوسائل النقل البدائية ولم يكن سيد البشر صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك لنفسه ولا أحد من أصحابه ولم يُنقل عنهم رضي الله عنهم كما أسلفت فكيف هؤلاء يتلاعب الشيطان بسفاهة عقولهم ، ولا يلزم أحد تصديق مثل هذه الدعاوي ؛ لأنّها لم تأت من المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وإن كان من الجائز أن يحمل الإنسان في وقت قصير إلى مسافة بعيدة عن طريق الجن ، ولكن هذا لا يدل ولاية الشخص الذي حدث منه ، ومن يزعم أنه ينقل من مكان إلى مكان في وقت قصير فقد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً .

ولمعرفة موقف علماء أهل السنة من مثل هذه الكرامات الزائفة أكتفي بذكر فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – حفظه الله – وفيما يلي نص السؤال والجواب:

السؤال : يقال إن هناك رجالا من رجال الحظوة وهم يحجون بدون وسيلة مواصلات، ويقال إنهم يحضرون الجنازة في مكة وهم أصلا موجودون في منطقة بعيدة جدا، فهل سخرت لهم الريح مثلا في تنقلاتهم ؟ نرجو التوجيه .

الجواب : هذه الأمور لا أصل لها في الشرع المطهر، وهي من خرافات بعض الناس الباطلة، وقد يدعيها بعض الصوفية الذين يزعمون أن لهم كرامات يستطيعون بها أن يصلوا إلى مكة بدون سيارات ولا طائرات ولا غير ذلك، وهذا من خرافاتهم وكذبهم، وقد يكون لبعضهم اتصال بالجن وعبادة الجن، فتحمله الجن إلى مكة وغيرها، كما ذكر ذلك

---

(١) – فضائل صدقات ٤١١

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم، فالخلاصة أن هذه الأخبار إما أن تكون من قبيل الخرافات التي يقولها بعض الصوفية وأشباههم من الذين يزعمون أنهم أولياء، ولهم كرامات، وهم كاذبون في ذلك .

وإما أن يكون من أولياء الشيطان فتحمله الشياطين وتنقله من مكان إلى مكان؛ لأنه عبدها وأطاعها، فلما خدمها وعبدها خدمته في النقل من مكان إلى مكان(١) .

* التجليات الإلهية*

من المجمع عليه عند أئمة المسلمين أنّ أحدا لا يرى ربه في الدنيا إذا لم تحصل الرؤية لموسى عليه السلام وقد بين القرآن أن موسى عليه السلام لم ير ربه فإنه لما طلب الرؤية أجابه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿لَنْ تَرَانِي﴾(٢) .

وتنازعوا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في ليلة المعراج ، ولكن الذي عليه الجماهير من أهل العلم أنه لم يره بعينه لقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن ذلك : « رَأَيْتُ نُوراً »(٣) وفي رواية أخرى : « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ »(٤) ولقوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) – انظر: مجموع فتاوى ابن باز ٤٠٨/٦ – ٤٠٩ .

(٢) – الأعراف ١٤٣ .

(٣) – أخرجه مسلم في الصحيح ١٦١/١، ح : ٢٩٢ – (١٧٨)، عن أبى ذر رضي الله عنه مرفوعا .

(٤) – أخرجه مسلم في الصحيح ١٦١/١، ح : ٢٩١ – (١٧٨) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » .

« وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى مِنْكُمْ أَحَدٌ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ » [(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه ، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، واتفقوا على أنّ المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً ، كما يرون الشمس والقمر » [(٢)] .

وقال : « وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة ؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أنّ أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت ، وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ذكر الدجال قال : « واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت » [(٣)] .

وقال رحمه الله : « وليس في الأدلة ما يقتضي أنه (صلى الله عليه وسلم) رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل ، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور ، أنى أراه » [(٤)] .

وقال : « وبالجملة أن كل حديث فيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه

---

(١) – أخرجه مسلم في الصحيح ٢٢٤٥/٤، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، ح : (١٦٩) تعليقا ، وأخرجه الترمذي في السنن ٤٤٠/٤ – ٤٤١، ح : (٢٢٣٥) عن ابن عمر مرفوعا .

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦ / ٥١٠ .

(٣) – المرجع السابق ٣ / ٣٨٩ .

(٤) – المرجع السابق ٦ / ٥٠٩ – ٥١٠ .

في الأرض ، وفيه : « أنه نزل له إلى الأرض ... » كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم » [(١)] .

وبعد ذكر هذا الموقف حينما نأتي إلى جماعة التبليغ نجد أنها تعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه كما رأى الجنة والنار في ليلة المعراج ، ويؤكد ذلك ما بين الشيخ محمد يوسف في إحدى محاضراته بلاهور إذ يقول : « لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه الله ذاته ، وأراه جنته وناره ... فرأى ذات الباري تعالى ورأى جنته وناره » [(٢)] .

كما تعتقد الجماعة أن الله جل وعلا قد يتجلى لبعض أفراد الأمة في صور مختلفة وسأذكر نماذج من حكايات الجماعة في هذا الباب التي أوردها الشيخ محمد زكريا في كتابه « تبليغي نصاب » حتى يتضح لنا موقفهم منه، فهو يقول عن الشبلي أنه قال : « مررت بمجنون والصبيان يرجمونه بالحجارة، فزجرتهم عنه، فقالوا: يزعم أنه يرى ربه – قال الشبلي: فتقدمت إليه فوجدته يحدث نفسه ويقول: جميل منك أن تسلط عليّ هؤلاء الصبيان، فقلت له : يقول عنك هؤلاء الصبيان شيئا ؟ فقال: ما الذي يقولون عني؟ فقلت له: يقولون إنك ترى ربك، فصاح صيحة وقال: يا شبلي، وحق من تيمنى بحبه وهيمني بين عبده وقربه لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم أنشد هذا البيت وولّى مدبرا .

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب » [(٣)]

---

(١) – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣ / ٣٨٩ . .

(٢) – حضرت جى كى يادكار تقريرين ١١ – ١٢ .

(٣) – فضائل ذكر ١٦١ – ١٦٢، روض الرياحين ١٠٩ – ١١٠ .

وينقل قصة عن المسامرات لابن عربي فيقول : « قال موسى بن محمد - رحمه الله : ذات مرة كان يطوف رجل عجمي، وهو رجل صالح متدين، وأثناء طوافه وقع في مسامعه صوت خلخال امرأة كانت تطوف أيضا فبدأ يحدق ببصره إليها، فخرجت يد من الركن اليماني ولطمته لطما شديدا حتى خرجت عينه، وصدر صوت من جدار بيت الله الحرام: بأنك تطوف بيتي وتنظر إلى غيري وهذه اللطمة بهذه النظرة، وإن ارتكبت جريمة في المستقبل فأعاقبك بمثلها » [١] .

ويقول : « قال ذو النون المصري رحمه الله : رأيت شابا عند الكعبة المشرفة يكثر الركوع والسجود، فقلت له: إنك لتكثر الصلاة، فقال: أستأذن في الانصراف، إذ رأيت رقعة سقطت من فوق مكتوب فيها: من الله العزيز الغفور إلى عبدي الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » [٢] .

* شطحات أخرى *

يقول الشيخ محمد زكريا : « قال بعض الصالحين : كنت مع قافلة فرأيت امرأة تمشي قدام القافلة، وظننت أنها تمشي قدام القافلة لكي لا تفوتها، وكانت معي دراهم فأخرجتها من جيبي وقلت لها: خذيها وإذا مكثت القافلة في المنزل، فتقابليني وأنا أجمع التبرعات من أهل القافلة وأعطيها إياك فتكتري بها، فرفعت يدها في الهوا أخذت شيئا في كفها فإذا هي دنانير فمنحتني وقالت: أنت أخذت من الجيب وأنا أخذت من الغيب » [٣] .

---

(١) - فضائل حج ٨٣ .

(٢) - فضائل حج ١٨٣، الروض الفائق ٩٤ .

(٣) - فضائل حج ١٩٠، الروض الفائق ١٤٧ .

ويقول : « قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : أتيت عثمان رضي الله عنه لأسلم عليه – وهو محصور – فقال: مرحبا بأخي، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة، فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم، قال: عطشوك؟ قلت: نعم، فأدلى لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رُويتُ حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، فقال: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده، فقُتل ذلك اليوم، رضي الله عنه وأرضاه »(١) .

أقول : إنّ هذا الأثر رواه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف في « المنامات » (٢).

وللأسف أن الشيخ محمد زكريا لم يشر إلى ضعفه ولا إلى أنه رؤيا منامية ، بل حذف منه كلمة « الليلة » التي وردت في الأثر وهي دالة على أنه كان مناما .

---

(١) – فضائل حج ١٣٢، الحاوي ٤٤٨/٢ .

(٢) –رواه الحافظ ابن أبي الدنيا ، قال : حدثنا أبو بكر ، نا إسحاق بن إسماعيل ، نا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فضالة ، عن مروان بن أبي أمية ، عن عبد الله بن سلام ، قال : أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه ، فقال : مرحباً يا أخي ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة ... إلخ . المنامات للحافظ ابن أبي الدنيا ص ٧٩ – ٨٠ رقم ١٠٩ .

ترجمة رجال الإسناد :

إسحاق بن إسماعيل : هو إسحاق بن إسماعيل الطالقاني أبو يعقوب يعرف باليتيم ، ثقة تكلم في سماعه من جرير وحده ، من العاشرة ، توفي سنة ٢٣٠ هـ . انظر : تقريب التهذيب ١ / ٥٦ رقم ٣٨٣ ، تهذيب التهذيب ١ / ٢٢٦ رقم ٤١٨ .

يزيد بن هارون : هو ابن زاذان السلمي مولاهم ، أبو خالد الواسطي ، ثقة متقن عابد ، من التاسعة ، توفي سنة ٢٠٦ هـ . انظر : تقريب التهذيب ٢ / ٣٧٢ رقم ٣٤٠ ، تهذيب التهذيب ١١ / ٣٦٦ رقم ٧١١ . =

ويقول الشيخ محمد زكريا : « قال الشيخ أبو الربيع رحمه الله : سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان اسمها فضة، وكان من دأبنا أن لا نزور امرأة، ولكننا سمعنا من أحوالها التي رغبتني في زيارتها للاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التي هي بها، فذكروا لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا، فاشترينا قدحا جديدا ثم مضينا إليها وقلنا لها نريد أن نشاهد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة، ثم أحضرت لنا الشاة فحلبناها فوجدناه لبنا وعسلا كما وصف فشربنا ثم سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة، فقالت: نحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها، وفي يوم الأضحى قال لي زوجي: امضي بنا حتى نذبح هذه الشاة، فقلت له: لا تفعل ذلك، فإن الله قد رخص لنا في الترك، وهو يعلم حاجتنا إليها، فبينما نحن كذلك إذ جاءنا ضيف في ذلك اليوم، فقلت له: هذا ضيف وقد أمرنا بإكرامه، فخذ تلك الشاة واذبحها، وخطر ببالي أن تبكي عليها صغارنا، فقلت له: خذها واخرج بها من البيت، واذبحها وراء الجدار، فأخذها ومضى فلما أراق دمها فرفرفت [(١)] من أعلى الجدار ونزلت إلينا، فحسبت أنها قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها، فإذا هو يسلخ فيها، فقلت له: رأيت عجبا، وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت

= فرج بن فضالة : هو ابن النعمان التنوخي الشامي ، ضعيف ، من الثامنة ، مات سنة ١٧٩ هـ ، قال البخاري ومسلم : منكر الحديث ، وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لا يحل الاحتجاج به ، وقال الحاكم : هو ممن لا يحتج به .

انظر : تهذيب التهذيب ٨ / ٢٦٠ - ٢٦٢ رقم ٤٨٥ ، تقريب التهذيب ٢ / ١٠٨ رقم ١٥ .

مروان بن أبي أمية : لم أقف على ترجمته .

الحكم على سند الأثر: بعد دراسة السند اتضح أنه ضعيف ، ففيه راو ضعيف وآخر مجهول .

(١) – رفرف : أسرع وقارب الخطو . المعجم الوسيط ٢/٦٨٥ .

من أعلى الجدار فقال: لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها، فهذه هي الشاة التي تحلب لبنا وعسلا، وهذا كله ببركة إكرام الضيف .

ثم قالت : يا أولادي إن شويهتنا هذه ترعى في القلوب، فإذا طابت قلوبكم طاب لبنها، وإذا تغيرت قلوبكم تغير لبنها، فطيّبوا قلوبكم » (١) .

قبل نهاية هذا المبحث أحب أن أنقل ما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم في مناقشة هذا الباب فهو يقول : لمناقشة خوارق العادة عند الصوفية يجب أخذ فكرة - ولو موجزة - عن تلك المخلوقات التي ترانا ولا نراها، والتي يجري خبثاؤها من ابن آدم مجرى الدم، هذه المخلوقات هي الجن، وخبثاؤها هم شياطين الجن ... لهم قدرات وخواص مادية وتشريحية وفيزيولوجية ونفسية، تختلف كثيرا عما يقابلها لدى الإنسان ومن أهمها :

١ - يستطيعون الترائي للإنسان بأشكال مختلفة وحجوم متنوعة .

٢ - يستطيعون عندما يتراؤون ألا يراهم أحد من الناس إلا من يريدونه أن يراهم .

٣ - وإن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، وبذلك يستطيع أن يدغدغ مراكز الحس التي يريد فيثير البسط والقبض واللذة والانزعاج، والتجلي الجمالي والتجلي الجلالي مع العلم أن هذه الإحساسات وأمثالها لها في الأساس أسباب فيزيولوجية .

٤ - يستطيعون قطع المسافات بسرعات كبيرة، فقد يقطعون في الثانية الواحدة مسافة كيلو مترات .

٥ - يستطيع الواحد منهم (أو بعضهم) حمل ثقل يعجز عنه عدد من أفراد الإنس .

٦ - يظهر أن للجن متعة خاصة بالتلهي بين الإنسان والتلاعب بعقولهم وعواطفهم

---

(١) - فضائل صدقات ٥٥١، روض الرياحين ١٣٠ - ١٣١ .

وملازمتهم .

بهذه الميزات وبغيرها يستطيع شياطين الجن أن يصنعوا لوليهم العارف بعض الأعمال الخارقة للعادة، فقد يأتونه بخبر جديد من بلد بعيد بعد وقوعه بدقائق، فيخبر به الناس الذين عند ما يتأكدون من وقوعه يعتبرونه كرامة من كرامات الشيخ .

وقد يوسوسون لإنسان ما بفكرة ما ثم يلقونها إلى الشيخ فيخبر بها، فيعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ .

وقد يلقي الشيطان إلى الشيخ أسماء أشخاص لا يعرفهم، فينبئهم بها، فيعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ، وقد يكون الشيخ في بلد ما في وقت ما ويتمثل به شيطان في بلد آخر في نفس الوقت، وقد يتمثل به شيطان ثالث في بلد ثالث في نفس الوقت أيضا فيرى أهل كل بلد أن الشيخ كان عندهم في ذلك الوقت دون أن يعرفوا - لجهلهم - أنها خدعة شياطين، ويعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ .

وقد يتراءى شيطان أو شياطين أمام الشيخ بشكل شخص أو أشخاص غائبين أو أموات، فيعدها الشيخ كرامة له، وقد يتراءى شيطان أمام الشيخ بشكل ما ويوهمه أنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد غيره من الأنبياء .

وقد يتراءى شيطان أو أكثر أمام الشيخ بشكل أشباح تتطاير فيظنهم من الملائكة أو من أرواح الأولياء .

وقد يحمل الشيطان وليه العارف في الهواء، وينقله من مكان إلى مكان، وقد يمشي به على سطح الماء ... وقد ... إلى آخر ما يسمونه - جهلا أو افتراء - الكرامات ، والتي لا تزيد عن كونها ألاعيب شياطين يخدعون بها وليهم العارف ثم يخدعون به وبها الآخرين[١] .

اللهم اهدنا وإياهم الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، آمين .

---

(١) - الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ٦٤٧ - ٦٥٠ ملخصا .

* المبحث السابع *

الدعاوي والمبالغات

إن من ميزات هذه الأمة أنها أمة وسط كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (١)، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه ، وكون الإنسان معتدلا لا يميل إلى هذا ولا إلى هذا ، هو الواجب ، وقد ضل كثير من الناس الذين انحرفوا عن هذا المنهج القويم فاجتاحهم الشياطين عن الصراط المستقيم ، ومما يؤسف له أنني أجد كثيرا من الدعاوي والمبالغات – التي نسبها الشيخ محمد زكريا إلى العلماء والصوفية والأولياء – وهي في تصوري تتنافى مع الشريعة الإسلامية الغراء ، وإليكم نماذج منها :

* المبالغة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم *

يقول الشيخ محمد زكريا : « إن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رحمه الله فقالت له: يا شيخ، توفيت لي بنية، وأريد أن أراها في المنام، فقال لها الحسن : صلي أربع ركعات، واقرأي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة التَّكَاثُرُ مرة وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة، ثم اضطجعي وصلي على النبي صلى الله عليه وسلم حتى تنامي .

ففعلت ذلك، فرأتها في النوم، وهي في العقوبة والعذاب، وعليها لباس القطران، ويداها مغلولة، ورجلاها مسلسلة بسلاسل من النار، فلما انتبهت جاءت إلى الحسن فأخبرته بالقصة، فقال لها: تصدقي بصدقة لعل الله يعفو عنها .

---

(١) – البقرة ١٤٣ .

وبنام الحسن تلك الليلة فرأى كأنه في روضة من رياض الجنة، ورأى سريرا منصوبا وعليه جارية حسناء جميلة، وعلى رأسها تاج من نور، فقالت: يا حسن، أتعرفني ؟ فقال: لا، فقالت: أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لها الحسن : إن أمك وصفت لي حالك بغير هذه الرواية، فقالت له : هو كما قالت، قال: فبماذا بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت: كنا سبعين ألف نفس في العقوبة والعذاب كما وصفت لك والدتي فعبر رجل من الصالحين على قبورنا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة وجعل ثوابها لنا فقبلها الله عز وجل منه وأعتقنا من تلك العقوبة والعذاب ببركة الرجل الصالح، ويلغ نصيبي ما قد رأيته وشاهدته » (١) .

* ويحكي عن أبي الحسن البغدادي الدارمي « أنه رأى أبا عبد الله بن حامد بعد موته مرارا في المنام، وأنه قال له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي ورحمني، وأنه سأله عن عمل يدخل به الجنة، فقال: صلّ ألف ركعة تقرأ في كل ركعة ألف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾ وأنه قال: لا أطيق ذلك فقال له: فصلّ على محمد صلى الله عليه وسلم ألف مرة كل ليلة، وذكر الدارمي أنه يفعل ذلك كل ليلة » (٢) .

ويقول : « حكى الفاكهاني رحمه الله في كتابه « الفجر المنير » قال: أخبرني الشيخ الصالح موسى الضرير رحمه الله أنه ركب في مركب وكاد أن يغرق إذ جاءني النعاس فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي : قل لأهل المركب أن يقولوا : ألف مرة : اللّهم صل على محمد تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتُطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتُبلّغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات، فصلينا نحو ثلاث مائة مرة فنجا

(١) – فضائل درود ١٠٠ – ١٠١ ، القول البديع ١٣١ .

(٢) – فضائل درود ٩٣ – ٩٤، القول البديع ١١٧ – ١١٨ .

المركب منه » (١) .

ويقول : « إذا قلت الحسنات لمؤمن يوم القيامة فيخرج الرسول صلى الله عليه وسلم بطاقة مقدار أنملة، فتثقل كفة الحسنات فيسأله المؤمن : فداك أبي وأمي من أنت ؟ وما أجمل صورتك وسيرتك، فيقول صلى الله عليه وسلم : أنا نبيك وهذه الصلاة التي قرأتها عليّ فأنا أدّيتها وقت حاجتك » (٢) .

إذاً الذي يحصي الصلاة هو النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي يضعها في الميزان ، نعوذ بالله من هذا البهتان .

ويقول الشيخ محمد زكريا : « إن امرأة كان لها ولد مسرف على نفسه، وكانت تأمره بالخير وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، والقضاء غالب عليه فمات وهو مصر على ما كان عليه، فحزنت عليه أمه حزنا شديدا حيث مات على غير توبة، فتمنت أن تراه في المنام فرأته وهو يعذب فازدادت عليها حزنا، فلما كان بعد مدة رأته وهو على هيئة حسنة في فرح وسرور، فسألته عن حاله بم نلت هذه المنزلة ؟ فقال : اجتاز رجل مسرف على نفسه بالتربة التي أنا فيها، فنظر إلى القبور وتفكر في البعث والنشور فبكى على زلته وندم على خطيئته، وتاب إلى الله عزوجل، وقرأ شيئا من القرآن وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين مرة، وأهدى ثوابها لأهل التربة التي أنا فيها، فقسم ثوابه علينا، فنالني من ذلك خير ما ترين .

يا أماه! إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نور في القلوب وتكفير للذنوب ورحمة للأحياء والأموات » (٣) .

* ويقول : « قال بعض الصوفية : كان لي جار مسرف على نفسه، لا يعرف من

---

(١) – فضائل درود ٨٨ – ٨٩ ، البديع ٢١٩ .

(٢) – فضائل درود ٨٨ .

(٣) – فضائل درود ١٠١ – ١٠٢، الروض الفائق ٤ – ٥ ، ٢٩٨ .

سكره يومه من أمسه، وكنت أعظه فلا يقبل، وآمره بالتوبة فلا يفعل، فلما مات رأيته في المنام في أرفع مقام، وعليه من حلل الجنة لباس الإعزاز والإكرام، فقلت له: بم نلت هذه المنزلة والمقام فقال : حضرت يوما مجلس الذكر فسمعت المحدث يقول: من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت أنا صوتي معه ، ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعا »[١] .

* ويقول : « قال السخاوي : يروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد مسرف على نفسه فلما مات رموا به فأوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن يغسله ويصلّي عليه فإني قد غفرت له، قال: يا رب، وبم ذلك ؟ قال: إنه فتح التوراة يوما فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه، وقد غفرت له بذلك » .

يقول الشيخ محمد زكريا : « لا إشكال في مثل هذه القصص » .

ويبين عن بعض أكابر أسرته : « أنهم كانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم مائة وخمس وعشرين ألف مرة (١٢٥٠٠٠) يوميا »[٢] .

* المبالغة في الاجتناب عن الطيبات *

* ويقول الشيخ محمد زكريا : « روي أن وليا لقي راهبا وتحدثا فيما بينهما حتى دعاه الولي إلى الإسلام، وذكر الراهب أثناء كلامه أن المسيح عليه السلام كان يتجوع أربعين يوما، فقال له الولي: إن تجوعت خمسين يوما هل تسلم ؟ فقال: نعم، فمكث عنده ولما أتم خمسين يوما قال : هذا ما وعدته وأزيد عليه عشرة أيام فتجوع عشرة أيام أيضا

---

(١) – فضائل درود ٩٢، الروض الفائق ٢٩٨/٤ .

(٢) – فضائل درود ١٢ .

إضافة عليها، وأكل بعد ستين يوما كاملا، فتحير الراهب وأسلم »(١) .

* ويقول : « إن الشيخ سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه كان يعيش عشرين عشرين يوما جائعا، وكان مقدار غذائه لطول السنة مثقال درهم، وكان يرغّب للجوع »(٢) .

ويقول : « كان لا يأكل في خمسة عشر يوما إلا مرة واحدة، وفي رمضان لقمة واحدة فقط، ولا يفطر إلا بالماء وذلك اتباعا للسنة »(٣) .

* ويحكي عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه أنه قال : « خرجت ذات مرة إلى الغابة إذ قابلت في الطريق راهبا نصرانيا وهو شدّ الزنار(٤) على ظهره، فأبدأ رغبته أن يرافقني، فاستصحبته، فمشينا سبعة أيام لم نستطعم فيها بطعام ولا شراب، وفي اليوم السابع قال الراهب: يا محمدي، هات ما عندك من الفتوحات، فتوجهت إلى الله تعالى وقلت: إلهي لا تفضحني بين يدي عدوي، فما أتممت دعائي حتى نزل لنا طبق فيه خبز ولحم مشوي ورطب وإبريق ماء، فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام آخر، وفي اليوم السابع ابتدرت الراهب حتى لا يكلفني مرة ثانية وقلت له: هات ما عندك لأن النوبة نوبتك، فتوكأ على عصاه ودعا واقفا وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي، فثارت الغيرة في نفسي وشحب وجهي، وتحيرت وحزنت حتى أبيت أن آكل، فألح عليّ، فلم أجبه، فقال : كل فإني أبشرك ببشارتين :

إحداهما : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وحَلَّ الزنار .

والأخرى : حينما دعوت للطعام قلت : اللهم إن كانت لهذا المحمدي عندك مرتبة

---

(١) – فضائل صدقات ٤١٦ – ٤١٧ .

(٢) – فضائل صدقات ٤١٠ .

(٣) – فضائل رمضان ٢٥ .

(٤) – الزُنَّار : حزام يشده النصراني على وسطه . المعجم الوسيط ٤٠٣/١ .

فأطعمنا بوسيلته .

فأكلنا ومشينا حتى انتهينا إلى مكة المكرمة، وحججنا، وهو توفي بها ، غفر الله له » (١) .

* ويحكي عن الشاه عبد الرحيم الرائيفوري : « أنه يمضي أياما لا يتناول في السحور ولا في الفطور إلا فنجانا من الشاي بغير الحليب، ومرة ألح عليه خادمه الخاص مولانا الشاه عبد القادر وقال: إذا كان الحال هكذا يزداد الضعف، فقال الشاه عبد الرحيم: الحمد لله أذوق طعم الجنة » (٢) .

وكل هذا يذكره الشيخ محمد زكريا في فضائلهم، ولا أدري أية فضيلة هي، وقد أمر الله المؤمنين أن يتمتعوا ويأكلوا مما رزقهم الله حلالا طيبا، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٣) .

(١) – فضائل صدقات ٥٥٥ – ٥٥٦، روض الرياحين ١٨٨ .

(٢) – فضائل رمضان ٣٠ .

(٣) – المائدة ٨٧ – ٨٨ .

* لا تأخذهم سنة ولا نوم *

كتب الشيخ محمد زكريا عن سيد [١] « أنه صلى جميع الصلوات اثني عشر يوما بوضوء واحد ولم يضطجع خمسة عشر عاما متواصلا، وتمضي الأيام وهو لا يذوق شيئا».

ثم يقول : « ويوجد مثل هذا في أهل المجاهدة كثيرا » [٢] .

* وقال: « إن عمر بن عبد العزيز ما احتاج إلى غسل الجنابة منذ ولي الخلافة »[٣] .

* وقال : « يقول الجنيد البغدادي رضي الله عنه : ما رأيت عابدا أكثر عبادة من الشيخ السري السقطي رضي الله عنه، لم يره أحد مضطجعا ثمان وتسعين سنة إلا في مرض موته » [٤] .

* ويقول : « اعتكف الشيخ أبو محمد جريري رضي الله عنه بمكة المكرمة سنة كاملة فلم ينم البتة، ولم يكلم أحدا، ولم يركن إلى خشبة أو جدار طيلة هذه المدة » [٥] .

* ويقول : « قال عبد الله بن داود : إنّ هؤلاء الأولياء إذا بلغ أحدهم أربعين سنة فيلف فراشه يعني ينتهي دور النوم له » [٦] .

* ويقول : « قال الربيع رضي الله عنه : جئت إلى أويس القرني رضي الله عنه فجلس يسبح الله تعالى بعد ما صلى الصبح فخطر ببالي أن لا أحرجه فجلست في انتظاره إلى فراغه ولكنه جلس يسبح حتى حان وقت الظهر، فقام يصلي حتى حان وقت

---

(١) – يعني بالسيد من آل البيت .

(٢) – فضائل صدقات ٤٢٨ .

(٣) – فضائل نماز ٦٤ .

(٤) – فضائل صدقات ٤٢٨ .

(٥) – المرجع السابق ٤٢٨ .

(٦) – المرجع السابق ٤٢٩ .

العصر، وصلى العصر ثم جلس في مكانه إلى المغرب ثم صلى المغرب والعشاء ولم يبرح إلى الصبح، وجلس في اليوم الثاني بعد صلاة الصبح إذ جاءه النعاس فانتبه وقال: اللّهم إني أعوذ بك من عين تنام مرة بعد مرة ... » [١]

* ويقول : « إن إبراهيم بن أدهم رحمه اللّه كان لا ينام في رمضان لا في النهار ولا في الليل » [٢].

* ويقول : « قال شخص : إني ذهبت إلى إبراهيم بن أدهم، وبعد ما صلى العشاء اضطجع في عبائه على جنب إلى الصبح لم يتحرك ولم يغير جنبه، فلما قام في الصبح صلى بلا وضوء، فقلت له: رحمك اللّه، نمت طول الليل وصليت بلا وضوء، فقال: كنت أجري طول الليل تارة في رياض الجنة وتارة في عقبات النار، فأنّى أنام في هذه الحالة » [٣].

* ويقول : « إنّ صلاة الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة للإمام أبي حنيفة رحمه اللّه أمر معروف لا يتطرق إليه مجال الشك[٤]، وبإنكاره يلزم عدم الثقة والاعتماد علي التاريخ » [٥].

* ويقول : « هكذا كان الشيخ عبد الواحد رحمه الله من مشاهير الصوفية ، صلى أربعين سنة صلاة الصبح بوضوء العشاء[٦] ، وكذلك أبو المعتمر، وقد ثبت بالتواتر عن

---

(١) – فضائل صدقات ٤٢٩ .

(٢) – فضائل رمضان ٣٩ .

(٣) – فضائل صدقات ٤٣٠ .

(٤) – المرجع السابق ٣٤ .

(٥) – فضائل رمضان ٣٩ ، فضائل نماز ٦٦ .

(٦) – نفس المرجعين .

أربعين تابعيا أنهم كانوا يصلون صلاة الصبح بوضوء العشاء » [(١)] .

* ويقول : « يروى عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه صلى صلاة الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة » [(٢)] .

* ويقول : إن أبا عتاب السلمي كان يبكي الليل كله أربعين سنة، ويصوم النهار دائما » [(٣)] .

ويقول الشيخ محمد زكريا بعد ذكر هذه القصص : « وغير هذه آلاف بل مئات آلاف واقعة لأهل التوفيق مذكورة في كتب التواريخ يصعب إدراكها، على سبيل المثال والنموذج يكفي هذا، أسأل الله أن يوفقنا ومن يطلع عليها بلطفه وفضله اتباع هؤلاء، آمين » [(٤)] .

أقول : إن المسلم مكلف باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، له أسوة حسنة فيه كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [(٥)] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » [(٦)] .

---

(١) – نفس المرجع .

(٢) – فضائل رمضان ٣٩، فضائل نماز ٦٦ .

(٣) – فضائل نماز ٦٦ .

(٤) – فضائل نماز ٦٦ – ٦٧ .

(٥) – الأحزاب ٢١ .

(٦) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١٩٤، ح : (٦٣١) وفي الصحيح ٧ / ١٠١ – ١٠٢، ح : (٦٠٠٨) ، وفي الأدب المفرد (٢١٣) ومسلم في الصحيح ٤٦٥/١، ح : (٦٧٤) وابن خزيمة (٣٩٨) وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٥٤١/٤، ح : (١٦٥٨) عن أبي سليمان مالك بن الحويرث، مرفوعا .

وقد ثبت أنه لم يصل الليل كله ﷺ مع أن قيام الليل كان عليه واجبا، بل عالج الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من أحداث الغلو العملي في عصره كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبي صلى الله عليه وسلم يَسْأَلونَ عَن عِبادةِ النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخْبِروا كأنَّهم تَقَالُّوهَا، فقالوا : وأين نحن مِن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غُفِر له ما تقدم مِن ذَنبه وما تأخَّرَ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلّي الليلَ أبداً، وقال آخر : أنا أصوم الدهرَ ولا أفطر، وقال آخر : أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوج أبدا، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَنتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي »[1] .

وقد روى مسلم أنه : « ما كان صلى الله عليه وسلم يصلي الليل كله »[2] .

ويقول العلامة الألباني فيما روى عن الإمام أبي حنيفة وغيره : « ولو كان إحياء كل الليل أفضل لما فاته صلى الله عليه وسلم، وخير الهدي هدي محمد، ولا تغتر بما روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء فإنه مما لا أصل له عنه، بل قال العلامة الفيروز آبادي في « الرد على المعترض » ٤٤/١: وهذا من جملة

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٦ / ٤٣٧، ح : (٥٠٦٣)، ومسلم في الصحيح ١٠٢٠/٢، ح : ٥ – (١٤٠١)، وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ١٩٠، [١٤، و٢ ٢٠، ح : ٣١٧) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) – أخرجه مسلم في الصحيح ١ / ٥١٢ – ٥١٤، ح : ١٣٩ – (٧٤٦)، وأبو داود في السنن ٢ / ٤٠ – ٤١، ح : (١٣٤٢) في حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها .

الأكاذيب الواضحة التي لا يليق نسبتها إلى الإمام، فما في هذا فضيلة تذكر، وكان الأولى بمثل هذا الإمام أن يأتي بالأفضل، ولا شك أن تجديد الطهارة لكل صلاة أفضل وأتم وأكمل .

هذا إن صح أنه سهر طوال الليل أربعين سنة متوالية، وهذا أمر بالمحال أشبه، وهو من خرافات بعض المتعصبين الجهال، قالوه في أبي حنيفة وغيره، وكل ذلك مكذوب »[١] .

وبعد هذا العرض ننظر إلى الجماعة ومنهجهم فنجد أنهم يذكرون القصص والحكايات التي لا يصدقها العقل ولا يقررها النقل، وها هي نماذج منها :

* المبالغة في الصلاة *

* يقول الشيخ محمد زكريا : « كُتب عن شيخ أنه كان يصلي يوميا ألف ركعة قائما، وإذا تعبت رجله يصلي ألف ركعة جالسا ثم يجلس بعد العصر ويدعو الله تعالى ... »[٢]

أقول : في الليل والنهار ٢٤ ساعة التي تساوي ١٤٤٠ دقيقة، وفيها ألفا ركعة ثم الجلوس بعد العصر للدعاء، ولا يخفى على عاقل أن الاحتياجات البشرية الأخرى من النوم والأكل والشرب وقضاء الحاجات وغيرها ملازمة مع البشر، فكيف تتم هذه العبادات في هذه المدة المحدودة ؟

* ويقول الشيخ محمد زكريا : « وكان كهمس بن حسن رضي الله عنه يصلي ألف

---

(١) – صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ٨٩ .

(٢) – فضائل صدقات ٤٢٨ .

ركعة في كل ليلة، ويخاطب نفسه فيقول : قومي يا أم الخبائث للصلاة، ولما ضعف ضعفا شديدا صلى خمسمائة ركعة، ويبكي على أنه ذهب شطر عمله » (١) .

انظروا إلى هذه المبالغة لو اعتبرنا الليل عشر ساعات على الأكثر فيساوي ٦٠٠ دقيقة، وفيها يصلي ألف ركعة من غير الاحتياجات البشرية ... فكأن كل ركعة في نصف دقيقة، فأين الخشوع والاعتدال في الصلاة اللذين أمر بهما المصطفى صلى الله عليه وسلم والذي قال : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » (٢) .

* ويقول الشيخ محمد زكريا : « كان زين العابدين رضي الله عنه يصلي ألف ركعة يوميا » (٣) .

* ويقول : « كان أويس القرني رحمه الله يبيت الليلة الكاملة في سجدة واحدة » (٤) .

* ويقول : « قالت زوجة مسروق رضي الله عنه أنّ ساقه كانت تتورم لقيامه طول الليل، وحينما ينهمك في صلاته أجلس وراءه أبكي على حاله » (٥) .

---

(١) – فضائل صدقات ٤٢٩ .

(٢) – فضائل صدقات ٤٢٩ . والحديث أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١٩٤، ح : (٦٣١) وفي ٧ / ١٠١ – ١٠٢، ح : (٦٠٠٨) ، وفي الأدب المفرد (٢١٣) ومسلم في الصحيح ٤٦٥/١، ح : (٦٧٤) وابن خزيمة (٣٩٨) وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٥٤١/٤، ح : (١٦٥٨) عن أبي سليمان مالك بن الحويرث، مرفوعا .

(٣) – فضائل نماز ٨١ .

(٤) – المصدر السابق ٨٢ .

(٥) – فضائل صدقات ٤٢٧ .

* ويقول : « إن رابعة العدوية رحمها الله – ولية مشهورة – كانت تصلي الليل كله وتنام قليلا بعد طلوع الصبح الصادق وإذا أفصح الصبح تقوم فزعة وتلوم نفسها وتقول إلى متى تنامين [(١)] » ؟

ولنتذكر هنا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال: « فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَنكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ » [(٢)] .

فأي فضيلة في هذه العبادة التي تخالف المنهج النبوي القويم، والقوى البشرية لا تتحملها فلا يصدقها ذو عقل سليم، وهناك أحاديث صحيحة ثابتة كثيرة في أهمية الصلاة وفضلها وأنها ركن من أركان الإسلام إلى آخره، وفي تحذير من تركها، وعلى الرغم من هذا نجد أمراء الجماعة يستندون إلى ما لم نجده في كتب الحديث كما قال الشيخ محمد يوسف في إحدى محاضراته : « وكانت من آخر ألفاظ المصطفى صلى الله عليه وسلم في

---

(١) – فضائل ذكر ٩٢ .

(٢) – أخرجه أبو داود في السنن ٤٨/٢، ح : (١٣٦٩)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠٣٧٥) والإمام أحمد في المسند ٢٢٦/٦، ٢٦٨، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٨٥/١، ح : ٩) والطبراني في الكبير ٢٥/٩، ح : (٨٣١٩) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا .

وقال الهيثمي في المجمع ٣٠١/٤ : وأسانيد أحمد رجاله ثقات إلا أن طريق إني أخشاكم أسندها أحمد ووصلها البزار برجال ثقات .

آخر أوقاته : « الصَّلاةَ الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » [(١)] ثم « الصَّلاةَ الصَّلاةَ » فقط، وبعد انتقاله أصغى الصحابة آذانهم إلى صدره فسمعوا « الصَّلاةَ الصَّلاةَ » [(٢)] .

مع العلم أنك لا تجد في كتب السنة ما قاله الشيخ محمد يوسف من إصغاء الصحابة آذانهم إلى صدره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وسماعهم « الصلاة الصلاة » .

* المبالغة في قراءة القرآن *

* يقول الشيخ محمد زكريا : « يقول أبو بكر المطوعي رحمه الله : كان من عادتي في شبابي أن أقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إحدى وثلاثين أو أربعين ألف مرة يوميا- شك الراوي » [(٣)] .

---

(١) - أخرجه ابن حبان كما في (الإحسان ١٤/٥٧٠ - ٥٧١، ح : ٦٦٠٥، وأبو داود في السنن ٢/٣٣٩، ح : (٥١٥٦) والإمام أحمد في المسند ٣/١١٧، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/٢٣٥، وابن ماجة في السنن ٢/٩٠٠ - ٩٠١، ح : (٢٦٩٧) و (٢٦٩٨)، والحاكم في المستدرك ٣/٥٧، عن أنس مرفوعا .

وأخرجه ابن ماجة في السنن ٢/٥١٩، ح : (١٦٢٥)، والإمام أحمد في المسند ٦/٣١١، ٣٢١، من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١٢/٥٤٠ : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته .

(٢) - حضرت جى كى يادگار تقريرين ٣٥ .

(٣) - فضائل صدقات ٤٣٠ .

وبحساب بسيط تتبين استحالة ذلك ، فقراءة « قل هو الله أحد » تستغرق خمس ثوان وعلى هذا قراءة أربعين ألف مرة تستغرق مائتي ألف ثانية ، وهي تساوي تقريبا ٥٥ ساعة والمعروف في الليل والنهار ٢٤ ساعة ، فأنى له هذا ؟ ولكن القوم لا يستحيون من إيراد هذه المبالغات .

* ويقول : « كان الإمام أبو حنيفة والشافعي يختمان ستين ختمة للقرآن في رمضان يعني ختمتين يوميا، حتى الإمام أبي حنيفة كان يختم إحدى وستين ختمة » [(١)] .

* ويحكي عن عثمان رضي الله عنه : « أنه كان يختم القرآن كله في ركعة واحدة في الوتر أحيانا » [(٢)] .

* ويقول : « قرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه في الكعبة القرآن كله في ركعتين » [(٣)] .

* ويقول : « قال أبو الشيخ هنائي : إني ختمت ختمتين للقرآن في ليلة واحدة وعشرة أجزاء منه ولو شئت لأتممته أيضا » [(٤)] .

* ويقول : « إن صالح بن كيسان حينما سافر للحج فكان يختم في الطريق كل ليلة ختمتين في الغالب » [(٥)] .

---

(١) – فضائل صدقات ٣٤، فضائل رمضان ٣٩، فضائل نماز ٦٦، فضائل قرآن ٤٥ .

(٢) – فضائل قرآن ٤٤ .

(٣) – المصدر السابق .

(٤) – المصدر السابق .

(٥) – المصدر السابق .

* ويقول : « إن منصور بن زاذان كان يقرأ في صلاة الضحى كامل القرآن، والثاني بين الظهر والعصر، ويقوم الليل كله [١] وكان سليم بن عتر يختم ثلاث ختمات في كل ليلة » [٢] .

* « ويحكي عن ابن الكاتب : « أنه كان يختم ثمان ختمة القرآن الكريم في اليوم والليلة » [٣] .

وبعد ما اطلعنا على نماذج من هذه المبالغات فلنعرف عن أحرص الناس على العبادات ، وهو محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وما عُلم أنه قرأ القرآن كله في ليلة قط بل إنه لم يرض ذلك لعبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنه حين قال له : « اقرأ القرآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » قال : قلت : إني أجد قوة، قال : « فَاقْرَأهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً » قال : قلت : إني أجد قوة، قال: « فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » [٤] ثم رخص له أن يقرأه في خمس[٥] ، ثم رخص له أن يقرأه في ثلاث[٦]، ونهاه أن يقرأه في أقل من ذلك، وعلل ذلك بقوله :

---

(١) – فضائل قرآن ٤٤ .

(٢) – فضائل قرآن ٤٥ .

(٣) – المصدر السابق .

(٤) – أخرجه البخاري في الصحيح ٤٣٣/٦ – ٤٤٤، ح : (٥٠٥٢) و (٥٠٥٤)، ومسلم في الصحيح ٨١٣/٢ – ٨١٤، ح : ١٨٢ – (١١٥٩) و ١٨٣ (١١٥٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، مطولا .

(٥) – أخرجه الترمذي في السنن ١٨٠/٥، ح : (٢٩٤٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، مطولا .

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٦) – أخرجه البخاري في الصحيح ٦١٠/٢، ح : (١٩٧٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم .

مَنْ قَرأَ القُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلاثٍ لَمْ يَفْقَهْ » [(١)] وفي لفظ : « لاَ يَفْقَهُ مَنْ قَرأَ القُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلاثٍ » [(٢)] ثم في قوله له : « فإنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً [(٣)] وَلِكُلِّ شِرَةٍ فَتْرَةٌ، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ » [(٤)] .

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث [(٥)] .

---

(١) – أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٦٤/٢، ١٨٩، بسند صحيح .

(٢) – أخرجه ابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣٥/٣، ح : ٧٥٨)، والترمذي في السنن ١٨٢/٥، ح : (٢٩٤٩) وابن ماجة في السنن ٤٢٨/١، ح : (١٣٤٧)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعا .

(٣) – الشرة : بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء هي النشاط والهمة وشرة الشباب حرصه ونشاطه . الصحاح ٢ / ٦٩٥ ، مادة « شرر » .

(٤) – أخرجه ابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٨٧/١ – ١٨٨، ح : ١١) والإمام أحمد في المسند ١٥٨/٢، ١٦٥، ١٨٨، ٢١٠، والطحاوي في مشكل الآثار ٨٨/٢، من طرق عن حصين بن عبد الرحمن، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، مرفوعا .

وإسناده صحيح، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي في السنن ٥٤٨/٤، ح : (٢٤٥٣)، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وصححه ابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٦٢/٢، ح : ٣٤٩) .

(٥) – الطبات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٧٦ .

* المبالغة في الطواف والحج والأجر*

يقول الشيخ محمد زكريا : « إن كرز بن دبرة ولي من الأولياء كان من عادته على الدوام أن يطوف سبعين طوافا في النهار وسبعين في الليل، فأصبحت مسافته ثلاثون ميلا يوميا، وبعد كل طواف يصلي ركعتين، فأصبحت مائتان وثمانون ركعة، وإضافة إلى ذلك يختم القرآن الكريم مرتين يوميا » [١] .

ويقول : « وقد وردت في رواية أنّ آدم عليه السلام أتى البيت الحرام لأداء الحج ألف مرة من الهند على رجليه، لم يركب قط فيهن »[٢] .

وقال : « حج أبو عبد الله المغربي سبعة وتسعين حجا ماشيا، لا يُتصور أجرهم، فهم جُوّزوا عن كل خطوة سبعمائة مليون حسنة » [٣] .

و يحرض الشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة على الإنفاق على المشاركين في الجولة التبليغية فيقول : « من قدّم المعونة في زمن التبليغ فثوابه سبعون ألف ضعف من الذي قدم له المعونة وهو في بيته » [٤] .

---

(١) – فضائل حج ٧٧ – ٧٨ .

(٢) – فضائل حج ٣٥ .

وأخرجه المنذري وقال: وفيه القاسم بن عبد الرحمن قال الحافظ : هذا واه . الترغيب والترهيب للمنذري ١٠٨/٢ .

نرى أنهم يعتمدون في مثل هذا على الرواية الواهية .

(٣) – فضائل حج ٣٦ .

(٤) – مكاتيب حضرت مولانا محمد إلياس ٩٧ .

ويقول الشيخ إنعام الحسن الأمير السابق علي الجماعة : « زيارة الوجه الأنور للنبي صلى الله عليه وسلم كانت أكثر ترقية من عبادة آلاف سنوات » [(١)] .

ما أورده أمور تحتاج إلى النس الصحيح ولكن لم نقف على دليل يصح سنده .

* نماذج أخرى من الدعاوي والمبالغات *

إن الشيخ محمد زكريا يحكي عن الجنيد البغدادي رضي الله عنه قال : « حججت وحيدا فجاورت بمكة، فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف، وإذا بجارية تطوف وتقول :

أَبَى الحبُّ أَنْ يَخفى وقد كتمتُه ... فأصبح عندي قد أناخ وطنَّبا

إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رمتُ قُرباً من حبيبي تقرَّبا

ويبدو فأفنى ثم أحيابه له ... ويُسعدني حتى ألذّ وأطربا

قال فقلت لها : يا جارية، أما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين لهذا الكلام ؟

فالتفت إليّ وقالت : يا جنيد !

لولا التُّقى لم ترني ... أهجرُ طيِّبَ الوسَن

إن التُّقى شرَّدني ... كما ترى عن وطني

أفرُّ من وَجْدي به ... فحبُّه هَيَّمَني

ثم قالت : يا جنيد، أنت تطوف بالبيت أم بربِّ البيت ؟ فقلت : أطوف البيت، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك سبحانك، ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلقٍ كالأحجار يطوفون بالأحجار ثم أنشأت تقول :

---

(١) – حضرت جى كى ياد گار تقريرين ٨٨ .

يطوفون بالأحجار يبغون قُربةً إليك هم أقسى قلوبا من الصخرِ

وتاهوا فلم يدروا من التيه من همُ وحلُّوا محلَّ القرب في باطن الفكرِ

فلو أخلصوا في الودّ غابت صفاتهم وقامت صفات الوُدّ للحقّ بالذكرِ

قال الجنيد رضي الله عنه : فغُشي عليّ من قولها، فلما أفقت لم أرها »[١] .

ويروي عن بشر الحافي رضي الله عنه قال : « رأيت رجلا عشية عرفة غلبه الولَه وهو يبكي وينتحب انتحابا شديدا وهو يقول :

سبحان من لو سجدنا بالعيون له على شبا الشوك والمُحْمَى من الإبَرِ

لم نبلغ العُشر من معشار نعمته ولا العُشَير ولا عُشْرا من العُشْرِ

وأنشد أيضا :

كم قد زلَلْتُ فلم أنكرك في زَلَلي وأنت يا مالكي بالغيب تذكرُني

كم أكشف السترّ جهلا عند معصيتي وأنت تلطف بي حلما وتسترُني

قال بشر رضي الله عنه : ثم غاب عني وحُجِب فلم أره، فسألت عنه، فقيل لي : هو أبو عبيد الخواص، أحد الخواص، له سبعون سنة ما رفع وجهه إلى السماء، فقيل له في ذلك، فقال : إني لأستحيي أن أرفع إلى المحسن وجها مسيئا »[٢] .

ويقول : « قال أبو عبد الله الجوهري : كنت سنة من السنين في عرفات فغفوت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه : كم حج هذه السنة من الحجاج ؟ قال: ستمائة ألف نفس فلم يقبل الله منهم غير ستة أنفس، فهممت أن ألطم وجهي وأنوح على نفسي فقال له الأول : ما فعل الله بباقي الجمع ؟ قال : نظر الله إليهم فوهب لكل واحد

(١) – فضائل حج ١٧٢ – ١٧٣ ، روض الرياحين ١١٧ – ١١٨ .

(٢) – فضائل حج ١٧٣، روض الرياحين ١٣٦ .

منهم مائة ألف، فغفر الله لستمائة ألف بستة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » [١] .

أقول : إن هـذه الأمـة أمـة وسـط، والحق واسطة بين الإفراط والتفريط كما قال مطرّف بن عبد الله [٢] : « خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السيئتين ، وشر الأمور الحقحقة[٣] » .

ولذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسلكوا مسلك الوسط، وأن ينتهجوا منهج الاعتدال حتى في العبادات فقد قال عليه السلام : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالقَصْدَ وَالقَصْدَ تَبْلُغُوا » [٤] ، وسئل عن أحب الأعمال فقال : « أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » [٥] .

---

(١) – فضائل حج ١٨٢، روض الرياحين ١٤٧ .

(٢) – هو مطرّف بن عبد الله الشخير الحرشي العامري، أبو عبد الله، زاهد من كبار التابعين، ثقة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام بالبصرة، وتوفي بها عام ٨٧ هـ .

ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨٧/٤، تهذيب التهذيب ١٥٨/١٠، الأعلام ٢٥١/٧ .

(٣) – ينظر: المحجة في سير الدلجة لابن رجب ١٨ .

والحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . الصحاح ٤ / ١٤٦٢ .

(٤) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١٨، ح : (٣٩)، و٧ / ١٣، ح : (٥٦٧٣)، و٧ / ٢٣٣، ح : (٦٤٦٣)، وابن حبان كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢ / ٦٣ – ٦٤، ح : (٣٥١) عن أبي هريرة مرفوعا .

(٥) – أخرجه البخاري في الصحيح ٧ / ٢٣٣، ح : (٦٤٦٤ – ٦٤٦٥)، ومسلم في الصحيح ١/ ٥٤٠ – ٥٤١، ح : ٢١٥ – (٧٨٢) و ٢١٦ – (٧٨٢) و ٢١٨ – (٧٨٣) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أوله : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ... إلخ » .

وقال : « اكْلَفُوا[١] مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ »[٢] .

ولهذا بعث صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال : « يَا عُثْمَانُ، أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي ؟» قال: لا والله يا رسولَ الله، ولكن سنَّتَك أطلب، قال: « فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ »[٣] .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نِشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ »[٤] .

وفي هذا الحديث كما قال الحافظ ابن حجر : الحث على الاقتصاد في العبادة،

---

(١) – اكلفوا : تحملوا من العمل ما تطيقون المداومة والثبات عليه . ابن ماجة ١٤١٧/٢ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٧ /٦٥، ح : (٥٨٦١)، ومسلم في الصحيح ١ /٥٤٠ – ٥٤١، ح : (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعا .

(٣) – أخرجه أبو داود في السنن ٤٨/٢، ح : (١٣٦٩)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠٣٧٥) والإمام أحمد في المسند ٢٢٦/٦، ٢٦٨، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٨٥/١، ح : ٩) والطبراني في الكبير ٢٥/٩، ح : (٨٣١٩) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا .

وقال الهيثمي في المجمع ٣٠١/٤ : وأسانيد أحمد رجاله ثقات إلا أن طريق إني أخشاكم أسندها أحمد ووصلها البزار برجال ثقات .

(٤) – أخرجه البخاري في الصحيح ٣٤٩/١، ح : (١١٥٠) ، ومسلم في الصحيح ٥٤١/١، ح : ٢١٩ – (٨٧٤)، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٣٩/٦، ح : ٢٤٩٢) عن أنس بن مالك، مرفوعا .

والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط[١] .

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: وكانت عندي امرأة من بني أسد فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَنْ هَذِهِ ؟» قلت: فلانة، لا تنام الليل - تذكر من صلاتها - فقال : « مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَى تَمَلُّوا »[٢] .

قال ابن حجر : عليكم بما تطيقون: أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق[٣] .

وقد اتضح مما مضى أن المسلم لا ينبغي له أن يتجاوز الحدود التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كان أتقى الناس، وأخشاهم لله تعالى .

وإذا تجاوز الإنسان هذه الحدود فلا يستطيع أن يداوم عليه كما قال تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾[٤] .

وهو أيضا مخالف لما يريد الرحمن الرحيم من عباده حيث قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[٥] و ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٦] .

---

(١) - فتح الباري ٤٥/٣ .

(٢) - أخرجه البخاري في الصحيح ١٩/١، ح : (٤٣)، و٣٤٩/١، ح : (١١٥١)، ومسلم في الصحيح ٥٤٢/١، ح ٢٢١ - (٧٨٥) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا .

(٣) - فتح الباري ١٢٦/١ .

(٤) - المزمل ٢٠ .

(٥) - البقرة ١٨٥.

(٦) - الحج ٧٨ .

ولا يفوتني أن أشير إلى توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه لعدم المبالغة في العبادات والاقتصاد في الطاعات ، فقد روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله [(١)] بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله، ألم أُخْبَر أنَّكَ تصوم النَّهارَ وتقوم الليلَ ؟ فقلت: بلى، يا رسول الله، قال: فلا تفعلْ، صُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ؛ فإنّ لجسدك عليك حقا، وإنّ لعينك عليك حقا، وإنّ لزوجك عليك حقا، وإنّ لزوارك عليك حقا، وإنّ بحَسبكَ أن تصومَ كل شهر ثلاثة أيام، فإنّ لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإِذَنْ ذلك صيامُ الدهر كله، فشَدَّدْتُ فشَدَّدَ عليّ، قلت: يا رسول الله، إني أجد قوة، قال: فصُمْ صيامَ نبي الله داود عليه السلام، ولا تَزِدْ عليه، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ قال: نصف الدهر، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر : يا ليتني قبلتُ رخصة النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)] .

وقال أحيانا : « لأن قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) – هو عبد الله بن عمرو بن العاص من قريش، صحابي من النساك، من أهل مكة، كان يكتب في الجاهلية، أسلم قبل أبيه، استأذن من النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة ما يسمع منه فأذن له، كان كثير العبادة، وعمي في آخر حياته .

ينظر : سير أعلام النبلاء ٧٩/٣، تهذيب التهذيب ٢٩٧/٥، الأعلام ١١١/٤ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٢ / ٦٠٩ – ٦١٠، ح : (١٩٧٥) و (١٩٧٦) و (١٩٧٧) و (١٩٧٨) و (١٩٧٩)، ومسلم في الصحيح ٢ ٨١٢ – ٨١٥ ، ح : ١٨١ – (١١٥٩) و ١٨٢ – (١١٥٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

أحب إليّ من أهلي ومالي » [١] .

وورد في بعض الروايات : حينما استزاد عبد الله بعد ما أذن له صلى الله عليه وسلم بصيام داود، وقال: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ »[٢] .

---

(١) – أخرجه مسلم في الصحيح ٢ /٨١٢ ، ح : ١٨١ – (١١٥٩)، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢ /٦٤ – ٦٦، ح : ٣٥٢) ، والإمام أحمد في المسند ٢/١٥٨، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مطولا .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٢ /٦٠٩، ح : (١٩٧٦) و في ٤ / ٤٨٥ – ٤٨٦ ، ح : (٣٤١٨) ، ومسلم في الصحيح ٢ / ٨١٢ ، ح : ١٨١ – (١١٥٩) ، وابن حبان كما في (الإحسان في صحيح ابن حبان ٢ / ٦٤ – ٦٦ ، ح : (٣٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بطوله .

* الفصل الرابع *

أهدافها وغاياتها، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أهدافها كما بينها أصحابها .

المبحث الثاني : أهدافها كما يراها خصومها .

المبحث الثالث : أهدافها في الميزان الواقعي والتطبيقي .

* المبحث الأول *

أهدافها كما بينها أصحابها

إن لكل هيئة أو جماعة أو حركة لها أهداف وغايات تقوم لتحقيقها وتسعى وراءها، وحيث أن جماعة التبليغ تعتبر جماعة منتشرة في بلدان كثيرة من العالم فقد بين مؤسسها أهدافها يقول الشيخ محمد إلياس في بعض مجالسه : « الغاية القصوى لحركتنا هي تعليم المسلمين جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، والسياحة للقوافل والجولات التبليغية ليست إلا وسيلة ابتدائية للحصول على الغاية، وتعليم الكلمة والصلاة وتلقينها فكأنه ألف وياء وتاء لنصابنا الكامل » (١) .

و يقول الشيخ محمد يوسف رحمه الله : « والغاية المنشودة وراء هذا الجهد كله هي إحياء السنة النبوية وتنفيذ الطرق النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم في جميع ميادين النشاط الإنساني، وذلك بإحياء اليقين وتجديده، وإقامة العبادات على وجهها المطلوب، وتعويد النفس على التخلق بالأخلاق النبوية، وممارسة تلك الأخلاق في معاملة الناس مع إقامة حلقات الذكر والتعليم لترويج الأمور المذكورة » (٢) .

ويقول : « إنّ الغرض لعملنا هذا التبليغي هو أن يعيش المسلمون ملتزمين بأحكام الله في حياتهم » (٣) .

كما يقول : : « إنّ مقصد هذه الجهود التبليغية هو بث الروح الديني وحقيقته بين

---

(١) – ملفوظات محمد إلياس ٣٢، جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ٢٣ .

(٢) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية لصدر الدين عامر الأنصاري ٦١ .

(٣) – تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي لمحمد منظور نعماني ١٧٢ .

المسلمين » (١) .

وأشار إلى أهدافها الشيخ محمد إلياس في إحدى محاضراته فقال : « إنّ حركتنا التبليغية هي حركة لنشر التعليم والتربية الدينية، ولتعميم الحياة الدينية، وهي لا تتحقق إلا بالتزام أصولها ورعايتها » (٢) .

كما نجده يلخص هذه الأهداف قائلا : « إن المقصد الأساسي لتبليغنا هو الابتعاد عن الطاغوت والرجوع إلى الله » (٣) .

وإذا كانت تلك الأهداف كما يقررها الشيخ محمد إلياس نجد محمد إلياس الميرتي يجعل من الأهداف نشر المذهب الحنفي إذ يقول : « إنّ مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس – نور الله مرقده – حينما مدّ بصره إلى أطراف الدنيا فأحسّ أن العالم كله نافر عن المذهب الحنفي، والمسلمون أنفسهم يعرضون عن العمل به، واللاشعورية رائجة في كل مكان، فثارت غيرته الإسلامية، وقام بقوته ونذر لله حتى أوجد الله الشعور الديني بين المسلمين ببركة حركته التي تسمى بجماعة التبليغ » (٤) .

بل نعجب أكثر أن مؤسس الجماعة يريد نشر أفكار وتعليمات الشيخ التهانوي ، فيجعلها من أهدافه إذ يقول : « إن الشيخ مولانا التهانوي قد قام بأعمال جليلة، لذا تطيب نفسي أن يكون التعليم تعليمه، وتبليغه عن طريقتي، وبذلك يتعمم تعليمه » (٥) .

---

(١) – تذكره حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي ١٧١ .

(٢) – ملفوظات مولانا محمد إلياس ١١٢ .

(٣) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٤٥ .

(٤) – كيا تبليغى كام ضرورى هى ٤ .

(٥) – ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس ٥٨ .

ويقول : « لئن جمع بين تعاليم الشيخ التهانوي وبين الأسلوب الذي تبنيته في التبليغ ما بقي أحد ينكر عليها » (١).

ويؤيد هذا ما كتبه الشيخ محمد زكريا أنّ كل من يقرأ المقررات التبليغية يقرأ «بهشتي زيور» لحضرة التهانوي – نور الله مرقده – و يؤكد لقراءة هذا الكتاب (٢) .

ولهذا لما كتب الشيخ محمد إلياس التعزية إلى أحبابه بعد وفاة الشيخ التهانوي أكد فيها، ورغبهم لإيصال الثواب إلى التهانوي ونشر تعليماته (٣) .

وذات مرة حضر أحد المريدين للشيخ التهانوي بعد وفاته لزيارة الشيخ محمد إلياس فقال الشيخ : ... إني أحب أن يُنشر في هذه الأيام هذا الموضوع أن أعلى الطرق وأحكمها لتوطيد العلاقة مع الشيخ التهانوي رحمه الله وللاستفادة من بركاته وللمساهمة في ترقية درجاته ولإضافة مسرات روحه هو الاستقامة على تعليماته الحقة وهداياته وتكثيف الجهود لنشرها، وهذا هو أعلى الطرق لإيصال الثواب (٤) .

وللعلم أن للشيخ أشرف علي التهانوي من عقائد خطيرة وقد تقدم بعض النماذج منها في الفصول السابقة (٥)التي تدل على أنه يحمل مظاهر التصوف بأنواعها .

---

(١) – جماعة التبليغ عقائدها وتعريفها ٧٩ نقلا عن تبليغي جماعت پر اعتراضات اور ان كى جوابات لمحمد زكريا ١٢٨ .

(٢) – جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ٨٣ .

(٣) – المصدر السابق .

(٤) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٦٩ .

(٥) – ومن يريد أن يطلع على أفكاره الزائفة بالتفصيل فليراجع إلى كتبه مثل حكايات أولياء ، وإمداد المشتاق ، قصص الأكابر ، كرامات إمدادية ، مقالات حكمت ، نشر الطيب .

وأكتفي بنموذج من الأبيات التي جمعها في كتابه « مناجات مقبول وبين فضائلها وحث الناس على قراءتها .

اِلتجاء بحضرتِ خیر الورٰی

رَسُوْلَ اللّٰہِ جِئْتُکَ مُسْتَعِیْذًا ۔ عَلَیْکَ صَلٰوۃُ رَبِّیْ وَالسَّلَامُ

اے خدا کے رسول میں آپ کی خدمت میں طالب پناہ کی حیثیت سے حاضر ہوا ہوں آپ پر خداوند عالم کی طرف سے درود و سلام نازل ہو

کَئِیْبًا مُّسْتَغِیْثًا مُّسْتَعِیْنًا ۔ عَلٰی نَفْسٍ تُضِیْمُ وَلَا تُضَامُ

محزون ہوں آپ کی دہائی دے رہا ہوں اپنے اس نفس کے مقابلہ میں آپ سے امداد کا طالب ہوں جو ظالم ہے مظلوم نہیں ہے

رَسُوْلَ اللّٰہِ جِئْتُکَ مُسْتَجِیْرًا ۔ وَرَبِّیْ مُسْتَجِیْرُکَ لَا یُضَامُ

اے خدا کے رسول میں آپ کے دامن میں چھپنے کیلئے حاضر ہوا ہوں اور خدا کی قسم جو آپ کے دامن میں چھپتا ہے کسی کے ہاتھ سے ظلم نہیں سہتا

رَسُوْلَ اللّٰہِ جِئْتُ اِلَیْکَ ضَیْفًا ۔ وَحَقُّ الضَّیْفِ یَعْرِفُہُ الْکِرَامُ

اے خدا کے رسول! میں آپ کا مہمان ہوں ۔ اور مہمان کی قدر سے کریم لوگ خود واقف ہیں

قَدِمْتُ اِلَیْکَ مِسْکِیْنًا فَقِیْرًا ۔ وَزَادُ النَّفْسِ اٰثَامٌ عِظَامُ

میں بحالت مسکنت و فقر آپ کی خدمت میں حاضر ہوا ہوں اور میرے نفس کے پاس بجائے ارادے کے بڑے بڑے گناہ ہیں

غَرِیْبٌ جَآءَ مِنْ اَرْضٍ غَرِیْبٍ ۔ وَلَیْسَ لَہٗ رِفَاقٌ اَوْ نِدَامُ

میں ایک پردیسی ہوں جو دور دراز مقام سے آیا ہوں اور میرا کوئی رفیق ہے نہ ساتھی

وَمَسَّتْہُ الْبَلَایَا وَالرَّزَایَا ۔ یُقَلِّبُہُ الْبِسَاطُ فَلَا یَنَامُ

اور مجھکو مصائب حوادث نے ستایا ہے اور میں اپنے بستر پر پڑا ہوا کروٹیں لیتا ہوں اور بالکل نیند نہیں آتی

مَرِیْضٌ اَقْلَقَتْہُ شُؤُوْنُ نَفْسٍ ۔ وَقَدْ یَئِسَتْ عُدَاوُوْہُ وَقَامُوْا

میں ایسا بیمار ہوں کہ جسکو نفس کے حالات نے پریشان کر رکھا ہے اور اسکے تیمادار بجائے مایوسی اسکو چھوڑ کر اٹھ کھڑے ہوئے

لَہٗ قَلْبٌ وَّلَا تُحْصٰی مُنَاہُ ۔ لَہٗ نَدَمٌ وَّلَیْسَ لَہٗ کَلَامُ

میرے قلب کی خواہشوں کی کوئی حد نہیں۔ میں ندامت کی وجہ سے بات کرنے سے بھی عاجز ہوں

اسکی مناجات کے پڑھنے کا طریقہ یہ ہے کہ عشا کی نماز کے بعد یا صبح کی نماز کے بعد رو بقبلہ اور باوضو ہو کر اول سات دفعہ درود شریف پڑھے۔ بعد ازاں مناجات پڑھے اس کے بعد پھر سات دفعہ درود شریف پڑھے اور پھر دعا مانگے۔ بعض قابل اعتماد لوگوں کا بیان ہے کہ ہم نے اسکو جس کام کے لئے پڑھا ہم اس میں کامیاب ہوئے۔ اگر ہمیشہ اس کو پڑھتا رہے تو بہت اچھا ہے لیکن اگر کسی ضرورت کے وقت پڑھے تو کم از کم چالیس دن متواتر ضرور پڑھے۔

وَاَتْعَبَنِیْ طَرِیْقٌ قَدْ مُتِنِّیْ ۔۔۔ وَلَمْ یَبْقَ اللُّحُوْمُ وَلَا الْعِظَامُ

اس طویل راستے نے مجھکو تھکا مارا کہ جس نے میری کمر توڑ دی اب مجھ میں نہ گوشت باقی ہے نہ ہڈیاں

وَقَدْ ضَیَّعْتُ عُمْرِیْ فِی التَّلَهِّیْ ۔۔۔ وَفِی الطُّغْیَانِ صَارَ لِیَ الدَّوَامُ

میں نے اپنی عمر لہو و لعب میں ضائع کردی ۔۔۔ اور ہمیشہ سرکشی ہی کرتا رہا

وَتَجْرَحُنِیْ خُطُوْبٌ بَعْدَ خَطْبٍ ۔۔۔ وَیُصْمِیْنِیْ مِنَ الْکُرَبِ السِّهَامُ

زمانے کے حوادث مجھ کو یکے بعد دیگرے زخمی کرتے رہتے ہیں اور تکالیف کے تیروں کا صحیح نشانہ میں بن گیا ہوں

رَغِبْتُ اِلٰی مَعَاصٍ مُّوْبِقَاتٍ ۔۔۔ وَاَلْهَانِیْ مِنَ الدُّنْیَا حُطَامُ

میرے دل میں تباہ کن گناہوں کی رغبت موجود ہے اور دنیا کے حقیر مال نے مجکو خدا سے غافل کر رکھا ہے

مَعَاصٍ قَدْ حَوَتْ سَاعَاتِ عُمْرِیْ ۔۔۔ فَلَا یَخْلُوْ قُعُوْدٌ اَوْ قِیَامُ

میں ایسے گناہوں میں مبتلا ہوں جو میری عمر کی ایک ایک گھڑی حاوی ہیں گناہوں سے نہ میرا بیٹھنا خالی ہے نہ کھڑا ہونا

لَقَدْ اَنْفَقْتُ مَالِیْ حُبَّ جَاهٍ ۔۔۔ رِیَاءٌ لِیْ صَلٰوةٌ اَوْ صِیَامُ

میں نے مال خرچ کیا مگر حبِ جاہ کی وجہ سے نمازیں بھی پڑھیں اور روزے بھی رکھے مگر ریا کی غرض سے

هَوَایَ قَدِ اتَّخَذْتُ اِلٰهَ نَفْسِیْ ۔۔۔ فَمَا نَفْسِیْ تُرِیْدُ هُوَ الْمَرَامُ

میں نے اپنی خواہشوں کو اپنا خدا بنا لیا ہے اب میرے مقاصد وہی ہیں جو میرے نفس کی خواہشیں ہیں

وَاَیُّ جَرِیْمَةٍ لَمْ اَرْتَکِبْهَا ۔۔۔ فَمَا لِیْ عَاصِیًا اِلَّا الْمَلَامُ

اور وہ کونسا گناہ ہے جس کا میں مرتکب نہیں ہوا تو گنہگار ہونے کی حالت میں میرے حصہ میں ملامت کے سوا کچھ نہیں

صَحَائِفُ سَیِّاٰتِیْ اَقْدَمَتْنِیْ ۔۔۔ اِلٰی مَنْ یَّسْتَغِیْثُ بِهِ الْاَنَامُ

میری سیہ کاریوں کے دفاتر مجکو اس ذاتِ اقدس تک پہنچانے کے باعث ہوئے ہیں جسکی دہائی ساری مخلوق دیتی ہے

رَسُوْلَ اللّٰهِ خُذْ بِیَدِیْ فَاِنِّیْ ۔۔۔ جَرِیْحٌ لَا لِجَرْحَتِهِ الْتِئَامُ

اے خدا کے رسول آپ میری دستگیری فرمائیں کیونکہ میرا پیاس زخم رسیدہ ہوں جسکے زخموں کے اندمال کی کوئی صورت ہی نہیں

رَسُوْلَ اللّٰہِ مُلْتَجِئًا حَزِیْنًا حَضَرْتُ وَفِی الْفُؤَادِ لَظٰی ضِرَامٍ

اے خدا کے رسول میں ملتجی اور غمگین ہوکر حاضر ہوا ہوں اور میرے دل میں آگ کے شعلے بھڑک رہے ہیں

وَاَنْتَ اَبَرُّھُمْ وَاَرَقُّ قَلْبًا وَاَرْعَاھُمْ اِذَا رَقَدُوْا وَنَامُوْا

اور آپ سب سے زیادہ سلوک کرنیوالے اور نرم دل ہیں اور جو لوگ غافل ہوکر سو رہتے ہیں تو آپ ان کے محافظ ہوتے ہیں

وَاَنْتَ رَسُوْلُھُمْ جِنًّا وَّاِنْسًا وَاَنْتَ لِمَنْ عَلَی الْاَرْضِ الْاِمَامُ

اور آپ جن وانس کے رسول ہیں اور آپ زمین کے تمام باشندوں کے امام ہیں

وَاِنَّکَ خَیْرُ مَنْ رَّکِبَ الْمَطَایَا وَقَدْرُکَ لَیْسَ یُدْرِیْهِ اللِّئَامُ

اور آپ تمام عرب سے افضل ہیں آپ کی قدر و منزلت سے ادنےٰ درجے کے لوگ ناواقف ہیں

وَاَفْضَلُ مَنْ مَّشٰی فِی الْاَرْضِ ھَوْنًا وَاَعْظَمُ مَنْ یُّعَزِّزُہُ الْمَقَامُ

اور زمین پر تمام وقار کے ساتھ چلنے والوں سے آپ افضل ہیں اور جنکی تعظیم مقامات مقدسہ کرتے ہیں آپ ان سے بھی زیادہ عظمت والے ہیں

وَاَجْوَدُ مِنْ رِّیَاحٍ مُّرْسَلَاتٍ اِلٰی جَدْوَاکَ اِنْ نَظَرُوْا وَشَامُوْا

خدا کی طرف سے آنے والی ہواؤں سے بھی زیادہ آپ سخی ہیں۔ اگر لوگ آپ کی عطا کے طالب ہوں

حَرِیْمُکَ اٰمِنٌ مِّنْ کُلِّ ھَوْلٍ وَبَابُکَ حَوْلَہٗ عَکَفَ الْاَنَامُ

آپ کی جائے اقامت ہر قسم کے خوف سے مامون ہے اور آپ کے دروازے پر مخلوق کھڑی ہوئی ہے

عَلَوْتَ مَکَانَةً مِّنْ مَّدْحِ نَفْسٍ عَصِیٍّ خَائِبٍ فِیْمَا مَرَامُ

آپ کا مرتبہ اس سے بالاتر ہے کہ آپ کی مداح ایسا شخص کرے جو عاصی ہے اور اپنے مقاصد میں ناکام ہے

وَاَرْضٌ قَدْ رَقَدْتَّ بِھَا رُقُوْدًا یُعَظِّمُھَا الْمَلٰٓئِکَةُ الْکِرَامُ

اور زمین کے جس ٹکڑے پر آپ آرام کرتے ہیں اس کی تعظیم ملائکہ مقربین بھی کرتے ہیں

رَسُوْلَ اللّٰہِ فَارْحَمْنِیْ فَاِنِّیْ غَرِیْبٌ ھَائِمٌ وَّلِیَ الْھُیَامُ

اے خدا کے رسول آپ مجھ پر رحم فرمادیں کیونکہ میں ایک پردیسی پیاسا اور مریض ہوں

سَقَيْتَهُمْ وَقَدْ جَاءُوكَ عَطْشَى ۔۔۔ وَهَلْ اَنَا رَاجِعٌ وَّلِيَ الْاُوَامُ

اپنی خدمت میں حاضر ہونے والے تمام پیاسوں کو آپ نے سیراب کیا تو کیا میں ایسا ہی بدقسمت ہوں کہ سخت تشنگی کی حالت میں آپ کے پاس سے پیاسا لوٹوں

سَقَيْتَهُمْ وَقَدْ جَاءُوكَ مَرْضٰى ۔۔۔ فَهَلْ اَنَا رَاجِعٌ وَّلِيَ الْعُقَامُ

اپنی خدمت میں حاضر ہونے والے تمام مریضوں کو آپ نے شفا دی تو کیا میں ہی ایسا بدقسمت ہوں کہ آپ کی خدمت میں حاضر ہونے کے باوجود بھی لاعلاج

اَغِثْنِیْ یَارَسُوْلَ اللّٰهِ اِنِّیْ ۔۔۔ لَمَغْبُوْنٌ وَّقَنَّطَنِیْ الْعِظَامُ

اے خدا کے رسول آپ میری فریاد رسی فرمائیے کیونکہ میں نقصان رسیدہ ہوں اور بڑے بڑے درباروں سے مایوس ہو کر واپس آیا ہوں

تَرَحَّمْ یَا ابْنَ اٰمِنَةٍ تَرَحَّمْ ۔۔۔ فَفِیْ حُوْبِیْ رِضَاعِیْ وَالْفِطَامُ

اے آمنہ کے لختِ جگر آپ مجھ پر رحم فرمادیں کیوں کہ گناہوں ہی میں میں نے اپنی ساری عمر بسر کی ہے

بِكَ اسْتَشْفَعْتُ فِیْ قُلِّیْ وَكُثْرِیْ ۔۔۔ بِكَ اسْتَشْفَیْتُ اِذْ عَرَضَ السَّقَامُ

چھوٹے بڑے تمام کاموں میں میں آپ ہی کی شفاعت کا طالب ہوں اور بیماری کی حالت میں میں آپ ہی سے شفا کا خواستگار ہوں

مَلَاذِیْ اَنْتَ اِنْ هَجَمَ اللَّیَالِیْ ۔۔۔ وَحِیْنَ قِتَالِهِمْ اَنْتَ الْحُسَامُ

اگر زمانے کے حوادث مجھ پر حملہ کریں تو آپ ہی میری جائے پناہ ہیں اور جب دشمن میرے ساتھ مصروفِ پیکار ہوں تو آپ ہی میرے شمشیر

اِنِ اسْتَغْفَرْتَ لِیْ مَوْلَایَ یَوْمًا ۔۔۔ اَكُنْ مِّمَّنْ عَلَی الدِّیْنِ اسْتَقَامُوْا

میرے مولا اگر میرے لئے ایک دن بھی استغفار کریں تو میں اُن لوگوں میں سے ہو جاؤں جو صراطِ مستقیم پر ثابت قدم رہتے ہیں

یُطِیْعُكَ مِثْلَ عَبْدٍ كُلُّ عُضْوِیْ ۔۔۔ وَفِیْ قَلْبِیْ یَدُوْمُ لَكَ الْغَرَامُ

میرا سارا بدن غلاموں کی طرح آپ کا تابعدار رہے گا اور میرے دل میں ہمیشہ آپ کی محبت باقی رہے گی

وَوَفِّقْنِیْ اِلٰهِیْ طُوْلَ عُمْرِیْ

اور اے میرے خدا مجکو توفیق عطا فرما کہ میں تمام عمر اس حالت میں

اُصَلِّیْ بَاكِیًا وَّهُمْ نِیَامُ

گزاروں کہ لوگ سو رہے ہوں اور میں رو رو کر نماز پڑھ رہا ہوں

ولا يفوتني أن أشير إلى أن من أهداف الجماعة نشر عقائد الديوبندية والطرق الصوفية ، وقد سبق بأنني ذكرت أنّ مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس كان يرسل الميواتيين إلى دار العلوم ديوبند، ومدرسة مظاهر العلوم، وإلى عبد القادر الرائيفوري برائيفور، وإلى أشرف علي التهانوي بتهانة بهون، ونصحهم أن لا يذكروا في مجالس المشايخ موضوع التبليغ بدون الاستفسار [١] .

ويقول في رسالته إلى الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي : « إنّ لي أمنية أعيشها منذ مدة طويلة أن تؤم هذه الجماعات زوايا مشايخ الطريقة بالضوابط الخاصة وأن يستفيدوا منهم في زواياهم متقيدين بآدابها » [٢] .

ويؤيد هذا ما كتبه الشيخ محمد منظور النعماني فهو يقول : « أنتم لا تعرفون ولكنني أخبركم أن في كل شهر يحضر في خدمة الشيخ محمد يوسف مئات أفراد وجماعات من أماكن شتى وطبقات مختلفة .

وعادته الدائمة إرسال الأفراد والجماعات المهمة إلى ديو بند وسهارنفور ليزوروا المشايخ هنالك، ويشاهدوا المراكز العلمية كدار العلوم ومظاهر العلوم .

وهكذا بهذه الطريقة التبليغية يتعرف كثير من الخارجين من مختلف بقاع الأرض في كل شهر على مراكزنا العلمية ، ويعودون إلى مناطقهم بثقة روحية واعتقاد قلبي لمشايخنا وبعظمة مراكزنا .

---

(١) – جماعة التبليغ عقائدها ، تعريفها ٧٩ . نقلا عن تبليغي جماعت پر عمومى اعتراضات اور انكى جوابات للشيخ محمد زكريا ١٢٨ .

(٢) – انظر : مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٤ – ١٢٥، جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ١٧، والداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٤٦ .

هذه خدمة سديدة مركزة وصامتة تقام لتلك المراكز العلمية ومسالكها الحقة ... التي لم نتمكن في الغالب من قيامها بمساعينا في حال من الأحوال ... »[١] .

واستطرد قائلا : « وأنا أستطيع أن أسمي مئات الأفراد والأشخاص بل كثيرا من البقاع والطبقات التي لم تكن لهم أي علاقة ومعرفة مع مدارسنا ومشايخنا، ولكن التنقلات والحركات التبليغية هي التي قامت بتوعية دينية بينهم، وبهذه الحركة تعرفوا على مدارسنا وجهود مشايخنا الدينية » [٢] .

وقد قرر الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي في سنة ١٣٥٩ هـ أن يتتابع توافد جماعات الميواتيين إلى «سهارنفور» على وجه الاستمرار بحيث لا تغادر الجماعة الأولى حتى تصل إليها الجماعة الثانية، وكانت الجماعات تقيم في مباني مدرسة « مظاهر العلوم » وبعد سنة كاملة استؤجر بناء مستقل سنة ١٣٦٠ هـ لهذا الغرض خاصة واستمر هذا التسلسل والانسجام إلى سنة ١٣٦٢ هـ طيلة أربع سنوات [٣] .

وأكبر برهان لهذا أن كل من يكلف بمهمة البيان [٤] والتعليم أو إلقاء المحاضرات في الاجتماعات السنوية أو الشهرية على مستوى البلد أو المدينة أو المحافظة لا بد أن ينتسب إلى إحدى الجامعات أو المدارس الديوبندية أو يحمل أفكارها على الأقل .

---

(١) – جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ١٣٤ .

(٢) – المصدر السابق ١٣٥ .

(٣) – انظر : حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٣٢ – ١٣٣، والداعية الكبير الشيخ محمد إلياس ٥٠ .

(٤) – البيان : مصطلح خاص للتبليغيين أرادوا به الوعظ .

فهم لا يقبلون لهذه المهمات أحدا من السلفيين ؛ لأنه ينهل من معين الكتاب والسنة ويتكلم في ضوئهما وقد يخالف أفكار الديوبندية بينما كانت عدة مدارس للسلفيين في دهلي وغيرها أيام الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد يوسف والشيخ إنعام الحسن وهلم جرا منها مدرسة دار الحديث الرحمانية ومدرسة الشيخ المحدث نذير حسين الدهلوي ومدرسة رياض العلوم ولكنني لم أسمع أنهم أرسلوا إحدى الجماعات في هذه المدارس أو طلب أحد المندوبين لإلقاء الكلمات في الاجتماعات .

وقد يستغرب القاري ولكنه شيء واقع وملموس ومجرب وقد حصل معي بأنني خرجت مع الجماعة في ١٤١٩/١٠/٢٠ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٥م لمدة ثلاثة أيام ووصلنا إلى منطقة « ببوري » بمحافظة شندولي بجوار بنارس في الهند ، وكان هناك الاجتماع في اليوم الثالث على مستوى المحافظة .

وجلسنا للمشورة لتوزيع المهام ولتنظيم البرنامج، وبعد توزيع بعض المسئوليات بدأوا يبحثون من يقوم بالتعليم، وكان هناك بعض الإخوة الذين عرفوا عني بأنني طالب فاقترحوا اسمي وقالوا : « في رأينا يقوم للتعليم محمد جنيد الخريج من الجامعة السلفية ببنارس، فإذا سمعوا اسم الجامعة السلفية بهتوا واختاروا في الفور أحدا من العوام للتعليم (أي قراءة تبليغى نصاب) في الاجتماع .

ويهذا يتضح أنهم لا يقبلون السلفيين للتوجيه والإرشاد في اجتماعاتهم ومحاضراتهم، وتاريخ الجماعة خير دليل على ما أقول .

وقد ذكر فيما مضى أن الشيخ محمد إلياس كان يكثر المصطلحات الصوفية في المحاضرات وغيرها .

وقد أشرت فيما سبق بعض عقائد الديوبندية ومن أراد التفصيل عن معتقداتهم وأفكارهم فليراجع كتابهم المتفق[1] عليه لدى الطائفة ألا وهو «المهند على المفند» للشيخ خليل أحمد السهارنفوري وكتاب «الديوبندية» للسيد طالب الرحمن .

(١) – يقول الشيخ قاضي مظهر حسين خليفة الشيخ حسين أحمد المدني عن هذا الكتاب «المهند» : وثيقة تاريخية متفقة لدى مشايخ الديوبندية التي احتفظ بها مسالك الديوبندية كالأصول .

المهند على المفند ١٣ .

وأيضا قد صادق على هذا الكتاب علماء الطائفة من السلف إلى الخلف . المرجع نفسه ٣ – ٤ .

* المبحث الثاني *

* أهدافها كما يراها خصومها *

بعض الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عن الجماعة حاولوا أن يثبتوا أن هذه الجماعة وليدة الإنجليز أي الحكومة البريطانية التي ربّتها لتحقيق أهدافها الخبيثة كما ربّت غيرها من الجماعات المنحرفة في القارة الهندية مثل القاديانية والبريلوية .

فالجماعة تسعى لتحقيق أغراض الإنجليز ومكائدهم ويدعمون دعواهم أن الجماعة كانت تدعم بالدعم المادي في بداية الأمر من قبل الإنجليز كما قال الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي عضو البرلمان الهندي : « إنّ الحكومة الهندية البريطانية كانت تساعد جماعة التبليغ التي أسسها الشيخ محمد إلياس في أول أمرها بمعونة مالية بواسطة الحاج رشيد أحمد »[١] .

كما كانت الحكومة البريطانية تمنح الشيخ أشرف علي التهانوي ستمائة روبية شهريا[٢]، ولا يغيب عن أذهاننا أن هذا هو الشيخ التهانوي الذي يريد مؤسس الجماعة نشر تعاليمه عن طريق الجماعة .

وهناك يرد سؤال لأي غرض كان الشيخ التهانوي يستلم من الحكومة البريطانية

---

(١) – علماء ديوبند كا ماضى تاريخ كى آئينى مين ١٨٢، جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها ١٥، ٤٥ نقلا عن مكالمة الصدرين ٨ .

(٢) – علماء ديوبند كا ماضى تاريخ كى آئينى مين ١٨١، جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها ٢٢ نقلا عن مكالمة الصدرين ١١ .

ستمائة روبية شهريا ؟ وكان في ذلك الوقت هذا المبلغ كبير جدا قد يزيد في يومنا من ستين ألف روبية هندية [١] .

والجدير بالذكر أنه حينما قامت « حركة عدم الموالاة مع الإنجليز » فأبدى العلماء ومسلمو الهند عدم تعاونهم مع الإنجليز ، حتى قاطعوا المصنوعات الإنجليزية ، ولكن الشيخ أشرف علي التهانوي الذي كان من كبار علماء ديوبند أفتى مع أحمد رضا خان ـ مؤسس الفرقة البريلوية – ضد هذه الحركة ،. يقول شورش الكشميري : « ... بدأ مولانا أشرف علي التهانوي يستدل بالكتاب والسنة ضد هذه الحركة ، وهذه حقيقة مؤسفة أن موقفه هذا قد جذب حوله عددا كبيرا من المريدين الذين كانوا عملاء الإنجليز ، حتى كان في حلقته عدد كبير من الجواسيس وحلفاء الإنجليز » [٢] .

وأخو التهانوي مظهر على كان على وظيفة عظيمة في محكمة الجواسيس بالحكومة البريطانية الهندية إلى آخر العهد، وقد تجسس على المجاهدين لنيل رضى الإنجليز[٣] .

وها هو الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المرشد الأول والشيخ الفريد لمؤسس الجماعة محمد إلياس الذي يقول عنه أنه رحمه الله كان مجدد العصر وقطب الإرشاد في زمانه[٤] .

---

(١) – علماء ديوبند كا ماضى ١٨٢ .

(٢) – علماء ديو بند كا ماضى ٢٩٦ نقلا عن كتاب مولانا أبو الكلام آزاد لشورش كاشميري ١٣٥ ملخصا .

(٣) – جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشائخها ٢٢، وانظر تحريك أهلحديث تاريخ كى آئينى مين ٢٩٦ نقلا عن كتاب مولانا أبو الكلام آزاد لشورش كشميري ١٣٥ ..

(٤) – ملفوظات محمد الياس ١٢٢ .

فهو يصدر الفتوى في تأييد الحكومة البريطانية عام ١٨٩٨م قائلا : إن المسلمين متقيدون بالتزام ديني أن يكونوا أوفياء للحكومة البريطانية، ولو كانت تقاتل (خليفة المسلمين) سلطان تركيا، وقد تمت التوقيعات عليه من العلماء الآخرين الديوبنديين ومنهم الشيخ محمود الحسن الديوبندي رحمه الله المعروف بشيخ الهند لدى الطائفة(١) .

ويقول الدكتور تابش مهدي : « إن التاريخ الإسلامي يقول لنا بكل وضوح أن من قام بالدعوة الحقة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كائنا من كان وفي أي زمن من الأزمان إلا واجه الآلام والمصائب بشتى أنواعها ... وهذه كانت سنن الأنبياء عليهم السلام ولكن حينما ألقي النظرة على جماعة التبليغ أجد أن الحكومة الهندية الحالية تعتمد عليها اعتمادا كليا، ولذا لا تواجه أي مشكلة سواء كانت في حالة الخطر والاضطرار أو المشاغبات الطائفية أو غير ذلك .

فالتبليغيون يحصلون على التأشيرة فورا متى شاءوا وأينما شاء وا ويعقدون اجتماعاتهم بدون أي معارضة فلماذا » (٢) ؟

ويؤيد هذا ما حصل في العام الماضي ١٤١٨ هـ في الاجتماع السنوي الكبير ببمباي الهند، وقد ساعد في إقامة هذا الاجتماع التبليغي أكبر هندوسي متعصب وعدو الإسلام في الهند « بال تهاكري » (٣)، وقد ساعدهم بالمساعدة المادية والمعنوية وأثنى عليهم ثناء

---

(١) – علماء ديو بند كا ماضى تاريخ كى آئينى مين ١٢٣ نقلا عن تحريك شيخ الهند ٣٠٥ .

(٢) – تبليغى جماعت اپنى بانى كى ملفوظات كى آئينى مين ٥٠ – ٥٢ ملخصا .

(٣) – بال تهاكري : هو الذي كان على رأس قتل المسلمين الأبرياء في فتنة مسجد بابري وكان يعلن جهاراً نهارا أيام الفتنة أنا الذي فتحت هذا الباب وأنا الذي أقدر على إغلاقه ، ولا نغلق حتى نذيق المسلمين أشد العذاب كي لا يرفعوا رؤوسهم أمامنا .

عاطرا .

ونظرا إلى هذا وتلك يقول الخصوم : إن الجماعة تقوم وتسعى لأهداف أعداء الإسلام من الإنجليز وغيرهم ، ومن أهم الأهداف :

١ - إماتة روح الجهاد في سبيل الله تعالى .

لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام ، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كمالهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾(١) .

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ روحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »(٢) .

وقد تضافرت الآيات والأحاديث النبوية في فضل الجهاد في سبيل الله، ولكن التبليغيين لا يتكلمون عن الجهاد في سبيل الله، وإذا ذكروا الأدلة الواردة في الجهاد في سبيل الله فيحرفون معناها ويستدلون بها في الخروج والسياحة التبليغية، وسنتكلم عنها إن شاء الله في حينها، بل يذكرون بعض الأقوال والأحاديث الضعيفة التي تقلل أهمية الجهاد وتحط من مرتبته العالية .

يذكر الشيخ محمد زكريا في فضائل الحج : « أن طاؤوس رحمه الله يقول : إن الرؤية إلى بيت الله أفضل من عبادة الرجل الذي يصوم النهار ويقوم الليل ويجاهد

---

(١) – التوبة ١١٠ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٣ /٢٧٤ ، ح : (٢٧٩٢)، و مسلم في الصحيح ٣ /١٤٩٩ ح : (١٨٨٠) .

في سبيل اللّه » [١] .

ويروي في فضائل الذكر حديثا ضعيفا الذي ينقص أهمية الجهاد فيقول : عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « مَنْ عَجزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ وبَخِلَ بِالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ وَجَبُنَ عَنِ العَدُوَانِ أَنْ يُجَاهِدَهُ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللّهِ » [٢] .

وقد بين درجة الحديث وضعفه في اللغة العربية بعد سرد الحديث ولكنه حينما ترجم العربية إلى الأردية فلم ينبه عليه بل يوجد أيضا خطأ في الترجمة فقد قال : « معناه » كثرة الذكر عوض عنها »ولعله حاول أن يشغل القراء عن الجهاد بالذكر .

يقول الدكتور تابش مهدي في كتابه : « إن من مؤامرة اليهود القضاء على روح الجهاد بين المسلمين، وقد استخدمت البعثة اليهودية في كل عصر لتحقيق هدفها العلماء والجماعات الدينية كما استخدمت المرزا غلام أحمد القادياني ...

وفي رأي كاتب هذه السطور (تابش مهدي) أن كتاب «تبليغي نصاب» لشيخ

---

(١) – فضائل حج ٧٧، وانظر : تبليغي نصاب ايك مطالعه ١٣١ .

(٢) – فضائل ذكر ٣٦ ، وانظر : تبليغي نصاب ايك مطالعه ٦٥، تبليغى جماعت اور اس كا نصاب قرآن وحديث كى روشني مين ٨٤ . والحديث أخرجه عبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب (١ / ٥٥٠ ، ح : ٦٤٠) ، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح : ٣٠٥٨) والطبراني في الكبير ١١ / ٨٤ ، ح : (١١٢١) من طريق أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مرفوعا .

وأورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣ / ٢٤١ ، ح : (٣٣٧٩) ، وعزاه لعبد بن حميد .

وذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٧٤ ، وعزاه إلى البزار والطبراني ، وقال : وفيه أبو يحيى القتات وقد وُثق، وضعفه الجمهور، وبقية رجال البزار رجال الصحيح .

الحديث محمد زكريا فريسة لهذه المؤامرة . بل أقول : إن هذا الكتاب مثل كتاب المستشرق آرنلد « پريچنگ آف إسلام » الذي قال فيه العلامة حميد الدين الفراهي : « إنه ألف لقتل روح الجهاد » .

ثم يقول الدكتور تابش مهدي : « والمؤلفات والنشرات التي صدرت إلى الآن لتبيد روح الجهاد بين المسلمين فهذا الكتاب أبرزها ؛ لأن الناس بدأوا يقولون إنه كتاب الحديث النبوي » (١) .

وممن ذهب إلى أن جماعة التبليغ تميت روح الجهاد الأستاذ عبيد الرحمن المحمدي إذ يذكر قصة عنهم فيقول : « حينما دخلت روسيا في أفغانستان وقتلوا مليون ونصف مليون مسلم بالرصاص، فخرج الشيخ جميل الرحمن - رحمه الله - مجاهدا في سبيل الله والمسلمون الآخرون ، واستمر القتال اثنتي عشرة سنة ونصر الله المجاهدين، وبدأ الأعداء يتسللون لواذا، وفي ذلك الحين وصل وفد جماعة التبليغ إلى المجاهدين وطلبوا منهم أن يصرفوا أوقاتهم في التبليغ، فقال المجاهدون لهم : أن يستشعروا ويفهموا دقة الأحوال ويصرفوا أوقاتهم في الجهاد في سبيل الله متمثلين بأوامر الله في القتال .

ولكنهم كانوا مصرين وبدأوا يبينون أهمية الدعوة والتبليغ وطلبوا المجاهدين أن يصرفوا أربعين يوما من أوقاتهم على الأقل فيكثر نفعه، فهيأ المجاهدون لهم مقابلة أمير المجاهدين الشيخ جميل الرحمن - رحمه الله - وقد رغبهم الشيخ في الجهاد في سبيل الله مستدلا بالآيات والأحاديث النبوية، وببيان اعتداء روسيا على الأفغان المضطهدين فرد التبليغيون بأنه لا يجوز لهم أن يقاتلوا في الجهاد حتى يرسخ إيمانهم، وقالوا : « دعهم

---

(١) - تبليغى نصاب ايك مطالعه ٥٦ - ٥٧ ملخصا .

يخرجون معنا للدعوة والتبليغ ولترسيخ الإيمان، وإذا قوى إيمانهم فيجاهدون » .

فسألهم الشيخ جميل الرحمن : كم صرفتم أنتم من الوقت في التبليغ ؟ فبين القدامى منهم أوقاتهم الطويلة، فقال الشيخ : تعالوا من رسخ إيمانه منكم نرسله للجهاد في الجبهة ونرسل بعض المجاهدين من ميدان الجهاد للدعوة والإرشاد، فرجع التبليغيون غضابا »[1] .

٢ - صرف الناس من الأهم إلى ما هو دونه .

إن جماعة التبليغ تهتم بالنوافل أكثر مما تهتم بالفرائض فهم لا يتكلمون عن صلب الدين ومسائله العلمية بل يخوضون في الفضائل فقط، وعلى سبيل المثال أن الله تعالى أنزل كتابه الحكيم لهداية البشرية كافة ليعتصموا به ويطبقوه في حياتهم حيث قال : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2] ولكن الجماعة تهتم وتتلو وتدندن كتابها المقرر « تبليغى نصاب » أكثر اهتماما من كتاب الله وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم[3] .

يذكر في هذا الصدد الدكتور تابش مهدي قصة فيقول : « حينما ذهبت إلى مهاراشتر[4] في العام الماضي علمت أن هناك في مسجد كان الناس يقرؤون « تبليغى نصاب » بعد صلاة العشاء يوميا، ومنذ أيام استمر الدرس في فضائل القرآن، ويجلس في

---

(١) – تبليغى جماعت تحقيقى جائزه ٤٥ – ٤٦ ملخصا .

(٢) – آل عمران ١٠٣ .

(٣) – انظر : تبليغى جماعت اپنى بانى كى ملفوظات كى آئينى مين ٢٢ .

(٤) – إقليم في الهند .

هذا المجلس شاب حديث عهد بالإسلام، ويسمع بكل إذعان، وبعد ما مرت الأيام سأل الناس وقال لهم : إخوتي ! الكتاب الذي سمعت عنه كثيرا من الفضائل منذ أيام فمتى تأتي نوبته ؟ نتمنى أن نسمعه لنعلم أن الذي خلقنا أمرنا بماذا ونهانا عن ماذا ؟ فغضب إمام المسجد من قوله وقال : هذا الكتاب لا أفهم أنا ولا أنت، وهو للعلماء وليس للجهال مثلك، فارتد الفتى إلى دينه قائلا : دخلت في الإسلام بعد ما سمعت محاسن القرآن، وأخبرت بأن تعليمه عام لكل صغير وكبير وشَعب وقبيلة ، ولكن بعد ما اعتنقت الإسلام عرفته أنه خداع، بل القرآن خاص للعلماء والعارفين، وليست له علاقة بحياة الإنسان اليومية، وهذا التفريق نفسه يوجد في الأديان الأخرى، فلماذا أختار الإسلام »[١] ؟

ومن له أدنى إلمام بدعوة الأنبياء والرسل ودعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرف جيدا أنهم جميعا بدأوا دعوتهم بتوحيد الألوهية كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونَ﴾[٢] .

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم في عهده المكي لا يدعو إلا إليه، وقد واجه هو وأصحابه في سبيل هذه الدعوة ما واجه من الابتلاء والمصائب، ولكن الجماعة ومحاضروها لا يتكلمون أبدا عن توحيد الألوهية بحجة أنه يسبب الفرقة، وهم يريدون الألفة والمحبة بل يتكلمون عن الفضائل والقصص المروية عن كبارهم ومشائخهم ويعتمدون عليها اعتمادا كاملا دون ذكر الآيات والأحاديث الصحيحة إلا نادرا، وقد لاحظت هذا في مقرهم الرئيسي

---

(١) – تبليغى نصاب ايك مطالعه ٨٥ – ٨٦ .

(٢) – الأنبياء ٢٥ .

بمركز نظام الدين وفي المدن الأخرى بالهند وخارجها في باكستان [١] .

٣ - تغيير مفاهيم ومصطلحات إسلامية شرعية .

هناك مصطلحات إسلامية يتعلق بها التاريخ الإسلامي المجيد مثل الهجرة والنصرة والجهاد، ولكن جماعة التبليغ حاولوا أن يصرفوها عن معناها الاصطلاحي الشرعي إلى المسميات الجديدة التي اصطلحوا عليها، فهؤلاء يسمون جولاتهم وسياحتهم بالهجرة والتعاون فيها بالنصرة والانضمام والانهماك فيها بالجهاد [٢] .

---

(١) - لاحظت في باكستان في سفري إلى مركز رائيوند بلاهور في رمضان ١٤١٨ هـ .

(٢) - تبليغى جماعت اپنى بانى كى ملفوظات كى آئينى مين ٢٠ .

وانظر : ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٩٤ .

* المبحث الثالث *

* أهدافها في الميزان الواقعي والتطبيقي *

إن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس - رحمه الله - كان يحلم أن الجماعة ستقوم بتعليم المسلمين بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرته في السطور السابقة .

وأن السياحة والجولات التبليغية ليست إلا وسيلة للحصول على الغاية، ولكن حينما نلقي النظرة على الجماعة نجدهم من حيث التطبيق جعلوا الوسيلة غاية، فالذي خالط الجماعة أو خرج معهم وجد فيهم اللين والرفق والالتزام بالأوراد والأذكار والاهتمام بالتطوع والتعاون فيما بينهم على الأمور المنوطة بهم، ولكنه يشعر أنه لم يجد شيئا من العلوم الإسلامية المحكمة ولو خرج معهم طول حياته؛ لأنهم لا يخرجون عن الأرقام الستة المعروفة لديهم، ولا يتكلمون في الأحكام والمسائل الشرعية الدينية، بل الذي شاهدته في الخروج معهم وبياناتهم ومحاضراتهم يتلخص فيما يلي :

١ - الحث والإلحاح على الخروج في الجولة التبليغية .

وهو مسألة المسائل عندهم ولب المحاضرات والندوات، وهو معيار النجاح للاجتماعات سواء كانت سنوية أو شهرية أو أسبوعية أو يومية في الجولات .

ويرددون فضائل الخروج مستدلين بالنصوص الواردة في الجهاد في سبيل الله، ويبدأون التشكيل بهذه الكلمات المألوفة لديهم « إخوتي ومشائخي ! إن عمل الجولة، عمل الأنبياء عليهم السلام، وإنه عمل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وإنه عمل الأولياء، له أجر جزيل وفوائد عظيمة، ومن اغبرت قدماه فيه حرّمه الله على النار، فبادروا إلى تسجيل أسماءكم ...» .

ومثل هذه الكلمات يكررونها عقب جميع البيانات والمحاضرات، ويبدأون التشكيل

بأربعة أشهر ذاكرين فضل الخروج في هذه المدة ثم يطالبون أن من لم يستطع الخروج لأربعة أشهر أن يسجل لمدة أربعين يوما (الشلة) ومن لم يستطع فثلاثة أيام وهكذا .

وقد لاحظت في مركز نظام الدين إصرارهم على بعض الراجعين من الخروج أن يخرجوا مرة أخرى قبل أن يعودوا إلى أهاليهم .

والحاصل أن الشيء الذي وضعه الشيخ محمد إلياس أمرا مبدئيا أو وسيلة أصبح الأساس والغاية، فمعيار النجاح والفوز لديهم هو الخروج في الشلات فقط، كأن النجاة منحصرة فيها، ولهدا ينظرون لمن لم يخرج معهم وإن كان مشتغلا بالدعوة وتحصيل العلم على غير طريقتهم نظرة قاصرة كأنه لم يفعل شيئا، وقد واجهت بعض التبالغة الذين أطالوا ألسنتهم في أمثال سماحة الشيخ ابن باز وغيره من العلماء الكبار وشعرت بنظرتهم القاصرة نحوهم باعتبار أنهم ليسوا من مشايخ التبليغ وهذه النظرة حتى في كبار مشايخهم الذين لا يخرجون في الجولات الدعوية على الطريقة التبليغية ، لذا كان يتأسف الشيخ أبو الوفاء شاهجهانپوري على حال الجماعة وعلى قلة بضاعتهم العلمية، فهو يقول : « ذات مرة وصلت جماعة من التبالغة إلى دار العلوم ديوبند، وأقاموا في مسجدها، ومن هنا خرجوا للجولات، وبادي ذي بدء خرجت جماعة حسب الخطة المرسومة إلى الشيخ فخر الدين شيخ الحديث في دار العلوم، والشيخ كان يدرس البخاري في ذلك الوقت، فبادر اثنان من الجماعة وقبضاه من جانبيه وقالا : « قم يا شيخ، فهذا آخر وقت حياتك، واشتغل الآن في الأعمال الدينية، وقد صرفت حياتك كلها في الكتب »[1] .

ويقول : « إنّ أحدا من التبالغة بعد ما خرج في عدة شلات بايع على يد الشيخ محمد زكريا السهارنفوري، ورجع إلى بيته مسرورا جدا، وبدأ يقول : ما أحسن أنوار الشيخ وبركاته، ولديه نقص واحد فقط لو لم يكن لكان وليا كاملا، فسأله الناس ما هو ؟ فقال : إنّه

---

(١) – تبليغى جماعت اپنى بانى كى ملفوظات كى آئينى مين ٢٨ – ٢٩ .

لم يخرج في الشلات الثلاثة يعني لمدة أربعة أشهر » (١) .

والشيخ محمد إلياس كان يتخوف في بداية الأمر ولذا حذرهم وقال : « يفهم الذين يرون البركات لقيامي بالتبليغ أن العمل مستمر ، مع أن البركات شيء والعمل شيء آخر ، انظروا : ظهرت البركات مع ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن العمل لم يبدأ إلا بعد مدة طويلة ، فكذلك فافهموا في هذا الأمر ، إني أصدقكم أن العمل الأساسي لم يبدأ إلى الآن، واليوم الذي يبدأ فيه العمل فالمسلمون يعودون إلى أحوالهم التي كانوا عليها قبل سبعة قرون، وإن لم يبدأ واستمر على حاله الذي عليه الآن، وفهم الناس عملنا مجرد حركة من عامة الحركات وانزلقوا فيه فالفتن التي كانت تأتي في القرون تترى في عدة شهور ، فلابد من فهم هذه القضية »(٢) .

٢- إيصال نسخة من كتاب «تبليغي نصاب» إلى كل مسجد وبيت مسلم للقراءة والعرض على من عنده، وبالتالي نشر الأفكار التي يحويها هذا الكتاب .

إن الخروج والجولات التبليغية لها برامج خاصة يلتزم كل من يخرج فيها، ومن هذه البرامج برنامج باسم « التعليم » ، وموضوع التعليم هو القراءة يوميا من كتاب « تبليغي نصاب » فإمام المسجد يقرأ على المصلين بعد الصلوات يوميا، وكذلك رب المنزل يهتم بذلك أن يجمع أهله وعياله في بيته في وقت معين قرابة نصف ساعة، والذي يعرف القراءة يقرأ عليهم، وهم يستمعون بكل أدب وخضوع .

ولذا كل من يخرج في الجولات يحمل معه هذا الكتاب لبيته ويتعاهد للقراءة، وإذا

---

(١) – تبليغى جماعت اپنى بانى كى ملفوظات كى آئينى مين ١٨ .

(٢) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٤٣، تبليغى كا مقامى كام ٢١ .

ختموه يبدأون من جديد نفس الكتاب فهم يدورون حول هذا المحور[(١)] ، وبالطبع يتأثرون بأفكار الكتاب، ويعتقدون بالعقائد التي دونت في ثناياه .

ولعلي لست في حاجة إلى إعادة الكلام ما في هذا الكتاب من خرافات وانحرافات عقدية وسلوكية، وقد ذكرت فيما سبق فليراجع إليها .

والعجب كل العجب أن دار العلوم ديوبند كأكبر مؤسسة إسلامية علمية شهيرة في الهند، تهتم بدراسة هذا الكتاب في المسجد الجامع يوميا بعد العصر على الأساتذة وطلاب العلم[(٢)] وغيرها من المدارس والجامعات الديوبندية في الهند .

ومما يؤسف له أنك لا تجد أحدا منهم من ينتقد هذا الكتاب فضلا أن يقوم بتجريده من الشركيات والخزعبلات حتى لا يفسد عقائد آلاف مؤلفة من المسلمين الذين يقرأونه أو يصغون آذانهم إليه كأنه وحي إلهي من السماء، أسأل الله الهدي والرشاد .

والأهداف التي أشار إليها خصومها فهي واقعة في ساحة الجولات التبليغية سواء كانت هذه إيحاء من الإنجليز أو من غيرهم فهذا العلم عند الله وهو يتولى السرائر، وسواء كانت هي عمدا أو بدون عمد ولكنها شائعة في ملفوظاتهم ومحاضراتهم، ومن خالطهم بالعقل والبصيرة يجد فيهم الشيء الكثير والكثير ... وكذلك ضررها واضح على الأمة ، وقد علمنا من أدلة الشرع أن العمل لا يقبل عند الله تعالى إلا بشرطين : الإخلاص والموافقة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أسأل الله أن يجنبنا وإياهم من الزلل ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل ويوفقنا الاتباع في الدعوة بما نهجه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم .

---

(١) – شاهدت هذا الاهتمام في الجولات التي خرجت معهم، وانظر : تبليغ كا مقامى كام ٦٢ .

(٢) – أفادني بذلك الإخوة الذين تخرجوا فيها، ومنهم محمد نعيم الدين القاسمي من بنارس الهند .

الفصل الخامس

منهج الدعوة عندها، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسس الدعوة لدى الجماعة .

المبحث الثاني : أساليب الدعوة عندها .

المبحث الثالث : مفهوم الجهاد في سبيل الله عندها .

* المبحث الأول *

أسس الدعوة لدى الجماعة

إنّ كل عمل أو حركة لها أصول وأسس يقوم العمل عليها، فإذا كان العمل جماعيا فيقترح أهل الرأي والمسئولون عن الجماعة بعد الفكر والتدبير أصولا وأسسا ثم يتفقون عليها ويدعون إليها ، وإذا كان الأمر فرديا فهو يعين الأسس والأصول بتفكيره وتدبيره، وهذا الأمر طبيعي وهذه القاعدة كلية تسير عليها الجماعات والحركات .

قبل أن أبدأ بعرض أسس الدعوة لدى الجماعة التي نحن بصددها ، أحب أن أشير إلى أنهم يرون أن هذه الأسس قد حصلوا عليها عن طريق الكشف، أما كيفية هذا الكشف فلم أقف على تفصيله، لكن هذا الأمر شائع فيما بينهم يبينونه في محاضراتهم ويكتبون في كتبهم ومؤلفاتهم[1] .

يقول مؤسسها الشيخ محمد إلياس : « إني لم أقم بوضع أصولها وضوابطها بإرادتي وفهمي بل كشف اللّه عليّ هذه الأصول والأسس، وأُمرت أن أسير عليها »[2] .

وسواء أكانت هذه الأصول ملهمة من اللّه كما زعمه هو أو هي من عند نفسه الحاصل أنه جعل لحركته التبليغية ستة أصول، وجعل هذه الأصول الستة محورا لدعوته، ومبدأ لنشاطه، وقد قرر أن يجعل دعوته مقصورة على هذه الأصول الستة، وهي كما يأتي :

١ - الكلمة الطيبة (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) .

---

(١) - انظر : تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ٤، ٣٩ .

(٢) - انظر : تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ٣٩، ٤٠ .

٢ - **إقامة الصلوات .**

٣ - **العلم والذكر .**

٤ - **إكرام كل مسلم .**

٥ - **الإخلاص (تصحيح النية) .**

٦ - **النفر في سبيل الله**[١] .

فهذه الأصول الستة المذكورة هي المشهورة والمعروفة بأصول التبليغ والدعوة عندهم، وقد عبر عنها البعض بالصفات الست [٢]، والبعض الآخر بالأرقام الستة [٣]، وصرح الكثير أنها الأسس والأصول [٤] ، وبصرف النظر عن هذا الاختلاف فالمقصود أن دعوة الجماعة تنحصر في هذه القضايا ولا تخرج عنها ، وهي التي أول ما يعرضونها على الناس ويدعونهم إليها، وكل تبليغي ينتظم مع الجماعة لا بد أن يعرفها، ويتذكرها، ويتمرن على الخطابة بها، ويدعو الناس إلى العمل بها .

وقد بدأ الشيخ محمد إلياس - رحمه الله - حركته بادئ ذي بدء بالكلمة والصلاة، وحينما بدأ العمل ، وبدأت الجماعات تخرج ، أضاف عليها العلم والذكر، وبعد أيام أضاف

---

(١) - الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ١٤، تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ٣٩، تبليغى جماعت كا تاريخى جائزه لمحمد ايوب قادري ٩٣ - ٩٤ .

(٢) - انظر : زاد الداعي ١٠ وما بعدها .

(٣) - انظر : چهه باتين لمحمد عاشق الهي ٤ - ٥ .

(٤) - الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ١٤، تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ٣٩، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٧٤٠ - ٧٤١ .

إكرام المسلم ثم حينما رجع من حجه الأخير أكمل الأصول الستة بل أضاف بعض الأصول المنكشفة عليه أيضا، ومن أهمها : ترك ما لايعني ، والأمر بالمعروف وترك النهي عن المنكر[١] .

وقد صرح بذلك الشيخ محمد ثاني الحسني عن اهتمام الشيخ محمد يوسف بهذه الأصول فيقول : « والأصول الستة التي ينحصر عليها هذا العمل انحصارا كاملا هي : الكلمة، والصلاة، والعلم، والذكر، وإكرام المسلم، وتحسين النية، وتفريغ الوقت، فكان يبذل كل الجهود في إلزام كل واحد أن يلتزم بهذه الأصول الستة »[٢] .

ونظرا إلى أهمية الأسس الستة قد ألف الشيخ محمد يوسف عنها رسالة في اللغة العربية في ضوء الأحاديث النبوية، وفهارسها كالآتي :

---

(١) – تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ٣٩ ، ١٢٣ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٧٤٠ – ٧٤١ .

وما زالت الرسالة مسودة [(١)] .

وينبغي أن نتكلم هنا بشيء من التفصيل عن هذه المبادئ ، فالتبليغيون كل ما يذكرون أصلا من أصولهم يبينون مقصده وفضله ثم طريقة الحصول عليه كما يتضح هذا في السطور التالية :

١ - **الكلمة الطيبة** (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

فمقصد لا إله إلا الله كما يبينونها في محاضراتهم وجولاتهم هو إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله ، وأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله .

ويتكلم عنها إكرام الله جان قاسمي فيقول : « مقصد لا إله إلا الله أن الله سبحانه وتعالى هو المعبود الحقيقي وهو وحيد في ذاته وصفاته، فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والمعز والمذل، وبيده كل شيء، فينبغي لنا أن نخرج اليقين الفاسد على ذات الأشياء ونأتي باليقين الكامل على ذات الله تعالى وصفاته في قلوبنا » [(٢)] .

وفضائل هذه الكلمة كثيرة منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « مَفَاتِيحُ الجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ » [(٣)] .

---

(١) - تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف صاحب امير تبليغ ٥٦ .

(٢) - زاد الداعي ١٠ -١٢ .

(٣) - انظر : زاد الداعي ١٢، والشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٢٤، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٤٢ من حديث معاذ بن جبل، مرفوعا .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٢) وعزاه للإمام أحمد، وقال : ورجاله وثقوا إلا أن شهرا لم يسمع من معاذ .

وقوله : « مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً دَخَلَ الجَنَّةَ، قيل : وما إخلاصها ؟ قال : أَنْ تحجزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ » [1] .

وقوله : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ »[2] .

والجزء الثاني لهذه الكلمة « محمد رسول الله » فمقصده أننا كما نتيقن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم هكذا نتيقن أن الفوز والنجاح في اتباع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل الطرق تؤدي إلى الهلاك والدمار ما عدا طريقة محمد صلى الله عليه وسلم » [3] .

---

(١) – انظر : زاد الداعي ١٢، الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٢٣ .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥/٢٢٣ ، ح : (٥٠٧٤) ، وفي الأوسط ٢ /٥٦ ، ح : (١٢٣٥) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، قال : نا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، مرفوعا .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضاع .

(٢) – انظر : زاد الداعي ١٢، الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٢٣ .

وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١/ ٥٧ – ٥٨ ، ح : (٢٩) ، والترمذي في السنن ٥ / ٢٣ – ٢٤ ، ح : (٢٦٣٩) ، والإمام أحمد في المسند ٥/٣١٨، وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١/٤٣١ – ٤٣٢ ح : ٢٠٢) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا .

(٣) – زاد الداعي ١٢ .

ومن فضائله قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى، قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى »[2]، وقوله صلي الله عليه وسلم : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ »[3].

وإذا أقر العبد بكلمة لا إله إلا الله وجب عليه امتثال أوامر الله تعالى كلها، فأفضلها وأهمها الصلاة[4].

أقول : إن الكلمة الطيبة كما رأينا هي الأصل الأول من أصول التبليغيين، وهم بذلوا في تصحيح نطق الكلمة وحفظها جهودا غير قليلة، وجهودهم مثمرة وملموسة يشهدها كل من عاش المجتمع الذي خالطهم التبليغيون، فكم من الناس كانوا لا يستطيعون أن ينطقوا الكلمة الطيبة نطقا صحيحا، بل كم منهم لا يعرفون الكلمة، ولكن بجهود الجماعة حفظوها وبدأوا ينطقونها نطقا سليما .

ولكن يجب على الإخوة التبليغيين أن يعرفوا شروط هذه الكلمة ومقتضاها؛ لأنها لا تنفع إلا من قالها بلسانه، وعرف معناها، واعتقدها بقلبه، وعمل بما تقتضيه .

---

(١) – آل عمران ٣١ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٨ / ٤٨٩، ح : (٧٢٨٠) عن أبي هريرة مرفوعا .

(٣) – انظر : زاد الداعي ١٤، والحديث أخرجه البغوي في شرح السنة ١ / ٢١٢ – ٢١٣ ، ح : (١٠٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، مرفوعا .

وفي سنده نعيم بن حماد وهو صدوق يخطئ كثيرا، فقيه عارف بالفرائض . التقريب ص ٥٦٤ .

(٤) – زاد الداعي ١٤ .

ومن مقتضياتها أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحب في الله ، والبغض في الله ، والموالاة في الله ، والمعاداة في الله، ولكن حينما نشاهد واقعهم الحالي نجدهم أنهم يقصرون في هذا الجانب بل لا يهتمون بذلك ، حتى إنهم لا يتكلمون عن توحيد الألوهية بحجة أنه يورث العناد لا الصلاح، ويوجد الفرقة لا الألفة، لذا يفسرون الكلمة الطيبة بتوحيد الربوبية كما يقول الشيخ محمد يوسف في معنى « لا إله إلا الله » يعني لا صانع ولا معطل إلا الله (١) .

وقد تكلمت عنه في مبحث موقف الجماعة من توحيد الربوبية (٢)، ولا يخفى أن مفهوم هذه الكلمة ومعناها هو « لا معبود بحق إلا الله وأنه يستحق جميع أنواع العبادة وحده، فلا تصرف عبادة من العبادات إلا إليه » ولكننا عرفنا فيما سبق من معتقدات مشائخ الجماعة أنهم يصرفون أنواعا من العبادة إلى أصحاب القبور مثل الدعاء والاستغاثة إلى غير ذلك، فعلم من هذا أن التبليغيين قد تمسكوا بمجرد التلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله، ومع ذلك يعملون ويعتقدون بما يخالف مقتضى هذه الكلمة .

وعلى هذا فإن تعلقهم بالكلمة الطيبة، وجعلهم إياها أصلا من أصولهم الستة يكون مجرد دعوى لا حاصل لها، والله نسأل أن يهديهم حتى يتركوا ما هم عليه من المخالفات وأنواع البدع والمنكرات .

٢ - إقامة الصلوات .

فمقصد هذا الأساس أن يبذل كل مسلم جل عنايته إلى أن يؤدي صلواته في غاية

---

(١) - حضرت جى كى يادگار تقريرين لمنشى أنيس أحمد ٨٢ .

(٢) - انظر ص ٢٠٠ .

التذلل والخضوع ، وأن لا تكون صلاته بصورتها الظاهرية فقط بل تكون بتمام الخضوع في جميع أركانها وأعمالها مع المحافظة عليها[١] .

يقول صاحب كتاب « زاد الداعي » : مقصد الصلاة أننا نجتهد لأداء الصلاة على الهيئة التي صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بها أصحابه فقال : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي »[٢] ، فلنحافظ عليها مع مراعاة أوقاتها وأركانها وآدابها مقتديا بالمصطفى صلى الله عليه وسلم .

وفضائل الصلاة كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[٣] .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الصلاة تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[٤] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ »[٥] .

---

(١) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٣٣ .

(٢) – أخرجه البخاري في الصحيح ٧ / ١٠١ – ١٠٢ ، ح : (٦٠٠٨) ، وفي الأدب المفرد (٢١٣) ، وصححه ابن خزيمة ح : (٣٩٨) وابن حبان (الإحسان ٤ / ٥٤١ ، ح : ١٦٥٨) .

(٣) – المؤمنون ١ – ٢ .

(٤) – العنكبوت ٤٥ .

(٥) – أخرجه الطبراني في الأوسط ٢ / ٢٤٠ ، ح : (١٨٥٩) عن أنس ، مرفوعا .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٢٩٢ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه القسم بن عثمان قال البخاري : له أحاديث لا يتابع عليها ، وذكره ابن حبان في « الثقات » وقال : ربما أخطأ .

وقوله : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قال : فَذَلِكَ مثلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا » [(١)].

والصلاة ذات الخشوع والخضوع لا بد لها من العلم [(٢)].

أقول : إن الصلاة فريضة واجبة على كل مؤمن ومؤمنة، فقد أمرنا الله تعالى بإقامتها في كثير من الآيات في كتابه العزيز حيث قال تعالى : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [(٣)].

وجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن الثاني من أركان الإسلام الخمس فقال: « بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ البَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ » [(٤)].

وفضل الصلاة عظيم وأجرها كبير، والأحاديث في ذلك كثيرة منها :

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١٦٧ ، ح : (٥٢٨) ، ومسلم في الصحيح ١ / ٤٦٢ – ٤٦٣ ، ح : (٦٦٧) ، عن أبي هريرة مرفوعا .

(٢) – زاد الداعي ١٤ – ١٦ .

(٣) – النساء ١٠٣ .

(٤) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ٩ – ١٠ ، ح : (٨) ، ومسلم في الصحيح ١ /٤٥ ، ح : (١٦) ، وابن خزيمة ح : (٣٠٩) وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١/٣٧٤ ، ح : ١٥٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، مرفوعا .

لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا » [(١)] ، وقال عليه السلام : « رَأْسُ الأُمُورِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » [(٢)] .

كما جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية محذرة من ترك الصلاة وتأخيرها عن وقتها، كقوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [(٣)] ، وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [(٤)] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ » [(٥)] .

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١٦٧ ، ح : (٥٢٧) ، ومسلم في الصحيح ١ / ٨٩ – ٩٠ ح : (٨٥) ، عن عبد الله بن مسعود مرفوعا .

(٢) – أخرجه الترمذي في السنن ٥ / ١٣ ، ح : (٢٦١٦) ، والنسائي في الكبرى ٦ / ٤٢٨ ، ح : (١١٣٩٤) وابن ماجة في السنن ٢/١٣١٤، ١٣١٥ ، ح : (٣٩٧٣) وأحمد في المسند ٥/٢٣١ ، من حديث معاذ بن جبل ، مرفوعا .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) – مريم ٥٩ .

(٤) – الماعون ٤ – ٥ .

(٥) – أخرجه مسلم في الصحيح ١ / ٨٨ ، ح : (٨٢) ، وأبو داود في السنن ٤/٣١٩ ، ح : (٤٦٧٨) ، والترمذي في السنن ٥/١٤ – ١٥، ح : (٢٦٢٠) عن جابر بن عبد الله ، مرفوعا .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال « العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » [(١)] .

والتبليغيون بعد ما يبذلون جهودهم في تصحيح نطق كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يتبادرون إلى الأمر بالصلاة، وقد يبذلون في هذا الجانب جهودا كبيرة ، ولهم محاولات جادة في جولاتهم وسياحتهم بأمر الصلاة ، وكل من خالط الجماعة وخرج معهم يشهد بذلك، وهم يحاولون بكل المحاولات أن يربطوا المسلم بالمسجد، فكم من المسلمين بالأمس كانوا لا يهتمون بالصلاة حتى الجمعة ولكن اليوم يلتزمون بالصلوات المكتوبة والنوافل وذلك من فضل الله ثم من جهود جماعة التبليغ المشكورة .

وجماعة التبليغ كما تهتم بأمر الصلاة بالجهود العملية فهي تهتم أيضا بالجهود القولية، فالذين يتكلمون في جولاتهم واجتماعاتهم عن الأسس الستة فهم يركزون على موضوع الصلاة مستدلين بالآيات والأحاديث والقصص، ولكن مع كثرة الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك هم يخلطون الصحيح بالسقيم ، فيستدلون بعض الأحيان بالأحاديث الواهية [(٢)] حتى الموضوعة في ذلك، ويبالغون في ذكر القصص والحكايات الصوفية[(٣)] .

---

(١) – أخرجه الترمذي في السنن ١٥/٥، ح : (٢٦٢١) ، والنسائي في السنن ٢٣١/١ – ٢٣٢، وابن ماجة في السنن ٣٤٢/١ ، ح : (١٠٧٩) والإمام أحمد في المسند ٣٤٦/٥ ، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه ، مرفوعا .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح : (٢١١٣) وفي صحيح ابن ماجة ح : (١٠٧٩) .

(٢) – انظر : فضائل نماز ٢٦، ٣١، ٣٦، ٧٣ .

(٣) – انظر : فضائل نماز ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٦، ٨١، ٨٥ .

ومن أراد التفصيل في ذلك فليطالع كتاب الشيخ محمد زكريا الذي ألفه في فضائل الصلاة [١] .

وقد يبالغون في فضل صلاة الجماعة حتى يقول الشيخ محمد زكريا : « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بـ (٣٣٥٥٤٤٣٢) درجة [٢]، وقد أفتى بعضهم أن من خرج في الجولة التبليغية تضاعفت صلاته بأربعمائة وتسعين مليون (٤٩٠/٠٠٠٠٠٠) درجة [٣] .

ويبينون أن جميع المشاكل نجد حلّها في الصلاة، فيقول الشيخ محمد يوسف في بعض محاضراته : « كيف تم الحفاظ على النبي صلى الله عليه وسلم في غار ثور ؟ ومن أين جاء الفتح والفوز في بدر ؟ وكيف حُفظ من الهجمات في خندق ؟ .... وجميع المسائل التي واجهها النبي صلى الله عليه وسلم إذا سألتم كيف انحلّت ؟ فيكون الجواب : أنّ كلها انحلت بالصلاة » [٤] .

« وقد ألقى الله خزائن كسرى وقيصر في أقدام المسلمين وأصبح الأعراب أمراء المناطق، وهذا كله حصل بالصلاة » [٥] .

وقد يبالغون في بيان أهمية الصلاة إلى درجة توحي الدعوة إلى التواكل وترك

---

(١) – انظر : المرجع السابق .

(٢) – فضائل نماز ٤٢ .

(٣) – فتاوى دار العلوم حقانية اكوره رقم ١٨٣٤٨، انظر : رسالة كار گزارى بمع قرآن وحديث كى روشنى مين انجاس كرور كنا ثواب ٢١ – ٢٣ ملخصا ، سوانح حضرت جى ثالث ٥٠٧ .

(٤) – حضرت جى كى يادگار تقريرين ٩٥ .

(٥) – حضرت جى كى يادگار تقريرين ٩٦ .

الأسباب مثل ما نجده في كلام الشيخ محمد يوسف الذي يقول : « إن لم يكتسب الرزق وطلبه من اللّه بالصلاة فقط فهذا جيد ... والأمثلة لذلك أولياء اللّه في الطرق الأربعة، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعيسى عليه السلام وأصحاب الصفة ومئات آلاف من الأمثلة للذين عاشوا بالصلاة فقط » [١] .

ومثل هذا النص يؤكد على أن الرزق يتحقق بدون اتخاذ الأسباب المادية بل يكفي السبب الغيبي فقط وهو الصلاة، ويحث على ذلك ويستشهد بأهل الطرق .

ولا يخفى على المسلم أن هذه الفكرة تعارض طبيعة الدين الإسلامي والنص القرآني كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾[٢] .

ولا شك أن ما استدل به فيه نظر؛ لأن كون الصلاة سببا من أسباب سعة الرزق فلا شك في ذلك ولكن لا يتعارض ذلك مع اتخاذ الأسباب التي حث عليها الشارع .

وما استدل به فليس بصحيح فالنبي صلى اللّه عليه وسلم كان يباشر الأسباب، ومنها الجهاد في سبيل الله ، وقد ثبت عنه صلى اللّه عليه وسسلم : « جُعِل رزقي تحت ظل رمحي » [٣] وأهل الصفة كانوا هناك : لأنهم فقراء، وليس معنى ذلك أنهم كانوا لا يباشرون الأسباب من بعد، وفي هذه الدعوة قد نجد خطورة؛ لأنها تدعو إلى ترك الأسباب ومن ثم يقتضي أن يتركوا أعمالهم ووظائفهم ولو امتثل إليها جماعة التبليغ لأدى ذلك أن

---

(١) – حضرت جى كى يادگار تقريرين ٩٨ – ٩٩ ملخصا .

(٢) – الجمعة ١٠ .

(٣) – انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٦ / ١٥٥ باب ما قيل في الرماح .

يتركوا أعمالهم ووظائفهم، ولكن الواقع في التطبيق العملي لا نجدهم يطالبون الناس بترك الأسباب .

وذات مرة قال الشيخ محمد يوسف في بيان أهمية الصلاة : « بعد ما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم أصغى الناس آذانهم إلى صدره، فسمعوا كلمة «الصلاة ، الصلاة » [١] ، وقد بالغ في أجر الصلاة حيث قال : « أجر كل صلاة جنة أكبر من السماوات السبع والأرضين السبع »[٢] .

ولا شك أن الصلاة سبب في دخول الجنة لكن هذا القول لا يقبل إلا من المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهذا جانب من الغلو والإفراط، مع أنهم يهتمون بقيام الليل وصلاة التطوع والنوافل إضافة إلى ما يحافظون على الصلوات المكتوبة .

ولكن في جانب آخر نراهم يفرطون بحيث لا يلتزمون بالسنن في الصلوات مثل رفع اليدين والتأمين بالجهر ولا يراعون أحكامها كما صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال « صلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصلِّي » [٣] .

بل رأيتهم في المركز الرئيسي بنظام الدين وغيره في مساجد التبليغيين بأنهم يؤخرون صلاة الظهر إلى قرب العصر، ويؤخرون العصر إلى قبيل المغرب، ورأيتهم يمنعون الجمع بين الصلاتين في الأسفار، وعن الجمع والقصر في صلاة الظهر والعصر بعرفة

---

(١) – حضرت جى كى يادكار تقريرين (فرمودات يوسفي) ٣٥ .

(٢) – حضرت جى كى يادكار تقريرين ١٠٠ .

(٣) – أخرجه البخاري في الصحيح ٧ / ١٠١ – ١٠٢ ، ح : (٦٠٠٨) ، وفي الأدب المفرد (٢١٣) ، وصححه ابن خزيمة ح : (٣٩٨) وابن حبان (الإحسان ٤ / ٥٤١ ، ح : ١٦٥٨) .

يوم الوقفة ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم جمعا وقصرا وقال : « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » [١] . وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم .

ويتحمسون لمنع الجمعة في القرى ، ويمنعون أتباعهم الأحناف في رمضان من أداء الوتر خلف الإمام في الحرمين الشريفين وفي غيرهما من المساجد التي يصلي فيها الوتر على غير طريقة الأحناف ، كما لا يصلون التراويح في المساجد التي يصلي فيها الإمام ثماني ركعات بل يصلون جماعة عشرين ركعة كما حصل في الرياض ، وذلك كله تقليدا وتعصبا للمذهب الحنفي [٢] .

ويتعجب الباحث حينما يشاهد مناظر من الإفراط والتفريط في مركزهم الرئيسي بنظام الدين دهلي ، مثلا هم لا يستخدمون مكبرات الصوت في مسجدهم بالمركز في الصلوات المكتوبة مع أنهم يصلون في الأدوار المتكررة ، فالذين يصلون في الصفوف الخلفية أو الأدوار الفوقانية لا يسمعون صوت الإمام حتى يفرقوا الصلوات الجهرية من السرية ، ولعلهم يحتجون في ذلك بعدم استخدام النبي صلى الله عليه وسلم مكبرات الصوت في الصلاة – مع أنها وسيلة مشروعة – ويزداد الباحث عجبا وحيرة أنهم في نفس الوقت يستخدمون مكبرات الصوت للدعاء الجماعي الذي لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يلتزمون ختمة سورة ياسين جماعيا بعد كل صلاة المغرب وما إلى ذلك من البدع

---

(١) – أخرجه النسائي في السنن ٥/٢٥٨، وابن ماجة في السنن ٢ /١٠٠٦، ح : (٣٠٢٣) ، وأبو يعلى في المسند ٤ /١١١ ، ح : (٢١٤٧) عن جابر بن عبد الله ، مرفوعا .

(٢) – أفادني بذلك السيد محمد رفيق شاكر الباكستاني في الحرم الشريف ، وهو رافق الجماعة سنين طويلة ثم تركها لتعصبهم للمذهب الحنفي وترجيحهم إياه على السنة النبوية .

الإضافية .

وقد رأيتهم يتمركزون ويصلون في المساجد التي يوجد فيها القبر كمسجدهم في المقر الرئيسي بنظام الدين الذي توجد في داخل سور المسجد عدة قبور لمؤسس الجماعة وأمرائها في الركن الخلفي من الجهة الشرقية الجنوبية .

ومسجد في حي « پيري » ببنارس الهند وهو مقرهم ببنارس ويوجد قبر في فناء المسجد، ويجتمع فيه التبليغيون في كل ليلة الأحد ويبيتون فيه ويصلون ولا يتحرجون ، والجماعات التبليغية التي تأتي من خارج بنارس تنزل فيه وتمكث حسب برامجها كما شاهدتها أكثر من مرة ، وقد أفتى العلماء بأن الصلاة لا تجوز في المسجد الذي يوجد فيه القبر .

٣ - العلم والذكر .

يقول إكرام الله جان قاسمي : « مقصد العلم أن نتعلم علم الدين حتى نعرف الحقوق والفرائض ونميز الحلال من الحرام، وفضائل العلم كثيرة منها ما دل عليها قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سلَكَ طَرِيقاً يلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجنَّةِ » [٢] .

---

(١) – الزمر ٩ .

(٢) – أخرجه مسلم في الصحيح ٤ / ٢٠٧٤ ، ح : (٢٦٩٩)، والترمذي في السنن ٥/٢٨، ح : (٢٦٤٦) ، وابن حبان كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٢٨٤ – ٢٨٥، ح : (٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقوله : « فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ » [(١)] .

ويلزم مع العلم الذكر حتى يأتي الخشوع واللينة [(٢)] في قلوبنا فمقصد الذكر أن نذكر الله سبحانه وتعالى كل حين حتى تتطهر قلوبنا من أثر المعاصي وتأتي فيها خشية الله تعالى .

ومن فضائل الذكر قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [(٣)] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قالوا : وما رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قال : حِلَقُ الذِّكْرِ » [(٤)] .

---

(١) – أخرجه الترمذي في السنن ٥ / ٤٦ – ٤٧ ، ح : (٢٦٨١) ، وابن ماجة في السنن ٨١/١ ح : (٢٢٢) ، والطبراني في المعجم الكبير ١١ / ٧٨ ، ح : (١١٠٩٩) ، عن ابن عباس ، مرفوعا .

قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم .

قلت : في سنده : رَوْح بن جَنَاح الأموي ، قال الحافظ ابن حجر : ضعيف اتهمه ابن حبان .

انظر : تقريب التهذيب ص ٢١١ ، ت : (١٩٦١) ، وانظر أيضا : كشف الخفاء ٢ / ١٣٢، والعلل المتناهية ١ / ١٣٤ . ويقول الألباني : موضوع . انظر : ضعيف الجامع الصغير ٥٨١ ح ٣٩٨٧ .

(٢) – كذا في زاد الداعي ١٨ ولعل الصواب اللين .

(٣) – الجمعة ١٠ .

(٤) – أخرجه الترمذي في السنن ٥ / ٤٩٨ ، ح : (٣٠٥٩ ، ٣٥١٠) ، عن أبي هريرة وأنس بن مالك ، مرفوعا . وقال : هذا حديث حسن غريب . والإمام أحمد في المسند ٣ / ١٥٠ عن ابن عباس مرفوعا ، وأورده الهيثمي في المجمع ١ / ١٢٦ عن ابن عباس وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه رجل لم يسم . والحديث يتقوى بمجموع الطرق إلى درجة الحسن لغيره كما قال الترمذي والله أعلم .

وقوله : « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ » [١] .

يقول الشيخ صدر الدين عن هذا الأصل : « فالمبدأ الثالث لهذه الدعوة الإيمانية هو الاهتمام بذكر الله، وكسب العلم الديني، وعند مواظبة العبد على هذه الأمور الثلاثة لا بد أن يجد نفسه تتوجه إلى الصراط المستقيم، ويشعر قلبه بحلاوة الإيمان ... وعند ما يصح سلوكه مع الله يشتاق إلى تحسين سلوكه مع عباد الله، وهنا تأتي مرحلة معاملته مع الناس » [٢] ، ولعله أراد به إكرام المسلم وهو الأصل الرابع من أصول الجماعة .

أقول : إن العلم والذكر كما لا يخفى يقوم عليهما الكمال الإنساني، ولا يمكن لأحد أن يصل المثالية المنشودة إلا بالعلم والذكر، فلعله لا يوجد على وجه الأرض من ينكر ما للعلم من الأهمية والمكانة فهو الخاصية التي تميز الإنسان عن سائر البهائم، وهو الذي يرفع البشر من حضيض الذل إلى سمو العز، وقد ورد في الكتاب والسنة فضائل كثيرة للعلم كما قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ﴾[٣] .

انظروا كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنّى بالملائكة وثلّث بأهل العلم، وناهيكم بهذا شرفا ونُبْلا .

---

(١) – متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في الصحيح ٧ / ٢١٦ ، ح : (٦٤٠٧) ، ومسلم في الصحيح ١ / ٥٣٩ ، ح : (٧٧٩) ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، مرفوعا ، وانظر : زاد الداعي ١٦ – ١٨ ملخصا .

(٢) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٤٣ – ٤٤ بالتصرف .

(٣) – آل عمران ١٨ .

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على طلب العلم كما قال : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » [(١)] .

وقال : « لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » [(٢)] .

وأما الذكر ففضائله كثيرة دلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، منها :

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [(٣)] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » [(٤)] .

---

(١) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب العلم ١ / ٣١ ، ح : (٧١) ، وفي فرض الخمس ٤ / ٣٨٠ ، ح : (٣١١٦) ، وفي الاعتصام ٨ / ٥٠١ ، ح : (٧٣١٢) ، ومسلم في الصحيح ٢/ ٧١٨ – ٧١٩ ، ح : ٩٨ – (١٠٣٧) و ١٠٠ – (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان ، مرفوعا .

(٢) – أخرجه البخاري في العلم ١ / ٣٢ ، ح : (٧٣) ، وفي الزكاة ١ / ٤٣٢ ، ح : (١٤٠٩) وفي الأحكام ٨ / ٤٤٥ ، ح : (٧١٤١) ، ومسلم في الصحيح ١ / ٥٥٩ ، ح : (٨١٦) ، عن عبد الله ابن مسعود ، مرفوعا .

(٣) – الرعد ٢٨ .

(٤) – أخرجه مسلم في الصحيح ٤ / ٢٠٧٤ ، ح : (٢٧٠٠) ، والترمذي في السنن ٥ / ٤٢٩ ح : (٣٣٧٨) ، وابن ماجة في السنن ٢ / ١٢٤٥ ، ح : (٣٧٩١) ، والإمام أحمد في المسند ٣/٣٣، ٤٩، ٩٢، ٩٤، وأبو يعلى في المسند ٢/٤٤٤ – ٤٤٥، ح : (١٢٥٢) عن أبي هريرة وأبي سعيد ، مرفوعا .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقد أدرك الشيخ محمد إلياس أهمية العلم والذكر، ولذا كان يركز – رحمه الله – تركيزا دقيقا، حتى تدرك الجماعة أهميتها ومكانتها في الساحة التبليغية .

ولذا وجه ذات يوم بعد الفجر في مسجد نظام الدين خطابه إلى الجماعة التي خرجت في التبليغ بقوله : « إن جهودكم وجولاتكم تذهب هباء منثورا إن لم تهتموا معها بالعلم الديني والذكر الإلهي، بل أستشعر الخوف، وأخشى إن تغافلتم عنهما فتصير هذه الجهود والمساعي بابا جديدا للفتنة والضلالة »[١] .

وقال مرة أخرى : « إن للعلم والذكر أهمية بالغة في تبليغنا، ولا يتحقق العمل ولا معرفته بدون علم، والعلم ظلمة على ظلمة بدون ذكر، ولا يوجد فيه نور، ولكنه يوجد نقص في هذا الجانب لدى رجالنا »[٢] ، وكان يقول : «إن العلم والذكر بمثابة جناحي الطائرة لا تستطيع أن تطير بدونهما»[٣] .

وبعد هذا التمهيد عن العلم والذكر وشعور الشيخ محمد إلياس تجاههما لا ننسى أن العلم منه نافع ومنه غير نافع، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع .

وعلم جماعة التبليغ من العلم الذي قل نفعه وكثر ضرره، والدليل على ذلك أن المراد بالتعليم لدى الجماعة هو دراسة وقراءة كتاب « تبليغي نصاب » وفي بداية الأمر قرر الشيخ محمد إلياس مجموعة من كتب الفضائل للشيخ محمد زكريا وبعض الكتب للشيخ أشرف علي التهانوي، فهو يقول في بعض رسائله إلى الشيخ الندوي وغيره : « أتمنى أن يُقرر من

---

(١) – ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس ٣٩ .

(٢) – المرجع السابق ٤٦ .

(٣) – تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ٦٤ .

محكمة التبليغ نصاب للعلم يتأصل في جذور كل واحد فيقرأ الذي يعرف القراءة وحده ثم يُسمع الآخرين، ويعمل به أولا ثم ينشره في حشد من الناس »[١] ، ومرة يقول : « في رأي العبد الفقير أمر ضروري أن تتقرر كتب مذكورة أدناه للتعلم والتعليم للمبلغين وفي أماكن التبليغ »[٢] .

وقد ذكر من الكتب المقررة لديه : جزاء الأعمال، راه نجات (سبيل النجاة) للتهانوي، فضائل نماز (فضائل الصلاة) حكايات الصحابة، فضائل الذكر، فضائل القرآن، فضائل التبليغ للشيخ محمد زكريا [٣] .ثم تقرر فيما بعد أنه يجب على التبليغيين أن يقرأ باسم التعليم من كتاب « تبليغي نصاب » فقط، ولا يلتفت إلى غيره، ولا يتكلم من عند نفسه سواء كان في الجولات التبليغية أو في بيته .

فقد بين الشيخ محمد يوسف طريقة التعليم وأصوله حيث يقول : « إذا وفق الله فليُقرأ في التعليم من ثلاث إلى أربع صفحات من كل كتاب [٤]، ولا يتكلم من نفسه، فلا يقرأ في التعليم الجماعي ولا يسمع ولا في التعليم الانفرادي إلا مؤلفات الشيخ محمد زكريا – دامت بركاتهم – وهي كما يلي : فضائل القرآن المجيد، فضائل نماز (الصلاة)، فضائل التبليغ ، فضائل الذكر، فضائل الصدقات ج ١ ,٢، فضائل رمضان، فضائل الحج (في أيام الحج)، العلاج الوحيد لانحطاط المسلمين الحالي لاحتشام الحق، ويعد القراءة من

---

(١) – مكاتيب حضرت مولانا محمد الياس ٢٨، ٩١ – ٩٢ .

(٢) – المرجع السابق ٥٣ .

(٣) – المرجع السابق ٢٨، ٤٠، ٥٣، ٩٢ .

(٤) – يعني بالكتاب : كتاب «تبليغي نصاب» للشيخ محمد زكريا فهو مجموعة كتب الفضائل .

هذه الكتب تتم المذاكرة للأرقام الستة ، يُكلف المرافقون أن يبينوها .

وإذا بدأ التعليم يُرسل اثنان لجولة التعليم ليُحاولا أن يشارك أهل القرية في التعليم، وفي زمن الخروج يتم التعليم في الصباح وبعد الظهر من ساعتين إلى ثلاث، وفي زمن الإقامة يتم التعليم بهذا الترتيب على مقامه يوميا ساعة » [١] .

وبالفعل التزمت الجماعة هذا الأصل باسم التعليم في حلها وترحالها وفي حضرها وسفرها وسارت على منوالها كما يبين الشيخ أبو الحسن الندوي في إحدى رسائله إلى الشيخ محمد زكريا يكتب فيها جداوله في الباخرة فيقول : « إن باخرتنا في الحقيقة محطة تبليغية ... يقام مجلس التعليم صباحا، وتتم الجولة بعد العصر في جميع طبقات وسرادقات الباخرة، وتتم قراءة كتب الفضائل صباحا، وبهذا لسنا محرومين من أنفاسكم ونفائسكم في هذه النائية »[٢] .

فقد تبين لنا فيما ذكرت بكل وضوح أن التعليم لدى الجماعة لا يكون إلا من « تبليغي نصاب » أي منهج التبليغ أو « المقرر في منهج التبليغ » وهذا الذي شاهدته أنا أكثر من مرة في المخالطة معهم، وهذا الذي صرح بذلك صاحب كتاب « زاد الداعي » أن أهل «اردو» يقرؤون كتاب « فضائل الأعمال »[٣] فهو يبين آداب حلقة التعليم حيث يقول : « الحلقة تشتمل على ثلاثة أجزاء :

---

(١) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي ٧٥٧، تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف الكاندهلوي ١٠١ – ١٠٢ .

(٢) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٣٩٧ .

(٣) – هذا اسم جديد لكتاب « تبليغي نصاب » .

الجزء الأول هو قراءة القرآن مع تجويد الحروف، وهي سورة الفاتحة وعشر سور الأخيرة من القرآن الكريم .

والجزء الثاني هو قراءة الكتاب، لأهل « اردو » كتاب « فضائل الأعمال » يقرؤون من كل حصة بعض الأحاديث مع الشرح، والعرب يقرؤون « رياض الصالحين » و«حياة الصحابة » .

والجزء الثالث هو مذاكرة ست صفات في نهاية الحلقة، ويبين كل واحد وسطا يعني لا بالتفصيل ولا بالإجمال »(١) .

وقد سبق أن عرضت نماذج من كتاب « تبليغي نصاب » للشيخ محمد زكريا تبين ما فيه من غث وما يحتويه من أحاديث وقصص باطلة ، كما أكثر فيه من حكايات الصوفية ، فهذا منهج تعليمهم، ومبلغ علمهم ، ولا يعملون عمليا إلا بالعلم المحصور في الكتاب المذكور .

وخلاصة القول أنهم يحاربون العلم باسم العلم مع الإعراض عن كثير من العلم بالمسائل في العقائد والأحكام وكثير من الفرائض والواجبات .

وأما العامة من التبليغيين فإنهم يريدون الخير والعلم الديني الصحيح، ولكنهم لم يجدوا في محيطهم من يرشدهم إليه .

وأما خواصهم في الهند فعندهم موانع قوية من قبول النصيحة، ومنها جمود وتقليد شديد وعصبية لا يكاد يخرق سورها منهم إلا من هداه الله؛ فهم لا يحبون الناصحين من علماء أهل السنة؛ لأنهم قد فتنوا بتعظيم كبرائهم من أمرائهم ومشايخهم، وتعظيم طرائقهم التي يأمرونهم بسلوكها ولزومها .

---

(١) – زاد الداعي لإكرام الله جان القاسمي ٤٦ .

يتحدث الشيخ سيف الرحمن عن هذا الأصل فيقول : « ... ويوجبون الرقائق والعلم بالحكايات وأكثرها غير ثابتة ، وأكثرها خرافات ومن قبيل الموضوعات أو الكرامات المكذوبة والمصطنعة ومن حكايات مشايخ الطرق أو المتاجرين بالدين ، ويوجبون الإكثار من علم الفضائل والعمل بها ، ويلاحظ أن الفضائل مبناها التساهل كما صرح العلماء به ، ويهربون من العلم بالمسائل ولا سيما العلم بالأدلة ... فهم يحاربون العلم باسم العلم وباسم التبليغ ، وبذلك يحاربون الدين باسم الدين وباسم تبليغ الدين ، وبطبيعة الشيء إذا كانت العامة جهلت مسائل دينها وقعت في شبكة كبرائها ... لأن الناس إذا بقوا على جهلهم عظموا كبراءهم ومن يتاجرونهم في دينهم ...

وإن من غريب مضار الجهل ما حدث بالهند وباكستان عدة أحداث ، فمنها ما كاد أن يحدث ولكنه استدرك قبل أن يحدث ، ومنها ما حدث فعلا ، وذلك من بعض أهل الدين والصلاح والتقوى حيث أنهم رأوا في المنام أنهم ذبحوا – أو يذبحون بعض أولادهم الذكور خاصة – فلما أصبحوا ظنوا منامهم إلهاما وأمرا وابتلاء لهم من الله رب العالمين ، فقاموا وأنجزوا ما أمروا به في زعمهم ، وفعلا ذبحوا أبناءهم من أصلابهم كما يذبح الكبش مطرحا وهو ينظر ، وأحسنوا ذبحتهم في زعمهم واحتسبوهم وأحسنوا احتسابهم في زعمهم ، فيا لهول المنظر ويا لفظاعة الجهل .

ولما أخذوا ونوقشوا ، قالوا : لم نأت أمرا ولم نحدث نكرا ، وإنما أنجزنا ما أمرنا به واتبعنا فيه سنة ،سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ولا يعلمون أن منام الأنبياء وحي ومنام الصلحاء بشائر أو أضغاث أحلام ومجرد رؤيا منام أو إضلال شيطان ، والسبب في جهلهم هذا أو أمثاله قيادتهم الدينية فهي المسئولة عن جهل الأتباع .... » [(١)].

---

(١) – نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية ٣٧ – ٣٩ ملخصا .

وأما الذكر : فذكرت له بالإيجاز ما له من الفضائل والأهمية في القرآن والأحاديث النبوية، وقد جعله مؤسس الجماعة أصلا من أصول حركته ، وأحب أن أشير إلى أن الشيخ محمد إلياس إذا أطلق الذكر أراد به الذكر الجهري الچشتي يعني التسبيح الاثني عشري [١].

وقد ألف في فضائله الشيخ محمد زكريا كتابا مستقلا باسم فضائل الذكر، ومن المعلوم أن الذكر ما كان منه سالما من البدع فهو مقبول عند الله، وما كان ممزوجا بالبدع فهو مردود كما دلت عليه الأحاديث وأقوال الصحابة مثل ابن مسعود وغيره رضي الله عنهم .

وقد لاحظنا فيما مضى من علاقة الجماعة بالتصوف والصوفية والغلو ، كما لاحظنا في حياة أبرز الشخصيات أنهم يفسرون الذكر بالأوراد المأثورة الثابتة، ثم يتدرجون بها إلى غير الثابتة، ومنها إلى الأوراد المتخذة عند الصوفية أي طريق كان من الطرق الصوفية، وهكذا يتعين معنى الذكر ومصداقه عندهم، ويتعين الواجب عندهم في باب الذكر من النفي والإثبات ، والأنفاس القدسية والمراقبة والأذكار الچشتية ، والاقتصار على لفظ الجلالة أو على كلمة « هو، هو، هو » بدلا عن قول (لا إله إلا الله) وورد دلائل الخيرات وقصيدة بردة وغيرها .

وقد استدل الشيخ محمد زكريا في كتابه فضائل الذكر كعادته بعدة أحاديث موضوعة وواهية [٢] ، وذكر قصصا وحكايات غريبة عن الصوفية التي تعارض تعاليم

---

(١) – ذكر واعتكاف كى اهميت ١١ – ١٢ ، ٥١ .

(٢) – انظر : فضائل ذكر ٧٦، ٩٥ – ٩٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧ .

الإسلام السمحة، ومصطلحاتهم الخاصة من الذكر الجهري والذكر الخفي والعشق والمراقبة والأحوال والمقامات إلى غير ذلك من الخرافات [١] .

ومعظم هذه الأذكار بدع ومن الشرع في الدين بما لم يأذن به الله .

وجملة القول أن معظم اعتمادهم في العلم والذكر ليس إلا على الرؤية المنامية [٢] والحكايات المحكية وشيء من فضائل الأعمال النفلية التطوعية وبعض الأوراد المأثورة .

وننصح إخواننا التبليغيين أن يأخذوا منها ما صفا ويتركوا ما كدر، ويلتزموا بالأوراد والأذكار الثابتة الواردة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، ففيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

٤ - إكرام المسلم .

يقول إكرام الله جان : « مقصد إكرام المسلم أن نكرم إخواننا المسلمين ونؤدي حقوقهم ونكف عن إيذائهم، فنحترم الكبار ونرحم الصغار، ونوقر العلماء والمشايخ » [٣] ويقول الأستاذ صدر الدين عامر : « ومغزى هذا المبدأ هو التعرف على مكانة المسلم والنصح له، وعلى كل مسلم أن يحترم أخاه ويحبه، وينصح له مهما ساءت حالته الدينية، ومهما انحط مستواه الدنيوي فيعامله برفق ولين، ولا يتكبر ولا يتعاظم على أحد، بل

---

(١) - انظر : المرجع السابق ١٨، ٢٠، ٣٩، ٤٣، ٥٢، ٦٨، ٧٤، ٨٤، ٨٥، ٩٠، ٩٢، ١٥٤ .

(٢) - يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي : البيان الذي أبينه تأتي مضامينه غالبا في المنام ليلا، وبعد هذا كان الخدم يحتاطون في إيقاظ الشيخ بل كان ينام أثناء البيان الذي يقوم به بعد الفجر حتى يتوقف البيان ثم يقول : أنا آخذ النوم أثناء البيان .

انظر : سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي ٦٦٨ .

(٣) - زاد الداعي ٢٠ .

يستجلب محبة عباد الله بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنعه »[١] .

وقد وردت النصوص الكثيرة في إكرام المسلم كقوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾[٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى »[٤] .

وقال : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »[٥] .

وقال : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ »[٦] .

---

(١) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٤٨ .

(٢) – الحجر ٨٨ .

(٣) – الحجرات ١٠ .

(٤) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في الصحيح ١٠٢/٧، ح : (٦٠١١) ، ومسلم في الصحيح ١٩٩٩/٤، ح : (٢٥٨٦) ، عن النعمان بن بشير ، مرفوعا .

(٥) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١١، ح : (١٣) ، ومسلم في الصحيح ١ / ٦٧ ، ح : (٤٥) ، عن أنس بن مالك ، مرفوعا .

(٦) – أخرجه ابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٤٠٦ ، ح : (١٨٠) ، والترمذي في السنن ٥ / ١٨ ، ح : (٢٦٢٧) ، والنسائي في السنن ٨ / ١٠٤، ١٠٥، والحاكم في المستدرك ١ / ١٠ ، عن أبي هريرة ، مرفوعا .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : قد اتفقا على إخراج طرف حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ولم يخرجا هذه الزيادة ، وهي صحيحة على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

ويشير إلى طريقة الحصول على هذا الأساس الأستاذ صدر الدين عامر حيث يقول :

« ويجاهد لإكرام أخيه المسلم معتقدا بأن الرحمة الإلهية المنشودة لا تنزل على المجتمع إلا بممارسة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم » [(١)] .

ويقول إكرام الله جان القاسمي : « ويلزم علينا أن كلا من الأعمال نعملها خالصة لوجه الله تعالى »[(٢)] .

قلت : إنّ إكرام المسلم أمر محبوب ومطلوب، وقد رأيتهم متعاونين ومتحابين فيما بينهم، يتخاطبون بكل شفقة واحترام، وهذا الطابع غلب عليهم ويعرفه كل من خرج معهم وجالسهم حتى أصبح شعارهم ودثارهم .

كما أن من عادتهم أنهم يوجهون الدعوة بطريقة لطيفة ومؤدبة وعلى مستوى عال من الأخلاق ، سواء كان عالما أو جاهلا ، مثقفا أو عاميا ، ويختار لها ألفاظا لطيفة ليس فيها ما يحرج أو يزعج أو يثير الغضب مشفوعا بالابتسامة بعض الأحيان ، ولا يستخدم الجدال بل التأني والصبر واللين ، ولكن الشيء الذي يُلقي الباحث في الحيرة والاستعجاب أن بعض الأحيان قد يصدر من التبليغيين ما يخرم هذا الأصل .

ونذكر هنا بعض النماذج على سبيل المثال :

١ - إني كنت في ١٤١٨/٥/١١ هـ الموافق ١٩٩٧/٩/١٢م يوم الجمعة بمقر الجماعة الرئيسي بنظام الدين دهلي، وصليت الجمعة معهم وحضرت في الكلمة التي ألقاها الشيخ سليمان الكجراتي بعد الجمعة، وقد تحدث عن «الشلة» وفضائلها وبين أن حل جميع

---

(١) - انظر : الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٤٨ - ٤٩ ملخصا .

(٢) - زاد الداعي ٢٢ .

المشاكل في الشلة، وأن كل ما نراه من الظلم والطغيان هو بسبب عدم الخروج في الشلة .

وتكلم عن الأسس الستة، ومن ضمنها عن إكرام المسلم وأهميته، وفي النهاية بدأ التشكيل ثم جلست معهم بعد المغرب، وكان هناك بعض المسئولين يطلبون الجماعات التي رجعت من الشلة، ويختار منهم واحدا ليقدم التقرير الشفهي عن الشلة وبرامجها التي قضاها.

والمسئولون كانوا يركزون أن لا يكون التعليم إلا من الكتب السبعة التي يحويها « تبليغي نصاب » وأن لا يخرجوا من المبادئ الستة، ثم بدأ تشكيل الجماعات ورأيت المسئولين كانوا يصرون علي الجماعات التي رجعت من الشلة ولم يذهبوا إلى أهاليهم أن يسجلوا أسماءهم لمدة أربعة أشهر أخرى حتى سجل بعضهم بالجبر والإكراه .

وصلينا العشاء في الساعة العاشرة والنصف، وأعلن بعد الصلاة أن هناك سيكون درس عن السيرة النبوية، ثم يكون الدعاء، وجاء الشيخ محمد سعد وقرأ حديث الهجرة إلى الحبشة من كتاب حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، واستدل به على الشلة والخروج مع الجماعة، وأنه نوع من الهجرة ... وقد انتهى الدرس مع الدعاء حول الساعة الحادية عشر والنصف .

وأعلن أن كل واحد ينام في المسجد فجلست في داخل المسجد إذ بجانبي رجل له رداء كبير، قال لي : نم عليه فتمددت عليه في ناحية وهو في ناحية أخرى حتى جاء ني النوم إذ جاءني رجل في منتصف الليل وأيقظني وسألني : ليس عندك شيء تفرشه ؟ فقلت له : لا ، ثم سألني أنت من أي جماعة ؟ قلت : أنا لست من الجماعة، فقال : تعال سجل اسمك لدى المشرف لعله يعطيك الرداء والفراش .

وحينما ذهبت إليه سألني بنفس السؤال : أنت مع أي جماعة ؟ فقلت له : لست مع الجماعة، فقال : أين فراشك ؟ فقلت له : ليس عندي فراش، قال : من أين جئت ؟ ولأي غرض جئت ؟ ... فأجبته بأنني جئت من بنارس للسياحة في دهلي، وصليت الجمعة هنا ثم حضرت المحاضرات الدينية من بعد صلاة الجمعة إلى بعد صلاة العشاء، وسمعت أن هناك سيكون البيان والخطاب بعد صلاة الفجر فجلست في المسجد كما أعلنوا حتى أحضر في الاجتماع بعد صلاة الفجر وأستفيد ثم أعود ...

وبعد هذا الحوار قال لي : « من تعليمات كبارنا أن لا يُقام في المسجد الذي ليس معه رداء أو فراش ولذا غيّر المسجد واذهب إلى مسجد آخر، فقلت له : يا شيخ أي مسجد مفتوح الآن في منتصف الليل حتى أذهب إليه، ولكنه أصرّ بقوله : هكذا قال كبارنا فما عليك إلا أن تغيّر المسجد أو اذهب إلى أي مكان آخر، فسلمت عليهم وذهبت إلى فندق « ذكي » بجواره واستأجرت السرير فقضيت بقية الليل في القلق والاضطراب على أن الجماعة التي من أسسها إكرام كل مسلم وهي تكرر دائما في المحاضرات والبيانات، وقد سمعت منهم طول النهار ولكن أفرادها كيف يتغيرون في التطبيق والعمل وحتى يطردون من بيت الله في منتصف الليل رجلا مسلما مسافرا وغريبا مع أن هناك مئات من الناس من مختلف القرى والبوادي يبيتون في نفس المسجد بمظاهر غير لائقة .

وهذا يدل على أنهم لا يطبقون هذا الأساس إلا لمن ينتمي إليهم أو يرجى منه أن يأتي في جماعتهم وأن يكون منهم .

ومن تجنب عنها من المسلمين أو نبه على أخطائهم يبغضونه أشد البغض .

وقد كتب في هذا الصدد عدة قصص الشيخ حمود التويجري – رحمه الله – في

كتابه « القول البليغ » ومنها قصتهم مع فاروق حنيف الذي كتبها بيده وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم، في الاجتماع المنعقد لجماعة التبليغ يوم السبت ٢٨ رجب ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٢ مايو ١٩٨٢م وحيث الحشود والوفود تجتمع في مدينة شارلوروا قررت الذهاب هنالك لملاقاة بعض الإخوة الباكستانيين القادمين من دانمارك لحضور اللقاء وتم بحمد الله التقائي بهم في قاعة التجمع، واستمعنا معا إلى بيانات مشائخ التبليغ وغير ذلك طيلة يوم السبت إلى صلاة العشاء، وبعد انقضاء الصلاة قمت مع أمير جماعة التبليغ في دانمارك لنذهب إلى المكان الذي حطّوا فيه رحالهم، وأثناء ذلك اعترضني القادري أميرهم في الدار البيضاء فظننت أنه سائلي سؤالا عابرا، ومضى صديقي دون أن يشعر بتخلفي عنه، فسألني القادري قائلا : كيف تجد قلبك تجاه العمل الذي نقوم به والخروج في سبيل الله ؟ فأجبته بأني غير مطمئن لطريقة هذا الخروج، فاستفسرني عن سبب ذلك، فأجبته قائلا : إني أفضل أن يكون خروجي أربعة أشهر لتعلّم اللغة العربية والحديث والفقه في الدين، ولا أرغب الاستماع إلى الخرافات والمنامات التي لا شأن لي بها، فأجابني على الفور بقوله : إذا؛ في قلبك نفاق، فقلت له : هل أنت مطلع على قلبي ؟ فأجاب أن نعم، فقلت له : ما دمتَ بهذه المنزلة فأنت ربي؛ لأنه هو وحده المطلع على القلوب كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[1] فقبض من يدي بقوة، فقلت له : إليك عني، فقال لي : ورد في الحديث : « مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِالعَصَا » فبادرته قائلا : اتق الله، لا تحرّف حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما قال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) - غافر ١٩ .

« مَنْ رأَى مِنكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ... » الحديث [(١)] .

فلم يصبر آنذاك ، حتى جرّني إليه بقوة، ولم يدع لي فرصة لآخذ نعلَي، فأخذني إلى حجرة صغيرة ، وطلب مني أوراقي، كأنه رجل مخابرات، فسلمته أوراقي، فأخذها وانصرف بعد أن خلّف من يحرسني، ثم عاد بعد حوالي ثلاث ساعات مع رجل آخر، فأخذاني إلى مكان خلفيٍّ في الخارج ، خالٍ عن حركة الناس، فربطوا يديّ من وراء ظهري، وانهال عليّ القادري ضربا وركلاً وجراً للحيتي وضرباً برأسي على الجدار .

وأذكر من بين ما كان يقال لي أثناء التعذيب : « من أين جئت بسيارة مشحونة بالسلاح ؟ » ثم انصرف بعد أن خلف من يحرسني !

وبعد ربع ساعة تقريبا عاد إليّ القادري مع رجل أردني وآخر مغربي يصحبهم الهامي التونسي أميرهم بفرنسا، وعادوا إلى ضربي وتعذيبي تحت نظر الهامي ورعايته، وجاءوا بمهزلة أخرى، وذلك قولهم لي : إنهم وجدوا سيارة مشحونة بالسلاح، وإنّ لي ارتباطا بها، وغير ذلك من الترهات التي لا يصدقها عاقل، فبادرتهم بقولي أن لا علاقة لي بهذا على الإطلاق، وإن كان ما تزعمونه حقا، فأخبروا الشرطة التي تحقق في هذا .

واستمروا في تعذيبي دون أن يحصلوا مني على نتيجة، ثم هدّدوني بالكهرباء فقلت : إني أفوض أمري إلى الله، إنه بصير بالعباد، وألبسوني ثوبا ويداي مقيّدتان كما سبق، وأخذوني إلى مكان أعلى في حجرة ضيقة، حيث هنالك آلة لتوليد الكهرباء ، وأجلسوني على

---

(١) - أخرجه مسلم في الصحيح ١ / ٦٩ ، ح : (٤٩) ، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٥٤٠ - ٥٤٢ ، ح : (٣٠٦) و (٣٠٧) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، مرفوعا .

حديدة، والعجلة من وراء ظهري، وأخذ بلحيتي يجرها حتى أقرّ بما ورائي من سوء كما ادّعوا، ثم قفل الباب، وظللت وحيدا على تلك الحالة سوى واجهة أنظر من خلالها الناس وينظرون إليّ ومن حين لآخر يأتي من يتولى إذائي، ويقوم بتعذيبي، حتى أدركني الفجر وأنا على ذلك، فصلّيت بعينيّ وأنا على تلك الحال حتى طلعت الشمس .

وحوالي الحادية عشرة جاءني القادري، نصحني بالابتعاد عن المسلمين، وأخذني لأغسل ما أصابني أثناء تعذيبي من التشويه حتى بعد الثانية عشرة ناولني أوراقي وأطلق سراحي مكررا نصحه لي بالابتعاد عن المسلمين .

وهكذا يا أحبابي الكرام يكون إكرام المسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإليه المشتكى، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وجاء في خاطري وأنا خارج المكان أن أذهب إلى الشرطة، وأخبرهم بما جرى لي مع هؤلاء ولكني فضّلت الصمت مراعاة لمصلحة الإسلام والمسلمين .

التوقيع : فاروق حنيف »[١].

ويعلق الشيخ التويجري على هذه القصة فيقول : « ففيها دليل على بغض التبليغيين للسنة وأهلها، وفي اعتدائهم على بعض أهل السنة، وإهانتهم وطردهم من مجتمعاتهم، دليل على أن إكرام المسلم المتمسك بالسنة لا وجود له عند التبليغيين، وأنهم إنما جعلوا إكرام المسلم أصلا من أصول بدعتهم، ليصيدوا به السذج الذين ينخدعون لظواهر أقوالهم التي يراد بها الخديعة للأغبياء واستدراجهم إلى قبول البدع والجهالات والإعراض عن السنة وأهلها » [٢] .

---

(١) – القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ ٥٤ – ٥٧ .

(٢) – المرجع السابق ٥٦ .

٣ – قد أفادني الزميل الأخ خان محمد عبد السلام أفغاني الجنسية الطالب في الدراسات العليا بكلية الشريعة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في تاريخ ١٤١٩/١١/٢٦ هـ عن واقعة تدل على إساءة التبليغيين لمن ينقد الجماعة وعقائدها، فهو يقول : « إنّ المولوي عتيق الله – أحد العلماء المهاجرين الأفغان إلى باكستان في منطقة وزيرستان بمحافظة « وانا» كتب كتابا ينقد فيه ما تحمل الجماعة بعض العقائد الخرافية وغيرها من المسائل، فبعد ما طبع الكتاب ونشر في السوق، قامت جماعة التبليغ بسحب هذا الكتاب من السوق، وحذروه بالتحذير الشديد حتى هددوه بالقتل، واضطر المولي عتيق الله أن يهجر هذه المنطقة فتركها في الليل وانتقل إلى بلده أفغانستان فورا خوفا منهم » [١] .

وهذا الشيء نفسه حدث مع الدكتور تابش مهدي كما جاء في مقدمة كتابه « تبليغي نصاب ايك مطالعة » : أنه حينما ألف هذا الكتاب ونشره، وتكلم فيه عن كتاب « تبليغي نصاب » وما فيه من الخرافات ، وصلته رسائل مليئة بالسب والشتم حتى هُدّد بالقتل من قبل الجماعة [٢] .

٥ – **تصحيح النية .**

يقول إكرام الله جان : « ومقصده أن نجعل نياتنا خالصة لوجه الله تعالى في كل عمل صالح، ونجتنب الرياء والسمعة والأغراض الذاتية في كل الأعمال » [٣] .

ويقول الأستاذ صدر الدين عامر : « فمغزى هذا المبدأ أن يواصل العبد محاسبة نفسه في قيامه وقعوده وأكله وشربه وعن جميع حركاته وسكناته، ويستحضر في كل وقت

---

(١) – المقابلة الشفهية والتحريرية مع الأخ خان عبد السلام الأفغاني في تاريخ ٢٦ /١١ /١٤١٩ هـ .

(٢) – انظر : تبليغي نصاب ايك مطالعه ٦ – ٧ .

(٣) – زاد الداعي ٢٢ .

أنّ عليه مهيمنا يعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .

فمن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وإذا استخلص قلبه من المطامع الدنيوية استطاع أن يؤدي كل واجبه سواء كان نحو ربه أو نحو عباده على الوجه المطلوب الذي تترتب عليه الثمار النافعة »[١] .

ومن فضائل تصحيح النية قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[٣] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى »[٤] .

وقوله : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »[٥] .

أما طريقة الحصول على هذا الأساس يبينها إكرام الله جان القاسمي فيقول :

« وكيف تأتي هذه الصفات الثمينة في حياتنا وحياة المسلمين أجمعين ؟ فلا بد له من

---

(١) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٥٢ .

(٢) – الزمر ٢ .

(٣) – البينة ٥ .

(٤) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ٢ ، ح : (١) ، ومسلم في الصحيح ٤ / ١٥١٥ ، ح : ١٥٥ – (١٩٠٧) ، عن عمر بن الخطاب ، مرفوعا .

(٥) – أخرجه مسلم في الصحيح ٤ / ١٩٨٦ – ١٩٨٧، ح : ٣٣ – (٢٥٦٤) – (٢٥٦٥)، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢ / ١١٩ – ١٢٠، : (٣٩٤)، عن أبي هريرة ، مرفوعا .

الخروج في سبيل الله حتى نتمرن ونتدرب للحصول على هذه الصفات وتترسخ في قلوبنا وأعمالنا[1] .

قلت : إن تصحيح النية شرط من شروط قبول الأعمال، ولا بد أن تكون كلها لله تعالى ابتغاء لمرضاته، وأن تكون متابعة بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهما شرطان أساسيان فمن عمل خالصا لله ولكنه ليس عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو رد .

وقد ذكرت فيما تقدم عن مشائخ التبليغيين من البدع والمنكرات والعقائد الفاسدة شيئا كثيرا، ولا شك أن الفساد الظاهر في أقوالهم وأعمالهم يدل على فساد النيات وبعدها عن الإخلاص لله .

فنصيحتي لإخواننا التبليغيين ومشايخهم أن يخلصوا نياتهم لله تعالى ويعملوا جميع الأعمال كما أمرهم جل وعلا وكما بينه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإنّ خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم .

٦ - النفر في سبيل الله .

يقول إكرام الله جان : « فمقصده أن نخرج في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا، وندعو الناس إلى الله ورسوله حتى ينتشر ويحيى الدين في العالم كله » [2] .

ويقول الأستاذ صدر الدين عامر : « ومغزى هذا المبدأ هو التخلي عن مشاغلنا اليومية للتمرن والجهد في إجراء الحياة على السنة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم ، ودعوة الآخرين إلى التمرن والجهد » [3] .

(١) - زاد الداعي ٢٢ ، ٢٤ .

(٢) - زاد الداعي ٢٤ .

(٣) - الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٥٣ .

ويذكر التبالغة في فضائله الأدلة الكثيرة [١] ومنها :

قوله تعالى : ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢] ، وقوله : ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[٣] ، وقوله : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤] ، وقوله : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »[٦] ، وقوله : « لاَ يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ »[٧] .

ويتحدث عن طريقة الحصول على هذا الأساس إكرام الله جان حيث يقول : « وكل شيء لا يتحصل إلا في بيئته الخاصة ، وبيئة الدين هي غير بيئة البيوت والأسواق والمصانع

---

(١) – انظر : الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٥٢ – ٥٣، زاد الداعي ٢٤، ٢٦ .

(٢) – التوبة ١٢٢ .

(٣) – التوبة ٣٩ .

(٤) – آل عمران ١٠٤ .

(٥) – التوبة ٤١ .

(٦) – أخرجه البخاري في الصحيح ٣ / ٢٧٤ ، ح : (٢٧٩٢) ، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٦ / ٤١١ – ٤١٢ ، ح : ٧٣٩٨) ، عن أنس بن مالك ، مرفوعا .

(٧) – انظر : زاد الداعي ٢٦، والحديث أخرجه النسائي في السنن ٦ / ١٢ ، ١٣، والإمام أحمد في المسند ٢ / ٣٤٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا ، وصححه الحاكم في المستدرك (٢ / ٧٢) على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

وإنما هي بيئة المساجد، فينبغي لنا أن نخرج في سبيل الله ونجاهد بأموالنا وأنفسنا » [(١)].

قلت : إن الأمر الذي لا مرية فيه أن الجماعة قد نالت شهرة واسعة على مستوى العالم بسبب كثرة التنقل بين المسلمين مما جعلها تحصل على أكبر مدى من الاتصال بعامة المسلمين ، كما أنها استطاعت أن تغرس حب الجولة والسياحة والشغف بها ، وتغلغلها في أعماق الإنسان إضافة إلى إظهار الطاقات الكامنة فيه لدافع الخير ، واستخدامها على مدى واسع بذكر الترغيب في الجولة ، واستخدام كافة النصوص الواردة في الجهاد في سبيل الله وتضحيات الصحابة رضي الله عنهم فيه تأييدا واستدلالا لغرضها ، ويبالغون في خروجهم الجماعي للتبليغ هذا مبالغات عجيبة كما لاحظنا فيما مضى أنهم يعتقدون في خروجهم للتبليغ أنه الجهاد في سبيل الله بل الجهاد الأكبر[(٢)] ، وأصبحت السياحة هي الركن الأساسي لديهم، فمن قبلها واشتغل بها أحبوه وأكرموه، ومن خالفهم فيها لم يقبلوا منه شيئا، وإن كان مؤديا بجميع الواجبات .

وتسميتهم السياحة بالنفر في سبيل الله يتكلم عنها الدكتور محمد تقي الدين الهلالي – رحمه الله – فيقول : « هذه التسمية عجيبة هل هو نفر من عرفة إلى مزدلفة ؟ أو هو النفر الذي قال الله تعالى فيه : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[(٣)] .

لا هذا ولا هذا، والسياحة لم تكن دينا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه

---

(١) – زاد الداعي ٢٦ .

(٢) – انظر : جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ٣ .

(٣) – التوبة ٤١ .

الراشدين إلا عند البراهمة وأمثالهم من البديين [١] وغيرهم .

وقال مالك – رحمه الله : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ؛ لأني سمعت الله يقول : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾[٢] وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا » [٣] .

(١) – كذا في الأصل ولعله يقصد « البوذيين » .

(٢) – المائدة ٣ .

(٣) – انظر : السراج المنير ١٥ بالتصرف .

* المبحث الثاني *

أساليب الدعوة عندها

وبعد أن عرضنا وعرفنا أسس الدعوة لدى الجماعة ، فما هي الأساليب التي يسلكونها لتوصيل هذه الأفكار إلى الآخرين ؟

بداية نحب أن نشير إلى أن الجماعة لا تؤمن بالأساليب المعاصرة ، فلا تستخدم الكتب فضلا عن المجلات والجرائد والنشرات ، ولا الشريط الإسلامي فضلا عن الإذاعة والتلفزيون مع أن الشيخ محمد إلياس يقول : « كنت أكره أن أستخدم الكتابة والتأليف في صدد هذه الحركة التبليغية وللدعوة إليها ولكني الآن لا أمنع ... »[1] .

إلا أننا لا نجد التأليف شائعا عندهم إلا في نطاق ضيق كتبليغي نصاب للشيخ محمد زكريا ، وحياة الصحابة لمحمد يوسف ، وليس في الكتابين تعريف بالجماعة ولا دعوة لها ، وإنما تقرؤهما الجماعة في مراكزهم وفي الخروج وحلقات التعليم ، وما نجد من كتب التعريف بالجماعة فليس بأمر من الجماعة .

وإذا وجدنا بعض المدارس في مراكزهم كمدرسة كاشف العلوم في نظام الدين فلا يعني هذا استخدام التعليم لنشر أفكارها ، وإنما هي مدارس وجدت قبل وجود الجماعة واستمرت مع وجود الجماعة ، ولهذا لا نجد الجماعة تهتم كجماعة بإنشاء المدارس في القارة الهندية فضلا عن أنحاء العالم ، وإنما تنحصر قناعتهم في أسلوب واحد وهو الخروج في سبيل الله بمعنى تفريغ الأوقات ، والجولات من قرية إلى قرية ومن بلد إلى بلد

---

(١) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ١١٤، تبليغي جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ٥ – ٦ .

ومن دولة إلى دولة ...

ولذا مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس تجنب دائما من استعمال وسائل الدعاية الرائجة، بل كان يؤكد أن يقوم الجهد كله على العمل، وينشر بالتمرين والتدريب بدون استخدام الوسائل الحديثة للنشر والإذاعة .

كان يرى أن المقصود من الدعوة هو تأثر القلب بحيث تظهر آثار هذا التأثر في الحياة العملية، وهو لا يحصل إلا بالتمرن العملي .

قال الشيخ : « المنهاج العمومي للتعليم والتربية الذي نتوخى ترويجه بهذا الجهد هو نفس المنهاج الذي كان متداولا ورائجا في زمن الرسول عليه السلام (إذ لم تكن لديهم كتب ولا نشرات ولا مدارس بمعناها المتبادر) بل كان تعليم الدين يجري على هذا المنهاج .

وأما الطرق التي ابتكرت فيما بعد لهذا الغرض فهي التي أنشأتها الضرورة الحادثة، ولكن الناس نسوا المنهاج الأصلي الذي راج في عصره عليه السلام، وأحلوا محله الطرق المبتكرة ، وأخذوا يفهمونها أصلا مع أن الحق أن التعليم والتربية على نطاق عام لا يمكن تحقيقها إلا بتلك الطريقة الأصلية » [١] .

فالخروج هو الأساس في الجماعة ، يبين الشيخ محمد إلياس أحوال الأمة الإسلامية في العصر الراهن ويرى أن ترك الخروج سبب لنهاية الخلافة حيث يقول : « اكتفينا بالجماعات وتركنا المشي والخروج مع أنه أساس مهم فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمشي ويخرج ويتبعه أصحابه رضي الله عنهم ... فخلاصة القول أنّ الخروج والسعي في

---

(١) – انظر : الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٣ – ٥ بالتصرف .

نشر الدين أصل أساسي لما تُرك الخروج هذا انتهت الخلافة » [١] .

وإذا كان يرى أن نهاية الخلافة سببها ترك الخروج ، ففي موضع آخر يرى الشيخ أن طعم الإيمان لا يتحقق ، ولا يتم الاستحكام مع الدين إلا بالخروج كما يقول : « إذا لم تقوموا أنتم بكل اهتمام في قومكم لكي يخرجوا لمدة أربعة أشهر للتبليغ من بلد إلى بلد، ويجعلوه جزء حياتهم فلا يذوق القوم ذواق الدين ولا حلاوة الإيمان أبدا » [٢] .

ويقول : « ومقصدي أنه إذا لم يلتزم من كل بيت شخص أن يخرج للتبليغ دائما بالتناوب لم يحصل الأنس والاستحكام مع الدين » [٣] .

ويهذا الأسلوب يريد أن يحيى الأسلوب النبوي القديم كما يظن حيث يقول : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل جماعات لتعليم الدين، ومست الحاجة لإحياء هذه الطريقة التبليغية » [٤] .

وما نقلته عن مؤسس الحركة الأول يؤكد أهمية الخروج عنده ، ويبين قناعته بأنه هو الأسلوب الوحيد لإحياء الخلافة وإحياء الدين .

وإذا انتقلنا إلى الشيخ محمد يوسف فنجده يستدل بأحاديث الجهاد مرغباً في الخروج في الجولات التبليغية مبيناً تضحيات الصحابة وخروجهم في جميع الأحوال ليرغب الناس في الخروج لهذا العمل في جميع الأحوال فهو يقول : « لغدوة أو روحة في سبيل الله

---

(١) – مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٢٨٥ – ٢٨٦ ملخصا .

(٢) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٢٢٣ .

(٣) – المرجع السابق ٢٢٤ .

(٤) – مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٦٦ . ويسأل الباحث أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل كم جماعة إلى اليمن والمدينة والأماكن الأخرى لتعليم الدين ؟

خير من الدنيا وما فيها، ويضاعف أجر الصلاة والذكر والتسبيح والإنفاق فيه سبعمائة ضعف، وتستجاب دعوات الذين يبذلون جهودهم في هذا السبيل كدعوات أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ... نضحي أنفسنا في أشكال التضحيات ونشغلها في أعمال الهجرة والنصرة .

وقد خرج الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في كل حال، وقت النكاح والزفاف، وعند الولادة والوفاة، وفي الحر والبرد، وفي الجوع والفاقة، وفي الصحة والمرض، وفي القوة والضعف، وفي الفتوة والشيخوخة ... » [١] .

ثم يبين الأوقات التي ينبغي للإنسان أن يبذلها ليتدرب هذه الأعمال فيقول : « وليربط الناس مع هذه الأشياء نطالب من كل شخص لمدة أربعة أشهر أن يترك مشاغله وأمتعته وأهله ودياره ، ويخرج وهو يدعو ويتدرب من قرية إلى قرية ، ومن إقليم إلى إقليم، ومن بلد إلى بلد ... ويتدرب في هذه الشهور الأربعة أنه كيف يأتي بكل فرد من الأمة إلى مسجد ويحمله على ثلاث شلات ليتعلم هذا العمل .

وإذا رجعت من الشلة فتحيي هذه الأعمال في مسجد حارتك، وتقوم بجولتين في الأسبوع تجمع أهل الحارة وتوجههم إلى هذا العمل، ويخرج شخص من كل بيت للتدريب لمدة ثلاث شلات، وتقوم بجولة حول مسجدك، والجولة الأخرى حول مسجد آخر، وتشكل جماعة محلية في كل مسجد، ويقوم أهل كل مسجد بتعليم الفضائل[٢] .

---

(١) – تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٩٧ .

(٢) – وهي مجموعة كتب الفضائل التي ألفها الشيخ محمد زكريا .

انظر : تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي ١٠٢، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٧٥٧ .

وتخرج جماعة من كل مسجد لمدة ثلاثة أيام في حدود عشرة أميال ليحرض الناس على هذا العمل، ويلتزم كل أخ للخروج لمدة ثلاثة أيام شهريا، ويهتم بالشلة سنويا، وفي العمر ثلاث شلات على الأقل .

فالشلة في السنة وثلاثة أيام في الشهر، وجولتان في الأسبوع، وتعليم الفضائل والتسبيحات والتلاوة هذا أقل النصاب الذي تقوم حياتنا به حياة دينية » [(١)] .

وهذا الترتيب ذكره إكرام الله جان حيث يقول : « وينبغي لكل مسلم أن يخرج في سبيل الله لأربعة أشهر حتى يتعلم كيف يدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى، وبعد ذلك يخرج لأربعين يوما في السنة ولثلاثة أيام في الشهر، ويهتم بجولتين في الأسبوع : جولة مقامية، وجولة انتقالية ، ويقوم بحلقتي التعليم حلقة في المسجد وحلقة في البيت ، ويناصر الجماعات الواردة، ويفرغ نفسه لساعتين ونصف في اليوم، ويكون دائما في الفكر لنشر الدين وإعلاء كلمة الله في العالم كله »[(٢)] .

هذا أقل ما ينبغي أن يبذله المسلم من أوقاته ، أما إذا أراد أن يقوم بإصلاح الناس أجمعين فيتجاوز من هذا الحد كما يقول الشيخ محمد يوسف : « وإذا أردنا أن نقوم بإصلاح الإنسانية أجمعين، وبمقاومة الباطل فنتجاوز من هذا النصاب، فنصرف نصف أوقاتنا وأموالنا في سبيل الله، والنصف الآخر في تجارتنا والأمور المنزلية أوعلى الأقل الثلث في سبيل الله وثلثين في مشاغلنا، يعني تخرج لمدة أربعة أشهر في كل سنة ...

---

(١) – تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوى ٩٨ .

(٢) – زاد الداعي ٢٦ – ٢٨ .

فعملية الجولة والخروج هو أصل الأساس في هذه الحركة » [١] .

هذا ما رأينا أهمية الخروج وترتيبه لدى الشيخ محمد يوسف وإذا جئنا إلى الشيخ إنعام الحسن نراه أيضا يستدل بأحاديث الجهاد مرغبا وحاثا على الخروج في الجولات التبليغية مثل الحديث : « لاَ يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ » [٢] ، و « لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » [٣] ، بل يعتقد أن الخروج التبليغي هو علاج لسائر المصائب ، وحل لجميع المشاكل في الدارين ، كما يبن هذا في رسالة كتبها إلى المراكز التبليغية بعد وفاة الشيخ محمد يوسف فيقول : « إن الحق تعالى شأنه هدانا جميعا – بفضله وكرمه – إلى أمر عال لجهد الدين – يعني الخروج التبليغي – وفيه علاج كامل لمصائب الدارين للأمة المحمدية المرحومة ، فما عليكم إلا أن تبذلوا جميع مجهوداتكم لتوسيع هذا العمل منهمكين فيه ، وموقنين أنه علاج لكل مصيبة ... وأفرغوا أوقاتكم لأماكن بعيدة ولمدة طويلة ، واهدوا ثوابها إلى حضرة الشيخ محمد يوسف : وهذه الرسالة كانت لها تأثير بالغ حتى خرجت مئات جماعات لإيصال الثواب إلى الشيخ محمد يوسف » [٤] .

وينصح رجلا – ذكر عنده مصائبه ومشكلاته – قائلا : « إن علاج كل بلاء ومصيبة وصعوبة أن تنتسب إلى الأمر الديني – يعني البرنامج التبليغي – بكل إخلاص ، فتشارك

---

(١) – تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف الكاندهلوي ٩٨ – ٩٩ ملخصا .

سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي ٧٥٠ – ٧٥٣ ملخصا .

(٢) – انظر : سوانح حضرت جى ثالث ٢ / ٢٦٠ ، ٢٦١ ، والحديث تقدم تخريجه في ٤٨١ .

(٣) – انظر : المرجع السابق ٢ / ٣٠٧ ، والحديث يأتي تخريجه في ص ٤٠٠ .

(٤) – سوانح حضرت جى ثالث ١ / ٢٨٥ .

في تعليم المسجد - أي قراءة وسماع تبليغي نصاب - وفي جولة محلية ، وإذا وصلت جماعة من الخارج فارتبط معهم وتشاركهم في الجولة ، وأفرغ من أوقاتك لتخرج في سبيل الله لمدة ثلاث شلات ، أي أربعة أشهر ، فتزول المصائب التي ذكرتها وغيرها - إن شاء الله تعالى »[١].

ولا يظن ظان أن تقدير الخروج بأربعة أشهر أو ثلاثة أيام هي عملية تنظيمية ، بل يستغرب الباحث عند ما يقف من كلام الشيخ محمد يوسف على أن هذا الخروج قامت الأدلة على مشروعيته ، إذ يقول : « إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة في الخارج فرغّب الصحابة لمدة ثلاثة [٢]أيام ثم قال لهم : تقومون بنفس العمل في الخارج كما قمتم به هنا »[٣].

ويقول : « إنه صلى الله عليه وسلم قام بترتيب الأوقات، فخرج الصحابة من أهل المدينة لمدة أربعة أشهر بأموالهم في سبيل الله لكي يقوم جو العبادة في الدنيا، ومكثوا ثمانية أشهر في منازلهم حيث يقضون النصف من النهار في المسجد والنصف الآخر في التجارة، والنصف من الليل في المسجد والنصف الآخر في المنزل، ومن هذا الاعتبار كانوا يصرفون أربعة أشهر لقيام بيئة العبادة المحلية، وشهرين للتجارة وشهرين لمنازلهم، وأربعة أشهر في الجولات الخارجية لقيام بيئة العبادة .

وهذا الترتيب أعلى، وهناك ترتيب أدنى، وهو أن يخرج مرة لمدة أربعة أشهر وأربعين

---

(١) - المرجع السابق ٣ / ٤١٣ - ٤١٤ .

(٢) - يا سبحان الله ! من أين له هذا الهراء .

(٣) - سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي ٧٦٠، تذكره حضرت جى ١٠٤ .

يوما سنويا، وثلاثة أيام شهريا، وجولتين أسبوعيا، والالتزام بالتعليم والتسبيح يوميا، والاجتماع الأسبوعي، وهذا الترتيب كالذي دميت أصبعه وسمى شهيدا » [(١)] .

وبعد أن عرفنا أن الخروج هو الأسلوب الوحيد الذي تراه الجماعة ، والأوقات التي يجب بذلها في الخروج من ثلاثة أيام إلى أربعة أشهر ، فهنا يأتي تساؤل ماذا يعملون في خروجهم ؟ وكيف ينظمون أوقاتهم ؟

وعلى وجه الإجمال نقول : **إن الخارج يقضي وقته في أمور أربعة :**

١ - الدعوة . ٢ - التعليم . ٣ - العبادة . ٤ - الخدمة .

ويتجنب من أربعة : ١ - الإسراف . ٢ - الإشراف [(٢)]. ٣ - السؤال . ٤ - استعمال ملك الغير بدون إذنه .

ويتقلل في أربعة : ١ - الطعام والشراب . ٢ - النوم . ٣ - قضاء الحاجات . ٤ - الكلام المباح الدنيوي [(٣)].

ولا يخوض في أربعة :

١ - المسائل الفقهية . ٢ - المسائل السياسية . ٣ - أوضاع الجماعات الأخرى [(٤)] .

٤ - الجدل .

---

(١) - حضرت جى كى ياد كار تقريرين ١٠١ .

(٢) - وهو الطمع فيما في يد الغير .

(٣) - تبليغى جماعت كيليى روانگى كى هدايات ١٥ - ١٦ .

(٤) - بحث حميد الله ١٢٣ .

أما الدعوة التي هي من الأمور الأربعة التي يمارسها في الخروج فلها أربعة أنواع :

١ - الدعوة العامة (الجولة العمومية) .

وطريقتها أن يوجه البعض – من ثلاثة إلى عشرة – في جولة عامة يتصلون فيها بعامة المسلمين في الأسواق ، ويدعونهم بأدب ولطف إلى الحضور في المسجد واستماع البيان ، وإذا اجتمع الناس وجّه إليهم الدعوة التي تنحصر في الصفات الست ولا يتجاوزونها [١] ، ويطالب منهم برفق وإلحاح أن يفرغوا من مشاغلهم وقتا لهذا الجهد ، وإذا استعد البعض منهم تشكل منهم جماعة وترسل [٢] .

ومن أنظمة الجولة أنهم يعينون للجولة أميرا ودليلا (من أهل القرية) ومتكلما ، ويبقون أحدهم للمراقبة في المسجد يدعو لهم بالتوفيق والسداد ، كما يعينون أحدهم لاستقبال من يأتي إليه من الشعب ومجالستهم ومؤانستهم [٣] .

٢ - الدعوة الخاصة (الجولة الخصوصية) :

وهي من أهم أعمال الدعوة ؛ لأنه يتم فيها زيارة الذين لهم رتبة في المجتمع ، إما لسبب المال أو العلم أو لسبب قدمهم في عمل الدعوة ، فإذا شارك هؤلاء الناس وأخذوا يجتهدون في عمل الدعوة فعامة الناس أيضا يشاركون فيها [٤] .

---

(١) – تبليغى جماعت كيليى روانگى كى هدايات ٣٢ .

(٢) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٦٠ .

(٣) – تبليغى جماعت كيلئى روانگى كى هدايات ٤٠ – ٤١ ، المشاهدة الذاتية .

(٤) – انظر : زاد الداعي ٤١ .

وطريقتها أن يرسل بعض الأفراد في جولة ليتصلوا بأعيان الحارة أو البلدة ويطلبوا منهم المساندة والحضور في المسجد الذي أقامت فيه الجماعة .

وهذه الدعوة تقدم إلى ثلاث طبقات :

ا – **القدماء** : والمراد منهم الذين خرجوا في الجماعة من قبل ولو لثلاثة أيام ، فيذهب إليهم أصحاب الدعوة الخاصة (وهم ثلاثة أو أربعة) [(١)] ويقولون لهم مثلا : الله سبحانه وتعالى أتى بالجماعة إلى قريتكم وهذا بسبب جهدكم ودلالتكم ، فعليكم أن تتفضلوا معنا إلى المسجد حتى تشاركوا معنا في ترتيب الأعمال [(٢)] .

ب – **الأثرياء وعمداء القرية** : يدعونهم إلى الدعوة بألفاظ مناسبة ، ولا يقبحون الدنيا أمامهم ببيان مفاسد المال وقبحه ، بل يشرحون لهم الدعوة بأدب واحترام ويخبرونهم بأنه في هذا الشأن وصلت جماعتنا إلى قريتكم ، وأحبابنا يفرحون بزيارتكم فنرجو منكم أن تتفضلوا معنا إلى المسجد [(٣)] .

ج – **العلماء** : يتحدث عن زيارتهم إكرام الله جان القاسمي حيث يقول : « قبل الذهاب إلى العلماء يلزم علينا أن نعرف وقت فراغهم حتى لا ندخل في أشغالهم الدينية أو لا نوقع الخلل في استراحتهم ، ونقدم لهم بعض الهدايا من نوع السواك والطيب والكحل والمسبحة ، ولا ندعوهم ولا نرغبهم في الخروج ونلتمس منهم الدعاء ، وإذا وجدنا عندهم الفرصة ورأينا في وجوههم البشاشة فلا بأس بأن نبين لهم أحوال الدعوة داخل البلاد

---

(١) – تبليغى جماعت كيليى روانگى كى هدايات ٣١ .

(٢) – زاد الداعي ٤٤ ، المشهدة الذاتية .

(٣) – زاد الداعي ٤٢ .

وخارجها في شتى أنحاء العالم »[١] .

٣ - **الدعوة الجماعية** : وهذه الدعوة تتم بعد الجولة العمومية مثلا إذا كانت الجولة العمومية قبل المغرب فتكون الدعوة الجماعية بعد صلاة المغرب ، وإذا كانت الجولة قبل العشاء فالدعوة الجماعية بعد العشاء ، ويتم سابقا بالمشورة تحديد من يقوم بالإعلان ، ومن يقوم بالبيان ، ومن يسجل أسماء الخارجين ، وبعد الصلاة يقوم المعلن ويعلن عن البيان بكلمات ترغيبية ، ثم يقوم الذي كلف بالبيان ولا يخرج كلامه عن الصفات الست ، ويستمر هذا البيان ساعة أو ساعة وربع ، وفي النهاية يبدأ التشكيل ، وهو يطالب من المستمعين والحضور أن يسجلوا أسماءهم للخروج في سبيل الله ، ويرغبهم بداية من أربعة أشهر ، ويقوم المسجل ويسجل الأسماء وهو يرغب أيضا للتسجيل ، ثم يقوم بالدعاء الجماعي ، وبعد الدعاء يجتمع الذين سجلوا أسماء هم حتى يتفقدوا أحوالهم من النفقة وموعد الخروج واتجاهه [٢] .

٤ - **الدعوة الفردية** : ولها ثلاثة أشكال :

ا - أن يقدم الدعوة لكل من يتصل به مهما كان وحيث كان .

ب - أن يجمع القدماء من الحارة فقط ويستشيروا منهم كيف نُخرج الجماعات من قريتكم ، ثم يخرج اثنان مع واحد من القدماء من الحارة ، ويخرجون إلى الأفراد مهما كانوا وحيث كانوا .

---

(١) - المرجع السابق ٤٤ - ٤٦ .

(٢) - تبليغى جماعت كيلى روانگى كى هدايات ٤٥ - ٥٠ ملخصا ، المشاهدة الذاتية .

ج – وهو عبارة عن الإخراج العملي في سبيل الله في الوقت المحدد للذين سجلوا أسماءهم سواء بالدعوة العامة أو الخاصة أو الجماعية أو الفردية [١] .

أما التعليم : وهو الأمر الثاني الذي يشتغل فيه الذين يخرجون في الجماعة ، فيقومون به يوميا حسب الاتفاق بالمشورة لمدة ثلاث ساعات تقريبا ، وطريقته أن يجلس الأفراد بأدب واحترام يوميا في الوقت المعين متوضئين ومتوجهين إلى التعليم .

وحلقة التعليم تشتمل على ثلاثة أمور :

ا – **قراءة القرآن الكريم** : وهي عبارة عن قراء ة وتصحيح عشرة سور أخيرة من القرآن الكريم ، وهم يجلسون حلقات في أربعة أشخاص لهذا التعليم ، وإذا أخطأ أحد منهم ينبه عليه الآخرون [٢] .

ب – **قراءة الكتاب** : وهو عبارة عن قراء ة كتاب فضائل الأعمال للشيخ محمد زكريا ، فهم يقرء ون بعض الصفحات من كل جزء من أجزاء الكتاب : فضائل الذكر ، وفضائل القرآن ، وفضائل التبليغ ، وفضائل رمضان ، وفضائل الصلاة ، وفضائل الصدقة وفضائل الحج ، وفضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحكايات الصحابة .

وهذا التعليم ينحصر في هذا الكتاب فقط ولا يسمح لهم قراء ة كتاب آخر فيه .

---

(١) – تبليغى جماعت كيلئى روانكي كى هدايات ٥٢ – ٥٤ ملخصاً .

هكذا قرر صاحب الكتاب ، ولعلك تجد التداخل بين الدعوة الفردية والدعوة الخاصة لزيارة القدماء كما سبق .

(٢) – والجدير بالذكر في هذا المقام بأنني لا حظت فيه أن بعض الأحيان يجلس الأربعة كلهم من الأميين لا يعرفون القراء ة فضلا عن أن يجيدوها ، وبعض الحلقات فيها أكثر من الذين يحسنون القراء ة ، فأرجو من المسئولين في الجماعة أن يعين مع كل حلقة واحدا على الأقل يحسن قراء ة القرآن حتى يصحح أخطاء الآخرين في الحلقة .

ج - **مذاكرة الصفات الست :**

في نهاية التعليم يتمرن كل واحد على الحديث عن الصفات الست لا بالتفصيل ولا بالإجمال أي لا بالإطالة ولا بالاختصار [١] .

ومن آداب التعليم الوضوء قبل الجلوس في الحلقة ، والتطيب إذا أمكن ، والجلوس في هيئة التشهد أولا ثم بعد التعب يمكن تغيير الهيئة ، واستماع الكلام بالتوجه التام واليقين الكامل ، وفي حالة عدم الفهم لا يسأل عن أي أمر أثناء الحلقة ، ويتجنب عن المسائل الخلافية [٢] ، فهم لا يتعلمون في خروجهم المسائل الدينية بل ينهون عن ذلك ويوجهون أتباعهم تعلمه عن العلماء في بلدانهم .

أما العبادة والذكر : في فترة الخروج فالمطلوب من الأفراد أن يحافظوا على أوقاتهم بدقة وشدة إذا وجدو فرصة بعد الدعوة والتعليم فيشغلوا أوقاتهم في التلاوة وأذكار الصباح والمساء ، والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وصلاة النافلة ، وكذلك يعوّدون أنفسهم بأحد الأذكار حتى لا يزال لسانهم رطبا من ذكر الله [٣] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن العبادة قد يتخللها بعض البدع الإضافية مثل ختم سورة ياسين والدعاء الجماعي بعد كل صلاة مغرب والتزام بعض الأذكار الصوفية .

أما الخدمة في فترة الخروج .

فيعنون بها خدمة النفس وخدمة الأمير وخدمة الزملاء الآخرين وخدمة المحتاجين

---

(١) - تبليغى جماعت كيلئى روانگى كى هدايات ٥٩ - ٦٢ مختصرا ، المشاهدة الذاتية .

(٢) - زاد الداعي ٤٩ .

(٣) - تبليغى جماعت كيلئى روانگى كى هدايات ٦٣ - ٦٧ مختصرا .

بخدمة بسيطة بحيث يظهر كل فرد من نفسه نموذجا كاملا من الخلق الحسن ، ومثالا تاما للإيثار نحو زملائه ، فيبقى دائما مستعدا لخدمة الآخرين بدون الطمع في المبادلة ، فيقومون بالأعمال الضرورية مثل شراء الحوائج وإعداد الطعام وتوفير المواد الغذائية وغسل الأواني بالتناوب (١) .

ولكنهم لا يقومون بخدمات اجتماعية ، ولا يشاركون في الأعمال الاجتماعية كما تقوم المؤسسات والهيئات الإغاثية والخيرية من جمع التبرعات وبناء المدارس والمساجد ودور الأيتام والمستشفيات وتقديم المساعدات للمكروبين ، ولا نجد للجماعة حثا وترغيبا في ذلك .

ومما يجدر ذكره ما يتخلقون به من الأخلاق الفاضلة وما يتحلون به من حسن الخلق واللباقة والأدب في عرض أفكارهم على الآخرين ، حتى إنهم يلتزمون في دعوتهم عدم إنكار المنكرات ، فمن أساليبهم في الدعوة التي يتميزون بها الأمر بالمعروف وترك النهي عن المنكر ولا يعني ذلك الأمر بكل معروف بل منحصر في الصفات الست التي سبق ذكرها .

أما ترك النهي عن المنكر فهذا مما تتميز به الجماعة ، وسبق أن أشرنا إلى أن الشيخ محمد إلياس في بداية حركته كيف تدرج في هذه الأصول ، والعجب أنهم يعتقدون أن الشيخ حصل عليها كشفا كما يذكر ذلك عن نفسه إذ يقول : « كاشفت على هذه الطريقة التبليغية في المنام » (٢) .

ويقول : « إني لم أقم بوضع أصولها وضوابطها بإرادتي وفهمي بل كشف الله عليّ

---

(١) – الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٦٠ ، تبليغى جماعت كيلئى روانكى كى هدايات ١٦ ، المشاهدات الذاتية .

(٢) – ملفوظات مولانا محمد إلياس ٥١ .

هذه الأصول وأُمرت أن أسير عليها » [١]، ويؤكد ذلك الشيخ عبيد الله البلياوي قائلا :

« إن الله علّم الشيخ محمد إلياس هذه الطريقة التبليغية في المنام ... » [٢].

كما يرون أن هذه الطريقة وهذا الأسلوب مبني على مصالح وحكم كثيرة ، يقول منشي محمد : « إن الأمر بالمعروف والتجنب وعدم التعرض لمنكر بالإنكار هذا الأصل في جهود التبليغيين مبني على مصالح وحِكم كثيرة، كان يقول حضرة الشيخ (محمد إلياس) رحمه الله : « المعروف مثل النور، والمنكر مثل الظلمة ، وهذا من القاعدة الكلية أن النور علاج الظلمة، فلو ناديت الظلمة، الظلمة، لا تذهب الظلمة أبدا، ولكن لو أوقدت شمعة وأنت صامت فتزول ظلمات الغرفة كلها، فهذا سر خاص في الدعوة أن تفهّم وتبين للناس فضائل الأعمال الصالحة إلى أن تتولد في قلوبهم قيمة الصالحات وعظمتها ثم يصيرون عاملين بها ثم يتركون المنكرات بأنفسهم » [٣].

والعجب أننا نجد الداعية المشهور والكاتب المعروف الشيخ أبا الحسن الندوي يشيد بهذه الطريقة ، ويشير إلى ما ذكرناه آنفا من حصول الشيخ عليها كشفا فيقول : « لقد كاشف الله تعالى على بصيرة الشيخ – محمد إلياس – هذه النكتة بأنها ليست الطريقة لإزالة المنكرات أن يتصدى لإزالة كل منكر واحدا واحدا، فتنتهي الحياة أحيانا لإزالة منكر ولكنه لا يزول، وإن زال فهو إصلاح محلي ، وربما يحدث منكر آخر ... والطريقة الصحيحة لدى الشيخ أن لا يُتعرض للمنكرات مباشرة في العصر الراهن، بل يُحرك الشعور الإيماني

---

(١) – تبليغى تحريك كى ابتداء اور اسكى بنيادى اصول ٣٩ – ٤٠ .

(٢) – تاريخ دعوت وتبليغ ٥٣ .

(٣) – تبليغي تحريك كى ابتدا اور اس كى بنيادي اصول ١٢٣ .

والوعي الديني ويُكثر ويُروج المعروف »[١] .

ويقول : « إن الاعتراض والاختلاف ممنوع في هذه الطريقة ، وتبذل الجهد في أن تُشغل أحدا في العمل الصحيح بدلا من أن تنهاه عن منكر يفعله »[٢] .

أقول : إن الجماعة قد التزمت بهذه الطريقة ولذا لا يتعرضون للبدع والمنكرات ولا يتصدون لها، ولا ينكرونها بحجة أن إنكارها يسبب الفرقة والانشقاق ، وقد شاهدت كثيرا من الخارجين في الجماعة يعلقون التمائم والتولة ويرتكبون غيرها من المنكرات مثل شرب الدخان والسجائر ، وأكل التنباك في داخل المسجد ولا يمنعهم أحد .

وحيث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أساس الدعوة لذا نأخذ هذا الموضوع بشيء من التفصيل – إن شاء الله .

فإن الحقيقة التي لا مرية فيها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمران متلازمان لا يتصور أحدهما دون آخر، وهما من وظائف الأنبياء والسلف الصالح، ومن أعظم الأمور التي يتقرب بها العبد إلى ربه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما أساس الدين ، وبهما تحرس حرمات الله، ويحمى شرعه، ويعز الحق، ويذل الباطل لذا جاءت النصوص الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة تبين أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معا .

فلا تكاد أن نجد نصا من النصوص إلا أن يذكر أمرين متلاصقين كقوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

---

(١) – مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ٣٥ .

(٢) – ايك أهم ديني دعوت ٤٠ .

بِاللَّهِ ﴾[1]، وقوله : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[2]، وقوله : ﴿المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3]، وقوله : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[4]، وقوله تعالي : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[5]، وقوله : ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ ﴾[6].

وإذا كان الله سبحانه وتعالى رغب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين أهميته وفضله من خلال النصوص السابقة فإنه رهب وحذر الذين يتركونه، ولعنهم، فقال تعالى : ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ

---

(١) – آل عمران ١١٠ .

(٢) – آل عمران ١٠٤ .

(٣) – التوبة ٧١ .

(٤) – لقمان ١٧ .

(٥) – آل عمران ١١٣، ١١٤ .

(٦) – التوبة ١١٢ .

أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[١] .

يقول ابن كثير – رحمه الله : « فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض .

وقوله ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ...

وفي الحديث « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوا الْمُنكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ »[٢] .

وقال تعالى : ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمِ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[٣] .

يقول ابن كثير : « يعني هلا كان ينهاهم الربانيون والأحبار منهم عن تعاطي ذلك ... عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية »[٤] .

---

(١) – هود ١١٦ .

(٢) – تفسير القرآن العظيم ٧١٨/٢، وأخرج الحديث أبو داود في السنن ١٢٢/٤، ح : (٤٣٣٨)، والترمذي في السنن ٤ / ٤٠٦ ، ح : (٢١٦٨) ، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٥٣٩ ، ح : ٣٠٤) وابن ماجة في السنن ٢ / ١٣٢٧ ، ح : (٤٠٠٥) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، مرفوعا .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) – المائدة ٦٣ .

(٤) – تفسير القرآن العظيم ١١٩/٢ .

وقال تعالي : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1] .

فالله سبحانه وتعالى لعن بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم – عليهم السلام – بسبب أمور منها : أنهم لا يتناهون عن المنكرات الموجودة لديهم، وفي ذلك تحذير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يتهانوا في هذا الباب .

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة موضحة هذا الجانب ومحذرة من مشابهة بني إسرائيل في تركهم النهي عن المنكر .

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ : يَا هَذَا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانَ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ إلى قوله ﴿فَاسِقُونَ ﴾[2] ثم قال : « كلا والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه[3] على

(١) – المائدة ٧٨، ٧٩ .

(٢) – المائدة ٧٨ – ٨١ .

(٣) – أصل الأطر العطف والتثني أي : لتردنه إلى الحق ولتعطفنه عليه .

الحق ولتقصرنه على الحق قصرا »[١] .

فهذا الحديث يدل على الحث على القيام بالنهي عن المنكر مع الأمر بالمعروف والحذر من تركهما، فقد يصيب الأمة ما أصاب بني إسرائيل من اللعن بسبب تركهم النهي عن المنكر مع الأمر بالمعروف .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالمَعَاصِي يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ فَلاَ يُغَيِّرُوا إِلاَّ أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا »[٢] .

وقال : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ »[٣] .

---

(١) – أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ، مرفوعا .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

انظر : سنن أبي داود ٤ / ١٢١ – ١٢٢ ح (٤٣٣٦) وسنن الترمذي مع التحفة ٨ / ٣٤٨ – ٣٤٩ ح ٣٠٤٧ .

(٢) – أخرجه ابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٥٣٧ – ٥٣٨ ، ح (٣٠٢) ، وأبو داود في السنن ٤ /١٢٢ – ١٢٣، ح : (٤٣٣٩) ، وابن ماجة في السنن ٢ / ١٣٢٩، ح : (٤٠٠٩) والإمام أحمد في المسند ٤ / ٣٦٤، ٣٦٦ ، عن عبيد الله بن جرير ، عن أبيه ، مرفوعا .

وإسناده حسن .

(٣) – أخرجه مسلم في الصحيح ١ / ٦٩ ، ح : (٤٩) ، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٥٤٠ – ٥٤٢ ، ح : (٣٠٦) و (٣٠٧) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، مرفوعا .

وقال : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ العَامَّةَ بِعَمَلِ الخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِم وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلاَ يُنْكِرُونَهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَذَّبَ اللَّهُ الخَاصَّةَ وَالعَامَّةَ » [١] .

هذه الأحاديث كلها تدل على وجوب النهي عن المنكر كما تدل على وجوب الأمر بالمعروف، وقد أجمعت الأمة على ذلك ولم يخالف في ذلك أحد ولم يفرق بينهما إلا الجماعة التبليغية التي جعلت من أصول دعوتها وأسلوبها .

قال أبو بكر الجصاص : « أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخبار متواترة وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه » [٢] .

وقال ابن حزم : « اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم » [٣] .

وقال الشوكاني في قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾[٤] الآية : في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم

---

(١) – أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ / ١٩٢، والطبراني في المعجم الكبير ١٣٨/١٧ – ١٣٩، ح : (٣٤٣ – ٣٤٤) ، عن عدي ، مرفوعا .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ /٢٧١) : رواه أحمد من طريقين إحداهما هذه ، والأخرى : حدثني عدي بن عدي ، حدثني مولى لنا .... وهو الصواب ، وكذا رواه الطبراني ، وفيه رجل لم يسم ، وبقية رجال أحد الأسانيد ثقات . اهـ .

(٢) – أحكام القرآن ٥٩٢/٢ .

(٣) – الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٧١/٤ .

(٤) – آل عمران ١٠٤ .

واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها » [١] .

وإن من أعظم الأمور التي يسأل عنها المسلم تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذا يجب على كل مسلم أن يقوم بهذا الركن العظيم حتى يقي نفسه من عذاب الله تعالى العاجل و الآجل ، وإن من تركهما يترتب على الفرد والمجتمع خطر جسيم وشر مستطير من اللعن والإبعاد من رحمة الله ، وعدم استجابة الدعاء والتعذيب بأنواع العقوبات، نعوذ بالله من الموبقات .

(١) – فتح القدير ٣٦٩/١ .

* المبحث الثالث *

الجهاد في سبيل الله وموقف الجماعة منه

توطئة : بعد أن بينا أصول الجماعة وأسلوبها الدعوي اتضح لنا أنه لا مكان للجهاد في أصولها وفي أساليبها ، ولما كان للجهاد أهمية كبرى في نشر الدعوة أحببت أن أفرده بمبحث خاص أبين فيه أهمية الجهاد ومفهومه وموقف الجماعة منه فإن الجهاد في سبيل الله من أهم القضايا في الإسلام ، فهو عموده وذروة سنامه، وقد رغّب الله عزوجل عباده المؤمنين فيه ، وحثهم عليه ، ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السماوات والأرض ، فهو شرف عظيم ومنزلة رفيعة لا يبلغها إلا من منّ الله عليه بالإيمان العميق واليقين الصادق ، ولقد أكثر القرآن الكريم من الثناء على المجاهدين، وألفت الكتب في هذا الشأن، وذلك لما للجهاد من مكانة سامقة في دين الإسلام، وحسبنا أن الله تعالى فرضه على هذه الأمة، وأنه ماض إلى يوم القيامة .

ويقول شيخ الإسلام متحدثا عن أهمية الجهاد فيقول : « والأمر بالجهاد، وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ، ومن صلاة التطوع وصوم التطوع ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَادُ »[١] . وقال : « إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَمِائَةَ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ

---

(١) - أخرجه الترمذي في السنن ١٣/٥، ح : (٢٦١٦) ، والنسائي في الكبرى ٦ / ٤٢٨، ح (١١٣٩٤) ، وابن ماجة في السنن ٢ / ١٣١٤، ح : (٣٩٧٣) ، والإمام أحمد في المسند ٢٣١/٥، من حديث معاذ بن جبل مرفوعا ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وَالدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ » (١) . متفق عليه .

وقال : « مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » (٢) رواه البخاري .

وقال : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنَ صِيامِ شَهْرٍ وَقِيَامِه وَإِنْ مَاتَ أجري عَلَيْهِ عمله الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأجري عليه رِزْقه وَأَمِنَ الْفَتَّانَ » (٣) رواه مسلم .

وفي السنن « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ » (٤) .

وقال : « عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٥) . قال الترمذي : حديث حسن .

وفي مسند الإمام أحمد : « حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا،

---

(١) – أخرجه البخاري في الصحيح ٣ / ٢٧٤ ، ح : (٢٧٩٠) وفي الصحيح ٨ / ٥٣٤ ، ح : (٧٤٢٣) ومسلم في الصحيح ٣ /١٥٠١ ، ح : (١٨٨٤) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا .

(٢) – أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ١ / ٢٧١ ، ح : (٩٠٧) وفي الجهاد ٣ / ٢٨٠ – ٢٨١ ، ح : (٢٨١١) ، وابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٠ / ٤٦٥ – ٤٦٦ ، ح : ٤٦٠٥) عن أبي عبس – وهو عبد الرحمن بن جبير – مرفوعا .

(٣) – أخرجه مسلم في الصحيح ٣ / ١٥٢٠ ، ح : ١٦٣ – (١٩١٣) ، عن سلمان رضي الله عنه ، مرفوعا .

(٤) – أخرجه الترمذي في السنن ٤ / ١٦٢ ، ح : (١٦٦٧) ، والنسائي في السنن ٦ / ٤٠ ، والإمام أحمد في المسند ١ / ٦٥ ، ٧٥ ، والدارمي في السنن ٢ / ٢١١ ، عن عثمان رضي الله عنه ، مرفوعا . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٥) – أخرجه الترمذي في السنن ٤ / ١٥٠ ، ح : (١٦٣٩) ، عن ابن عباس ، مرفوعا .

قال الترمذي : حديث ابن عباس حديث حسن ، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق .

وأخرجه أبو يعلى في المسند ٧ / ٣٠٧ ، ح : (٤٣٤٦) عن أنس مرفوعا ، وإسناده حسن .

وَيُصَامُ نَهَارُهَا » (١) .

وفي الصحيحين : « أنّ رجلا قال : يا رسول الله ، أخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : لاَ تَسْتَطِيعُ ، قال : أخبرني ، قال : هل تستطيع إذ خرج المجاهدُ أن تصومَ لا تُفطر، وتقومَ ولا تفتر ؟ قال : لا، قال : فذلك الذي يعدلُ الجهادَ » (٢) .

وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ سِيَاحَةً ، وسياحةُ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٣) .

ثم يعلق ابن تيمية بعد هذا فيقول : « هذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه ، فهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له ، والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له ، والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال ، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر .

والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائما، إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة » (٤) .

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٦١ ، ٦٥ ، والحاكم في المستدرك ٢ / ٨١ ، والطبراني في الكبير ١ / ٩١ ، ح : (١٤٥) .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) - أخرجه البخاري في الصحيح ٣ /٢٧٢ ، ح : (٢٧٨٥) ، ومسلم في الصحيح ١٤٩٨/٣ ح : ١١٠ - (١٨٧٨) ، عن أبي هريرة ، مرفوعا .

(٣) - أخرجه أبو داود في السنن ٣ /٥ ، ح : (٢٤٨٦) ، والحاكم في المستدرك ٢ / ٧٣ ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، بنحوه ، مرفوعا .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ١٠٤ - ١٠٦ .

وإذا كان للجهاد فضل عظيم وثواب جزيل ، فتركه أمر خطير، والتخلف عنه ذنب كبير وجرم عظيم .

يقول الشيخ صالح اللحيدان : « ... فلا يتخلف عن الجهاد عادة مع السلامة والقدرة والقوة إلا من لم يؤمن بالله حقا، أو عنده شك وريب مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلا فالمؤمن المصدق الموقن لا يتأخر عن منادي الجهاد في أي وقت يكون فيه الجهاد، ولقد كان الصحابة يتباشرون بمنادي الجهاد لعلمهم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الإنسان لا سبيل إلى خلوده، فالموت بشهادة في سبيل الله لها منزلة عظيمة حتى أنّ بعضهم كان يتمنى أن له أنفسا كثيرة لحلاوة ولذة الموت في سبيل الله ...

ونهاية الإنسان لا جرم تكون عن طريق الموت باختلاف الأسباب بيد أن الموت بسبب الاستشهاد أمام الأعداء يكون خيرا من الاستشهاد في غيره ... ولا يذوق لذة ذلك إلا من أيقن وصدق ما عند الله من الفوز والرضوان » [(١)] .

* تعريف الجهاد *

وبعد أن عرفنا أهمية الجهاد وخطورة التخلف عنه يجدر بنا أن نقف على مفهومه ، فمفهومه كما يقول ابن منظور في مادة « جهد » : « وجاهد العدو مجاهدة وجهادا : قاتله وجاهد في سبيل الله، وفي الحديث : « لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ولَكِنَّ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » [(٢)] الجهاد محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل » [(٣)] .

---

(١) – الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ٧٣ .

(٢) – أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٤ / ٦٣٣ – ٦٣٤ ، ح : (٣٩٠٠) ، وفي المغازي ٥ / ١١٧ ، ح : (٤٣١٢) ، ومسلم في كتاب الإمارة ٣ / ١٤٨٨ ، ح : (١٨٦٤) ، عن عائشة رضي الله عنها ، مرفوعا .

(٣) – لسان العرب لابن منظور ١٣٥/٣ .

ويقول القسطلاني : « والجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهادا، وأصله جيهاد كقيتال فخفف بحذف الياء، وهو مشتق من الجهد، بفتح الجيم، وهو التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها أو من الجهد، بالضم، وهو الطاقة؛ لأن كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه » (١).

ومما لا شك فيه أن الجهاد مصطلح شرعي كسائر المصطلحات الشرعية مثل الصلاة والصيام والزكاة ، والمراد به قتال عدو الله لإعلاء كلمته ، يدل على ذلك تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد فيما رواه عنه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : « قال رجل : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : أن يسلم قلبك لله عز وجل ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال : وما الإيمان ؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : فأي الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة ، قال : فما الهجرة ؟ قال : تهجر السوء ، قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد ، قال : وما الجهاد ؟ قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، قال : فأي الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه ، قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة » (٢).

ولهذا فسر علماء الإسلام الأعلام أن المراد بالجهاد هو قتال الكفار ، ويقول الكاساني « وفي عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز

---

(١) – بدائع الصنائع ٧ / ٩٧ .

(٢) – أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ / ١١٤، وعبد بن حميد ، ح : (٣٠١) ، وعبد الرزاق في المصنف ، ح : (٢٠١٠٧) عن عمرو بن عَبَسة ، مرفوعا .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ٦٤ ، وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير بنحوه ، ورجاله ثقات .

وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك » [١].

ويقول ابن حجر : « والجهاد بكسر الجيم ، أصله لغة المشقة ، يقال : جهدت جهادا : بلغت المشقة . وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار » [٢].

ويفسره القسطلاني حيث يقول : « وهو في الاصطلاح قتال الكفار لنصر الإسلام وإعلاء كلمة الله » [٣] .

ويقول صاحب الدر المختار : « الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله » [٤] .

ومن الباحثين المعاصرين الدكتور علي بن نفيع العلياني يقول : « وأما تعريف الجهاد في الشرع : فهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله والمعاونة على ذلك » [٥]مستشهدا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سبق أن ذكرناه آنفا .

وقد يطلق الجهاد في النصوص الشرعية على غير قتال الكفار كما قال صلى الله عليه وسلم : « المجاهدُ مَن جاهدَ نفسَه في طاعةِ الله، والمهاجرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنه » [٦].

---

(١) – بدائع الصنائع ٧ / ٩٧ .

(٢) – فتح الباري ٦ / ٥ .

(٣) – ارشاد الساري ٥/٣١ .

(٤) – حاشية رد المختار لابن عابدين ٤/١٢١ .

(٥) – أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه ص ١١٦ . .

(٦) – أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦ / ٢١ – ٢٢ ، والترمذي في السنن ٤ / ١٤٢، والحاكم في المستدرك ٢ / ٧٢ ، وابن حبان كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٠ / ٤٨٤ ، ح : (٤٦٢٤) من حديث فضالة بن عبيد ، مرفوعا .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

وقوله صلى الله عليه وسلم للذي استأذنه في الجهاد : « أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ قال : نعم، قال : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ » (١) .

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتل الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد، كما في الحديثين السابقين .

يقول ابن رشد : « وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢) .

ويؤكد الدكتور العلياني مستدلا بعدة أحاديث أنّ الجهاد إذا أطلق ينصرف إلى قتال الكفار، ومنها ما يلي :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد ، قال : لا أجده ، قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات » (٣) .

ودلالة هذا الحديث على المراد ظاهرة فالصيام والقيام هما من جهاد النفس ومع هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا أجد ما يعدل الجهاد » . فدل على أن المراد بالجهاد إذا أطلق هو قتال الكفار لا مجاهدة النفس .

---

(١) - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ٤ / ٣٤١ ح (٣٠٠٤) وفي الأدب ٧ / ٩١ - ٩٢ ح (٥٩٧٢) ومسلم في الصحيح ٤ / ١٩٧٥ ح ٥ - (٢٧٤٩) عن عبد الله بن عمرو مرفوعا .

(٢) - مقدمات ابن رشد ٢ / ٢٥٩ .

(٣) - صحيح البخاري ٣ / ٢٧٢ ، ح : ٢٧٨٥ .

٢ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا: ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره » (١).

فالذي يتقي الله في شعب من الشعاب مجاهد لنفسه ومع هذا ذكره الله قسيما للمجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، فدل على أن الجهاد إذا أطلق انصرف إلى قتال الكفار ...

وبعد أن ساق الأحاديث ومدلولاتها ، قال : « وكل الأحاديث التي تدل على فضائل الجهاد فالمراد بها الجهاد الحقيقي وهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا تحمل على جهاد النفس، وكذلك علماء الإسلام من محدثين وفقهاء إذا بوبوا في كتبهم للجهاد فالمراد به جهاد الكفار القتالي لا مجاهدة النفس » (٢) .

* مفهوم الجهاد في سبيل الله لدى الجماعة *

قد اتضح لنا في السطور السابقة معنى الجهاد لغة وشرعا، ومعناه لدى علماء الإسلام الأعلام .

وأما الجماعة التبليغية فقد ذكرتُ أكثر من مرة بأنهم يعتبرون أن الجهاد هو خروجهم للدعوة مع الجماعة حسب الأصول المتبعة لديهم، وهو الجهاد في حق المسلمين اليوم ولا جهاد غيره في الزمن الراهن، وبه ينال الإنسان ثواب كل ذلك، وهو الحل الوحيد، ولا حل غيره في عصرنا هذا لجميع أمراض المسلمين ومتاعبهم ومشاكلهم قاطبة، ولا علاج سواه قطعا وبتاتا؛ لأننا الآن في طور الحياة المكية (٣).

---

(١) – المرجع السابق ٣ / ٢٧٢ ، ح : ٢٧٨٦ .

(٢) – أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه للعلياني ١١٧ – ١١٨ بالتصرف .

(٣) – انظر : حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٦ ، سوانح حضرت جى ثالث ٣ / ٤١٣ – ٤١٤ .

ولذا نراهم يفسرون جميع الآيات والأحاديث الواردة في فضل الجهاد في سبيل الله والقتال مع أعداء الإسلام بالجولات التبليغية .

يقول مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس رحمه الله : « إنّ هذه الحركة ليست إلا عبارة عن العمل بقوله تعالى : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾[١] والتقصير في هذا النفر جلب للعذاب الإلهي، ولا بد من التقيد بالمبادئ في هذه الدعوة »[٢] .

أقول : إنّ المفسرين فسروا هذه الآية بالقتال في سبيل الله مع أعداء الإسلام .

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : « وذلك إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعُقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالا، شبابا وشيوخا، كل على قدر طاقته ... »[٣] .

ويقول ابن كثير رحمه الله : « أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحتم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر فقال : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ »[٤] .

والعجب أن هذه الآية صريحة في القتال مع أعداء الإسلام ولكن كل من يتكلم عن الخروج التبليغي من التبليغيين ويتحدث عنه فهو يستدل بهذه الآية، ويبذل كل طاقته ليستدل

---

(١) – التوبة ٤١ .

(٢) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ١٦٨، وانظر : الداعية الكبير الشيخ محمد الياس ٦٨ .

(٣) – الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٨ .

(٤) – تفسير القرآن العظيم ٥٦٠/٢ .

بها على الجولات السياحية التبليغية (١) .

على رغم أن السياحة ذكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبْدَلَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ » (٢) .

ولكن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس يسمي هذه المحاولة التبليغية بالجهاد ويبين أهميتها بحيث يكون للذاكر أثناء خروجه من الأجر ما لا يكون للقاعد في مكانه كما يقول : « كل عمل له تأثيره في أوانه ومكانه، وكذلك للذكر خلال الجهاد (محاولة نشر الدين) من الأجر ما ليس لقابع في الزوايا أو ناحية البيت، فأكثروا من الذكر » (٣) .

ونجده أحيانا أنه يعتبر الخروج نوعا من الجهاد ، بل يصرح في حين آخر أنه أعلى من الجهاد من بعض الحيثيات ، يقول : « إنّ هذا السفر (الخروج) يتصف بخصائص أسفار الغزوات، فنرجو فيه أجرها، وهذا إن لم يكن قتالا ولكنه ليس إلا نوع من الجهاد وإن كان تقل مرتبته من القتال باعتبار بعض الحيثيات ولكن باعتبار آخر هو أعلى منه، مثلا في القتال شفاء غيظ وإطفاء شعلة نوع من الغضب أيضا، ولكن في هذا السفر لا يوجد إلا كظم غيظ لله » (٤) .

---

(١) – انظر للتفصيل : تبليغي تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ١١٧، الشيخ محمد الياس ودعوته الدينية ٥٣، تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ٩ ، المشاهدات الذاتية .

(٢) – انظر : كتاب الجهاد لابن المبارك ٣٦، والحديث أخرج نحوه أبو داود ٢ / ٥، والبيهقي ١٦١/٩، والحاكم في المستدرك ٧٣/٢ عن أبي أمامة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عزوجل » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه .

(٣) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ١٦٨، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس ٦٨ .

(٤) – ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ٧٨ .

سبحان الله هذه جريمة كبرى قد غيروا اصطلاحا شرعيا إلى هواهم .

ويصرف النظر عما في العبارات السابقة من اضطراب فتارة مثل الجهاد وتارة أقل وتارة أعلى منه ، ولكنه يؤكد على أنه يتصف بخصائص الغزوات والجهاد .

وحينما نأتي إلى الشيخ محمد يوسف نجد في عباراته ما يؤكد ما قررناه من اعتبارهم الخروج هو الجهاد الحقيقي حيث يقول : « لغدوة في الجولات التبليغية أو روحة خير من الدنيا وما فيها (من حيث الأعمال والأشياء) » وهو اقتباس من الحديث النبوي الشريف الذي ورد في الجهاد في سبيل الله ، ثم يقول : « ويضاعف أجر الذكر والتسبيح والصلاة والإنفاق في هذا السبيل إلى سبعمائة ألف ضعف » أي أجر الخروج مثل أجر المجاهد سواء بسواء ، ثم يشير إلى أن الخارج له خصائص المجاهد فيقول : « والذين يبذلون جهودهم في هذا السبيل تستجاب دعواتهم كدعوات أنبياء بني إسرائيل ... إلى أن يقول مستدلا على ما ذهب إليه حاثّاً على الخروج : « ... إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين خرجوا في سبيل الله في كل حال : عند النكاح والزفاف، والولادة والوفاة، في الحر والبرد، والفقر والفاقة، والصحة والمرض، والقوة والضعف، وفي سن شبابه والشيبوية، وقد سألوا الله متضرعين إليه أن يقبلهم لهذه الجهود العالية » (١) .

ونقف على اعتباره الخروج مثل الجهاد عند ما يستحث الناس للخروج في جميع الأحوال كما كان الصحابة يخرجون في جميع الأحوال مجاهدين في سبيل الله فيقول : « إنّ الصحابة قد تمرنوا على أنهم حينما كانوا يسمعون عن الخروج فيخرجون مهاجرين كل شيء، مصطحبين ما لديهم، ويتوجهون إلى المكان الذي يحتاج إليهم ويقضون الأيام حسب المقتضيات ويتحملون ما كانوا يعانون في هذا السبيل ، وهذه كانت طبيعة الذين كانوا يخرجون في سبيل الله » (٢) ولا أدل من هذا الحث على أن الخروج هو الجهاد ، كما نجد دليلا على اعتباره الخروج كالجهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عند ما نرى

---

(١) - تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف ٩٧ .

(٢) - المرجع السابق ١٤٢ .

محاولته بيان عدد السرايا والغزوات وبيان الأوقات التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته خارجين للجهاد ، بين هذه الأوقات مستحثا أتباعه ليقضوا من الأوقات كما قضى الصحابة فيقول : « وقد أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مائة وخمسين جماعة في مدة إقامته بالمدينة حوالي عشر سنوات، وقد شارك بنفسه في خمس وعشرين منها، وقد خرج في بعضها عشرة آلاف، وفي بعضها الآخر خمسون ألفا، وثلاثون أو أربعون ألفا، وخرجوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي بعضها عشرة وخمسة عشر وسبعة وثمانية نفر .

ومن حيث المدة قد استغرقوا أحيانا شهرين وثلاثة أشهر وأحيانا عشرين يوما وخمسة عشر يوما .

والجماعات الأخرى مائة وخمس وعشرون فقد خرجوا فيها ألف أحيانا، وخمسمائة وستمائة من حين إلى آخر، والمدة أيضا قد استغرقوا ستة أشهر وأربعة أشهر .

فحاسبوا أن كم من الأوقات قضى كل واحد منهم في الخارج، وكم قام بالأسفار في السنة، فإذا قدرتم جميع الأسفار فتأتي ستة أشهر أو سبعة أشهر في حظ كل واحد منهم ... » [١] .

وحينما نقرأ الشيخ إنعام الحسن فنجد ما يقرر أنه يعتبر الخروج في التبليغ هو الجهاد في سبيل الله حيث يستدل بالحديث النبوي : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا » [٢] لبيان فضل التنقلات والجولات التبليغية .

---

(١) – تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف ١٤٢، حضرت جى كى ياد كار تقريرين اور فرمودات يوسفى ٧٣ – ٧٤ .

(٢) – أخرج الحديث الترمذي في السنن ٤ / ١٤٧ ، ح : ١٦٣٣، والنسائي في السنن ٦ / ١٤، و ٦ / ١٢ ، وابن ماجة في السنن ٢ / ٩٢٧ ، ح : ٢٧٧٤ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

يقول في إحدى محاضراته في بهوفال عام ١٩٨٩م : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في أنف واحد ، لذا زيدوا وكثفوا جهودكم وتضحياتكم ما أمكن بالجد والهمم وتجولوا وتنقلوا بالاستمرار متتابعين في سبيل الله ، فإن الهجرة هي السفر والنقل والحركة للدين ، وهي الجزء الأول لدعوتنا ، ولا يتلذذ حلاوته وعذبته إلا من تلذذ قيمة وقدر هذه الدعوة وهي دعوة الأنبياء » (١).

ثم بين أهمية الدعوة والخروج فيها بمثال إذ يقول : « لا يعرف قيمة الجواهر إلا الجوهري أو الملك أما غيرهما فيرونها أحجارا لا قيمة لها ، وهذه الحال للشئون الدينية ، لا يقدر الدين إلا من أعطاه الله عين البصيرة ، وقدروا قيمة السفر التبليغي بحيث أنه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في أنف واحد » (٢).

وقد يقع الباحث في الحيرة والاستعجاب حينما يرى عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) المجاهد في سبيل الله ، الذي يقضي جل أوقاته في القتال مع أعداء الإسلام ، يذكره الشيخ محمد إنعام الحسن كنموذج من النماذج للخارجين في الجولات التبليغية إذ يقول في الاجتماع التبليغي الأخير في حياته عام ١٤١٦ هـ : « هذا المحدث الكبير والإمام الجليل عبد الله بن المبارك يقضي ستة أشهر في سبيل الله وستة أشهر في تدريس الحديث ... لأنه يعرف الحديث النبوي : « ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار » (٣) ... وهو الذي يكتب رسالة إلى فضيل بن عياض وفيها أبيات (٤) منها :

---

(١) – سوانح حضرت جى ثالث مولانا محمد إنعام الحسن ٢ / ٢٦٠ .

(٢) – المرجع السابق ٢ / ٢٦١ .

(٣) – أخرجه البخاري في صحيحه ٣ / ١٨١ ، ح : ٢٨١١ عن أبي عبس مرفوعا .

(٤) – الأبيات التي كتبها عبد الله بن المبارك إلى فضيل بن عياض هي كالتالية :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب =

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا　　لعلمت أنك في العبادة تلعب

ريحُ العبير لكم ونحن عبيرنا　　رهج[١] السنابك[٢] والغبار الأطيب[٣]

وخلال هذا البيان لجهاد عبد الله بن المبارك الحقيقي القتالي استشهد به الشيخ إنعام الحسن على الخروج التبليغي ، وحث المستمعين عليه ويشرهم بما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم للمجاهدين في سبيل الله [٤] .

ومما يدل على اعتبارهم الخروج هو الجهاد استدلالهم بآيات وأحاديث الجهاد للترغيب في الجولات التبليغية ، وهذا ما نسمعه منهم أثناء الخروج في بياناتهم وفيما قرره من كتب عليهم .

ومن الآيات والأحاديث التي تتردد في بياناتهم : قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

=

من كان يخضب جيدت بدموعه　　فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل　　فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا　　رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا　　قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في　　أنف امرئ ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا　　ليس الشهيد بميت لا يكذب

سير أعلام النبلاء ٨ / ٤١٩ .

(١) – الرهج : الغبار ، انظر : الصحاح ١ / ٣١٨ ، مادة « رهج » .

(٢) – السنابك جمع سُنْبُك وهو طرف مقدّم الحافر ، انظر : الصحاح ٤ / ١٥٨٩، مادة سبك.

(٣) – حضرت مولانا إنعام الحسن كاندهلوي امير جماعت تبليغ ٥٣٨ – ٥٤١ ملخصا .

(٤) – حضرت مولانا إنعام الحسن كاندهلوي امير جماعت تبليغ ٥٣٨ – ٥٤١ ملخصا .

مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ۝ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

وقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢) الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٥) .

---

(١) – التوبة ٣٨ – ٣٩، وانظر : تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول ١١٧ – ١١٨، تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ٩، ١١، الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية ٥٢ .

(٢) – الصف ١٠ – ١١، انظر : تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ١٠ .

(٣) – النساء ٦٦ ، انظر : دلائل الأمور الستة ٨١ .

(٤) – الحجرات ١٥، انظر : دلائل الأمور الستة ٨١ .

(٥) – التوبة ١١٩، ١٢٠، انظر : دلائل الأمور الستة ٨١ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَجْـتَـمِـعُ عَلَـى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ » (١) .

وقوله : « لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » (٢) .

وقوله : « مَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَتَبَ اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » (٣) .

---

(١) – انظر : زاد الداعي ٢٦، دلائل الأمور الستة ٨٤ .

وأخرج الحديث النسائي في السنن ٦ / ١٢، ١٣، والإمام أحمد في المسند ٢ / ٣٤٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا ، وصححه الحاكم في المستدرك (٢ / ٧٢) على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٢) – انظر : زاد الداعي ٢٦، تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ١٢ .

وأخرج الحديث البخاري في الصحيح ٣ / ٢٧٤ ، ح : (٢٧٩٢) ، وابن حبان كما في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٦ / ٤١١ – ٤١٢ ، ح : (٧٣٩٨) ، عن أنس بن مالك ، مرفوعا .

(٣) – انظر : تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ١٣، وأخرج الحديث البيهقي في السنن الكبرى ٩ / ١٧٢ ، والإمام أحمد في المسند ٣ / ٤٣٧ ، وأبو يعلى في المسند ٣ / ٦٣ ، ح : (١٤٨٩) ، والطبراني في الكبير ٢٠ / ١٨٤ – ١٨٥ ، ح : (٣٩٩ – ٤٠٠) ، والحاكم في المستدرك ٢ / ٨٧ – ٨٨ ، من طريق رشدين بن سعد ، عن زبان ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ، مرفوعا .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٢) وقال : رواه أحمد وفيه زبان بن فائد ، وهو ضعيف ، وقال مرة (مجمع الزوائد ٢ / ٢٧٢) : رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير ، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .

وقوله : « صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي تَعْدِلُ بِعَشْرَةِ آلافِ صَلاةٍ ، وَصَلاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ تَعْدِلُ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ ، وَالصَّلاةُ بِأَرْضِ الرِّبَاطِ بِأَلْفَيْ أَلْفِ صَلاةٍ » (١) .

وقوله : « نَفَقَةُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ مِنْهُ أَفْضَلُ عَنْ سَبْعِمِائَةِ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِهِ » (٢) .

وقوله : « تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِي وَإِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي فَهُوَ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا كَلْمٌ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ » (٣) .

وقوله : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عليه رزقه وأَمِنَ الفتان » (٤) .

---

(١) – الترغيب والترهيب ١٥٢/٢ ، يقول المنذري : وفيه نكارة . وانظر : تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ١٣ .

(٢) – الترغيب والترهيب ٢ / ١٥٢ ، وانظر : تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايت ١٣ .

(٣) – أخرجه مسلم في الصحيح ٣ / ١٤٩٥ – ١٤٩٦، ح : ١٠٣ – (١٨٧٦) والإمام أحمد في المسند ٢ / ٣٩٩ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٢٦٩ ، عن أبي هريرة ، مرفوعا .

وانظر : تبليغى جماعت كى لئى روانگى كى هدايات ١٤، دلائل الأمور الستة ٨٥ .

(٤) – أخرجه مسلم في الصحيح ٣ / ١٥٢٠ ، ح : ١٦٣ – (١٩١٣) ، عن سلمان رضي الله عنه ، مرفوعا .

وانظر : دلائل الأمور الستة ٨٢ .

وكان الشيخ محمد يوسف البنوري [١] – رحمه الله – يرى أن هذا التبليغ هو الجهاد .

يقول عنه المفتي محمد شاهد : « إني سمعت الشيخ – رحمه الله – ثلاث مرات يتلفظ بهذه الكلمات « إنّ التبليغ هو الجهاد » بل أثبته ذات مرة حسب عادته بالأدلة القوية في المسجد المكي » [٢] .

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى بدعة قد انتشرت وهي خطيرة جدا لها أثر بالغ في تصريف الأمة عن الجهاد ، وقد تصدى لها أهل العلم ، أعني مقولة المتصوفة : « الجهاد الأكبر هو جهاد النفس » فهذه الفكرة أجدها عند التبليغيين ، والعجب كل العجب أن الشيخ محمد زكريا – رحمه الله – يدافع عنها ، ويستدل على هذا بقول ابن عربي [٣] وغيره كما يستدل بالأحاديث الواهية فهو يقول : « وقد كتب ابن عربي في شرح الترمذي مذهب الصوفياء أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس، وفي الآية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

---

(١) – مدير المدرسة العربية بنيو تاون كراتشي وشيخ الحديث فيها ، ومدير شهرية بالأردية ، ومن كبار علماء ديو بند وجماعة التبليغ . انظر : الموسوعة الميسرة ١ /٣٢٢ .

(٢) – حضرت مولانا محمد يوسف بنورى اور جماعت تبليغ ١٢، والمسجد المكي هو المركز التبليغي في كراتشي .

(٣) – ابن عربي : محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي نزيل دمش ، صاحب التواليف الكثيرة . عمل الخلوات ، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة .

يقول الذهبي : « ومن أراداً تواليفه كتاب « الفصوص » فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر » .يقول عز الدين بن عبد السلام عنه : « شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا » .

توفي سنة ٦٣٨ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٤٨ – ٤٩ رقم ٣٤ .

سُبُلَنَا ﴾(١) إشارة إلى ذلك .

وفي الحديث : « لَيْسَ المُجَاهِدُ الَّذِي يُجَاهِدُ العَدُوَّ البَعِيدَ بَلِ المُجَاهِدُ الحَقِيقِي الَّذِي يُجَاهِدُ العَدُوَّ الَّذِي يُرَافِقُهُ كُلَّ حِينٍ » (٢) .

ورجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة فقال : « رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » (٣) .

والظاهر أنه ليس المراد بالجهاد الأكبر الجهاد بالسيف أو الجهاد مع الكفار ... والحديث « رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » ورد من عدة طرق ...

وقد نقل الشيخ التهانوي في « التشرف بمعرفة أحاديث التصوف، من تفسير روح المعاني أنه ذكر في الآية ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾(٤) رواية عن جابر قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة له فقال لهم : « قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ وَقَدِمْتُمْ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ» (٥) .

ثم يعلق على هذه الروايات فيقول : « وما في هذه الروايات من الضعف فهو مغتفر

---

(١) – العنكبوت : ٦٩.

(٢) –

(٣) – أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ٤٩٣ ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا .

(٤) – الحج ٧٨ .

(٥) – تبليغى جماعت پر اعتراضات كى جوابات ٣، ملخصا ، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ٤٩٣ ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، مرفوعا . والحديث ضعيف كما قال الألباني .

انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥ / ٤٧٨ ح ٢٤٦٠ ، ضعيف الجامع الصغير ٥٩٥ ح ٤٠٨٠ .

في الفضائل، ويندفع من تعدد الطرق » [١] .

ولما كان في هذا القول ما فيه من الخطورة نجد علماء الإسلام حذروا منه ، يقول الدكتور محمد أمين المصري – رحمه الله : « ولو أردنا تقصي آيات القتال في سبيل الله وأحاديث القتال لما وسعنا الزمن ... وبعد هذا كله يسمي قتال العدو جهادا أصغر ويروون في ذلك حديثا يذكره الخطيب في تاريخه من طريق يحيى بن العلاء قال : حدثنا ليث، عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدِمتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمتُمْ مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ مُجَاهَدَةَ العَبْدِ هَوَاهُ » [٢] . وقال البيهقي بشأنه : إسناده ضعيف .

وتبعه العراقي في تخريجه – الإحياء – وحكم السيوطي أيضا بضعفه في جامعه الصغير [٣] ، ولكننا حين نرجع إلى كتب التراجم لنعرف من هو يحيى بن العلاء راوي الحديث نجد في ترجمته ما يزهدنا في حديثه وما يحملنا على هجر ما يرويه .

يقول ابن حجر في شأنه في التقريب [٤] : رمي بالوضع ، أي أنه اتهم بوضع الحديث .

أما الذهبي فيقول في ميزانه : قال أبو حاتم : ليس بالقوي ، وضعفه ابن معين وجماعة ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال أحمد بن حنبل : كذاب يضع الحديث [٥].

وبعد هذه الشهادات التي نتلوها بشأن هذا الرجل يجب أن نلفت الأنظار إلى أنّ هذا الحديث برواية هذا الرجل لا تجوز روايته ولا ذكره إلا على سبيل التنبيه إلى أنها رواية

---

(١) – تبليغی جماعت پر اعتراضات كی جوابات ٣ – ٤ .

(٢) – تاريخ بغداد ١٣ / ٤٩٣ ، والحديث ضعيف .

(٣) – الجامع الصغير ٢ / ٢٥٣ ، ح : ٦١٠٧ .

(٤) – تقريب التهذيب ٥٩٥ برقم ٧٦١٨ .

(٥) – ميزان الاعتدال ٤ / ٣٩٧ برقم ٩٥٩١ .

متروكة ساقطة، والرواية التي ذكرنا تعارض الآية الكريمة معارضة صريحة، قال تعالى :

﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ۝ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[١] » .

وقال حسن البنا – رحمه الله : « شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر، وأنّ هناك جهادا أكبر، وهو جهاد النفس، وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى: رَجَعْنا مِنَ الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ، قالوا : وما الجهادُ الأكبرُ ؟ قال : جِهَادُ القلبِ أو جهاد النفسِ .

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له، ونية الجهاد والأخذ في سبيله، فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح .

قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر في « تسديد القوس » : هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عبلة ... إلى أن قال البنا: على أنه لو صح فليس يعطي أبدا الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين و رد عادية أهل الكفر عنها، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها فليعلم »[٢] .

ويقول الدكتور العلياني : « والذي أراه والله أعلم بالصواب أن وصف قتال الكفار بالجهاد الأصغر وجهاد النفس بالجهاد الأكبر مغالطة لم يدل عليها دليل من كتاب ولا سنة، ثم إنّ من جاهد نفسه حقيقة حتى تغلب عليها فإنه يسرع إلى امتثال أمر الله عزوجل بقتال الكفار، ومن تأخر عن قتال الكفار فليس بمجاهد لنفسه على امتثال أمر الله، فالتذرع

---

(١) – النساء ٩٥ – ٩٦، وانظر : سبيل الدعوة الإسلامية لمحمد أمين المصري ٧١ – ٧٢ .

(٢) – أهمية الجهاد ١٢٠ نقلا عن الجهاد في سبيل الله للبناء ٨٠ .

بجهاد النفس قد يكون من الحيل الشيطانية الصارفة للمسلمين عن جهاد أعدائهم » [١].

وقد صدق الدكتور العلياني أنه من الحيل الشيطانية الصارفة للمسلمين عن جهاد أعدائهم، وإذا فرضنا جدلا أن اعتبارهم هذا الخروج مثل الجهاد يكون مفهوما في حالة السلم ، لكن ما موقف الجماعة عندما يتعرض المسلمون لهجوم الأعداء هل ترى الجماعة مقاومة الأعداء أم أنها تصرف الناس عن مقاومتهم ، وما حجتهم في هذا الصرف ؟ فقد نرى الإخوة التبليغيين ومشايخهم نتيجة هذه الاستدلالات الضعيفة والتأويلات الباردة لا يشاركون ولا يساهمون في الجهاد القتالي الموجود بشتى بقاع الأرض مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والهندوس وغيرهم، ولا يدعون إليه، بل يتسللون منه ويحاربونه كما سبق أن أشرت إليه في قصة التبليغيين مع الشيخ جميل الرحمن ، فلينظر إليها في الفصل الرابع بعنوان : إماتة روح الجهاد في سبيل الله تعالى [٢].

ونحن نلاحظ أن هذه الجماعة تربت على أهمية الخروج ولم تترب على أهمية القتال متعللين على تقوية الإيمان مع أنهم لا يجعلون حدا محدودا لتقوية الإيمان ، ولا ندري وهم لا يدرون أيضا ما هو المعيار الذي نعرف به قوة الإيمان ؟

وقد يقول قائل : إنها لا تمثل الفكر التبليغي ، إلا أننا نرى من خلال الحوار التالي الذي جري مع الذي يقوم مقام الأمير الحالي في الجماعة ما يدل على أنهم لا يرون قتال الأعداء متضرعين بضعف الإيمان ، وهو أمر خطير جدا .

يقص الشيخ عبيد الرحمن المحمدي هذه القصة فيقول : إن المقرئ أشفاق الرحمن وزملاءه حضروا في الاجتماع السنوي المنعقد برائيوند لاهور في نوفمبر ١٩٩٤م وحضروا بعد جهد جهيد في غرفة الشيخ زبير الحسن، فقال المقرئ أشفاق الرحمن للشيخ زبير : إن أخي هذا – وهو يشير إلى أحد زملائه – يريد أن يذهب للجهاد في كشمير ويصر عليّ

---

(١) – أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ١٢١ .

(٢) – انظر : ص ٤٠٢ .

بقوله : تعال نمشي إلى كشمير لأن في الجهاد أجرا كثيرا، فأتيت به إليكم لتفهموه، فقرأ الآية ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالاً ... ﴾ وقال : اخرجوا للتبليغ، واخرجوا للشلات خفافا وثقالا، ففيه أجر كبير لأنه عمل الأنبياء والأولياء، وتخرجون للجهاد حينما يرسخ إيمانكم .

س ٢ : متى يرسخ الإيمان ؟

ج : هذا العلم عند الله أنه متى يرسخ .

س ٣ : الصحابة كانوا يخرجون للجهاد حينما تلفظوا بكلمة التوحيد ؟

ج : إذا كان إيمانكم مثل الصحابة إذاً تخرجون للجهاد .

س ٤ : إن المسلمين في كشمير تُصبّ عليهم المظالم فمن يذهب لنصرتهم، وكيف يتوقف هذا الظلم ؟ ومسلمو كشمير المظلومون من الرجال والنساء والأطفال ينادون ...

ج : إذا ذهبتم في كشمير فيقطعون رقابكم، وإذا قطعت بدون أن يكمل إيمانكم فماذا تنالون ؟ فيجب عليكم أن تكملوا إيمانكم أولا ... » (١) .

ويقول الشيخ فالح بن نافع الحربي في مذكرته : « ... وفي هذه المناسبة نذكر شهادة عيان من أحد الثقات الأثبات السعوديين على مجموعة من دعاة جماعة التبليغ الذين دخلوا في معسكر (بقرب مدينة بشاور) في الباكستان لتدريب المجاهدين الأفغان ، وكان تحت قيادة محمد ياسر خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد استقبلهم ظانا أنهم جاءوا ليشاركوهم في الجهاد ، ولكنه فوجئ بقولهم : « إنما جئنا ليخرج معنا المجاهدون ويسيحوا معنا في الأرض في سبيل الله من أجل الدعوة وليتعلموا الإيمان ، ويرجونه أن يسمح للمجاهدين بالخروج معهم ، وترددوا أياما وهم يصرون على مطلبهم ، فما كان من القائد المذكور إلا أنه أصدر أوامره بمنعهم من دخول المعسكر » (٢) .

---

(١) – تبليغى جماعت تحقيقى جائزة ٦٩ .

(٢) – الدين النصيحة لفالح بن نافع المخلفي الحربي ١٠ .

هذه نماذج من أقوالهم ومواقفهم، أسأل الله أن يهدينا وإياهم إلى سبيل الرشاد ويرزقنا الشهادة في سبيله ، ويكتب لنا وللمسليمن العزة والنصرة والفوز والغلبة فهو على كل شيء قدير، ولا يجعلنا من الذين قال فيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةِ نِفَاقٍ » (١) .

---

(١) – أخرجه مسلم في الصحيح ٣ / ١٥١٧، ح : (١٩١٠) ، وأبو داود في السنن ٣ / ١٠ ، ح : (٢٥٠٢) والنسائي في السنن ٦ / ٧ – ٨ ، والإمام أحمد في المسند ٣ / ٣٧٤ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا .

* الفصل السادس *

آثارها في الطبقات المختلفة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أثرها في تقريب غير المسلمين إلى الإسلام .

المبحث الثاني : أثرها في عامة المسلمين .

المبحث الثالث : أثرها في أهل العلم وطبقة المثقفين .

* المبحث الأول *

أثرها في تقريب غير المسلمين إلى الإسلام

تبين لنا من أهداف الجماعة عنايتهم الخاصة بالمسلمين ، فمجال جهودهم أنه من كان مسلما يدعونه إلى أصولهم الستة ، وانتشرت دعوتهم على هذا النمط في معظم بلدان العالم في أروبا وأمريكا وآسيا وأفريقا ، وليس هناك أي منطقة في أرجاء المعمورة إلا وقد تجد فيها التبالغة يشتغلون بدعوتهم حتى إنهم وصلوا إلى إسرائيل وإلى بعض البلاد الشيوعية أيضا ، بل وصلوا إلى الأماكن النائية سواء كان على حسابهم أو على حساب غيرهم ، ولا يهمهم إلا الخروج والوصول هناك وتبليغ الدين حسب فهمهم .

وليس من أهدافهم دعوة غير المسلمين إلى الإسلام كما لاحظنا فيما سبق حينما تحدثنا عن أهداف الجماعة ، وكما نجد الشيخ محمد يوسف أنه يعتذر بنفسه أنه لم يقم بالدعوة في غير المسلمين وذلك بسبب انشغالهم في الدعوة بين المسلمين إذ يقول : « إن الكفار أمة دعوة أيضا ، وعلينا أن ندعو لهم وإن لم نبدأ الدعوة فيهم إلى الآن بسبب إخواننا المسلمين غير المتدينين ، ولكن لهم حقوق علينا فادعوا لهدا يتهم » .

ويؤكد ذلك ما يقول الدكتور تابش مهدي : « إن الشيخ إكرام الرحمن خان المسئول عن الجماعة التبليغية في الولايات المتحدة الشمالية بالهند قد صرح ذلك أنه ليس من أغراضنا أن نقوم بالجولات في غير المسلمين أو ندعوهم إلى الإسلام » (١) .

ولكن مع ذلك نجد لهم بعض الآثار يتأثر منهم بعض غير المسلمين بصورة فردية مع العلم أن جهودهم في الهند في دعوة غير المسلمين لا تكاد تذكر لانعدامها أو لضعفها ولعل السبب في ذلك أنه ليس لديهم جهود هادفة في هذا المجال ؛ لأنهم لا يعتبرونه من أهدافهم وأغراضهم ، ولا يرون الخروج عن مبادئهم وأسسهم ، بل نجد من ينتقد الجماعة

---

(١) – أفادني الدكتور تابش مهدي شفهيا في دهلي عاصمة الهند .

معتبرا جهودهم في هذا المجال صفرا كما يقول نسيم أحمد شمسي أثناء القصة التي كتبها عن التبالغة في جريدة أسبوعية « قومي آواز » : لو بحثنا عن تاريخ الجماعة ورأينا محفوظاتهم وسجلهم لم نجد أحدا أدخلوه في الإسلام »[١] .

بل ذكر أرشد القادري أن الجماعة التبليغية تتبرأ عن دعوة غير المسليمن إلى الإسلام فهو يقول : إنّ جريدة « نشيمن » الصادرة في بنگلور بالهند - وهي مؤيدة ومتشددة للجماعة - ترد على « حميد دلوائي » الذي نسب إلى الجماعة ما لم يعجبهم فهي تقول : « إن أثبتً أن أفراد الجماعة التبليغية قد أدخلوا في الإسلام أفرادا آخرين في مناطق حدود « گجرات » أو بدأوا مهمة في هذا الصدد أو أغروا أحدا أو دعوه إلى الإسلام، فنحن مستعدون لذوق العقاب الذي يقرره القانون .... وإن الجماعة التبليغية لم تحاول أبدا أن تحث العواطف والمشاعر الدينية [نشيمن بنگلور ١١/ مايو/ ١٩٦٩م] .

ثم يعلق عليها أرشد القادري قائلا : « إنّ دستور الهند يسلم الحرية الدينية أساسا، ولذا ما يتعلق بالدعوات الترغيبية لتبليغ الدين فليست جرما في نظر القانون قطعا، ولكن العجب أن الجماعة التبليغية تنكر باستخدام حقها الجائز لها، وليس الإنكار فحسب بل تعلن بالفخر والاعتزاز هذا الإعراض عن الواجب الديني .

بينما البعثات النصرانية تواصل الليل بالنهار لتبليغ دينهم والدعوة إليه بكل حرية وعزم وإرادة في الهند نفسها »[٢] .

هذا ما يراه بعض الخصوم ، ولكن الذي أرى أن الجماعة التبليغية وإن لم يكن من

---

(١) - قومي آواز ٢١/ مارس/ ١٩٩٧م مجلد ١٧، والعدد ٧٦ .

(٢) - تبليغي جماعت حقائق ومعلومات كى اجالى مين لأرشد القادري ١٠٥ - ١٠٦ .

برامجها وأسسها وأهدافها دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وذلك بسبب انشغالهم وانهماكهم لإصلاح المسلمين أنفسهم .

وعلى الرغم من هذا فلهم جهود فردية مشهود لها في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أروبا وأمريكا [١] .

يتكلم الشيخ أبو بكر الجزائري – حفظه الله – عن آثار الدعوة فيقول : « ... وأما في أوربا فإن آثار دعوة التبليغ محمودة جدا، إذ ظهر بها الإسلام، وانتشر بين العمال المسلمين فبنيت المساجد، وأقيمت الصلاة، وظهر الزي الإسلامي : لحية وعمامة وثوب وقميص، ودعي إلى الإسلام ، ودخل العديد من النصارى في الإسلام فكانوا عشرات الآلاف » [٢] .

وإن نجد فيه مبالغة ولكن ينبغي أن لا يغفل ما لهم من مساع وجهود مشكورة ، ولا شك أن لهم جهودا لا تجحد ، وكان الشيخ محمد إلياس – رحمه الله – كان يفكر عن الأوربيين ودعوتهم إلى الحق، كما أبدأ فكره ورغبته في الرسالة التي كتبها إلى الأستاذ محمد علي جوهر حينما كان مسافرا إلى لندن وحثه على ذلك [٣]، كما كان يفكر أحيانا في تبليغ غير المسلمين بميوات ودعوتهم إلى الإسلام[٤] .

---

(١) – الموسوعة الميسرة ١ / ٣٢٦ ، وانظر : تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٥١ وما بعدها ، سوانح حضرت مولانا محمد يوسف ٥٢٧ .

(٢) – بحث حميد الله ١٣٧ نقلا عن القول البليغ في جماعة التبليغ للجزائري ٧ .

(٣) – انظر : تبليغى تحريك ٨٣ .

(٤) – تبليغى جماعت كى تاريخى حالات ملفوظات ومكتوبات لرحيم بخش ١٤٠، ١٤٩ .

وأما في اليابان فلهم جهود طيبة وملموسة في هذا المجال، وقد أسلم على أيديهم أناس كما أسلم في أوربا وأمريكا .

والذي اجتذبهم إليه هو مظهر التبليغيين ما يوافق مظهر السنة في اللباس والصورة وفي الطبيعة والهيئة الذي يأخذ بمجاميع القلوب، ويرتاح له وإليه الناس من درجة الاستيناس وحسن الظن إلى درجة الاعتماد والتوثيق .

وأقتطف هنا شيئا من مكتوبات عبد الرشيد أرشد التي أرسلها إلى الشيخ محمد يوسف من اليابان وهو يؤيد ما ذكرت .

فهو يقول : « ... وذات مرة صلينا في الجامع بتوكيو عاصمة اليابان، وبعد ما صلينا رأينا يابانيا فلسفيا واقفا على باب المسجد، وتحدثنا معه فقال لنا : إني قرأت قصة في اللغة الروسية عن مسلم أنه لا يخاف الموت، ويلقي نفسه في خطر كبير، وأخبرني بعض الأصدقاء أن هناك في توكيو معبد للمسلمين يحضرون كل جمعة، فجئت هنا لأفهم الإسلام منهم .

فجئنا به إلى مقرنا وأكرمناه بالشاي وغيره، وقد ألهمني الله فقلت له على لسان ترجماني الحاج عمر ميتا [(١)]، لا تفهم الإسلام إلا أن تقرأ الكلمة، فأبدى رغبته أن يعتنق الإسلام ، وأدخله الحاج عمر ميتا في الإسلام، وصلى العصر معنا »[(٢)] .

وذات يوم جاء ني مسلم ياباني حديث عهد بالإسلام بصديقه غير المسلم الذي كان أمينا عاما للحزب الاشتراكي في حيّنا، وقد أورد السؤال بمجرد وصوله : « ماذا يقول

---

(١) – وانظر قصة دخوله في الإسلام، تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٢ – ١٣٣ .

الإسلام عن صراع الرأسماليين والعمال ؟ فقلت له : أساس المجتمع الإسلامي ليس على الحقوق بل على الفرائض، فالإسلام يبين أن حقوق الرأسماليين هي دين العمال، ومستحقات العمال من فرائض الرأسماليين، ولذا لا يمكن الصراع الطبقي في المجتمع الإسلامي الصحيح، فقد وقر في قلبه هذه الكلمات، واعتنق الإسلام فورا » (١) .

واستطرد قائلا : « ولا أذكر إلا نادرا أن غير المسلمين خرجوا معنا في الجماعة ورجعوا بدون أن ينطقوا بالكلمة » (٢) .

ومن الشخصيات البارزة الذين اعتنقوا الإسلام في اليابان « شند بوسان » رئيس معبد بد بمنجوابن وزوجته (٣) ، وعبد الكريم سيتو رئيس جمعية المسلمين اليابانيين وأسرته (٤) وسودا سال (٥) .

وأنبه في ختام هذا المبحث إخواننا التبليغيين الذين يبذلون جهودهم في هذا المجال أن يقدموا الإسلام إلى غير المسلمين على الصورة التي أنزله الله عليها على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم غير مزيج بالمعتقدات البدعية والمنامات الواهية، وهو دين الله السماوي الذي أساسه الكتاب والسنة الصحيحة، كما أنصحهم أن يقدموا لكل من يعتنق الإسلام أو يرغب فيه نسخة من الكتاب الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – أعني

---

(١) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٣ .

(٢) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٣٧ .

(٣) – المرجع السابق ١٤١ – ١٤٤ .

(٤) – المرجع السابق ١٤٠ .

(٥) – سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي ٥٣٧ .

مصحفا مترجما بلغته لكي ينهل من منابعه الصافية، حتى لا يتكرر ما حدث للبعض الذين اعتنقوا الإسلام من الردة والارتداد بعد ما يئسوا من قراءة القرآن الكريم وفهمه كما أسلفت قصة شاب بهذا الصدد، نسأل الله تعالى التوفيق والسداد .

* المبحث الثاني *

أثرها في عامة المسلمين

قد عرفنا سابقا أن هدف جماعة التبليغ هو إصلاح المسلمين وإعادتهم إلى حظيرة الدين حسب فهمهم لمفهوم الدين وقد كان لهم دور ملموس في إصلاح عامة المسلمين فكثير منهم قد تابوا من فسقهم وفجورهم ورجعوا إلى الخير بجهود هذه الحركة وهم الآن من دعاة هذه الجماعة، فهم الذين عمروا المساجد التي أغلقت أبوابها من عصور في المناطق البعيدة فذهب إليها أفراد هذه الدعوة وأقاموا فيها الصلاة، ورتبوا نظام الجماعة وأمر الدعوة فيها، وصارت هذه المساجد يذكر فيها اسم الله، وترفع فيها أصوات الإسلام، ولا يخفى على من خالطهم وحضر محاضراتهم أن موعظتهم تشتمل على التذكير والزهد والتقوى والرغائب والرقائق والنوافل وفضائل الأعمال، وطريقتهم تقوم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وقد استطاعوا أن يجتذبوا إلى رحاب الإيمان كثيرا من الذين انغمسوا في الملذات والآثام وحوّلوهم إلى العبادة والذكر والتلاوة[1] ، فكم من منحرف استقام، وكم من غافل ساه لاه استفاق، وكم من معرض عن الله ودينه رجع إلى الله وآب .

وقد كان الميواتيون المجال الأول الذي بدأ الشيخ محمد إلياس جهوده بينهم كما سبق بيانه حينما تحدثت عن نشأة الجماعة وتطورها ، وقد عرفنا أنهم كانوا في انحرافات ظاهرة وبعد عن الدين ، واشتهروابالسرقة والنهب والغصب ، لكن ما إن اجتهد فيهم الشيخ حتى انقلبت حياتهم رأسا على عقب ، فأقبلوا على الدين وتحمسوا له وأصبحوا دعاة

---

(١) - الموسوعة الميسرة ٣٢٤/١ .

الجماعة ، وقد أشار الشيخ أبو الحسن الندوي إلى آثار هذه الدعوة بمنطقة ميوات إذ يقول : « وقد عم في مدة قليلة بفضل هؤلاء الدعاة المتطوعين الذين كانوا يتجولون من ناحية إلى ناحية، ومن قرية إلى قرية ، حاملين عروضهم وزادهم ومتاعهم على أكتافهم الإقبال على الدين والحرص على تعاليم الإسلام في هذه المنطقة الواسعة المترامية الأطراف التي ظلت مظلمة عبر قرون لم يشرق في ربوعها نور الإيمان واليقين ، وقد حظيت بانقلاب عجيب لم يعرف له نظير في الماضي القريب والبعيد، ولو أن حكومة إسلامية بذلت كل ما لديها من وسائل وإمكانات ونصبت كثرة كاثرة من العلماء والمربين من أجل تقريب الدين إلى الناس، أو فتحت مئات وآلافا من الكتاتيب والمدارس من أجل تعليم الدين، لما استطاعت أن تكسب النجاح في نشر الدين في جزء من أجزائها في هذه السهولة واللياقة والدقة والحكمة ...

وبدأ الجو الميواتي يتغير شيئا فشيئا، وبدت آثار هذا التغيير في مختلف مظاهر الحياة ونواحي السلوك والعادات، وصلحت الأرض وأصبحت تبشر بأنها تنمو وتترعرع وتخضر وتثمر فيها الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين وأحكام الإسلام، ولم تعد هناك حاجة إلى الجهاد والكفاح من أجل كل ما يتعلق بالدين، نعم كانت هناك من بقايا الجاهلية ومخلفات التقاليد والأعراف ما يدعو للعمل على الإصلاح، ولكن المناطق التي بذلت فيها المحاولات الإصلاحية لم تكن تحتاج إلى جهد كبير للقضاء على شيء لا يمت إلى الدين بصلة، بل كان يكفي أن يقال للناس إن ذلك ليس من الدين في شيء فينتهون عنه عن آخرهم ...

وفعلا قد أتت الجهود الدينية أكلها في مدة غير طويلة وبدأت مظاهر الصلاح والإقبال على الدين تتجلى في حياة الميواتيين بحيث لو أن أحدا عمل على تربية واحد منهم طوال خمسين سنة أو أكثر على غير هذا الترتيب لما نجح هذا النجاح الكبير في تخريجه على

الدين ، بل ربما كانت النتيجة معكوسة سلبية .

وعلى كل فقد حدث الإقبال الشامل على الدين ، وبدت آثاره في السلوك ، حتى إن المنطقة التي لم تعرف المسجد غنيت بالمساجد في كل ناحية، وانبثّت شبكة الكتاتيب والمدارس، وكثر حفاظ القرآن الكريم ووجد عدد وجيه للعلماء والخريجين في العلوم الإسلامية، وعميت الكراهية لكل ما يتصل بالهنادك والهندوكية من الملابس والتقاليد والشعائر، ورسخ في القلوب تقدير الوضع الإسلامي، وحرص الناس على إعفاء اللحى، وانتهت التقاليد الجاهلية فيما يتعلق بالزواج، وقل الربا والتعاطي الربوي، وشذ من يحتسي الخمر، وقل النهب والغارة وقطع الطرق، وانخفضت إلى حد مدهش نسبة الجرائم الخلقية، والاضطرابات والصراعات والخصومات، وكذلك ذبلت البدع والخرافات والتقاليد غير الإسلامية وعادات الفسق والفجور؛ لأن كل ذلك لم يجد الجو الملائم له ولا التربة الصالحة في حقه » [(١)] ، وشهد بذلك الأستاذ المودودي بعد ما زار منطقة ميوات، وشاهد ما هنالك من الإصلاحات[(٢)] .

ويذكر الشيخ محمد عبيد الله البلياوي بعض النماذج الإيمانية للميواتيين التي تدل على مدى تأثير هذه الدعوة على حياتهم العملية ، فيقول : « ذات مرة كسّر ميواتي سن ميواتي آخر في الخصام ثم تنبه إلى قوله تعالى ﴿الجُرُوحُ قِصَاص﴾[(٣)]

---

(١) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٠٠ – ١٠٣ ملخصا .

الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٣٤ – ٣٦ ملخصا .

(٢) – مجلة الفرقان ، اكتوبر ١٩٧٩م ٣٩ – ٤١، انظر: مين بهى حاضر تها وهان ١٠٠ – ١٠٣، تبليغي جماعت، جماعت اسلامي اور بريلوي حضرات ٢٠ – ٢٦ .

(٣) – المائدة ٤٥ .

و ﴿السِّنُّ بِالسِّنِ﴾ (١) فذهب إلى الذي كسّر سنه وقال له : يا أخي ، أقم الحدّ عليّ ، وكسّر نفس سنّي الذي كسرته لك ، ثم اضطجع ، وجثم آخر فوق صدره ، وبيده آلة تكسّر السن .

وكاد أن يكسره إذ خطر بباله، بأن سنه قد انكسر، ولكن كيف يسوغ لي أن أكسّر سن هذا الرجل الشريف الذي حضر بنفسه ليكسّر سنه، وأنا ما ذهبت إلى محكمة الشرطة لأشكو عنه أو أرفع الأمر إليهم، فمجيئه بنفسه يدل على شرفه، وقد حصل لي الضرر بكسر سني، ولكن ماذا ينفعني إذا انكسر سنه ، ولما استشعر بذلك قال له : يا أخي حيث جاء في القرآن : ﴿السِّنُّ بِالسِّنِّ﴾ فقد ورد أيضا في رواية : « وَاعْفُ عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ » (٢) فقد عفوتك لله » (٣) .

ويقول : « ذهبت ذات مرة جماعة من حيدر آباد إلى ميوات، ونسي أحد منهم قلمه هناك، فأوصله الميواتيون إلى نظام الدين في المركز الرئيسي، ثم كتب أهل المركز إلى حيدر آباد وتأكدوا منهم ثم أرسلوه إليهم » (٤) .

ويعلق عليها الشيخ البلياوي قائلا : « هذا حال قوم كانوا مشهورين بالسرقة والنهب والغصب ، ولكن اليوم يحاولون عن شيء تافه أن يوصلوه إلى أهاليه بوطنهم » (٥) .

---

(١) – المائدة ٤٥ .

(٢) – أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ / ١٤٨ ، ١٥٨ ، عن عقبة بن عامر ، مرفوعا .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ١٩١ : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٣) – تاريخ دعوت وتبليغ ٦٣ – ٦٤ .

(٤) – المرجع السابق ٦٤ .

(٥) – تاريخ دعوت وتبليغ ٦٤ .

وقد تحدث عجوز ميواتي عن تلك الحقيقة في بلاغة وبكلمات عميقة ذات دلالات دقيقة لا مزيد عليها، وذلك عند ما سأله المقرئ داود : ما يجري الآن في منطقتك ؟ قال : الميواتي العجوز : « لا أدري إلا شيئا واحدا : أن الأمور التي كانت تستنفد جهودا جبارة ولا يتحقق شيء منها عادت الآن تتم دون محاولة، وأن الأمور التي من أجل القضاء عليها كان يبذل أقصى الجهود، وتشعل الحروب ، وتخاض المعارك ، وتكون النتيجة صفرا، أصبحت الآن تغيب دون سعي » [(١)].

وإذا تجاوزنا عن الميواتيين وأخذنا شريحة من شرائح المجتمع وهم التجار لنعرف أثر هذه الجماعة فيهم ، نجد الشيخ الندوي يقول عن هذه الشريحة من المجتمع : « وزاد إقبالهم على الدين ، وتمسكهم بالشريعة من أجل إسهامهم في الدعوة والتبليغ، واحتكاكهم بالعلماء ورجال الدين في الرحلات ، واختلافهم إلى الشيخ - محمد إلياس - واتصالهم به اتصال الحب والإعجاب ، والطاعة والانقياد، وظهر في تعاطيهم ، وأخلاقهم وعاداتهم، ومظاهر سلوكهم وحياتهم تغير ملموس، وأقبلوا على الدين بأجزائه وجزئياته، يطبقونه في واقع حياتهم ، ويمثلونها تمثيلا عمليا صادقا؛ لأنهم أحبوا الدين وأعجبوا به إعجابا كبيرا ... وبلغ بهم التغير إلى أن التجار الذين كانوا يكرهون أن يوظفوا أصحاب اللحى في دكاكينهم، عادوا يعفون اللحى بأنفسهم، والذين كانوا يرون في كون موظفيهم مواظبين على الصلاة ضياعا لأرباحهم، وكسادا لتجارتهم، بدأوا يقومون بجولات تبليغية في أوقات تفتح فيها الدكاكين، ويكثر فيها الإقبال عليها، ويتقاطر فيها المشترون، ولم يعودوا يكرهون

---

(١) - حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٠٤، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٣٦ .

المشي على الأقدام ، حاملين أمتعتهم وفرشهم على كواهلهم في الأسواق وعلى مرأى من الناس، ولم يشعروا بالذل والعار والسنار في افتراش الغبراء، وغمز أرجل الأصدقاء، وصنع الطعام بأيديهم، والتردد على أبواب الفقراء والمحتاجين من حارة إلى حارة، ومن حي إلى حي، على كل فتحولت حياة كثيرين كليا وذلك أن البيئة قد تغيرت فتغيرت العقلية والنفسية »[١] .

ولهذا فليس بغريب أن نجد الشيخ محمد يوسف يقارن بين أثر جماعة التبليغ وبين جهود أمريكا في إصلاح الناس ، فهو يشيد بأثر الجماعة في حين فشلت دولة كبرى في إصلاحهم فيقول : « إن أمريكا تطورت وصنعت كل شيء ولكنها فشلت كليا في ربط الأسود بالأبيض ، وكذلك أنفقت في مكافحة الخمر عشرات ملايين من الروبيات[٢]، وبذلت الجهود المضاعفة بهذا الصدد ولكنها ازدادت بدلا أن تتقلص، وأما بهذه الدعوة التبليغية فقد تاب وكفّ مئات الآلاف من الناس عن جرائمهم، الذين كانوا لا يتصور منهم تركها، فالحمد لله » [٣] .

وأما الشيخ محمد زكريا فنجده يستخدم أثر الجماعة في الدفاع عنها والإشادة بها إذ يقول : « والهداية التي انتشرت وتنتشر في العصر الراهن عن طريق التبليغ فلا يستطيع أن ينكره أحد حتى ألد الخصوم، فالآلاف بل مئات ألف الذين كانوا لا يصلون بدأوا

---

(١) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٣٦ – ١٣٧، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٥٢ – ٥٣ بالتصرف اليسير .

(٢) – هكذا قال لأنه يتحدث بعملة من يخاطبهم .

(٣) – حضرت جى كى يادگار تقريرين لمنشي أنيس أحمد ٨٦ .

يلتزمون بالصلوات » [١] .

وأختم هذا المبحث بقصة ذكرها الحافظ نور خان كما يقول : « دخلت جماعة في قرية وقدموا الدعوة لعمدة القرية أن يرافقهم إلى المسجد ولكنه رفض، وذهبت الجماعة مرة ثانية إليه، ولكن بدون جدوى .

ثم ذهبت الجماعة مرة ثالثة فرضي بشرط أن لا يحضر معهم في الصلوات والمحاضرات، وأما الأوقات الأخرى فيقضي معهم، فقبلوا هذا الشرط، فقضى يومين على شرطه بأنه لم يكن يحضر الصلوات ولا المحاضرات، وأما الأوقات المتبقية فجلس معهم في المسجد .

وفي الليلة الثالثة بدأ أحد من الجماعة يتضرع إلى الله بعد قيامه الليل ويبكي ويطلب العفو من خطاياه وذنوبه واحدا واحدا، وعمدة القرية كان مضطجعا بجنبه فشاهد هذا المنظر، وبدأ يفكر ويتحدث بنفسه أن هذه الجرائم والآثام كلها لديّ بل أكثر من ذلك ، ولكني مصرّ على عصيانه تعالى، وبدأ يندم حتى إذا حضرت صلاة الفجر لم يخرج من المسجد بل صلى معهم واستمع المحاضرة ، فوقعت الجماعة في الحيرة، وبعد فراغهم سألوه، فبين لهم القصة بأكملها بسبب إصرارهم، وتاب عن سيئاته وبدّل حياته » [٢] .

---

(١) – جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات ٣ – ٤ .

(٢) – موجودة تبليغى جماعت علمائى حق اور أولياء كرام كى نظر مين للحافظ نور خان ضياء ٦٢، ٦٣ .

* المبحث الثالث *

أثرها في أهل العلم وطبقة المثقفين

كان يود الشيخ محمد إلياس أن يقبل على هذا العمل من هم أهل لذلك ، من أهل العلم والصلاح ، ويضعوا مواهبهم في تصعيد هذا العمل حتى تترسخ جذور هذه الحركة، وتتقوى ساقها وتخضر أغصانها وأوراقها ، ولا يريد من العلماء أن يسهموا في ذلك بالخطب والمواعظ فحسب، بل كان يريد منهم أن يقوموا بمحاولة نشر الإسلام وتبليغ الدين على الخطط المرسومة، ملتزمين بالأسس والمبادئ بجولات ورحلات وزيارات ولقاءات .

والشيخ كان حريصا على طبقة العلماء لاعتقاده أن لمشاركتهم في هذا العمل أثراً واضحا وملموسا في تأثيرهم في الناس ، نجد هذا في رسالته الموجهة إلى الشيخ محمد زكريا إذ يقول : « إني أرى منذ مدة أن هذا العمل لا يصل إلى مرحلة الكمال والتمام ما لم تتنبه الطبقة المثقفة، وتؤم الشعب وتقرع أبواب بيوتهم وتحتل بهم، وتتجول من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ، كالدهماء ؛ لأن لحركية أهل العلم وعملهم تأثيرا في قلوب الشعب لن يكون لخطبهم الحماسية النارية، إن حياة أسلافنا تدل على ذلك، وذلك شيء ليس يخفى على أهل العلم أمثالكم »[١] .

وكان اعتقاد الشيخ محمد إلياس يزداد مع الأيام أن هذه المحاولة الدعوية التي نهض بها هي علاج كل فتنة، ودواء كل داء ، وحل كل مشكلة ، ولكنه كان يتألم كثيرا عند ما لا

---

(١) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٢ – ١٢٣، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٤٦ .

يجد إقبالا على هذا العمل من أهل العلم [١] .

ولعل أسباب ذلك كما يقول أبو الحسن الندوي :

١ - كان العهد عهد الحركات والدعوات، وكانت القلوب والأذهان مصروفة إليها، فكان من الصعب أن يقبل الناس على هذه الحركة الهادئة في العهد الذي يموج بالحركات الصارخة ذات الضجيج والضوضاء ، وكانت تجربة الحركات والدعوات المرة التي عاشها الناس تقف حجابا دون نظرهم إلى حركة الشيخ محمد إلياس نظرة الأمل والإعجاب .

٢ - لم يكن الناس يعرفون عن هذه الدعوة إلا معرفة ضئيلة غير مشبعة ، ولا يعرف فصها ونصها إلا المتصلون به ، أما المترامون ولا سيما عامة أهل العلم فكانوا لا يعرفون عنها شيئا .

٣ - وكانت كلمة التبليغ التي كانت عنوان هذه الدعوة تقف سدا منيعا دون فهم عمقها وحقيقتها ، فكان الناس لا يقبلون عليها ظنا أنها حركة كحركات سطحية أخرى ، أو يرونها فرض كفاية .

٤ - كان الشيخ محمد إلياس الذي يعرض هذه الدعوة على أهل العلم والطبقة المثقفة كان حديثه ملتويا غامضا دقيقا، مشتملا على المصطلحات الصوفية، ممدا بلفتات وإشارات خفية ، أضف إلى ذلك العقدة التي كانت في لسانه، وحماسه الزائد وعاطفته الملتهبة ، فكان الواردون الجدد قد يواجهون اضطرابا فكريا واستحياشا [٢] عقليا .

---

(١) - حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٦، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٤٧ .

(٢) - كذا في الأصل والصواب استيحاشا .

٥ - وما كان الناس ليعلقوا على الشيخ أملا كبيرا عندما كانوا يرون أن الواقفين بجانبه إنما هم هؤلاء الميواتيون السذج، كانوا يرون الشيخ كمرشد، وشيخ طريق، ومربّ روحي، لهؤلاء الميواتيين [١] .

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسباب أسبابا أخرى ضمن ذلك :

١ - انحصار التبالغة على الأصول الستة وعدم تجاوز هذا الإطار الذي يسبب الملل والتعب؛ لأن الطبقة المثقفة بالثقافات الإسلامية والعلماء لا يجدون شيئا يشفي العليل ويروي الغليل من الحوار العلمي الهادئ أو المناقشة العلمية حول المسألة الدينية أو الأسئلة والأجوبة حول المسائل الموجودة في الأذهان وتخطر في البال وهي التي تفيد الحاضرين والخارجين في الجولات، بل يتضايقون أحيانا حينما يكثر عليهم ذكر المنامات والمبشرات والإلهامات والقصص والحكايات وأقوال الكبار، وهي لا تغنيهم من جوع .

٢ - عدم إتاحة الفرصة للعلماء والفضلاء أن يفيدوا بما عندهم من الحصيلة العلمية الإخوة الأميين الخارجين معهم في الجولة، بل العجب كل العجب أن مقياس ومعيار الإمارة في الجولات ليس هو العلم والثقافة والمعرفة بل الخروج هو المعيار الوحيد، فالذي خرج في الشلات وأكثر في الجولات هو الذي يستحق الإمارة، وهو الذي يستحق أن يلقي محاضرات، ويقوم ببيانات في الخروج والشلات ولو كان جاهلا لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا يعرف من الدين إلا الأسس الستة لدى الجماعة، فهو يذكرها ويكررها ولو لم يجيد النطق والتلفظ بها، وقد لاحظت هذا بنفسي في مركزهم الرئيسي .

---

(١) - حضرت مولانا محمد إلياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٨ - ١٢٩ ملخصا .

الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٤٨ - ٤٩ .

وفي مثل هذا الجو يشعر أهل العلم والفضل الضياع وضيق النفس ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يفيدوا ولا يستفيدوا، ولا يملكون أن ينصحهم لأن الكلام والنصح عن خارج الإطار ممنوع بل يعتبر « لا يعني » وهناك تعليمات يلتزمها كل من يخرج في الجولات ومنها « ترك ما لا يعنيه » ونظرا إلى هذه وغيرها يتسللون لواذا ولا يسجلون أسماءهم في الشلات إلا قليلا .

وإذا كان أثر الجماعة ضعيفا في طبقة العلماء الذين يتفقون مع الشيخ منهجا وفكرا أعني بهم الديوبنديين فغني عن البيان أن أثرها في طبقة العلماء من المدارس الأخرى يكاد يكون صفرا ، لكن إذا تجاوزنا طبقة العلماء وجدنا لهذه الجماعة أثرا في الطبقة المثقفة ثقافة عصرية ، ولعلهم وجدوا فيها غذاء هم الروحي فساهموا فيها سدا لهذا الفراغ وترقية روحانية لهم، ولذا نراهم قد كانوا يحضرون في المحاضرات والبيانات والاجتماعات كما كان يحضر في صلاة الصبح بمركز نظام الدين دهلي في عهد الشيخ محمد إلياس من وجهاء مدينة دهلي والطبقة المثقفة بالثقافة العصرية، وبعض أساتذة الجامعة الملية الإسلامية بدهلي ولا سيما الدكتور ذاكر حسين ويعودون بعد ما يسمعون المحاضرات »[1] .

وقد اهتم بهذا الجانب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي بعد وفاة أبيه، وكان يرى أن هذا العصر عصر الثقافات الإنجليزية فنحن في أمس الحاجة إلى الطبقة المثقفة بالثقافات العصرية والإنجليزية لنشر هذه الحركة للدعوة بين الطبقات المثقفة بهذه الثقافات، وإلى البلدان الأخرى، ولهذا الغرض كان يحتاج إلى طلاب جامعة عليكرة وأساتذتها .

---

(١) – انظر : حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ١٣٥، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٥١ .

وبعد مشورة وتفكر عميق خطر ببالهم أن يختاروا المغول من مديرية بلند شهر لهذه المهمة، وهم يقومون بالدعوة في عليكرة، وفعلا قد قاموا بها، وحققوا أمنياتهم حتى فتحت أبواب العمل في الجامعة [١] .

يقول المفتي عزيز الرحمن : « إني سمعت من بعض المسئولين الخواص في التبليغ أن جامعة عليكرة قد رفضت كليا في البداية قبول هذا العمل، وفي ذلك العصر يصعب على الملتحي أن يدرس فيها، ولكن جاء وقت حينما ذهبت إليها فواجهتني مشكلة في معرفة طلابها : هل هم طلاب العلم في الجامعة أو الأئمة والمؤذنون في المساجد ؟ بما رأيتهم في الملابس الشرعية الساذجة بوجوه نيّرة وفيها من أثر السجود لابسين البتلون أو السروال فوق الكعبين ، وقد أوقعني ذلك في الحيرة والاستعجاب » [٢] .

وقد صرف السيد فريدي وقتا طويلا في عليكرة فأقام هناك وآنس طلابها وذهب بهم إلى المقر الرئيسي في نظام الدين بدهلي، وحثهم على أن يقضوا أوقاتهم هنالك .

وقد توجه إليهم الشيخ محمد يوسف ونصحهم بقوله : « إن الأوقات التي تصرفونها عبثا فاصرفوها في الأمور الدينية، وأيام العطلة كلها تنتهي في التنزه والتفرج فاقضوها في الشلات، ولا نريد أن نبعدكم عن التعليم » [٣] .

وفعلا امتثل الطلاب بقوله وخرجوا في الشلات، وبعد العودة منها نشروا هذه الفكرة في الحرم الجامعي فخرج الأساتذة، ثم ذهبت جماعات الأساتذة والطلاب إلى البلدان

---

(١) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف صاحب ١٢٤ ملخصا .

(٢) – المرجع السابق ١٢٥ .

(٣) – تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف ١٢٥ .

الأخرى، وأتوا بالطبقة المثقفة بالعلوم الإنجليزية منها إلى الهند ... وهكذا انتشرت هذه الفكرة في الطبقة المثقفة بالعلوم العصرية والإنجليزية [١] .

وأذكر مثالا عن هذا الأثر في ختام هذا المبحث أن الشيخ محمد يوسف رحمه الله حينما ذهب إلى رائيوند بلاهور في آخر حياته وحضر جم غفير في محاضراته فحضر فيها طلاب العلم من ثلاث أو أربع كليات، وتكلم معهم الأستاذ خالد محاضر جامعة عليگرة بصفة خاصة، وبين لهم أن جامعة عليگرة كيف كانت مركزا للشيوعية والاشتراكية، والآن ينتج الجو الديني عن هذه الحركة ...

وقد سجل الطلاب أوقاتهم بالكثرة للخروج في الاجتماع، وبعد ذلك اجتمع الضباط وأساتذة الكليات لدى عبد الرحمن القريشي، وسمعوا كلام الشيخ [٢] .

وقد ذكر منشي محمد عيسى مجالات الحركة التبليغية فبين أن منها : « المكاتب والجامعات والكليات وغيرها ...

ثم تحدث تحت هذا العنوان أن الالتزام بالأوقات والنشاط والصفات الفعالية من الأمور اللابدية في التبليغ، وهذه الصفات توجد عامة في هؤلاء الرجال، فلو استخدمت صفاتهم للدين فتغيرت حياة الناس ... فيجب علينا أن نجتهد فيهم حتى يخرجوا في التبليغ » [٣] .

---

(١) – المرجع السابق ١٢٥ .

(٢) – انظر : حضرت جى كى ياد كار تقريرين لمنشي أنيس أحمد ٥٢، فرمودات يوسفي ١٧٢ – ١٧٣ ملخصا .

(٣) – تبليغ كا مقامى كام ١٢١ ملخصا .

مما سبق نرى أن للجماعة أثراً على الطبقة المثقفة،وهم يزدادون يوما بعد يوم كما هو مشاهد وملموس .

* بعض الملحوظات والمآخذ على هذا الجانب *

وبعد أن عرضنا أثر الجماعة في غير المسلمين وفي المسلمين وفي بعض الطبقة المثقفة منهم أحب أن أشير إلى بعض الملحوظات التي ذكرها بعض الباحثين عنهم ، منها ما هو موضع اتفاق ومنها ما هو موضع اختلاف ، فمن تلك الملحوظات :

ا - إنهم يتوسعون توسعا أفقيا كميا لا نوعيا، إذ أن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة وعلم وهذا ما تفقده هذه الدعوة، ذلك لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى .

وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنها، فتأثيرهم تأثير وقتي إذ ليس لديهم اتصال منظم ومستمر مع هؤلاء الأفراد أو رعاية وتعهد كافيان لهذه البذور حتى تنمو وترعرع وتثمر، ويمكن أن نقول بأنهم يعملون على قاعدة « قل كلمتك وامش » (١) .

ب - إن قوة الباطل وطغيان الموجة الجاهلية العاتية لا يفيد معها موعظة يرق لها قلب السامع ثم تتركه يجرفه التيار الضخم .

فعملهم لا يكفي لمواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام التي تجند كافة طاقاتها لحرب الإسلام والمسلمين، ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلا أمام التيار المادي الجراف (٢) .

ج - أسلوبهم يترك أثره بشكل واضح على رواد المسجد من المسلمين، أما أولئك

---

(١) - الموسوعة الحركية ١٤٥/٢، الموسوعة الميسرة ٣٢٥/١ .

(٢) - الموسوعة الحركية ١٤٥/٢، الموسوعة الميسرة ٣٢٥/١ .

الذين يحملون أفكارا وإيدولوجيات معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدوما .

د – لا يضمهم تنظيم واحد متسلسل، بل هناك صلات بين الأفراد وبين الدعاة تقوم على التفاهم والمودة [١] .

هـ – الخضوع المطلق لمشايخهم وكبارهم وذلك لقداستهم على لسان حالهم، وهذه السيمة ظاهرة على التبالغة فهم يخضعون لمشايخهم وكبارهم خضوعا تاما ويطيعونهم في كل ما يأمرونهم سواء أكان يعارض النصوص القرآنية أو يخالف سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم بحجة أن مشايخنا فعلوا هكذا، وكبارنا قالوا هكذا، فكيف نخالفهم وهم أولو العلم والفضل والتقوى .

ولهذا لا تجد أحدا من التبالغة أن يناقش في مسألة من المسائل أو يجترأ أن يطلب الدليل أو الحجة من مشايخهم على ما يقولون في محاضراتهم وبياناتهم، كأنهم يعتقدون القداسة والعصمة فيهم وإن لم يقروها بألسنتهم، وهذا الذي لا حظت في الحوار مع التبالغة أكثر من مرة، وهذا الذي يعلمهم ترجمان الجماعة ومشرفها العام الشيخ محمد زكريا حيث يقول مستدلا بقول ابن عربي : « إن لم تكن أعمالك تابعة لرضى الآخرين فلم تنتقل من هوى نفسك ولو جاهدت طيل حياتك، ولهذا إذا وجدت شخصا تحترمه من قلبك فالزمه بخدمته، وكن أمامه كالميت يتصرف فيك حيث شاء، ولم تبق لك رغبة ولا شهوة، وأسرع في امتثال حكمه وتجنب مما منعه، وإن أمرك بالزنا فازن بأمره لا برأيك، وإذا أمرك أن تجلس فاجلس، فالواجب أن تسعى لحصول شيخ كامل ليوصلك بالله » [٢] .

---

(١) – انظر : الموسوعة الميسرة ١ / ٣٢٥ .

(٢) – فضائل تبليغ ٣٠ – ٣١ .

ويمكن أن نقول بأنهم يعملون على قاعدة « سلّم ولا تناقش »، أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعلنا من الذين يندمون ويقولون يوم القيامة : ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراء نا فأضلونا السبيلا .

* الفصل السابع *

المقارنة بين جماعة التبليغ والجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المقارنة في المناهج والمبادئ .

المبحث الثاني : المقارنة في الوسائل والأساليب .

* المبحث الأول *

المقارنة في المناهج والمبادئ

توطئة : إن الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة الرسل والأنبياء، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين ، والربانيين الصادقين ، وهي من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى ؛ لأنّ ثمرتها هداية الناس إلى الحق ، وتحبيبهم في الخير ، وتنفيرهم من الباطل والشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وقد ذكر الله تعالى فضلها حيث قال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١] .

أما الشيء الذي يدعى إليه فيجب على القائمين بأمر الدعوة أن يفهموه جيدا ويوضحوه للناس كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكما أمر بذلك جل وعلا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بقوله : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[٢] فسبيل الله هو الإسلام ، وهو محل الدعوة ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الدين الذي بعث به نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

هذا هو الذي تجب الدعوة إليه لا إلى مذهب فلان ، ولا إلى رأي فلان ، ولكن إلى دين الله إلى صراط الله المستقيم ، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة إلى الإخلاص

---

(١) – فصلت ٣٣ .

(٢) – النحل ١٢٥ .

لله وتوحيده بالعبادة والإيمان به وبرسله والإيمان باليوم الآخر وبكل ما أخبر الله به ورسوله مما كان وما يكون من أمر الآخرة وأمر آخر الزمان وغير ذلك .

ويدخل في ذلك أيضا الدعوة إلى ما أوجب الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت إلى غير ذلك، ويدخل أيضا في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بما شرع الله في الطهارة والصلاة والمعاملات والنكاح والطلاق والجنايات والنفقات والحرب والسلم وفي كل شيء ؛ لأنّ دين الله عز وجل دين شامل يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد ، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم[١] ، وبعبارة موجزة : الدعوة إلى الإسلام خالصا متكاملا ، غير مشوب ولا مجزأ .

وقد ذكرت في تمهيد هذه الرسالة أن من الجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند التي تقوم بالدعوة والإرشاد هي جماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ ، وقد ذكرت المناهج والمبادئ والأساليب والوسائل لكل واحدة منها ، في هذا المبحث أريد أن أقارن بين جماعة التبليغ والجماعات الأخرى سالفة الذكر من حيث ما يدعون إليه ويهتمون به ومنهجهم في ذلك .

أولا : التوحيد :

إن التوحيد أساس الإسلام ، ولا معنى للإسلام بغيره ، والتوحيد الذي دعت إليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم هو التوحيد الألوهية ، وحينما نقارن الجماعات

(١) – انظر : فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها ٢٤ – ٢٥ .

الإسلامية المعاصرة في الهند نجد أن لكل من هذه الجماعات مصادرها الرئيسية : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن نستغرب حينما نجد بينهم تفاوتا كبيرا في هذا الجانب الأساسي ألا وهو مسألة التوحيد ، فنرى جماعة التبليغ لا يزيد توحيدهم عن توحيد الربوبية بل مقصور عليه ، وقد تقدم الكلام عليه في المبحث : موقف الجماعة من التوحيد، فلينظر إليه .

وأما الجماعة الإسلامية فمن مبادئها المعلنة : الدعوة للبشر كافة والمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا به شيئا ، ولا يتخذوا إلها ولا ربا غيره[١] .

ولكن في التطبيق الواقعي نجد الجماعة أنها لم تهتم بهذا الجانب كما هو المطلوب ويدل على إهمالها وإغماضها ما بيّنه الأستاذ المودودي نفسه بمناسبة هزيمته الساحقة في انتخاب مجلس الشعب الباكستاني سنة ١٩٧١م ، فقد قال عن العلماء والزعماء الذين عارضوه في هذا الانتخاب : « إنهم قالوا على رؤوس الأشهاد : اعملوا ما تريدون أن تعملوه من الفاتحة وتقديم النذور إلى القبور قبل فوات الأوان ، فإن الجماعة الإسلامية إن نجحت فإنها ستوقف كل هذا ، وتهدم المشاهد ، إنهم كانوا لا يخافون على هذا من قبل الشيوعيين بل كانوا يخافون من قبل الجماعة الإسلامية ، مع أن الجماعة الإسلامية تدعو إلى المجاملة بين فرق المسلمين ، وفي صفوف الجماعة الإسلامية نفسها رجال من البريلويين[٢] والديوبنديين والسلفيين ، ولم يتنازعوا فيما بينهم في العقائد والأعمال .

ومسلك الجماعة أن تعمل أنت بما تراه صحيحا ، ويعمل غيرك بما يراه صحيحا ،

---

(١) – نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ١٧ .

(٢) – انظر للتفصيل عن هذه الفرقة كتاب « البريلوية » للعلامة إحسان إلهي ظهير .

وأن تجتمعوا على صرف الهمة لإعلاء كلمة الله ، فلو انخدع عامة الناس بعد سماع هذه الأمور التافهة من أصحاب الوجوه المقدسة فلا ذنب لهم » [١] .

ويعلق عليه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري قائلا : « يفيد كلام الأستاذ هذا :

١ – أن تقديم النذور إلى القبور وبناء القباب والمشاهد عليها من الأمور التافهة التي لا تستحق الاهتمام .

٢ – أن البريلويين – وهم معروفون بعبادة القبور والاستغاثة بالأموات – داخلون في منظمة الجماعة الإسلامية ، وحاصلون على عضويتها .

٣ – من أصول هذه المنظمة أن لك الخيار في أن تمتنع أنت من هذه الأمور، ولكن لا تمنع أنت غيرك منها ، أليس هذا أمرا يضاد التواصي بالحق ، وأي أمر أكبر من التوحيد حتى يمتنع الرجل عن التواصي بالتوحيد لحصول ذلك الأمر » [٢] .

أما جماعة أهل الحديث فهم يبدؤون عملهم بنشر التوحيد الخالص مع أنواعه الثلاثة ، وخاصة توحيد الألوهية الذي يخطئ فيه كثير من المسلمين مع إيمانهم بتوحيد الربوبية .

وتبذل هذه الجماعة جهودا كبيرة مشكورة في قمع البدع والضلالات الباقية في المسلمين ، وإزاحة آثارها السيئة السارية في شتى نواحي الحياة ، وهي بريئة من الخرافات بجميع أنواعها [٣] .

---

(١) – مجلة الجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ، مايو يونيو ١٩٨٢م ص ٩٢ ، بالتصرف اليسير نقلا عن جريدة دعوت ، دهلي ٧ / مارس ١٩٧١م .

(٢) – مجلة الجامعة السلفية ، مايو ، يونيو ١٩٨٢م / ص ٩٢ .

(٣) – انظر : مجلة الجامعة السلفية ، ابريل ١٩٨٢م / ص ٣٣ .

والمرجو من جماعة التبليغ في الهند ومثيلاتها أن تحذو حذو جماعة أهل الحديث في تشجيع العقيدة السلفية ، وإخراجها إلى عامة الناس ، كما يليق بها من مصادرها الأصلية .

ثانيا:مفهوم الدين :

إن مفهوم الدين لدى جماعة التبليغ قاصر جدا ، ولم يتصوره بتصوره الجامع الشامل الذي يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، فهم يرون أن المبادئ الستة لدى الجماعة ، والخروج فيها مع الالتزام بأصولها وضوابطها هو الدين كله .

والذي لم يلتفت إلى هذه الأمور، ولم يخرج مع الجماعة التبليغية فينظرون إليه نظرة احتقار ، ويعتبرونه أنه لم يتذوق ذوق الدين والإيمان ، ولو عاش ملتزما بأسس الإسلام وأحكام السنة والقرآن .

فهم يرون أن علاج كل فتنة وحل كل مشكلة في عصرنا الراهن هو الخروج في الشلات والجولات التبليغية ، كما يخبر الشيخ أبو الحسن الندوي عن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس قائلا : « وكان اعتقاده يزداد مع الأيام ، إن هذه المحاولة الدعوية التي نهض بها هي علاج كل فتنة ، ودواء كل داء ، وحل كل مشكلة »[(١)] .

يقول الشيخ محمد إلياس : « لا أدري أية قوة أستخدمها للإفهام والإقناع ، وبأي لسان أصارح ... إني أؤمن إيمانا كاملا بأنه ليس هناك « سدّ سكندري عال » أمام هذا التيار الجارف والسيل العرمرم من الفتن العمياء والظلمات المتراكمة إلا المساهمة في هذه

---

(١) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ١٢٦، الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي ٤٧ .

الحركة التي نهضت بها بكل قوة ، وبكل حماس وعاطفة ، وبالقلب والقالب ، وبصرف كل جهد وعناية إليها » [(١)] .

ويبدي عن هذا اليقين في رسالة أخرى ، ويؤكد أن من لم يهتم بهذه الحركة ، ولم يلتفت إليها، يقع في الحرمان والخسران ، كما يقول : « ... إذا كان من فضل القيام بهذه الحركة ما نلمسه من رضا الله جل جلاله ونصره وعونه وتقربه وفضله وكرمه ، فإنه في نفس الوقت نخاف بقدر ذلك الحرمان والخسران واللوم والشؤم والشقاء من أجل عدم تلقي هذا الضيف الإلهي المُبَجَّل بإكرام لائق وحفاوة مستوفاة » [(٢)] .

كما يكتب في رسالة أخرى أن الشيء الوحيد الذي يقاوم الفتنة هو هذه الحركة التبليغية حيث يقول : « ... لكن الفتنة المظلمة التي تسلب الإيمان ، وتقضي على الوعي الديني أسرع بكثير وكثير من « سيارات البريد » وبالعكس من ذلك هذه الحركة التبليغية – وهي الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يقاوم هذه الفتنة مقاومة فعالة – أبطأ بقدر ذلك حتى من النملة ... » [(٣)] .

وبعدما بيّن أهمية هذه الحركة التبليغية صرّح أن من لم يدخل فيها لم يذق حلاوة

---

(١) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان کی دینی دعوت ١٢٦ – ١٢٧ ، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس ٤٧ – ٤٨ .

(٢) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان کی دینی دعوت ١٢٧ ، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس ٤٨ .

(٣) – حضرت مولانا محمد إلياس اور ان کی دینی دعوت ٢٢٢ ، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٩٣ .

الإيمان كما يقول : « ... وبالتأكيد لا تذوقون ذائقة الدين الصحيح ، ولن تذوقن حلاوة الإيمان الحقيقي حتى تروح الإقامة في الوطن تصعب صعوبة الخروج للجولة التبليغية الآن، وتكبر العودة إلى الوطن على النفوس كبر الخروج إلى التبليغ اليوم ، وحتى تنهضوا لبذل الجهود الجبارة من أجل تعويد الشعب المسلم على بذل أربعة أشهر في الجولة وتركيز العناية البالغة على تعميق جذور هذا العمل الجليل في حياة الأمة المسلمة » [١] .

وما يدعيه الشيخ محمد إلياس من حلاوة الإيمان لا تحصل ولا تذاق إلا بالخروج دعوى تتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » [٢] ، وهذا الرضاء لا يتوقف على الخروج كما زعم .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلّهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللّهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ » [٣] .

وحب الله ورسوله لا يتوقف على الخروج وإلا لزم أن الناس قبل هذه الدعوة التبليغية الحادثة لم يذوقوا طعم الإيمان ولم يجدوا حلاوته .

---

(١) – حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت ٢٢٣، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ٩٤ .

(٢) – أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ١ / ٦٢ ، ح : (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب ، مرفوعا .

(٣) – أخرجه البخاري في الصحيح ١ / ١٣، ح : (٢١) ، ومسلم في الصحيح ١ / ٦٦ ، ح : (٤٣) ، عن أنس رضي الله عنه ، مرفوعا .

وقد لاحظنا فيما مضى أن جل كلامهم يدور حول موضوع الخروج ، وأساسا على هذا التصور الخاطئ تقوم دعوتهم للخروج في الشلات والجولات فقط ، ولا يخرجون عن أسسهم قيد أنملة ، فقد أخذوا بعضا من الإسلام وتركوا بعضا منه ، وهذه التجزئة لحقائق الإسلام تتنافى مع طبيعته الواحدة الشمولية .

وإضافة إلي ذلك قد ترتكب جماعة التبليغ في اللاشعورية باستخفاف الركن الخامس للإسلام وهو حج بيت الله الحرام ، وذلك بكثرة البيان حول موضوع الخروج والشلات والمبالغة في فضلها ولمن خرج فيها فقد يشد الرحال كثير من التبالغة من بلدان بعيدة مثل اندونيسيا وبريطانيا وأمريكا إلى مقرهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي يقضون أياما أو شلة هناك .

ويتبين في محادثة بعضهم أنهم لم يذهبوا لأداء فريضة الحج ، وهم يستطيعون أن يؤدوا هذه الفريضة في أقل مبلغ ووقت اللذين يصرفونهما في هذا الخروج .

وهم أيضا لا يستطيعون أن يستفيدوا من مرشدهم في نظام الدين حق الاستفادة ؛ لأنه لا يعرف إلا اللغة الأردية والعربية ، وهم لا يعرفونهما إلا القليل ، لكنهم يشدون الرحال إليه لإظهار عقيدتهم فيه ، ولسان حالهم يدل على أنهم يهتمون بهذا المركز أكثر اهتماما من أرض الحرمين الشريفين[١] . والله المستعان على ما يفعل بعض الإخوان .

وأما الجماعات الأخرى كجماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية فهم يتصورون الدين بتصوره الواسع الشامل كما يجب فهمه وكما أشرت إليه في التوطئة .

---

(١) – انظر : جماعت اسلامى اور تبليغى جماعت مين فرق ايك تقابلى جائزة لمحمد سليمان القاسمي ص ٦ .

فهو يشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم فهو عبادة وقيادة ويكون حاكما بشرع الله منفذا لأحكامه عز وجل بالقوة ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه ، وهو أيضا سياسة واجتماع واقتصاد ، فهو يدعو إلى الاقتصاد الشرعي المتوسط ليس رأسماليا غاشما ظالما ، وليس اقتصادا شيوعيا إلحاديا ، بل هو وسط بين الاقتصادين .

فيجب على المسلم أن يأخذ الإسلام كله عقيدة وعملا وقولا وعبادة وجهادا واجتماعا وسياسة واقتصادا وغير ذلك من كل الوجوه كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(١) .

ثالثا : السياسة :

إن أصحاب جماعة التبليغ لا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها ، وينتقدون كل من يتدخل فيها ، ويعتبرون من يخوض فيها خائضا فيما لا يعني . ومن مناهجهم كما سبق : عدم الخوض فيما لا يعني .

ويقولون : « إن السياسة هي أن تترك السياسة » فهم يفصلون السياسة عن الدين ، ولذا يبتعدون ويبعدون أتباعهم عنها كأن لسان حالهم يقول : اعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر .

ولعل هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية التي تعطي الجانب السياسي من الاهتمام ما لا تعطيه غيره ، وهي مولعة بالكتابة حول موضوع السياسة الوطنية والعالمية والتعليق عليها والخوض في الجدال القلمي حول موضوع سياسة العالم الإسلامي ، وقد برزت في الكتابة والتكلم حول السياسة حتى أن السياسة صارت طابعا

---

(١) – البقرة ٢٠٨ ، وانظر : فضل الدعوة إلى الله لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٢٨ .

أساسيا لهذه الجماعة [(١)] ، وهي تعتقد أنه لا يمكن أن ينجح تدبير من التدابير في إصلاح مفاسد الحياة الحاضرة مادام لا تبذل المساعي لإصلاح نظام الحكم مع المساعي الأخرى [(٢)] .

ويقول دستور الجماعة : « إن غاية الجماعة الإسلامية ومناط جميع جهودها هو : إقامة دين الله (أو إقامة الحكومة الإلهية أو إقامة النظام الإسلامي) واقعا وكسب مرضاة الله والنجاة في الآخرة أصلا » [(٣)] .

ويتكلم عنه أليف الدين الترابي قائلا : « ... كما كان انطلاقا من هذا المبدأ - مبدأ الأهم فالمهم - أن قررت الجماعة الإسلامية أن تجعل إقامة الحكومة الإسلامية هدفا أساسيا لجهودها في مجال الدعوة ، وذلك لأن أحكام الإسلام وتعليماته لا يمكن العمل بها إلا بإقامة الحكومة الإسلامية ... » [(٤)] .

وقد أسلفت في التمهيد بصدد الجماعة الإسلامية أن مؤسسها الأستاذ المودودي كان يرى مسألة القيادة والإمامة مسألة المسائل ، وأن أصل الألوهية السلطة ، والعبادات وسائل لتحقيق غاية الإمامة ، كما يقول : « هذا هو الغرض الذي فرضت لأجله العبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وليس معنى كونها عبادة أنها عبادة في نفسها بل معناه

---

(١) - انظر : مجلة الجامعة السلفية ، مايو ، يونيو ١٩٨٢م / ٨٥ - ٨٦ .

(٢) - انظر : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ٣٢ - ٣٣ .

(٣) - « أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته » ص ١٧٣ نقلا عن دستور الجماعة الإسلامية بباكستان ، المادة الرابعة .

(٤) - أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ١٨٥ .

أنها تؤهل الإنسان للعبادة الحقيقية وأنها هي منهج تدريبات لازمة لها »[١] .

ويقول : « إن هذه العبادات التي هي مجرد وسائل إن خلت عن هدفها الوحيد الذي هو إقامة الحكومة لا يكون لها أي أجر عند الله »[٢] .

وقد اتضح لنا من السطور السابقة أن الجماعتين - جماعة التبليغ والجماعة الإسلامية - قد وقعتا في التفريط والإفراط .

بينما جماعة أهل الحديث فهي أمة وسط بين الطرفين - ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين الجبلين والهدى بين الضلالتين - فهي لا تعتبر السياسة شجرة ممنوعة كما يراها التبالغة ، ولا تراها أنها هي الغاية والغرض الأساسي الذي فرضت لأجله العبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، كما تراها الجماعة الإسلامية .

لذا جماعة أهل الحديث تسعى لإصلاح الفرد والمجتمع ومن ثَمَّ تتدخل في شئون السياسة والحكومة إذا اقتضت الحاجة وسمحت لها الظروف ، وذلك لتسخير وسيلة من وسائل الدعوة ، وليس كغرض أساسي للدين الحنيف .

---

(١) - مجلة الجامعة السلفية ، مايو ، يونيو ١٩٨٢م / ٩٠ ، نقلا عن اسلامى عبادت پر تحقيقى نظر ١٢ .

(٢) - مجلة الجامعة السلفية ، مايو ، يونيو ١٩٨٢م / ٩٠ ، نقلا عن روداد جماعت اسلامى ٣ / ٣٢ .

* المبحث الثاني *

المقارنة في الوسائل والأساليب

توطئة : إن الكلام في الوسائل والأساليب كلام متعدد الجوانب ، متشعب الأطراف ، ليس من السهل الإلمام به ، فضلا عن الإحاطة .

ورغم تكرار ظروف حياة الإنسان والمجتمعات بسبب اتفاق طبيعة الخير أوالشر واتحاد رسالات السماء على ذات المبادئ والنواهي إلا أنه كان من الضروري أن يختلف الأنبياء والرسل في تأثيرهم على مجتمعاتهم وفقا لألسنتهم وللظروف التي عايشوها ، مما ينبغي على الجماعات الإسلامية التي تقوم بالدعوة أن تستند من جانب إلى تعاليم الإسلام كما عليها ، ومن جانب آخر أن تتمشى مع مقتضيات العصر وسيلة وأسلوبا ، ويتميز الإسلام هنا بامتداد تفكيره إلى ما يصلح للإنسان ولمجتمعه .

وفي عصرنا اليوم قد يسّر اللّه عزّ وجل أمر الدعوة بطرق كثيرة ، وتعددت الوسائل التي لم تحصل لمن قبلنا ، فأساليب الدعوة اليوم متيسرة أكثر من قبل ، وإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بوسائل متنوعة ، عن طريق الإذاعة والتلفزة والفيديو والمسجلة والانترنيت ... وعن طريق الصحافة من طرق شتى ، فالواجب على الجماعات الإسلامية وعلى الدعاة إلى اللّه أن يقوموا بهذا الواجب وأن يتكاتفوا فيه ، وأن يبلغوا رسالات اللّه إلى عباد اللّه ، ولا يخشوا فيه لومة لائم ، كما يجب عليهم أن يتسلحوا بالعلم والثقافة الإسلامية فهذه هي العدة الفكرية للداعية ، والدعوة عطاء وإنفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾(١) .

---

(١) – يوسف ١٠٨ .

ويجدر بنا في هذا المبحث أن أقارن بين الوسائل والأساليب التي استخدمتها الجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند حتى نكون على بصيرة ووضوح في اتخاذ الموقف منها .

وقد ذكرت فيما سبق أن مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس - رحمه الله - لم يختر استخدام الوسائل الحديثة بل تجنب دائما من استعمال وسائل الدعاية الرائجة ، وقد التزمت الجماعة هذه الطريقة إلى يومنا هذا ، وفي حين أن الجماعات الأخرى - جماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية - قد اتخذت جميع ما تستطيع من التدابير والوسائل لتحقيق غاياتها المنشودة سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية وغيرها وهي تتلخص فيما يلي :

١ - الاتصال الفردي والجماعي .

نرى أن جماعة التبليغ تهتم بهذا الجانب أكثر اهتماما وذلك عن طريق الجولة والخروج المعروف لديهم : لمدة أربعة أشهر ، أو أربعين يوما في السنة ، ولثلاثة أيام في الشهر ، وبجولتين في الأسبوع جولة مقامية وجولة انتقالية ، ويرون أن الخروج أمر أساسي في نشر الدين .

ولهم جهود مشكورة في هذا الباب فهم يضحون بكل غال ونفيس ، ويتحملون المشاق ، ويقومون على قدم وساق ، ويذهبون إلى بيوت الناس ويطرقون أبوابهم لتبليغ الدين على فهمهم ومنهجهم الخاص المعروف لديهم ، ويربطونهم بالمساجد والمحاضرات والاجتماعات التي يقيمونها سواء كانت هي على مستوى الدولة أو الإقليم أو المديرية والمحافظة أو المقامية والمحلية ، ولكن للأسف أن في مثل هذه الاجتماعات لا يتجاوز الموضوع عن المبادئ الستة لدى الجماعة والخروج فيها ... وقد يبالغون في خروجهم هذا مبالغات عجيبة ، ويغالون فيه مبالغات غريبة وقد أشرت إلى بعضها في الفصول السابقة ، ويستدلون في محاضراتهم بالأحاديث الضعيفة حتى الموضوعة والمنكرة وبالمنامات والمبشرات ، ويذكرون

قصصا وحكايات واهية لا يصدقها العقل ولا يقرها الشرع .

أما الجماعات الأخرى فهي لا تمشي على هذا المنوال ولكنها تأخذ أسلوبا آخر للاتصال بين الناس كما يتكلم خليل الحامدي عن الجماعة الإسلامية حيث يقول : « إنها تنظم عن طريق فروعها ومؤسساتها اللقاءات والندوات والمؤتمرات الأسبوعية والشهرية والسنوية التي تلقي فيها الدروس والمحاضرات عن القرآن والسنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة والتاريخ الإسلامي وتوجيهات الإسلام في العقيدة والسلوك والاقتصاد والتربية والسياسة وما إلى ذلك (١) .

ويبين الشيخ صفي الرحمن المباركفوري عن نشاط جماعة أهل الحديث في هذا المجال قائلا : « ... فتقيم حفلات ، وتعقد ندوات وجلسات في جميع ربوع الهند لإلقاء المحاضرات ، ولتربية الشباب ، وللدعوة الإسلامية العامة المفتوحة ، وللإرشاد والتوجيه كما أن أئمتهم وخطبائهم يهتمون بإلقاء الخطب المفيدة الجامعة بين آيات وأحاديث ، وبين تفسيرها وتوضيحها وبيان حكمتها وتوجيه الناس في ضوئها ، وكل ذلك باللغات المحلية وفي جميع الجوامع التي يشرف عليها أهل هذه الجماعة ، وهذا العمل له فضل كبير في تثقيف العامة بالثقافة الإسلامية وتوعيتهم وتزويدهم بما ينفعهم في جميع نواحي الحياة ، وتنبيههم على كل ما يجري حولهم من الحوادث والأوضاع ، وما تتطلب من المواقف الحكيمة والحيطة والحذر ، زد على ذلك أن كثيرا من أئمة الصلوات من أهل هذه الجماعة يدرسون القرآن أو الحديث بعد صلاة الفجر أو العصر أو المغرب لعامة المصلين ، بينما تقتصر في الجمعة بقية الجماعات الإسلامية في الهند على قراءة خطبة عربية حفظوها من بعض الكتب فيقرؤون تلك الخطبة الواحدة دائما ،

---

(١) – نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ٤٤ ، أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ٢٠١ .

ولا يفهمهما أحد من عامة الناس ، وإنما يسمعونها كما يسمعون القرآن للحصول على الثواب في الآخرة لا لفهم واجبهم الديني في هذه الحياة الدنيا » [(١)] .

ولا بد من الإشارة في هذا المقام بأنني ألاحظ أن النشاط الدعوي من حيث الاتصال الفردي والجماعي بين مسئولي جماعة أهل الحديث وأفرادها قد تسرب فيه الضعف والكسل والاضمحلال .

أسأل الله أن يزيل الحواجز والعراقيل ، ويوفقهم أن يسلكوا مسلك سلفهم الصالح .

٢ - الكتب والبحوث .

قد أسلفت أن مؤسس جماعة التبليغ لم يختر استخدام الكتب والبحوث للدعاية لحركته ودعوته في بداية الأمر ، كما يقول : « كنت أكره أن أستخدم الكتابة والتأليف في صدد هذه الحركة التبليغية وللدعوة إليها ولكني الآن لا أمنع ... »[(٢)] .

ومن ثَمَّ نرى في العصور المتأخرة أن بعض الكتب قد صدرت من منسوبي الجماعة بصدد التعريف بالجماعة وأهدافها ونشاطها وفضائل الخروج فيها وأصوله وضوابطه وكذلك عن الشخصيات البارزة في الجماعة ، وهذا يتبين لكل من يلقي النظرة العابرة على قائمة المراجع لهذا البحث المتواضع والأمر الذي لا بد لنا من الإشارة هنا أن الكتاب الأساسي الذي قررته الجماعة على أتباعها والخارجين فيها هو كتاب « تبليغي نصاب » للشيخ محمد زكريا رحمه الله ، وقد فصلت الكلام عنه ،

---

(١) - انظر : مجلة الجامعة السلفية ، ابريل ١٩٨٢م / ٣٣ - ٣٤ ، بالتصرف اليسير .

(٢) - ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس ١١٤، تبليغى جماعت كيلئى روانگى كى هدايات ٥ - ٦ .

وبينت بالأدلة والشواهد أنه مليء بالخرافات والبدعات حتى الشركيات ، ولكنهم يفرضون تعليمه يوميا في المسجد والمنزل على كل من ينتسب للجماعة ، وبالتالي تتسرب إلى التبالغة الأفكار والمعتقدات المعادية للإسلام .

وأما الجماعات الأخرى فلهم دور بارز وجهود مشكورة في هذا الجانب ، فجماعة أهل الحديث لعبت دورا ملموسا ومشهودا في إحياء التراث العلمي ونشر الثقافة الإسلامية من خلال الاهتمام بمجال التأليف والتصنيف في القرآن وعلومه[١] والحديث وشروحه ، وعلوم الحديث[٢] مع الدفاع عن العقيدة والرد على المبتدعة والفرق الباطلة [٣]... ولا يجاريها في هذا المجال أي جماعة أخرى من المسلمين في الهند مهما تقدمت وتطورت في مجالات أخر .

وقد شهد بذلك كل قريب وبعيد كما يقول الشيخ حماد بن محمد الأنصاري : « ولا شك أن الجهابذة الذين عاشوا لهذه السنة باعتراف كل صديق وعدو هم علماء أهل الحديث من القرن الثالث حتى عصرنا هذا ، لم تقتصر خدمة علماء الهند على التأليف والنشر فحسب بل كذلك قاموا بالحفظ على سلسلة الأسانيد إلى كتب الحديث ... وأضف إلى هذه الجهود الجبارة في خدمة السنة أن علماء أهل الحديث السلفية في الهند لم يقتصروا كذلك على ما ذكرنا بل أضافوا إليه خدمة العقيدة السلفية التي انتشرت في الهند في القرن الرابع عشر الهجري رغم أن علماء الهند هم أول من طبع

---

(١) – انظر : جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم للفريوائي .

(٢) – انظر : جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة للفريوائي .

(٣) – انظر للتفصيل : كتاب « جماعت اهلحديث كى تصنيفى خدمات » للأستاذ محمد مستقيم السلفى و« هندوستان مين اهلحديث كى علمى خدمات » لأبي يحيى إمام خان نو شهروى .

كتب العقيدة السلفية سواء أكانت أصولا ككتاب « خلق أفعال العباد » للبخاري أو غير ذلك ، أو كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وكتب مشايخ الدعوة كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وتلاميذه .

وللأسرة الغزنوية السلفية فضل التقدم والسبق إلى نشر هذه الكتب السلفية التي أشرنا إليها، فجزاهم الله خير الجزاء على هذه الخدمة السامية للعقيدة والسنة النبوية في وقت انعدم فيه أهلهما القائمون بهما في البلدان الإسلامية ... » (١) .

وأما الجماعة الإسلامية فقد أصدرت عديدا من الكتب والبحوث التي تبين أهداف الجماعة وأهمية إقامة الحكومة الإسلامية ، وتشرح الجوانب المختلفة من حياة الإنسان الفردية والاجتماعية في ضوء الكتاب والسنة ، ووزعت منها ملايين النسخ بأكثر من خمسة وعشرين لغة في العالم (٢) .

يشهد بذلك الشيخ صفي الرحمن المباركفوري حيث يقول : « وقد قامت هذه الجماعة بنشاط ملموس في مجال الكتابة والإنشاء حول المواضيع الإسلامية حتى نجحت في توفير الكتب والرسائل على مختلف المستويات » (٣) .

ويقول أليف الدين الترابي : « وكان بفضل جهود الجماعة الإسلامية بالهند في مجال الدعوة الإسلامية أن صدرت ترجمة القرآن الكريم في أكثر من سبع عشرة لغة من لغات الهند المحلية ، وكذلك نقلت ونشرت كثير من الكتب الإسلامية القيمة في لغات

---

(١) – جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ١٠ – ١٢ .

(٢) – انظر : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ٤٣ ، أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ٢٠٠ .

(٣) – مجلة الجامعة السلفية مايو ، يونيو ١٩٨٢م / ٨٥ .

الهند المختلفة » [١].

٣ - الجرائد والمجلات .

إن الجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند اختارت كوسيلة من الوسائل لنشر دعوتها الجرائد والمجلات بما لها من قوة ونفوذ في تربية الجماهير وتوعيتها ، ومنها : الجرائد اليومية [٢] ، والمجلات الأسبوعية [٣] ، والمجلات الشهرية [٤] .

بينما نرى أن الجماعة التبليغية تتجنب دائما استعمال هذه الوسائل من المجلات والجرائد حتى تمنع الآخرين أن ينشروا عنهم شيئا في صحفهم ومجلاتهم ، وما السر في ذلك ؟ هم أعلم به ، ولكن هذا هو الواقع الذي نلمسه ، ويشهد به الشيخ محمد منظور النعماني حيث يقول : « وأنتم تعلمون أحوال الجماعة التبليغية بأنهم لا يؤمنون أن ينشروا دعوتهم عن طريق الصحف والمجلات أو الإعلانات والمنشورات ، وهم يحتاطون في هذا الأمر حتى أنهم لا يرضون أن تُنشر نشاطات الجماعة في صحف ومجلات الآخرين .

وإني أعلم شخصيا أنه كان الاجتماع التبليغي في أحد الأمكنة ، وعلم التبليغيون أن هناك بعض الصحف اليومية اهتمت أن تنشر يوميا بكل اهتمام إجراءات وأعمال الاجتماع ، فذهب وجهاء الجماعة إلى مكاتب الصحف ، والتمسوا منهم رجاء أن لا ينشروا ولا يشيعوا أعمالهم في صحفهم ، وهذا يعتبر أكبر التعاون

---

(١) - أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ١٩٨ .

(٢) - مثل جريدة « جسارت » للجماعة الإسلامية .

(٣) - مثل جريدة « ترجمان » لجماعة أهل الحديث وجريدة « آسيا » للجماعة الإسلامية .

(٤) - مثل « صوت الأمة » بالعربية و « محدث » بالأردو لجماعة أهل الحديث ، ومجلة « ترجمان القرآن » و « الحسنات » للجماعة الإسلامية .

معهم » (١) .

٤ – إنشاء المدارس والمعاهد .

يعتبر إنشاء المدارس والمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية وسيلة من وسائل نشر الدعوة ، ونظرا إلى أهمية هذه الوسيلة فقد اختارتها الجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند (جماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية)، وتضم مناهجها العلوم العصرية إضافة إلى المواد الدينية الإسلامية .

أما ما يدل على اهتمام جماعة أهل الحديث بهذا الأسلوب في الدعوة قول الشيخ صفي الرحمن المباركفوري إذ يقول : « وقد برزت هذه الجماعة في إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية لتربية وتثقيف الناشئة بالعلوم الإسلامية عدا الكليات الكثيرة والجامعات العديدة التي تستهدف تدريس الكتاب والسنة تحت إدارة هذه الجماعة (٢) ، وعلى رأسها الجامعة السلفية ببنارس الهند ، وقد شهد بها الشيخ حماد الأنصاري – رحمه الله – حيث يقول : « حتى فتحت الجامعتان السلفيتان في الهند وباكستان ، فقامتا بنشاط كبير وملموس في تدريس العقيدة السلفية في كتبها الأصلية بعد ما مضت فترة طويلة وهم غارقون في لجة دراسة كتب الأشعرية الكلابية والحنفية الماتريدية كالعقائد النسفية التي نسفت العقيدة السلفية .

وعلى كل حال فالجامعة السلفية ببنارس بالهند والجامعة السلفية بفيصل آباد بباكستان أنتجت في العقيدة السلفية في الآونة الأخيرة إنتاجا يستحق الإكبار حيث أخرجتا نخبة من الطلبة الذين يحملون هذه العقيدة بإخلاص وكفاءة ، وفي مقدمتهم تلاميذنا في الجامعة الإسلامية من أبناء الجامعة السلفية الهندية الوافدين إلى المملكة

---

(١) – تبليغي جماعت ، جماعت اسلامى اور بريلوى حضرات ٦٠ – ٦١ .

(٢) – مجلة الجامعة السلفية ابريل ١٩٨٢م / ٣٣ .

العربية السعوية » [١].

وأما الجماعة الإسلامية فلها جهود مشكورة في إنشاء بعض المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية وبعض الكليات والجامعات [٢]، وعلى رأسها «جامعة الفلاح» بأعظم گره في الهند .

يتحدث عن هذه المدارس والمعاهد الأستاذ خليل الحامدي ما ملخصه :

أنشأت الجماعة في الكثير من المدن المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية كما أنشأت عدة كليات جامعية ، وتدرس في تلك المدارس مناهج عصرية بالإضافة إلى مادة التربية الإسلامية ، والعناية بالتربية الخلقية ... أما المعاهد الدينية فتدرس فيها المعارف الإسلامية كالتفسير والحديث والرجال والفقه والتاريخ الإسلامي وعلوم الصرف والنحو والأدب العربي ... وكل سنة يتخرج من تلك المعاهد عدد كبير من الشباب يضطلعون بالثقافة المنوعة يتولون مهام تدريس العلوم الإسلامية في مختلف المعاهد ، أو يتولون منصب الإمامة والخطابة في المساجد أو يقومون بشئون الفتوى والبحث والتأليف والكتابة [٣].

وبعد هذا العرض الموجز نأتي إلى جماعة التبليغ فلم نجد لديها أي اهتمام في هذا الجانب ، وليس من برامجها إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات ، وربما يقول قائل : إن هناك مدرسة كاشف العلوم توجد في مقر المركز الرئيسي بنظام الدين دهلي ، فنقول له : إن هذه المدرسة ليست من جهود الجماعة بل أسسها الشيخ محمد

---

(١) - جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ١٢ - ١٣ .

(٢) - انظر : مجلة الجامعة السلفية مايو ، يونيو ١٩٨٢م ، ص ٨٥ ، وأبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ٢٠٢ .

(٣) - انظر : نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ٤٤ - ٤٥ .

إسماعيل والد الشيخ محمد إلياس قبل أن تأتي جماعة التبليغ في حيز الوجود ، وقد تُدرس في المدرسة مناهج دار العلوم ديوبند ومدرسة مظاهر العلوم نفسها ، والكتب الأشعرية والماتريدية في العقيدة [١] .

٥ - **إنشاء الدور التربوية المتخصصة للشباب .**

مما لا يخفى على عاقل أن الجيل الجديد هم قواد المستقبل ، وشبان اليوم هم رواد الغد ، والشاب المسلم هو ثروة كبيرة في المجتمع الإسلامي ، وله أهمية بالغة في الشريعة الغراء ، كما ورد في الحديث الشريف أنه يسأل عن شبابه فيما أبلاه .

ونظرا إلى هذه الأهمية قد أسست هيئات وندوات للشبان المسلمين في العالم الإسلامي ، ومن هذا المنطلق قد حرصت الجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند لإنشاء بعض الجمعيات للجيل الجديد الناشئ لتعميق أسباب الوحدة الفكرية وتقوية روابط الأخوة الإيمانية بين الشباب المسلم ، وللحفاظ عليهم من الضياع والاندفاع وراء التيارات الهدامة والمغريات .

فقد أنشأت جماعة أهل الحديث جمعية شبان أهل الحديث ، وأنشأت الجماعة الإسلامية جمعية الطلبة الإسلامية [٢] ، وقد آتت وتؤتي هذه الجمعيات أكلها كل حين بإذن ربها .

وأما جماعة التبليغ فللأسف الشديد ليس لديها أي عناية لتوعية هذا الجيل الجديد إلا الخروج في التبليغ الذي يرونه دواء كل داء .

---

(١) - أخبرني بذلك الشيخ علي حسين الخريج من مدرسة كاشف العلوم والمدرس حاليا في الجامعة السلفية ببنارس ، الهند .

(٢) - انظر : أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ٢٠٣ ، نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ٤٠ .

وبالتالي نجدهم لا يعرفون شيئا عن الأفكار والتيارات الهدامة والمعادية للإسلام وقد يقعون بسذاجتهم فريسة في شبكة أعداء الإسلام .

٦ - الخدمات الخيرية .

إن الخدمات الخيرية لها دور في الدعوة لا يجحد كما هو معروف ومشاهد لدى دعاة النصرانية الذين يقومون بالخدمات الخيرية من إقامة المستشفيات والمستوصفات يوزع منها العلاج على الفقراء والمساكين ومن ثَمَّ يجتذبون قلوبهم إلى دينهم ...

وديننا الحنيف يحثنا على التكاتف الاجتماعي حيث قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المُؤمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى » (١) .

وقال : « وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ » (٢) .

ونظرا إلى هذه وتلك قد اهتمت الجماعات الإسلامية المعاصرة في الهند من جماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية بالخدمات الخيرية حسب الإمكانيات الموجودة لديها ، فتقوم بالخدمات الجليلة في إغاثة المنكوبين واللاجئين، وتبادر إلى عمليات الإغاثة والإنقاذ عند الكوارث كالفيضانات والزلازل والاصطدامات والحروب(٣) .

---

(١) - أخرجه البخاري في الصحيح ٧ / ١٠٢ ، ح : (٦٠١١) ، ومسلم في الصحيح ٤/ ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ ، ح : ٦٦ - (٢٥٨٦) عن النُّعمان بن بشير، مرفوعا .

(٢) - أخرجه البخاري في المظالم ٣ / ١٣٧، ح : (٢٤٤٢) ، ومسلم في الصحيح ٤ / ١٩٩٦، ح : (٢٥٨٠) ، عن سالم ، عن أبيه ، مرفوعا .

(٣) - انظر تفصيل ذلك في نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان ٤٦ - ٤٧ ، أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ٢٠٢ - ٢٠٤ .

وأقرب مثال لذلك الفيضانات العنيفة التي جاءت في الهند عام ١٤١٩ هـ والتي تمخضت عن التدمير والتخريب على المدى البعيد ، فقامت جماعة أهل الحديث والجماعة الإسلامية بحملات منتظمة لجمع التبرعات النقدية والعينية على الصعيد الشعبي ، ووزعت هذه التبرعات بين المنكوبين ، حتى ذهب أمير جماعة أهل الحديث الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بنفسه لزيارة المنكوبين وتسليتهم وتوزيع التبرعات بينهم ، تقبل الله منهم جميعا بقبول حسن .

وفي مقابل هذا حينما نأتي إلى جماعة التبليغ نجدها أنها لا تهتم أي اهتمام في هذا الجانب ؛ لأنه ليس من لائحة الجماعة وبرامجها ، بل يصدر أحيانا من كبار المسئولين في الجماعة ما يدل على مدى تقصير الجماعة في هذا الجانب وإهمالها ، وإليكم هذه القصة والعهدة على راويها وهو يقول : « إن الاجتماع التبليغي لعموم الهند انعقد في ٣ / يونيو ١٩٦٩م بقرية بندون راجستهان – في الهند – وكان هناك في نفس القرية شاب مسلم مثقف أصيب بمرض يرقان ، وذهب لمعالجته إلى المستشفى بآكره ، لكنه فقد بصره بعدما تناول الأدوية هناك ، ففزع ولي أمره وأتي به إلى بيته ، وفي تلك الأيام كان الاجتماع هناك ، فأصرّ عليه بعض الناس وقالوا له : إن هناك اجتماعا لأولياء الله فاذهب به إليهم ، فلعله يعود بصره ببركتهم ، فذهبوا به إلى الاجتماع ، وكان الشيخ إنعام الحسن أمير الجماعة في مقره ، فدخلوا عليه بواسطة ، فسألهم كيف جئتم ؟ فأخبروه عن أحواله وقالوا له : إنا جئنا إليكم لتدعوا له ، فقال الشيخ : هذا عذاب أصيب به لعدم خروجه في الشلة ، وعندما أصابه العذاب أتيتم إلينا ، فقال له أخوه : يا حضرة الشيخ إنه سجّل للشلة في شهر مايو ولكنه أصيب بالمرض في حينه ، فسأل الشيخ أخاه الذي كان يتحدث : أنت خرجت في الشلة أم لا ؟ – ولا يغيب عن أذهاننا أنه موظف حكومي – فردّه في النفي وذكر

ما لديه من الظروف المانعة ، فقال الشيخ : إذا استعد أنت أيضا للعذاب ، ثم اشتغل بالذكر الإلهي ، فملت خواطرهم ورجعوا متضايقين منه » (١) . أترك هذه القصة بدون أي تعليق ...

وفي نهاية هذا المطاف أنصح الإخوة التبليغيين الذين يعتقدون أن أسلوبهم الدعوي عن طريق الخروج في الجولات والشلات هو الطريق النبوي وطريق صحابته الكرام ، وليس هناك أي طريق سواه ، ودائما يرددون هذا الكلام في محاضراتهم وجولاتهم فأقول لهم : إن إمام الأنبياء وقدوة الدعاة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يلتزم بوسيلة وأسلوب واحد لتبليغ الرسالة التي كلف بها ، فالذي يطلع على سيرته العاطرة يعرف أنه صلى الله عليه وسلم قد قام بالدعوة السرية ، واتصل بالناس فردا فردا ، وجماعة بعد أخرى ، ودعاهم إلى الوليمة ثم عرض عليهم الدعوة ، ونصحهم بالوعظ والإرشاد ، وتجول من قبيلة إلى قبيلة ، ومن قرية إلى قرية ، وقد طلع على الجبل ووعظ الناس ، وقد قام بالعهد والصلح ، وقد قاتل في سبيل الله بنفسه ونفيسه ، وكتب الرسائل إلى الملوك والقبائل ، وأسس الدولة الإسلامية التي تحكم بالدين الإلهي والوحي السماوي ...

وجملة القول أنه صلى الله عليه وسلم استخدم جميع الوسائل والأساليب الموجودة والميسرة في عصره للإفهام والتفهيم ولنشر دعوة الإسلام ، ولم يترك أسلوبا أو وسيلة مشروعة لهذا الهدف السامي إلا اغتنمها واستعملها .

وبالعكس من تتبع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يعرف أنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الجهال قط للدعوة والإرشاد جماعات جماعات متجولة من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن قارة إلى قارة ، بل يجد أنه

---

(١) - مجلة « تجلي » يوليو ١٩٦٩م ص ٧١ .

صلى اللّه عليه وسلم أرسل بعض الصحابة أهل العلم الذين كانوا يعرفون أحكام الدين والقرآن ، وتتلمذوا على معلم البشرية صلى اللّه عليه وسلم إلى بعض الجهات المعينة مثل معاذ وعلى رضي اللّه عنهما .

هذا وأسأل اللّه تعالى أن يوفقنا وإياهم باتباع المصطفى صلى اللّه عليه وسلم ، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، ويجنبنا من الابتداع في الدين ومن المعاصي والزلل ، إنه ولي التوفيق .

* الخاتمة *

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله يوفق العباد إلى الطاعات والحسنات ، وبكرمه ومنه تُقضى الحاجات . وفي الختام أود أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث وهي كما يأتي :

١ – يرجع عهد الإسلام في الهند إلى القرن الأول من الهجرة ، فالتاريخ يذكر أن المسلمين العرب قد وصلوا إلى الهند عن طريق مليبار في عهد الخلافة الراشدة ، والأمويون فتحوا السند ٩٣ هـ ، ومحمود الغزنوي والأتراك فتحوا بلاد الهند (٣٨٨ – ٦٥٠ هـ) ، والمسلمون توارثوا الحكومة إلى أن ابتليت الهند بالاستعمار البريطاني سنة ١٢٣٧ هـ/ ١٨٥٧م .

٢ – أعز الفترات الإسلامية في الهند وأكملها وقوفا عند أحكام الإسلام هي فترة حكم فيروز تغلق وفترة أورنگ زيب عالمگير – رحمهما الله .

٣ – أظلم الفترات وأضرها للإسلام في الهند هي فترة حكم الأمبراطور «أكبر» المغولي .

٤ – وجدت جهود إصلاحية بين آونة وأخرى ، وكانت تنجح في بعض الأحيان وتتعثر أحيانا أخرى ، ومن الجهود المثمرة ما قام به السيد أحمد عبد الأحد السرهندي ت ١٠٣٤ هـ بمقاومة حكيمة ضد الأمبراطور « أكبر » خاصة ، وبدع الصوفية وخرافاتهم عامة ، وقضى على كثير منها .

وما قام به الإمام ولي الله الدهلوي ت ١١٧٦ هـ بحركة الانطلاق الفكري بلور فكر طائفة كبيرة وأعدهم للقيام بالدعوة العامة ، والحركة الإصلاحية الكبرى .

٥ – قام الإمامان – السيد أحمد الشهيد ، والشاه إسماعيل الشهيد – بتنظيم الدعوة الإسلامية الشاملة وجولات متواصلة في ربوع الهند ، وخاضا المعارك الدامية مجاهدين في سبيل الإسلام وإعلاء كلمة الله ضد الاستعمار حتى استشهدا في معركة بالاكوت ٢٤ / ١١ / ١٢٤٦ هـ .

٦ – الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت مأسوية جدا ، وكان الوضع الديني في غاية السوء ، نشأت أمة متسمة بالإسلام مثقفة بثقافات ممتزجة من ثقافات الهند والإنجليز ، وانتهزت إرساليات التنصير الفرصة لتضليل المسلمين ، وشجعت الحكومة البريطانية الفرق المناهضة للإسلام مثل القاديانية والبريلوية .

٧ – في مثل هذا الوضع المؤلم برزت حركات إسلامية إصلاحية لمقاومة الفتن ومواجهة المحن والتصدي لأهل البدع والأهواء ، ومن أهم هذه الحركات : جماعة أهل الحديث ، جماعة التبليغ ، والجماعة الإسلامية .

٨ – إن جماعة التبليغ لا شك أنها الجماعة الوحيدة التي نقلت الدعوة شخصيا على منهجها الخاص إلى البيوت والمقاهي والنوادي وإلى القرى والأرياف في أغلب بقاع العالم بعيدة عن القضايا السياسية .

٩ – أسباب نشأتها هي المنامات والمبشرات أو المكاشفات والإلهامات حسب زعم مؤسسها الشيخ محمد إلياس ، وشعوره بالضعف الديني عامة وبضعف المذهب الحنفي خاصة .

١٠ – مظهر الكثيرين منهم ما يوافق مظهر السنة في اللباس والصورة وفي الطبيعة والهيئة الذي يأخذ بمجاميع القلوب ، ويرتاح له وإليه الإنسان من درجة الاستيناس إلى درجة الاعتماد .

١١ – عرف عن الكثيرين منهم اللين والرفق والتزامهم بالصلاة والصيام وقيامهم بالليل وخاصة في أسفار التبليغ ، وجدهم وجهدهم وتحملهم المشاق للتبليغ ووصولهم إلى الأماكن النائية في البادية سواء كان على حسابهم أو حساب غيرهم .

١٢ – مؤسس الجماعة وأمراؤ ها وأبرز الشخصيات فيها كانت معتقداتهم في الأسماء والصفات أشعرية وماتريدية وفي السلوك والمنهج كانوا متصوفة منخرطين في الطرق الصوفية الرائجة في الهند ؛ لأنهم ولدوا في المحيط الصوفي ، ونشأوا وتربوا على المدرسة الصوفية وأخذوا البيعة على أيدي كبار الصوفية وهم أيضا يبايعون الآخرين على يد مؤسسها الذي توفي منذ خمسين سنة ، إضافة إلى الانحرافات العقدية التي توجد لدى طائفة الديوبندية .

١٣ – اعتماد كتاب « تبليغي نصاب » ككتاب مقرر يقرأ في المسجد والمنزل ، وأثناء الخروج ، ولا يسمحون للقراءة في كتاب غيره إلا رياض الصالحين للعرب خاصة وعلما أن هذا الكتاب « تبليغي نصاب » مليء بجميع مظاهر الصوفية وحكاياتهم وبالأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعات والبدع والخرافات حتى الشركيات .

١٤ – غلوهم في الصالحين وكبار شخصياتهم غلوا ما أنزل الله به من سلطان وغلوهم في باب الزهد والعبادة إلى حد الرهبانية .

١٥ – اعتقادهم في خروجهم للتبليغ أنه الجهاد بل الجهاد الأكبر وتطبيق آيات وأحاديث الجهاد الشرعي كلها على خروجهم للتبليغ ، وبه ينال الإنسان ثواب كل ذلك ، وهو الحل الوحيد ولا حل غيره في عصرنا هذا لجميع أمراض المسلمين ومتاعبهم ومشاكلهم قاطبة ، ولا علاج سواه قطعا وبتاتا ، ويبالغون في خروجهم الجماعي هذا مبالغات عجيبة ، ويغالون فيه مغالاة ما بعدها مغالاة يتجاوزون فيها الحدود المعقولة والمنقولة .

١٦ – يوجبون أن يكون الخروج في الشلات والجولات التبليغية والانشغال في العلم والذكر حسب تعليم الأكابر والأمراء والكبراء في الجماعة وتحت رقابتهم .

١٧ – مواعظهم وبياناتهم تشتمل على التذكير والزهد والتقوى والرغائب والرقائق والنوافل وفضائل الأعمال ويكثرون فيها القصص والحكايات والمنامات والإلهامات والأحاديث الضعيفة بل والموضوعة .

١٨ – لا يتكلمون عن توحيد الألوهية ولا يدعون إليه بل يفسرونه بتوحيد الربوبية كما لا يتكلمون عن السياسة ، ويتجنبون النهي عن المنكر ، ويعللون كل ذلك أنه يورث العناد لا الصلاح ، ويسبب الفرقة لا الألفة ، ويسمون ذلك خوضا فيما لا يعني.

١٩ – يُلزمون أتباعهم الخضوع المطلق للأمير ومشايخ الجماعة والإنصات والاستماع لكل ما يحكى ويروى ، ولا سؤال ولا حوار ، وخاصة في الشلات والجولات .

٢٠ – إن هذه الجماعة لها انتشار كبير، ولها أثر ملموس ومشاهد في مختلف طبقات المجتمع ، فهي سبب لجرّ كثير من المسلمين إلى المساجد والعبادة والديانة ، وبها اعتنق كثير من الناس الإسلام ، ولكن للأسف الشديد تسربت إليهم انحرافات عقدية وسلوكية بسبب الزيغ في منهج الجماعة ومشايخها في العقيدة .

وبعد سرد هذه النتايج التي استخلصتها من البحث أتوجه بوصيتي إلى جماعة التبليغ المنتشرة في العالم أن يعلموا أني لا أريد بهذا العرض إلا النصح والإرشاد ، وأن يرجع إخواننا التبالغة عن هذه الأخطاء ويصححوا الأغلاط ، وفي الحديث : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » (١)، والرجوع إلى الحق خير من التمادي

---

(١) – أخرجه الترمذي في السنن ٤ / ٥٦٨ – ٥٦٩ ، ح : (٢٤٩٩) ، وابن ماجة في السنن ٢ / ١٤٢٠ ، ح : (٤٢٥١) ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعا .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة ، عن قتادة .

في الباطل ، وأن يجعلوا شغلهم دراسة الكتاب والسنة الصحيحة وآثار السلف الصالح ، وأن يبتعدوا ويبعدوا كتاب « تبليغي نصاب » المملوء بالخرافات والشركيات عن منهج الجماعة ، ويختاروا الكتب النافعة والمفيدة لإصلاح العقائد والمجتمع ككتاب تقوية الإيمان للشاه إسماعيل الشهيد - الذي هدى الله به مئات الآلاف من الزيغ والضلال ، وكتاب « رياض الصالحين » للنووي ، وكتاب « نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين » لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وتراجم هذه الكتب متوفرة في اللغة الأردية .

وأن يكون المنهج متكاملا ابتداء من الأهم فالمهم ، وعلى مراحل كما تقام الدورات العلمية والثقافية والتدريبية على اختلاف المستويات والتخصصات ، وأن يكون هناك أهل الكفاء ة الذين يقومون بهذه المهمة ، وبهذا يكون الإقبال للجميع على دعوتهم ، مثلا : إذا خرج رجل عامي وأمي أول مرة مع الجماعة فيتعلم أركان الإيمان والإسلام علما وعملا ، ويتعلم بعض السور القرآنية والأحاديث والسيرة النبوية ، وإذا خرج مرة ثانية فيتعمق أكثر ويقرأ القرآن كاملا ويبدأ في ترجمته حتى يفهمه ، وكذلك في المرة الثالثة يتعلم اللغة العربية حتى يحاول أن يتدبر القرآن والأحاديث النبوية لأنه يلاحظ أن بعض الإخوة التبليغيين قد خرجوا في الجماعة أربعة أشهر وأكثر ، وقد خرجوا في الشلة أكثر من مرة ولم يستطيعوا إلا أن يحفظوا غيبا ثماني أو عشر من قصار السور وبعض الحكايات والأساطير التي تحكى لهم من « تبليغي نصاب » وغيره ، ولم يستطيعوا أن يقرؤوا القرآن كاملا بأنفسهم ولا كتابا حتى في اللغة الأردية .

ووصيتي لكل من يريد أن يطلع على جماعة التبليغ أو ينخرط في سلكهم أن يعلم أن جماعة التبليغ مع حسن قصدهم قد حصلت منهم أغلاط وأخطاء وانحرافات عقدية

ومنهجية تتنافى مع الكتاب والسنة وسير السلف - رحمهم الله - فعليه أن يكون على حذر حتى لا يقع فيها ، ويجب عليه قبل أن يخرج معهم أن يتسلح بعلم الكتاب والسنة ويتعمق في العقيدة التي كان عليها سلف هذه الأمة لينصحهم ويرشدهم إذا خرج معهم ، وإذا لم يجد المجال للنصح والإرشاد فلا يجوز له الخروج في هذه الحال .

كما أوصى بذلك سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله رحمة واسعة[١] - حيث يقول : « جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير لأنهم نشيطون في عملهم لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة »[٢] .

وفي خاتمة المطاف أشهد الله العليم الخبير بأنني لم أكتب هذا البحث لإرضاء أحد دون آخر أو لإرضاء جماعة دون أخرى ، ولا لإثارة خلاف أو لإحداث فتنة وفرقة بين المسلمين كما سيظن ذلك البعض ، فالأمة الإسلامية ضعيفة وممزقة كأنها قصعة قد تداعى عليها أكلتها ، وإنما سوء فهمها لعقيدة الإسلام وعدم ممانعة رجال منها في دخول البدع والمحدثات هو سبب من أسباب هذا الذل والوهن ، وسلامة المعتقد هو سبب من أسباب العز والنصر .

---

(١) - وإذ أنا أكتب هذه الجملة فالقلم ينزلق والأصابع ترتعش والقلب يختلج والعين تذرف ولا نقول إلا ما يرضي ربنا فنقول : إنا بفراقك يا سماحة الشيخ لمحزونون ؛ لأننا اليوم بعد صلاة الجمعة صلينا على سماحته في الحرم المكي الشريف في سيل من الدموع والجم الغفير ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، تغمده الله بواسع رحمته وأدخله فسيح جناته مع الأنبياء والشهداء والصالحين، وعوض الأمة الإسلامية من يسد هذه الثغرة التي وقعت برحلة فقيد الأمة ومحيي السنة ، إنه على كل شيء قدير .

(٢) - مجلة « الدعوة» العدد ١٤٣٧/ ذو القعدة ١٤١٤ هـ .

وهذا ما اضطرني إلى كتابة هذا البحث لتصحيح ما يمكن تصحيحه في عقائد المسلمين عامة وعقائد جماعة التبليغ خاصة ، وذلك كله ابتغاء لمرضات الله جل وعلا .

وفي ختام هذا البحث المتواضع لا أستطيع أن أقول إني وصلت بالموضوع إلى درجة الكمال ، بل أعترف أنه لم يبلغ حد الكمال ولا قاربه ، فكم رائد فكر يكتب بحثا اليوم ثم يراجعه غدا ، فإذا هو يقترح تقديم هذا وتأخير ذلك ، وأنه لو أضاف كذا لكان أجمل ، ولو حذف كذا لكان أسلم .

ولكنه على كل حال جهد المقل ، فقد حاولت فيه إخراج الموضوع على أحسن صورة ، فإن وفقت فهو من الله وهو ما قصدت ، وإن كان غير ذلك فالله هادي إلى سواء السبيل .

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، ويشرح صدورنا للحق ، وأن يرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك الابتداع فيهما إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

محمد جنيد عبد المجيد

٢٨ / ١ / ١٤٢٠ هـ الجمعة المباركة

١٤ / ٥ / ١٩٩٩م

مكة المكرمة

* فهرس الآيات القرآنية *

البقرة

آل عمران

النساء

المائدة

****

الآيـة	٥٧٣	رقم الصفحة

****

الأنبياء

الحج

المؤمنون

الشعراء

النمل

القصص

العنكبوت

لقمان

الأحزاب

الفاطر

* فهرس الأحاديث والآثار *

****

****

* المصادر والمراجع *

* القرآن الكريم

* آپ بيتى (الأيام) للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي مكتبة رشيدية ساهيوال پاكستان .

* أبجد العلوم للسيد صديق حسن القنوجي ، المطبعة الصديقية ، الهند ، ١٢٩٥ هـ .

* أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته لأليف الدين الترابي ، دار القلم ، الكويت ، ط١ : ١٤٠٧ هـ .

* أبو الأعلى المودودي ، حياته وفكره العقدي لحمد بن صادق الجمال ، دار المدني ، جدة ، ط! : ١٤٠٦ هـ .

* أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته للأستاذ أسعد جيلاني ، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، شركة الفيصل للطباعة والنشر ، لاهور ، باكستان ، ط١ : ١٩٨٧م .

* أبو الأعلى المودودي ومنهاجه في الإصلاح والدعوة لصالح حسين الرقب ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ .

* إتحاف السادة المتقين لشرح إحياء علوم الدين للعلامة مرتضى محمد بن محمد الزبيدي ، دار الفكر ، بيروت .

* أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية لخادم حسين إلهي بخش ، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى ١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ .

* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد بن محمد المقدسي المعروف بالبشاري ، مطبعة ليدن ط ٢ ، ١٩٠٦م .

* أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص .

* إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ت : ٥٠٥ هـ ، المشهد الحسيني ، القاهرة .

* اردو دائره معارف اسلاميه ، دانشگاه پنجاب ، لاهور ، پاكستان ، ط١ : ١٤٠٠ هـ .

* إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري للقسطلاني ت ٩٢٣ هـ ، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ .

* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامي ، بيروت ، ط١ : ١٣٩٩ هـ .

* الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى لنور الدين على المشهور بالملا علي القاري ت ١٠١٤ هـ .

تحقيق / محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩١ هـ .

* الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية للأستاذ أبي الأعلى المودودي .

* الإسلام والتصوف لمحمد أحمد شافي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٢ : ١٣٩٩ هـ .

* اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ، ملحق التعريفات للجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٥٧ هـ .

* الأصول العلمية للدعوة السلفية للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، الدار السلفية ، الكويت ، ط٢ : ١٣٩٨ هـ .

* الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي للشاطبي ، الغرناطي ، ت : ٧٩٠ هـ ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

* الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي ، ت : ١٣٩٦ هـ ، دار العلوم للملايين ، بيروت . ١٩٨٠م .

* اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ت : ٧٢٨ هـ ، تحقيق د / ناصر بن عبد الكريم العقل ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .

****

****

* اكابر علماء ديوبند اتباع شريعت كى روشنى مين (أكابر علماء ديوبند في ضوء اتباع الشريعة)للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، مكتبة اشاعة العلوم ، سهارنپور ، الهند ١٣٩٩ هـ .

* الإمام أبو الأعلى المودودي للأستاذ خليل حامدي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .

* الإمام السرهندي حياته وأعماله لأبي الحسن علي الندوي ، دار القلم ، الكويت ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

* أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه للكتور علي بن نفيع العلياني ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ ١٤٠٥ هـ .

* أوجز المسالك إلى موطأ مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة ، ط٣ : ١٤٠٠ هـ .

* ايك اهم دينى دعوت (دعوة دينية مهمة) للسيد أبي الحسن علي الندوي ، ادارة إشاعت دينيات دهلي الهند ، ط١ ١٩٨٢م .

* بحث عن جماعة التبليغ ، لحميد الله نيبالي ، بحث مقدم لمعهد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة ١٤١٠ هـ (وعنوان البحث مفقود) .

* بحث في تخريج أحاديث جماعة التبليغ لخضر الأمريكي ، بحث مقدم لكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ .

* البحر المحيط للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف ، ت : ٧٤٥ هـ ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض .

* بدائع الصانع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي ت ٥٨٧ هـ ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ .

* البداية والنهاية للإمام ابن كثير ، ت : ٧٧٤ هـ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط١ :١٩٦٦م .

* البدء والتاريخ للإمام مطهر بن طاهر المقدسي ، ت : ٣٥٥ هـ .

* بهجة القلوب في مبشرات النبي المحبوب ، ترتيب محمد اقبال ، مكتبة دينيات ، لاهور ، باكستان .

* بيعت كى شرعى حيثيت (البيعة من حيث الشريعة) لمحمد اقبال ، مكتبة دينيات لاهور ، پاكستان .

* التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول للسيد صديق حسن القنوجي ت ١٣٠٧ هـ ، المطبعة الهندية العربية ، بومباي ، الهند ، ١٣٨٢ هـ .

* تاريخ ادبيات مسلمانان پاكستان وهند (تاريخ ادب المسلمين في باكستان والهند) ، پنجاب يونيورستي ، لاهور ، پاكستان ، ط١ : ١٩٧٢م .

* تاريخ الإسلام في الهند لعبد المنعم النمر ، دار العهد الجديد للطباعة ، ط١ : ١٣٧٨ هـ .

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي محمد بن أحمد ت : ٧٤٨ هـ ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ : ١٤١٨ هـ .

* تاريخ أهل حديث للعلامة محمد ابراهيم السيالكوتي ، دار التوحيد ، دهلي ، الهند .

* تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

* تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند للعلامة مسعود عالم الندوي ، دار العربية ، پاكستان .

* تاريخ دعوت وتبليغ لمحمد عبيد الله بلياوي ، مكتبة دينيات ، لاهور ، پاكستان .

* تبليغ كا مقامى كام (الأعمال المحلية للتبليغ) لميانجي منشي محمد عيسى فيروز پوري ، رباني بك ديو ، دهلي ، الهند ، ط١.

* تبليغى تحريك : شخصيات ، تعارف ، خصوصيات ، للأستاذ وحيد الدين خان ، مكتبة الرسالة ، دهلي ، الهند ، ط٣ : ١٩٩٤م .

* تبليغى تحريك كى ابتداء اور اس كى بنيادى اصول (بداية حركة التبليغ وقواعدها الأصولية) لميانجي محمد عيسى فيروز پوري ، رباني بك ديو ، دهلي ، الهند ، ط١ .

* تبليغى جماعت اپنى بانى كى ملفوظات كى آئينى مين (جماعة التبليغ في مرآة ملفوظات مؤسسها) للدكتور تابش مهدي ، مكتبة الإيمان ، ديوبند ، الهند .

* تبليغى جماعت اپنى نصاب كى آئينه مين (جماعة التبليغ في مرآة مقرراتها) لخواجه محمد قاسم ، اداره احياء السنه ، لاهور ، پاكستان .

* تبليغى جماعت اور اس كا نصاب قرآن وحديث كى روشنى مين (جماعة التبليغ ونصابها في ضوء الكتاب والسنة) لمنشى خطيب عبد الرحمن عمري ، دار الكتاب ، دهلي ، الهند ١٩٨٨م .

* تبليغى جماعت اور اس كى ناقدين (جماعة التبليغ وناقدوها) لعبد الكريم مفتاحي ، خليل بك ديو ، اكوله مهارشتر ، الهند ١٩٩٣م .

* تبليغى جماعت تحقيقى جائزة (جماعة التبليغ دراسة تحقيقية) لعبيد الرحمن محمدي ، مركز الدعوة والإرشاد ، لاهور ، پاكستان ، ط٢ : ١٤١٥ هـ .

* تبليغى جماعت ، جماعت اسلامي ، اور بريلوي حضرات (جماعة التبليغ والجماعة الإسلامية والبريلوية) ، للشيخ محمد منظور نعماني ، الفرقان بك ديو ، لكنؤ ، الهند ، ١٩٨٩م .

* تبليغى جماعت حقائق ومعلومات كى اجالى مين (جماعة التبليغ في ضوء الحقائق والمعلومات) لأرشد القادري ، مكتبة جام نور ، دهلي ، الهند .

* تبليغى جماعت كا اسلام (إسلام جماعة التبليغ) للسيد طالب الرحمن ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعصرية ، روالپندي ، پاكستان ١٩٩٥م .

* تبليغى جماعت كا تاريخى جائزه (جماعة التبليغ دراسة تاريخية) لمحمد ايوب قادرى ،

مكتبة معاوية ، كراتشي ، پاكستان ، ط١ : ١٣٩١هـ .

* تبليغى جماعت كى تاريخى حالات ، ملفوظات ومكتوبات (جماعة التبليغ : تاريخ ، ملفوظات ومكتوبات) لميانجى رحيم بخش ، ادره اشاعت دينيات ، دهلي، الهند ١٤١٦ هـ .

* تبليغى جماعت كيلئى روانگى كى هدايات (تعليمات جماعة التبليغ للخروج) لميانجى محمد عيسى فيروزپورى ، ربانى بك ديو ، دهلي ، الهند ، ط١ .

* تبليغى نصاب ايك مطالعه (تبليغي نصاب : دراسة نقدية) للدكتور تابش مهدي ، مكتبة الإيمان ، الهند ، ط٣ : ١٩٨٣م .

* تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين للشيخ أحمد بن حجر آل بطامي ، الدوحة ، ١٤٠٢ هـ .

* تحريك اهل حديث تاريخ كى آئينى مين (حركة أهل الحديث في مرآة التاريخ) لقاضي محمد أسلم سيف ، الكتاب انترنيشنل ، نئى دهلي ، الهند ، ط١ ، ١٩٦٦م .

* تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي لأبي العلاء محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ت ١٣٥٣ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥ هـ .

* تذكره حضرت جى مولانا محمد يوسف الكاندهلوي لمحمد منظور نعماني ، عتيق الرحمن سنبهلى ، الفرقان بك ديو ، لكنؤ ، الهند ، ١٩٩٣م .

* تذكره حضرت مولانا محمد يوسف صاحب امير تبليغ لمفتى عزيز الرحمن ، مكتبة عبادية ، نهتور ، بجنور ، الهند ، ط٣ : ١٣٩٧ هـ .

* تذكرة الرشيد للشيخ محمد عاشق إلهي ميرتهى ، مكتبة الشيخ ، سهارنپور ، الهند ، ١٩٧٧م .

* تذكره علماء هند لرحمن على ، مطبعة نولكشور ، لكنؤ ، الهند ط٢ ، ١٩١٤م .

* تذكرة الموضوعات لأبي الفضل محمد بن أحمد المقدسي ت : ٥٠٧ هـ ، المطبعة السلفية ،

القاهرة ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

* تراجم علماء حديث هند لإمام يحيى خان نوشهروى ، سبحانى اكاديمى ، لاهور ، پاكستان .

الترغيب والترهيب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني ت ٥٣٥ هـ ، مكتبة النهضة الحديثة .

* الترغيب والترهيب لزكي الدين عبد العظيم المنذري، ت : ٦٥٦ هـ، دار التراث ، القاهرة .

* تزكية وإحسان يا تصوف وسلوك لأبي الحسن الندوي ، مجلس تحقيقات ونشريات إسلام لكنؤ ، الهند ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .

* التصوف ، المنشأ والمصادر للعلامة إحسان إلهي ظهير ، ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، پاكستان ، ط١ : ١٤٠٦ هـ .

* تفسير روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمند الألوسي ، الطباعة المنيرية .

* التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب لأبي الحسن علي الندوي ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠١ هـ .

* تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ت : ٧٧٤ هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤٠٨ هـ .

* التفهيمات الإلهية للشاه ولي الله الدهلوي ، مدينه برقى پريس ، بجهنور ، الهند ١٩٣٦م

* تفهيم القرآن للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، مركزي مكتبة اسلامى ، دهلي ، الهند ١٩٩٤م .

* تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، ت : ٨٥٢ هـ ، تحقيق عبد الرحمن اليماني المدني ، ت : ١٣٨٤ هـ ، شركة الطباعة الفنية الحديثة ، القاهرة .

* تلبيس ابليس للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

لبنان ، ط١ : ١٤١٨ هـ .

* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر ت : ٤٦٣ هـ ، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد بكري ، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب .

* تنبيه الغافلين لنصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ، تحقيق عبد العزيز محمد وكيل ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، جدة ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ .

* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد الكناني ت ٩٦٤ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٣٩٩ هـ .

* تهذيب التهذيب للحافظ أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ت : ٨٥٢ هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ : ١٤١٥ هـ .

* التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

* التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، ط٢ : ١٤٠٠ هـ .

* التوسل حكمه وأقسامه لأبي أنس علي بن حسين أبو لوز ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ : ١٤١٨ هـ .

* التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب للدكتور عبد الله عمر الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧ هـ .

* الثقافة الإسلامية في الهند للشيخ عبد الحي الحسني ، مطبوعات المجمع العلمي ، دمشق ، ١٩٥٨م .

* جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ،

١٣٨٩ هـ .

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري ، عيسى الحلبي ط٣ : ١٩٦٨م .

* جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : ٧٢٨ هـ ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني ، القاهرة .

* الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين السيوطي ت : ٩١١ هـ ، دار الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

* جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

* الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ : ١٤٠٧ هـ .

* الجرح والتعديل للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن حاتم التيمي ، ت : ٣٢٧ هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد دكن ، الهند ، ط١ : ١٢٧١ هـ .

* جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للنعمان خير الدين الآلوسي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

* جماعت اسلامى اور تبليغى جماعت مين فرق ايك تقابلى جائزه (الجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ : دراسة مقارنة)لمحمد سليمان القاسمي وانم باري ، الهند .

* الجماعة الإسلامية في سطور ، مطبعة المكتبة العليمة ، لاهور ، باكستان .

* جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات (الاعتراضات حول جماعة التبليغ والرد عليها) للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* جماعة التبليغ : عقيدتها وأفكار مشايخها لميان محمد اسلم الباكستاني ، بحث مقدم

لنيل شهادة اللسانس في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ٩٦- ١٣٩٧ هـ

* جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية : عقائدها ، وتعريفها لأبي أسامة السيد طالب الرحمن ، دار البيان للنشر والتوزيع ، إسلام آباد ، باكستان ط١ ، ١٤١٩ هـ .

* الجهاد في سبيل الله للأستاذ حسن البنا .

* الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع للشيخ صالح اللحيدان دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٣ : ١٤٠٠ هـ .

* جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم للدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ادرة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ، ط٢ : ١٤١٣ هـ .

* جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة للدكتور عبد الرحمن الفريوائي ، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ، ط٢ : ١٤٠٦ هـ .

* چهـ باتين (الأمور الستة) لمحمد عاشق الهي ، فريد بك دپو ، دهلي ، الهند .

* حاشية رد المختار لمحمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط ٢ ١٣٨٦ هـ .

* حاضر العالم الإسلامي ، للوثروب ستودارد ، تعليق الأمير شكيب الارسلان ، دار الفكر ١٩٧١م .

* حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة للدكتور جميل عبد الله محمد المصري ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ط٢ : ١٤١٠ هـ .

* الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير ... لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت : ٩١١ هـ ، دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ .

* الحجاب للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٨ هـ .

* حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد لمحمد إسماعيل السلفي ت

١٩٦٨م ترجمة الدكتور مقتدي حسن الأزهري ، المطبعة السلفية ، بنارس ، الهند .

* حضرت جى كى يادگار تقريرين (محاضرات تذكارية لحضرة الشيخ) لمنشي أنيس أحمد ، إداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* حضرت جى كى يادگار تقريرين اور فرمودات يوسفي(محاضرات تذكارية لحضرة الشيخ والمرقع اليوسفي) ، منظور بك دپو ، دهلي ، الهند .

* حضرت جى مولانا انعام الحسن صاحب : حالات ، ملفوظات ، تأثرات ، لمرغوب أحمد ، پيغام بك دپو ، فيض آباد ، الهند ١٩٩٥م .

* حضرت مولانا انعام الحسن كاندهلوي لنور الحسن راشد كاندهلوي ، مظفر نگر ، الهند ١٤١٨ هـ .

* حضرت مولانا محمد الياس اور ان كى دينى دعوت (حضرة الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية) للأستاذ أبي الحسن علي الندوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* حضرت مولانا محمد منظور النعماني، مرتبه عتيق الرحمن ، مجلة الفرقان ، لكنؤ ، الهند ، ١٩٩٨م .

* حضرت مولانا محمد يوسف بنوري اور جماعت تبليغ (حضرة الشيخ محمد يوسف البنوري وجماعة التبليغ) لمفتي محمد شاهد كريمي پبليكيشنز ، اله آباد ، الهند .

* الحطة في ذكر الصحاح الستة لسيد أبي الطيب صديق حسن القنوجي ت : ١٣٠٧ هـ ، مطبعة المكتبة العلمية ، لاهور ، باكستان ط ١٣ ، ١٣٩٧ هـ .

* حكايات اولياء لأشرف علي التهانوي ، كتب خانة نعيمية ، ديوبند ، الهند ط٨ ١٩٧٥م .

* حكايات صحابه للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي، الهند .

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ ، مطبعة السعادة ، شارع الجداوي ، ط١ : ١٣٩٤ هـ .

* حياة خليل لمحمد ثاني الحسني الندوي ، تنوير بريس لكنؤ ، الهند ، ط١ .

* حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، تحقيق محمد علي الدولة ، نايف العباس ، دار القلم ، دمشق ، ط١ : ١٣٨٩ هـ .

* الخصائص الكبرى للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت : ٩١١ هـ ، تحقيق محمد خليل الهراس ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

* خلافت وملوكيت لأبي الأعلى المودودي ، إدارة ترجمان القرآن ، لاهور ، باكستان ط ٨ ، ١٩٧٥ م .

* الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي للشيخ أبي الحسن علي الندوي ، تعريب الأستاذ نور عالم الأميني ، مكتبة الأخضر ، دهلي ، الهند ١٩٩٢م .

* الدر المختار مع رد المختار لابن عابدين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط ٢ ، ١٣٨٦ هـ .

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

* الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية للدكتور صادق أمين ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

* الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها للسيد أبي الحسن علي الندوي ، مطبعة ندوة العلماء ، لكنؤ ، الهند .

* الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية للدكتور عبد الوهاب خليل الرحمن ، رسالة الدكتوراة ، جامعة أم القرى ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

* دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ، مجمع البحوث العلمية الإسلامية ، دهلي ، الهند ، ط١ : ١٤١٢ هـ .

* دلائل الأمور الستة لزين العابدين الأعظمي ، ادره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند ، ط١ : ١٤٠٩ هـ .

* دلائل النبوة للبيهقي ت ٤٥٨ هـ ، تخريج د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

* الدين الخالص للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر .

* الدين النصيحة لفالح بن نافع المخلفي الحربي .

* الديوبندية : تعريفها عقائدها ، للأستاذ أبي أسامة سيد طالب الرحمن ، دار الكتاب والسنة ، كراتشي ، باكستان ، ط١ : ١٤١٥ هـ .

* ذكر واعتكاف كى اهميت (أهمية الذكر والاعتكاف) مرتبه صوفي محمد إقبال بأمر محمد زكريا الكاندهلوي ، إدارة اسلاميات ، لاهور ،باكستان ط ٣ ، ١٩٨٢م .

* ذيل اللآلي المصنوعة لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، المكتبة الأثرية ، باكستان .

* الردود لبكر بن عبد الله أبى زيد ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ط ١ ١٤١٤ هـ .

* رسائل ومسائل للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، اسلامك پبليكيشنز لميتيد ، لاهور ، باكستان ، ط ١٩٩٥م .

* الرسالة القشيرية في علم التصوف لعبد الكريم ابن حوزان القشيري ت ٤٦٥ هـ ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٩٧٢م .

* الرسل والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح ، الكويت ط٣ : ١٤٠٥ هـ .

* رود كوثر (نهر الكوثر) لمحمد أكرم ، ادبى دنيا ، دهلي ، هند ط ١ ١٩٩١م .

* روض الرياحين في حكايات الصالحين لعفيف الدين أبي السعادات عبد الله اليافعي

اليمني ت ٧٦٨ هـ ، تحقيق محمد أديب الجادر ، عدنا عبد ربه ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ : ١٤١٦ هـ .

* الروض الفايق في المواعظ والرقايق لشعيب الحريفيش ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ١٣٦٨ هـ .

* زاد الداعي لإكرام الله جان القاسمي ، مكتبة سعيدية ، لاهور ، پاكستان .

* زلزله در زلزله للشيخ نجم الدين الچغتائي ، كتب خانه مظهري ، كراتشي .

* زوابع في وجه السنة قديما وحديثا للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ، مجمع البحوث العلمية الإسلامية ، دهلي ، الهند، ط١ : ١٤١١ هـ .

* الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي ت ٩٧٣ هـ مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ .

* زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لشيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، دار طيبة ، الرياض .

* سبيل الدعوة الإسلامية لمحمد أمين المصري ، دار الأرقم ، الكويت ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .

* السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم للدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني ١٣٩٩ هـ .

* سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ : ١٤١٢ هـ .

* سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ ، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الباز ، مكة المكرمة .

* سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٩٧ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٠٨ هـ .

* سنن الدارقطني للحافظ علي بن عمر الدارقطني ت ٣٨٥ هـ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٤ ١٤٠٦ هـ .

* سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن بهرام الدارمي ت ٢٥٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ هـ .

* السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

* سوانح حضرت جى ثالث مولانا محمد انعام الحسن كاندهلوي (سيرة حضرة الشيخ مولانا محمد إنعام الحسن الكاندهلوي)للسيد محمد شاهد سهارنپوري، مكتبة ياد كار ، سهارنپور ، الهند ، ط١ : ١٤١٨ هـ .

* سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي(سيرة حضرة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي) لمحمد ثاني الحسني ، نظامي پريس ، لكنؤ ، ط٤ : ١٤٠٢ هـ .

* سوانح حضرت مولانا عبد القادر رائيپوري(سيرة الشيخ عبد القادر الرائيفوري)لأبي الحسن الندوي مكتبة إسلام لكنؤ الهند ط٤، ١٩٩٤م

* سوانح قاسمي(سيرة قاسمي) للشيخ مناظر حسن الكيلاني ، دارالعلوم ديبند الهند، ١٣٩٥هـ.

* السياسية الشرعيةفي إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨ هـ . دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.

* السيد صديق حسن القنوجي : آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف للدكتور اختر جمال لقمان ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ : ١٤١٧ هـ .

* سير أعلام النبلاء للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق شعيب

الأرناؤوط وزملائه ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ .

* شخصيات وكتب لأبي الحسن علي الندوي، ندوة العلماء ، لكنؤ الهند .

* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن المنصور الطبري اللالكائي ت ١٤١٨ هـ .

تحقيق / الدكتور / أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ط ٢ ، ١٤١٥ هـ .

* شرح السنة لأبي محمد الحسين الفراء البغوي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ : ١٣٩٠ هـ .

* شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٨ : ١٤٠٤ هـ .

* شعب الإيمان للبيهقي أحمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٠هـ

* شمائم امداديه لإمداد الله المهاجر المكي ، طبع مدني كتب خانه ، ملتان ، پاكستان .

* الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب للشيخ حسين أحمد المدني ، مكتبة رحيمية ، ديوبند ، الهند .

* الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وآراؤه الاعتقادية ، عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ، مؤسسة الجريسي للتوزيع ، الرياض ، ط١ : ١٤١٨ هـ .

* الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية لصدر الدين عامر الأنصاري ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي ت

٧٤٤ هـ ، مطبعة الإمام بالقلعة ، مصر .

* الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط٢ : ١٤٠٢ هـ .

* صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤١٢ هـ .

* صحيح ابن حبان مع الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب علي بن بلبان الفارسي ت ٧٣٩ هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ : ١٤٠٨هـ .

* صحيح ابن خزيمة لمحمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١ هـ ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ط٢ : ١٤١٠ هـ .

* صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

* صحيح مسلم (مع ملخص شرح النووي) للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٣ هـ .

* الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٣٧٧ هـ .

* صديق أكبر لسعيد أحمد أكبر آبادي ، ندوة المصنفين ، دهلي ، الهند ط ٣ ، ١٣٩٦ هـ .

* الصديق وأسرته رضي الله عنهم لمحمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط١ ، ١٤١٧ هـ .

* صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١٤ : ١٤٠٨ هـ .

* صقالة القلوب لمحمد اقبال ، مكتبة دينيات لاهور ، پاكستان ، ط١ : ١٩٨٢م .

* الصلاح والفساد للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، ترجمة خليل أحمد الحامدي ، الجامعة الإسلامية ، پاكستان .

* الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده طارق عبد الحليم ، دار الأرقم ، بريطانيا ، ط٣ : ١٤١٣ هـ .

* الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، تقديم محمد جميل غازي ، مطبعة المدني ، القاهرة .

* الضعفاء والمتروكون لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي ت ٣٨٥هـ تحقيق موفق بن عبد الله، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ١٤٠٤هـ

* ضعيف الجامع الصغير وزياداته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٣ : ١٤١٠ هـ .

* طائفة السيخ في الميزان لمحمد شعيب النجرامي، المطبعة السلفية بنارس، الهند،ط١: ١٤١٣هـ .

* طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى ، تحقيق محمد حامد الفقي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

* الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٠ هـ .

* العرب والهند في عهد الرسالة للقاضي اطهر مباركفوري ، ترجمة عبد العزيز عزت عبد الجليل ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

* عقائد أهل السنة والجماعة للمفتي عبد الشكور الترمذي ، صديقى كتاب گهر ، ديوبند ، الهند ، ط١ : ١٩٨٨م .

* العلل المتناهية في الأحاديث الواهية للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي ت ٥٩٧ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٠٣ هـ .

* علماء حق اور ان كي مجاهدانه كارنامي(علماء الحق وأعمالهم النضالية) لسيد محمد ميان، الجمعية بكدبو ، دهلي الهند.

* علماء ديوبند كا ماضى تاريخ كى آئينى مين(علماء ديبند ماضيهم في مرآة التاريخ) لحكيم محمود كوجرانواله ، انصار السنة ميرتهـ ، الهند ١٩٩٧م .

* عمل اليوم والليلة لأحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ ، تحقيق الدكتور فاروق حماده ، موسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ : ١٤٠٦ هـ .

* الفتاوى الإسلامية ، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند ، دار الوطن ، الرياض .

* فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب الشيخ محمد بن عبد الرزاق الدويش ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ط١ : ١٤١١ هـ .

* فتح الباري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ : ١٤٠٧ هـ .

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ١٤٠٣ هـ .

* فتنهء مودوديت لمحمد زكريا الكاندهلوي، مكتبة دينيات، لاهور باكستان.

* فتوح البلدان لأبي الحسن البلاذري ، تعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ .

* الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، تعليق محمود عبد الوهاب فايد ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .

* الفصل في الملل والأهواء والنحل لعلي بن حزم الظاهري مكتبة المثنى، بغداد ١٣٢١ هـ .

* فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مركز شئون الدعوة ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط٣ : ١٤١٠ هـ .

* فضائل اعمال للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل تبليغ للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل حج للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل درود شريف (فضائل الصلاة على النبي)لمحمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل ذكر للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل رمضان للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، ادراه اشاعت دينيات ، دهلي الهند .

* فضائل صدقات للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل قرآن للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* فضائل نماز(فضائل الصلاة) للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند .

* الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، مكتبة ابن تيمية الكويت ، ط٢ .

* فيروز اللغات اردو جيبى (معجم اردو جيبي) فريد بكد پو ، دهلي ، الهند .

* قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، المكتبة العلمية ، بيروت .

* قرة العيون مع مختصر تذكرة القرطبي لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ت ٣٧٣ هـ ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

* قصيدة بردة مع دلائل الخيرات لشرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري، مدينة

بكدبو، دهلي الهند .

* القصيدة النونية لابن القيم الجوزية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

* قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي لمحيي الدين حسن القضماني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ : ١٤٠٧ هـ .

* القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار عالم الكتب ، الرياض ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .

* القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢ هـ المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ط٢ : ١٣٨٣ هـ .

* القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ : ١٤١٤ هـ .

* القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ : ١٤١٨ هـ .

* كار گزاري بمع قرآن وحديث كى روشنى مين انچاس كرور گناه ثواب(النشاطات) ، مكتبة بينيات ، لاهور ، پاكستان .

* كالا پانى (نفي جذر اندمان) لمحمد جعفر تهانيسري

* الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ت ٦٣٠هـ دارالكتاب العربي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٠هـ

* الكامل في ضعفاء الرجال للحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

* كتاب الجهاد للحافظ عبد الله بن المبارك ت ١٨١ هـ ، تحقيق نزيه حماد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٧٢م .

* كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢ ١٤١٤هـ

* كتاب الضعفاء الكبير للحافظ أبي جعفر محمد العقيلي المكي ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ : ١٤٠٤ هـ .

* كتاب الضعفاء والمتروكين للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب،ط:١ ١٣٩٦هـ .

* كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للإمام محمد بن حبان التميمي البستي ت ٣٥٤ هـ ، تحقيق محمود إبراهيم زائد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

* كتاب الموضوعات للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ط٢ : ١٤٠٣ هـ .

* كتب فضائل پر اشكالات اور ان كى جوابات(الأجوبة عن الإشكالات الواردة على الكتب الفضائل) ، مكتبة دينيات ، لاهور ، پاكستان .

* كرامات امدادية للشيخ اشرف علي التهانوي ، كتب خانه شرف الرشيد ، شيخو پوره ، پاكستان .

* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني ت ١١٦٢ هـ ، تحقيق أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ : ١٤٠٣ هـ .

* كشف الشبهات بالتوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٠٦ ه دار الوطن ، الرياض ، ط١ : ١٤١٤ هـ .

* الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبد الرؤوف القاسم ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ط٢ : ١٤١٣ هـ .

* كفاح المسلمين في تحرير الهند لعبد المنعم النمر ، مكتبة وهبه . عابدين، ط:١ ١٣٨٤هـ .

* كليات إمدادية لإمداد الله المهاجر المكي، مكتبة تهانوي، ديوبند الهند.

* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين المتقي الهندي البرهانفوري ت ٩٧٥هـ مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ.

* كيا تبليغى كام ضروري هى ؟(هل التبليغ واجب) لمحمد الياس بن قاري بنده الهي ميرتهي ، محبوب پريس ، ديو بند ، الهند ، ط٢ .

* اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٣ هـ .

* لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ط١ : ١٤١٠ هـ .

* لسان الميزان للحافظ أحمد بن حجر ت ٨٥٢ هـ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، دكن ، الهند .

* اللمحات إلى بعض ما في « تبليغى نصاب » من الأحاديث الضعيفة والموضوعة لكفاية الله سكندر علي الأنصاري ، بحث مقدم في كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ١٤٠٦ – ١٤٠٧ هـ .

* لمحة عن جمعية أهل الحديث المركزية بالهند للأمانة العامة لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند، دهلي الهند .

* اللمع لعبد الله بن علي الطوس السراج ت ٨٧٨ هـ ، تحقيق عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠ هـ .

* لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، دار الأصفهاني وشركاه ، جده ١٣٨٠هـ .

* مبشرات دار العلوم لأنوار الحسن الهاشمي ، مكتبة رحيمة ، ديوبند ، الهند .

* مجالس حكيم الأمت حضرت مولانا أشرف علي التهانوي، ترتيب: مفتي محمد شفيع،

دارالإشاعت كراتشي باكستان، ط:١ ١٩٧٤م

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ ، دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ : ١٤٠٢ هـ .

* مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين ، جمع وترتيب فهد ابن ناصر السليمان ، دار الثريا للنشر ، الرياض ، ط٢ : ١٤١٤ هـ .

* مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، الرياض .

* مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ، إعداد: د/ عبد الله بن محمد الطيار ، طبع ونشر دار الوطن ، الرياض ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

* المجموع في الضعفاء والمتروكين للنووي ، دراسة وتحقيق عبد العزيز عز الدين السروان ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ .

* محبوب العارفين لمحمد اقبال ، مكتبة دينيات ، لاهور ، پاكستان .

* المهجة في سير الدلجة لابن رجب الحنبلي .

* مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٢ هـ .

* مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند لعبد الحليم الندوي ، مطبعة نوري ، مدراس ، الهند .

* مسألة حياة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء الأدلة الشرعية للشيخ محمد إسماعيل السلفي ، ترجمة الدكتور مقتدى حسن الأزهري ، ادارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند .

* المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله ت ٤٠٥ هـ ، دار الفكر

، بيروت ١٣٩٨ هـ .

* مسلمانون كى موجوده پستى كا واحد علاج لمحمد احتشام الحسن الكاندهلوي ، اداره ارشاد دينيات ، دهلي ، الهند .

* مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الإسلامية في الهند) لعبد المجيد سالك ، دين محمد پريس ، لاهور ، پاكستان .

* المسلمون في الهند للسيد أبي الحسن علي الندوي ، مكتبة دار الفتح ، دمشق .

* مسند أبو داود الطيالسي لسليمان بن داود ت ٢٠٤هـ دار المعرفة، بيروت لبنان .

* مسند أبي يعلى الموصلي لأحمد بن علي بن المثنى التميمي ت ٣٠٧ هـ ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون ، دمشق ، ط١ : ١٤٠٤ هـ .

* مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ، دار الفكر ، بيروت ،

* المصطلحات الأربعة في القرآن : الإله، الرب، العبادة، الدين، للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، تعريب محمد كاظم سباق ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ط : ١٤١٤هـ .

* مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١ هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط١ : ١٣٩٢ هـ ، بيروت .

* مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية لأبي عبد العزيز ادريس محمود ادريس ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط ١ : ١٤١٩ هـ .

* المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ دار الحرمين القاهرة، ١٤١٥هـ .

* معجم البدع لرائد بن صبري بن أبي عفلة ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ،

ط ١ : ١٤١٧ هـ .

* معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار الصادر ، بيروت ١٣٧٦ هـ .

* المعجم الصغير للطبراني، دار الفكر ط:٢ ١٤٠١هـ

* المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠ هـ ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢ : ١٤٠٥ ، مطبعة الزهراء الحديثة .

* معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .

* معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني ، دار المسيرة ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٠ هـ .

* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للدكتور ا . ي . ونسنك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل ليدن ١٩٣٦م .

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ : ١٤٠٧ هـ .

* المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ١٤٠٦ هـ .

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ، تعليق عبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ : ١٣٩٩ هـ .

* مفتاح كنوز السنة للدكتور ا،ي، فنسنك ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، مطبع كنول آرت بريس، لاهور باكستان، ١٣٩١هـ

* مقالات سر سيد أحمد خان لمحمد اسماعيل پانى پتى ، مجلس ترقى ادب ، لاهور ، پاكستان ، ط ١ : ١٩٦٢م .

* مقدمات ابن رشد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ت ٥٢٠هـ دار صادر، بيروت .

* مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨ هـ ، دار القلم ، بيروت ، ط

٤ : ١٩٨١م .

* مكاتيب حضرت مولانا محمد الياس للسيد أبي الحسن علي الندوي ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند ، ط١ : ١٩٩١م .

* مكتوبات شيخ الإسلام(حسين أحمد المدني) لنجم الدين إصلاحي، مطبع معارف ، أعظم جرة، الهند ١٩٥٢م

* ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس لمحمد منظور النعماني ، اداره اشاعت دينيات ، دهلي ، الهند ١٩٩١م .

* مناجات مقبول لأشرف علي التهانوي، مدينة بكدبو، دهلي الهند .

* المنامات للحافظ ابن أبي الدنيا ، تحقيق/ مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

* المنبهات المنسوب إلى الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مطبع نظامي كانفور، الهند١٣٠٧هـ .

* المنجد في الأعلام ، دار المشرق بيروت، ط: ٢٧ .

* منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل للدكتور ربيع بن هادي المدخلي، دار الفتح الشارقة، ط :١ ١٤١هـ .

* منهج الشيخ المباركفوري في كتابه « تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي » للأخ الزميل عبد الله رفدان الشهراني ، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى .

* المهند على المفند لخليل أحمد السهارنفوري ت ١٣٤٦ هـ ، سرفراز اكيدمي ، ديوبند ، الهند ، ط١ : ١٩٨٨م .

* موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ، للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٥ هـ .

* موج كوثر(نهر كوثر) لمحمد إكرام، أدبي دنيا، دهلي الهند، ط:١ ١٩٩١م .

* موجوده تبليغى جماعت علمائى حق اور اولياء كرام كى نظر مين(جماعة التبليغ الحالية في نظر علماء الحق و الأولياء) ، لحافظ نور خان ضياء ، مطبعة شركت پرنتنگ پريس ، لاهور ، پاكستان ، ط ١ : ١٩٨٨م .

* الموسوعة الحركية ، إعداد / مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية ، إشراف : فتحي يكن ، دار البشير ، عمان ، ط ١ : ١٤٠٣ هـ .

* الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف الدكتور مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٣ : ١٤١٨ هـ .

* الموطأ للإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ ، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية للدكتور أحمد بن محمد بناني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ : ١٤٠٦ هـ .

* مولانا مودودي كى ساتهـ ميرى رفاقت كى سرگزشت اور اب ميرا موقف(قصة رفقتي مع الشيخ المودودي وموقفي منه حالياً) ، لمحمد منظور نعماني ، الفرقان بك دپو ، لكنؤ ، الهند ، ط ١ : ١٤٠٠ هـ ، مطبعة نامى پريس لكنؤ .

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

* ميزان الكبرى لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني ت ٩٧٣ هـ ، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٥٩ هـ .

* مين بهى حاضر تها وهان(كنت أيضاً حاضراً هناك) ، لحكيم خواجه اقبال أحمد الندوي ، مطبعة جمال پرنتنگ پريس ، دهلي ، الهند ١٤٠٦ هـ .

* نزهة الخواطر للشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، دكن ، الهند . ط:٢ ١٣٩٨هـ

* نسبت واجازت لمحمد زكريا الكاندهلوي ، متكتبة دينيات ، لاهور ، پاكستان .

* نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية للأستاذ سيف الرحمن أحمد ، المطبعة العربية ، لاهور ، پاكستان .

* نظرة عابرة على الجماعة الإسلامية بباكستان لخليل أحمد الحامدي ، دار العروبة للدعوة الإسلامية ، لاهور ، باكستان .

* النقشبندية : عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

* نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، دار صادر ، بيروت .

* هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ، دار اللواء ، الرياض ، ط٣ : ١٤٠٣ هـ .

* هندوستان مين وهابي تحريك(الحركة الوهابية في الهند) للدكتور قيام الدين أحمد، ترجمة محمد مسلم، نفيس إكادمي، كراتشي باكستان .

* وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي ت ٩١١ هـ ، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

* الجرائد والمجلات *

* مجلة البلاغ ، بمبئ ، الهند .

* مجلة البلاغ ، دار العلوم ، كراتشي ، پاكستان .

* مجلة « تجلي » ، ديوبند ، الهند .

* مجلة « تعمير حيات » ، لكنؤ ، الهند .

* مجلة « الجامعة السلفية » ، بنارس ، الهند .

* مجلة « الداعي » ، جامعة إسلامية ، دار العلوم ، ديوبند ، الهند .

* جريدة « دعوت » ، دهلي .

* مجلة « الدعوة » (اردوية) لاهور ، پاكستان .

* مجلة « الدعوة » المملكة العربية السعودية .

* مجلة « الرشيد » پاكستان .

* مجلة « الفرقان » مجلة شهرية ، لكنؤ ، الهند .

* قومي آواز ، الهند .

* مجلة « مظاهر العلوم » سهارنپور ، الهند .

* مجلة « معارف » اعظم گره ، الهند .

* مجلة « المسلمون » الروضة ، القاهرة .



* فهرس الموضوعات *